دكتور محمد عباس

بل هى حرب على الإسلام

الحرب العالمية الثالثة .. بدأت

إمبراطورية الشيطان ..

من دخل جنتها هلك ..

ومن دخل نارها نجا ..



مكتبة مدبولى

بل هى حرب على الإسلام

مكتبة مدبولى

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ _ **فاكس :** ٥٨٧٢٨٥٤

الكتاب : بل هى حرب على الاسلام

الكاتب : د. محمد عباس

رقم الإيداع : ٢٧٨٣ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى : 977 - 208 - 383 - 3

الطبعة الأولى : ٢٠٠٢

الغلاف :

عربية للطباعة والنشر

تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ _ ٣٢٥١٠٤٣ _ فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

دكتور محمد عباس

بل هى حرب على الإسلام

الحرب العالمية الثالثة .. بدأت

إمبراطورية الشيطان .. من دخل جنتها هلك .. ومن دخل نارها نجا ..

مكتبة مدبولى

2002

المحتويات

مُقَدِّمَة

من أين أبدأ..؟ و إلى أين؟؟..

وهذا الجسد الإسلامي المسجى والمقيد .. أي جرح من جروحه أشد وأي نزيف أغزر.. و أيها يهدد الوجود كي أتناوله قبل الآخر..؟..

في البداية يا قراء.. منذ ما يقرب من خمسين عاما.. كان قلبي يتمزق من أجل البشرية جمعاء.. وكنت أبكي لمشاهد الموت والظلم والجوع الناجمة عن طغيان طاغ وتجبر متجبر.. ثم استبد بي الغضب حين أدركت أن كل هذا الطغيان والتجبر لم ينتج عن طغيان الطغاة فقط.. بل عن تخاذل المظلومين أيضا..

ومرت أعوام فأدركت أن تحمل هم البشرية أكثر من طاقتي.. فتقلص اهتمامي إلى العالم الإسلامي.. لكنني سرعان ما نزفت الدموع دما لعالم إسلامي رضى بالخضوع لمن يريدون به شرا وسوءا، وخنع للتشرذم..

ولم أك أدري أن الزمن سيمر لأجدني مكان من بكيت عليهم..

واشتد غضبي على تلك الدول الإسلامية فتقلص اهتمامي إلى العالم العربي.. وهالني فسق مترفيه فيه.. فتقلص اهتمامي إلى وطني .. فروعني أن الناس يخرجون من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا فتقلص اهتمامي إلى نفسي ..

نفسي .. نفسي.. نفسي..

ولكن كيف أنجو بنفسي يوم الحساب الأعظم حين يسألني ربي ماذا فعلت لقومك ولوطنك ولعالمك العربي وللمسلمين جميعا وللبشرية كلها وكيف تصرفت في الخلافة التي استخلفتك فيها..

واكتملت الدائرة ..

وعـــادت الأمور كما بدأت.. فأدركت المعنى بعد أن أدركت أن الإسلام هو الوطن.. الإســلام وليســت تــلك الخطوط التي رسمها الصليبيون على خرائط الجغرافيا لتقسم وطننا الإسلام بل لتمزقه إلى شراذم..

وكان المعنى الشامل الجامع المانع: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم..

★ ★ ★

.. وفي لجـــة الآلام مـــن أجل أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله فاجأني السؤال : هل الشيطان مؤمن؟!..

إنـــه لم ينكر وجود الله قط.. ولم ينكر أبدا أنه سبحانه وتعالى هو الخالق الواحد الأحد.. تمامـــا كالكـــثيرين منا.. بل وأكثر.. فقد رأى ما لم نر.. وسمع ما لم نسمع.. ولكن لا الإيمان ولا الإسلام ذاك.. نعم ليسا ذاك ..لا ينعقدا إلا بالإيمان بالربوبية والإيمان بالألوهية والإيمان بالأسمـــاء والصفات جميعا.. يشاركنا الشيطان في الإيمان الأول منها.. لكنه أنكر - كما ينكر الحداثيون والعلمانيون - أن الرب هو الإله المألوه (أي المعبود) .. و أن إيماننا لا ينعقد إلا إذا آمنا به و ألهناه (أي عبدناه كما أمرنا وبما أنزل علينا في الكتاب) وقدسنا أسماءه وصفاته..

ولكـــم روّعني يا قراء أن الذين يؤمنون بالربوبية دون الألوهية هم الذين يضعون الآن للأمة مواصفات إسلامها.. ويحددون لها ما يجوز وما لا يجوز طبقا للنظام العالمي الجديد لا طبقا للحلال والحرام..

وبـــلغت الســـيول الـــزبى والقلوب الحناجر وواحد منهم يقول معبرا عن الباقين جميعا في كـــلمة حق أراد بها باطلا : أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .. ولم يكن ذلك الشيطان المؤمن بالربوبية فقط يعني إلا إهدار الإسلام الذي رضاه لنا الله دينا.. فلا الصلاة تهم ولا الزكاة ولا الجهاد ..ولا .. ولا.. ولا كل ما أنزل الله .. بجوهره ومظهره..

وانفـــتح لي بصـــيص ضوء فأدركت لماذا ننتقل من هزيمة إلى هزيمة أنكى.. ومن كارثة إلي كارثة أشد.. ومن مهانة إلى مهانة أكبر . ومن مذلة إلى مذلة أكثر .. و إلى أمة أمست غثاء كغثاء السيل..

ففي وجود مثل هؤلاء لا يمكن أن تكون الأمور أفضل..

★ ★ ★

وما روّعني أكثر أن الطريقة العبقرية - عبقرية الشيطان - التي طبقتها الولايات المتحدة لغـــزو أفغانســـتان قابـــلة للتطبيق الفوري في كل شلو - ولا أقول بلدا - من أشلاء عالمنا الإسلامي..

سرب من طائرات الـ B52 و ١٥٠٠٠ عميل من التحالف الشمالي هزموا شعبا تمرس في الجهاد أكثر من أي شعب من شعوبنا..

خمســـة عشـــر ألفا؟.. لكن أعضاء حزب التحالف الشمالي في أي شلو من أشلاء عالمنا الإسلامي أكثر من ذلك ..!!..

★ ★ ★

إذ يخـــط يـــراعى هذا الكتاب يا قراء مع الحرب الصليبية الجديدة - وما الصليب فيها إلا قـــناعا يستتر الشيطان خلفه - تداعي الألم كأنما استدعي تداعيات آلام أخري تمت بصلة القـــربى إليـــه، ضياع فلسطين، ١٩٥٦ وكيف لم نستوعب الدرس. ٦٧ والهزيمة الساحقة الماحقـــة، ٧٣ والنصر العسكري والهزيمة السياسية، ٧٧ وزيارة السادات للقدس، ٨٢ غزو لبـــنان. حربي الخليج الأولي والثانية، كوسوفا والبوسنة والهرسك وكشمير والفليبين كشمير وبورمـــا .. و .. و .. و ..وأفغانستان. فكأنما تاريخنا جرح هائل.. وكأنما كل الجروح مسلمة وكل المسلمين جروح .

ولم أجد يا قراء عزاء، سوي عزاء وحيد، عزاء فج لم يتح له الظهور إلا فرط الألم. هذا العـــزاء يقـــول أن محطـــات الألم الكبرى قد تكررت بالنسبة لجيلنا كل خمسة أعوام تقريبا. وأن واحدا مثلي، يطرق الآن أبواب العقد السابع من عمره، لم يبق في عمره الكثير وقد ينقذه الموت من إدراك محطة الألم القادمة .

★ ★ ★

كنت أعزى نفسي بذلك .. لكنني لم أهنأ حتى بهذا العزاء.. إذ ما لبثت النذر السود أن تجمعـــت فالحـــرب الجديدة لا زمان يحدها ولا مكان يحددها. وهى كما قالوا حرب مستمرة تستغرق عشرة أعوام على الأقل وقد تلبث خمسين عاما.

و أدركت.. واستدركت .. وفهمت .. وعلمت.. وجزعت .. وفزعت ..

إنها ليست حربا على فلسطين والعراق وأفغانستان.. ولا هي حرب على أسامة بن لادن وطالبان.. بل هي حرب على الإسلام..

تلك الحرب التي طالما حذرنا منها وطالما نبهَنا شيوخنا وعلماؤنا إليها لكن الفئة المنحرفة المســـتغربة في بلادنــا وهي فئة خائنة كالتحالف الشمالي كانت تقابل تحذير الأمة بالتخدير.. والكذب..

حرب يقودها عباد الشيطان على عباد الرحمن..

نعم..

هي حرب على الإسلام..

لا أعبد ما تعبدون..!!
الحرب العالمية الثالثة.. بدأت..!!

كـــنت أريد، ولو على سبيل التظاهر، أن أساهم في طوفان دموع التماسيح المتهاطلة من أربعة أركان العالم حزنا على خسائر أمريكا وقتلاها..

كنت أريد..

ولو ذرا للرماد في العيون.. ولو كقربان أقدمه إلي الوثن الذي يريد من العالم أن يعبده مـــن دون الله.. ذلك الذي انتقل من قسم جبال الأوليمب إلي البيت الأبيض .. قربان يُسمح لي بعده أن أقول بعض ما أريد..

قربان يُسمح لي بعده أن أقول: ولكن..

ولكن رسل الوثن جاءت إلينا بالنذير والتحذير من " ولكن "(١) هذه..

كنت أريد أن أزايد بدموعي..

لكني اكتشفت أن رصيدي من الدموع مستنزف منذ مائة عام ومحجوز لمائة عام أخرى.

نعم ..

كـــنت أريـــد أن أشـــارك في طوفـــان دموع التماسيح من أربعة أركان العالم.. لكنني اكتشـــفت، أنني في وسط النوازل الهائلة والهوائل النازلة والملاحم والفتن، لم أملك الوقت أبدا لأبكي شهداءنا.. وأن الدموع المستحقة لهم دين عليّ، وأنه ديْن لا يسقط بالتقادم. و أن عليّ أن أؤديه قضاء ما دمت قد عجزت عن تأديته في حين حدوثه..

(١) كان الشعار الأمريكي: إما معنا أو مع الإرهاب، ولم يكن أي تحفظ مقبولا. وعبر عن هذا التوجه الدكتور مأمون الفندي الذي ابتكر تعبير: بن لكن" والذي أصبح مثار التعليق والسخرية. والدكتور الفندي عضو سابق بحزب التجمع المصري، وموظف حاليا بالإدارة الأمريكية، وآراؤه تعبر عن كليهما.

كـــنت أريد أن أشارك .. لكن دموعي مرهونة لقرن قادم، ربما بعدها يأتي الدور لأبكى خمسة آلاف أو حتى خمسين ألف أمريكي قتيل..

هل قلت : خمسة آلاف؟..

هل قلت : خمسين ألفا؟!..

ياله من رقم ضئيل..

نعـــم.. رقـــم ضئيل .. ولن أعجز عن سداد حقه من دموع التماسيح.. ولكن بعد أن أؤدي ما على من دين من الدموع..

- ديْـــن لفلسطـــين : ٢٦١٠٠٠ شهيدا و ١٨٦٠٠٠ جريحا و ١٦١٠٠٠ معوقا، وهجرة مليونين تحولوا إلى خمسة ملايين لاجئ.

- ودين للبنان: ٩٠٠٠٠ شهيدا و ١١٥٠٠٠ جريحا و ٩٦٢٧٠ معوقا.

- ودين لمصر ٣٩٠٠٠ شهيدا و ٧٣٠٠٠ جريحا و ٦١٠٠٠ معوقا.

الأرقام الباقية غير دقيقة أو غير متاحة لكنها تشير إلى ثلاثين ألف شهيد سوري وخمسة آلاف أردني، ويحصـــر أنتوني كرودسمان[1] إجمالي الخسائر البشرية المباشرة في الحرب العربية الإســـــرائيلية -مـــتجاهـــلا الشهداء الفلسطينيين - فيبلغ عددهم ١٨٤٢٤٩شهيدا منهم ٧٤٥٣٣ من العسكريين و ١٠٩٥١٦ من المدنيين.

١٠٩٥١٦ شهيدا مدنيا لم يأبه لهم العالم المتحضر ولم يذرف عليهم دمعة واحدة..

نعم..

كـــنت أريـــد أن أشارك - ولو على سبيل التظاهر - بذرف دموع تتهاطل في أربعة أركان الأرض. وفى كل ركن من الأرض يوجد للدموع سبب ولون وطعم.. فما بين مشاركة حقيقية لوحدة المصير بين طغاة العالم والتاريخ الذين اكتشفوا فجأة أن زعيمهم يمكن أن يضرب و أن الـــرجل المسيحي الأبيض يمكن أن يصرخ ويتألم وينزف الدماء .. ويموت.. فإذا كانت

(١) بعـــد العاصـــفة - التغيرات في التوازن العسكرى في الشرق الأوسط- أنتوني هـــ . كرودسمان - ترجمة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة - دار الهلال.

أمـــريكا قد تم ضربها بهذه القوة: فماذا سيحدث لهم؟[1] .. وما بين مجاملة لا يخسر من يؤديها شيئا.. وما بين مستفيد من أرباح الحرب التي تقود أمريكا العالم إليها..

في كـــل ركن من الأرض يوجد للدموع سبب ولون وطعم.. إلا في عالمنا العربي.. فقد كـــان سبب ذرف هذه الدموع هو إظهار ولاء العبد للسيد والجارية لمالكها ومولاها.. وكان لونها لون العار .. وطعمها طعم الذل..

تماما.. كرجل يترك بيته المهدم.. و أشلاء أبنائه.. ودماء أهله .. وماله السليب ليصرخ مشـــاركا بدموع هي لا ريب دموع التماسيح يذرفها من أجل جرح بسيط جدا ألم بإصبع من فعل به كل هذا.. من هدم بيته.. وقتل أهله.. وسلب أرضه .. وسرق ماله..

يـــترك هذا الديوث دماء أكثر من أربعمائة ألف شهيد مدني (فالأرقام السابقة تعود إلى بداية التسعينيات من القرن العشرين) هم ضحايانا المباشرون بسبب إسرائيل بسلاح أمريكي..

هل قلت سلاحا؟..

يالي من ساذج ضللته دعايات ولاة أمره..

لقـــد كانت أمريكا هي القاتل الرئيسي.. بل الوحيد.. ولم تكن إسرائيل سوى قفاز لها ضغط الزناد.. أو على الأحرى ضُغط من خلاله على الزناد.

نعم.. كانت أمريكا هي القاتل الرئيسي.. ولست أبرئ إسرائيل.. لكنني أضعها في مكانها الحقيقي من الصراع.. قاعدة عسكرية متقدمة للغرب.. وحاملة طائرات أمريكية ثابتة.. الأمر الـــذي يدحض كل نظرياتنا السابقة عن تأثير اللوبي اليهودي علي القرار الأمريكي.. أو عن الاعـــتماد الغربي علي إسرائيل للحفاظ علي المصالح.. فالغرب وإسرائيل كيان واحد.. كيان واحـــد لا يتجزأ.. كيان واحد حاولوا خداعنا عن حقيقته كي نراهن علي الحل الأمريكي.. وكـــي تكـــون المشـــكلة هي عجزنا عن إقناع الرأي العام الغربي بعدالة قضايانا وهو ما يعني أننا بمجرد إقناع الغرب بعدالة قضايانا فسوف يبادر بتحقيق العدل.. وكانت وجهة النظر تلك – ونســـميها وجهـــة الـــنظر تجاوزا – فلا الغفلة ولا الجهل ولا التواطؤ المتآمر الخائن يمكن

(١) في اليـــوم الـــتالي لأحـــداث ١١ سبتمبر كانت الافتتاحية الرئيسية لصحيفة اللوموند الفرنسية: " كلنا أمريكا،أما الصحف الألمانية فقالت: " كلنا نيوورك".

أن تكـــون وجهات نظر - تهدف إلى صرفنا عن المشكلة الحقيقية والتي تتمثل في عجزنا عن مواجهة الغرب في الحرب التي يشنها علينا.. في الإرهاب الذي يمارسه ضدنا منذ قرون.

يدمـــي القـــلب أننا نقول ذلك منذ عقود، و أننا كنا مجرد استمرار لمن ظل يقوله عبر القـــرون، والأمـــر الآن أجل و أخطر من أن نثبت أننا كنا على صواب وكان الآخرون علي خطـــأ، فالمصيبة أن الحقيقة كانت معروفة، بل واضحة وجلية، لكن وجد دائما من يسخر ممن يكشـــف تـــلك الحقيقـــة، ويواجهه بالاستنكار والسخرية والازدراء والاتهام بأن عجزنا عن مواجهـــة الواقـــع والتكيف معه يدفعنا إلي تبني نظرية المؤامرة . وربما يأتي كتاب الأستاذ رضا هلال(١) ، وهو كاتب ليبرالي، بالمفهوم الغربي الكامل حتى أن صحيفة الواشنطن بوست انتقدت الأهـــرام - التي يعمل فيها - لأنها لا تمنحه مساحة كافية للكتابة . يأتي كتابه ليقول ما كنا نحـــذر مـــنه منذ عشرات بل ومئات الأعوام. ويكشف الكتاب مدي سيطرة اليهودية على المسيحية الأمريكية (البروستانتية) حيث أصبحت تشكل التيار الأقوى في الشارع الأمريكي. وهو تيار يتبنى - للغرابة - أسطورة انتظار المسيح ليقود حرب نهاية التاريخ ضد المسلمين . يقول رضا هلال في كتابه:

" ولم تقتصـــر "أجندة" المسيحية السياسية والأصولية على تهيئة المجتمع الأمريكي لعودة المســـيح . بـــل إنها ضمنت الأجندة رسالة صليبية عالمية ..(..) أصبح ضمن رسالة المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا تحضير العالم لنهاية التاريخ وللمجيء الثاني للمسيح ."

ويكشـــف رضا هلال أن الشعب الأمريكي شعب متدين. إذ أن ٩٥% من الأمريكيين يعـــتقدون في وجـــــود الله. كمـــا أن ٨٢ % من الأمريكيين يعتبرون أنفســـهم متدينين. أما من يذهبون إلى الكنيسة أسبوعيا في أمريكا ، فنسبتهم ٤٤%.

وأعـــتقد أن هذه النسبة التي قد تفاجئ القارئ ربما تزيد كثيرا عن نسبة المترددين علي المساجد في العالم الإسلامي .

ولقـــد ارتـــبط تديـــن وتهـــود أمريكا بنشأتها . فالمهاجرون الأوائل اعتبروا أمريكا هي "أورشـــليم الجديـــدة" أو "كـــنعان الجديدة" ، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا

(١) المســـيح اليهـــودي ونهاية العـــالم - مكتبة الشروق - والكتاب نشر في عام ٢٠٠٠م: أي قبل أحداث ١١ سبتمبر.

من ظلم فرعون (الملك الإنجليزي جيمس الأول) وهربوا من أرض مصر (إنجلترا) بحثا عن أرض الميعـــاد الجديدة . وبالمشابهة ، أصبحت مطاردة المهاجرين البروتستانت للهنود الحمر في العالم الجديد (أمريكا) مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين .

وقد وجد المستوطنون في حكايات "سفر الخروج " من العبر والوصايا، نبراسا في تأسيس مشروع أمريكا . فالعبودية في مصر ، والخروج ، والتيه، ودخول أرض الميعاد وإبادة أهلها ... أصبحت تاريخا معادا ومستقبلا للشعب المختار الجديد في أرض الميعاد الجديدة.

لقـــد كـــان تحويـــل العالم الجديد إلى إسرائيل جديدة ، هو أساس مشروع المستوطنين البروتســـتانت البيورتانيين الأوائل . فطالما حلموا في إنجلترا بتطبيق شريعة التوراة ، ولما جاءوا إلى أمريكا حلموا بدولة تحكمها أحكام الرب ، حتى إن المؤرخ جون فيسك قال : "حيث ترى تاريخا يصنع في أمريكا ، تجد تاريخا أمريكيا يهوديا".

يقـــول الدكتور سامي منصور أنه لابد أن نعترف بأن من يحكم أمريكا حالياً هو اليمين المـــتطرف الذي يستند على نسبة خمسين بالمائة من الشعب الأمريكي الذين يؤمنون بالمسيحية الصـــهيونية وتـــلك الفئة تؤمن بضرورة تجزئة العرب بكل الطرق . كما أنها تاريخياً هي التي أنشأت إسرائيل لتفصل بين الشمال العربي "بغداد – دمشق" وجنوبه "القاهرة" .

ولقد ترتب علي ذلك أن تحيز الأمريكيين لإسرائيل ليس بسبب عجزنا عن إقناع أمريكا بعدالـــة قضيتنا. بل لأن الثقافة الأمريكية ثقافة يهو – مسيحية تقوم على التقاليد الأخلاقية والديـــنية لليهودية والمسيحية . أي "التراث اليهودي المسيحي" ، الأمر الذي ترجم في النهاية إلى معـــنى سياسي هو توافق القيم الأمريكية والإسرائيلية توافقا كاملا يجعل كلا منهما امتدادا للأخرى(١) .

نعـــم.. كنا نقول ذلك منذ عقود وكان أساتذتنا يقولونه منذ قرون.. وكنا علي صواب حين ربطنا كل حروب الغرب ضدنا بالدين. من المؤكد أن هناك أسبابا أخري، لكنها أطراف ما كان لها أن تتجمع أو أن تنجح ما لم تكن مرتبطة بعمود فقري هو الصليب.

★ ★ ★

(١) راجع أيضا سلسلة مقالات للأستاذ محمود سلطان بصحيفة الحياة اللندنية عام ١٩٩٨، وسلسلة مقالات للدكتورة نورة السعد بصحيفة الرياض السعودية ٢٠٠١م.

مـــن أجـــل ذلـــك فـــلقد ألقي توقيت أحداث ١١ سبتمبر ظلالا عميقة من الهواجس والشـــكوك حـــول أهداف توابعها.. لقد حطم الغرب محمد علي وجمال عبد الناصر رغم أن اتجاههما لم يكن إسلاميا وذلك لخوفه من تحول قوهما إلي نواة لإعادة تجميع المسلمين واسترداد قوهـــم. وفي عـــام ١٩٩٠ بـــدا أن التحالفات العربية الإسلامية التي تواكبت مع الانتفاضة الفلســـطينية آنذاك خلقت نوعا من التوازن النسبي مع إسرائيل.. فكانت حرب الخليج التي دمرت هذا التوازن وقضت علي الانتفاضة.. وفي عام ٢٠٠١ بدا أن الفلسطينيين قد اهتدوا إلي نمـــوذج للنضـــال يستطيع أن يزلزل الوجود الإسرائيلي من أساسه.. وكان لابد للرد أن يكـــون شـــاملا وكاملا كالحرب علي الإرهاب.. كان علي الجيوش أن هرع لنجدة مفرزها وحامـــلة طائـــراها الثابـــتة. وبـــدا العـــرب والمسلمون أعجز من أي وقت مضي.. وكان ذلـــك طـــبيعيا.. فمـــن سلم الباقي من الإرادة في عام ١٩٩٠ لأمريكا لا يمكنه أن يواجهها في عام ٢٠٠١.

أمـــريكا الـــتي كـــانت السبب المباشر في قتل ملايين المسلمين خلال العقود الأخيرة .. واعتبرها المغفلون والمتواطئون الخونة منا وسيطا نزيها وعادلا وراعيا للسلام.!!..

أمريكا التي قتلت منا مئات الآلاف ..

والأرقـــام الـــتي ذكرناها عن ضحايانا – كنتيجة مباشرة للإرهاب الأمريكي ضدنا – رغـــم فداحتها يمكن أن تتضاعف لو أضفنا إليها ضحايا الفتن التي أشعلتها إسرائيل في عالمنا العربي ..

ثم أن هـــذه الأضعاف المضاعفة يمكن أن تتضاعف مرة أخرى إذا أضفنا ضحايا أمريكا وحلفائها في عالمنا العربي والإسلامي..

مليون ونصف المليون في الجزائر..

مليونان في العراق..

مليون في إيران..

مليون في إندونيسيا..

مئات الآلاف في خراسان والباكستان وبنجلاديش والفلبين والصومال..[1]

ولن نتكلم عن الأسري الذين قتلوا أحياء..

ولا عن آلام أمهات ثكلت.. وزوجات ترملت.. وملايين الأطفال تيتموا..

★★★

عليّ ديون من الدموع هي حق لثمانية ملايين ونصف من أهلي.. ثم تريدون مني أن أترك كل هذا لأبكي خمسة آلاف أمريكي.. فإن لم أفعل كنت إرهابيا ووحشا..

تريدون مني دموعا على مصرع مدنيين مسالمين.. فهل كانت سلوى حجازي جنرالا.. أم كان أطفال بحر البقر مشاة في البحرية أم كان عمال أبي زعبل طيارين أم كانت السويس التي لم يبق فيها مترل قائم أم الإسماعيلية التي شهدت دمارا رهيبا أم ليبيا أم العراق أم مصنع الشفاء في السودان.. أم.. أم.. أم..

تريدون مني دموعا عاجلة على عمارتين أو ثلاث .. ياله من أمر مضحك.. فكيف يأسى على عمارتين من عرف منكم وبكم كيف هدم أوطان وتمحى مدن.. وتقصف ملاجئ هرع إليها الناس التماسا للحماية والأمان..

أم نسينا قانا والعامرية..

★★★

كان ما حدث في مخبأ العامرية مجدا للشيطان و أي مجد ...

ومجدا للأمريكان و أي مجد..

هاجمت طائرة أمريكية من نوع الشبح ملجأ العامرية بصاروخ موجه بالليزر: " ... محدثا فتحة في السطح والسقف وانفجر في مستشفى الملجأ، وبعد أربع دقائق وجه صاروخ آخر عبر الفتحة نفسها التي أحدثها الصاروخ الأول، و أغلق انفجار الصاروخ الثاني الأبواب الفولاذية التي يبلغ وزنها ستة أطنان وسمكها نصف متر، وأحرق مئات عدة من الأشخاص ، في الطابق الأعلى تبخر كثيرون منهم بالحرارة، التي بلغت درجتها آلافا عدة والمتولدة من الانفجار.

(١) يذكر الدكتور أيمن الظواهري رقم ثمانية ملايين ونصف كضحايا مسلمين للعنف الأمريكي في العقدين الماضيين. راجع مذكرات أيمن الظواهري بصحيفة الشرق الأوسط اللندنية: نوفمبر وديسمبر ٢٠٠١

وكان مصير مئات عدة من الأشخاص الغليان حتى الموت في مياه المراجل الضخمة المدمرة في الانفجار، لا يُعرف على وجه التأكيد عدد المدنيين الذين قُتلوا في ملجأ العامرية في تلك الليلة، كان السجل المدونة به أسماء الأشخاص الذين احتموا بالملجأ قد أودع في الملجأ نفسه ولم يعد له أثر ، ولكن من المعروف أنه قبل تلك الليلة، كان ١٥٠٠ شخص يوقعون عند دخول الملجأ كل ليلة، وعُثر بعد المجزرة على أحد عشر شخصا قُذف بهم خارج الملجأ. وبعد ساعات عدة مرعبة استُخرجت من البناية البقايا السوداء المشوهة لأربعمائة وثلاثة أشخاص. وقدر أن مئات عــدة من الأشخاص قد احترقوا وتبخروا ولم تعد ثمة وسيلة لتحديد هويتهم أو حتى عددهم. ووصــف شــهود مــنهم تام دالي، العضو العمالي في البرلمان البريطاني آثار النساء والأطفال المــتفحمة عــلى جدران الملجأ. تفحمت طبعات أقدام و أيد صغيرة على الجدران والسقوف وانطبعت على جدران الطابق الأسفل عند علامة الماء في الخزانات المتفجرة آثار اللحم البشرى على ارتفاع خمسة أقدام ... "[١] .

كل هذا ثم يحتجون لأن العراق لم يندد بما حدث لخمسة آلاف أمريكي وعمارتين.

والآبــق بــاول[٢]. يــتهم صدام حسين في إنسانيته لأنه لم يحزن من أجل خمسة آلاف أمريكي.. ونسى أنه على يديه قُتل مليون عراقي، وعلى أيدي قومه مات مليون آخر. ونسى الآبق ملجأ العامرية.

يالها من خسة.. وياله من عار..

★ ★ ★

كــنت أريد، ولو على سبيل التظاهر أن أساهم في طوفان دموع التماسيح المتهاطلة من أربعة أركان العالم حزنا على خسائر أمريكا وقتلاها..

كــنت أريد أن أفعل ذلك.. إن لم يكن خوفا من أمريكا فخوفا من حلفائها بيننا.. (من تسميهم أمريكا: الحلفاء .. تسميهم الأمة : العملاء) ..

★ ★ ★

(١) التنكيل بالعراق- جيف سيمونز. مركز دراسات الوحدة العربية

(٢) المسئول العسكري الرئيسي عن الحرب علي العراق، ووزير الخارجية الأمريكية حاليا

حاولت..

أبت الكلمات أن تطيعني.. و أبى القلم..

ضجّت روحي : هل تخون الله؟..

جأرت نفسي: هل تخون ثمانية ملايين قتيل ونصف وهل هان عليك شرذمة أمة وتفتيت أوطان وتدمير وجود..

أنّ ضميري: هل تخون نفسك؟..

في مواقف المفاصلة لا توجد مساومة .

لن أفعل ما يريدون مني ومن الأمة أن تفعله.. ولن نخجل مما يجب أن نفخر به لنفخر بما يجب أن نخجل منه..

فلتتهمنا أمريكا وعملاؤها بما شاءوا ..

فأن يفعلوا ذلك بالباطل خير لنا من أن يفعلوه بالحق..

★ ★ ★

لقــد كان الطرح الأمريكي للقضية جريمة.. فمنذ اللحظات الأولى كان شعار إما معنا أو مع الإرهاب. بلا نقاش. بلا تعقيب ولا تحفظ. ممنوع حتى أن تقول أنك مع أمريكا ثم تعقبها بكــلمة " لكن". حتى ولو كانت " لكن" هذه في تساؤل جوهري مثل : "لكن" ما الدليل؟ . أو : " لكــن" لمــاذا لا تكون العملية من تدبير جماعات أمريكية؟.. أو نحن مع أمريكا خصم للإرهـــاب " لكن " نريد تعريفا للإرهاب ترعاه الأمم المتحدة..[1] أو نحن مع أمريكا " لكن " باعتبارنا مع أمريكا تمثل الخصم فإننا نريد حكما محايدا يحكم ويصدر الإدانة وسننفذ مع أمريكا هذا الحكم.

كان كل ذلك مرفوضا..

---

(١) كـــان هـــذا اقتراحا تبنته مصر ورفضته أمريكا بإصرار. رغم علمها بأن الأمم المتحدة طوع أمرها و أنها تستطيع الحصول منها علي القرارات التي تريدها. لكنه الكبرياء والتعالي وازدراء العالم. والخشية أيضا من أي معارضة مهما كانت ضئيلة وغير مؤثرة في اتخاذ القرار. فالمطلوب إيمان مطلق بما تقول وتري.

وكان الطرح على العالم الإسلامي أيضا جريمة..

كـــان الســـؤال: هـــل يؤيد الإسلام الإرهاب؟.. وكان نذير النبرة واضحا وصريحا أنه إن كانت الإجابة بنعم فسوف يصدر قرار بإلغائه - إلغاء الإسلام - وإعدام معتنقيه!!..

كـــان الطرح خاطئا.. فمن الوجهة النظرية فإن الإسلام دين سماوي وليس قولا بشريا يمكن المفاوضة فيه والمساومة عليه والتنازل عنه أو التعديل فيه.

ومن الوجهة القانونية كان ينبغي تقديم الأدلة قبل توجيه الاتهام..

ومن وجهة الشرعية الدولية - حتى إذا ثبت الاتهام - كان يجب أن يكون التساؤل: هل مـــن حـــق دولة أو مجموعة من الدول قتلت منهم أمريكا ثمانية ملايين ونصف إنسان الأغلبية الساحقة فيهم من المدنيين أن يقتلوا خمسة آلاف أمريكي..؟!

وكان يجب أيضا توجيه السؤال إلي أمريكا التي لم تنس ثأرها في لبنان فتحاول أن تشعل فيـــه الفتنة الطائفية من جديد.. ولا من الصومال بسبب قتل ١٨ أمريكيا بعد أن قتل الجيش الأمـــريكي مئات الصوماليين.. كان يجب توجيه السؤال إليها: إن كان من حقها أن تثأر من الآخرين أليس من حق الآخرين أن يثأروا منها؟..

ومـــع ذلك كله وقبله كله وبعده كله وبغض النظر عنه كله فإننا - بهدى من ديننا - لســـــنا ضـــد قتل البشـــر فقط.. بل ضـــد تجويع هرة أو قطع شجرة.. يعصم الآخرين منا ألا يظـــلمونا.. فإن فعلوا.. فعلينا أن نعاقبهم بمثل ما عاقبونا به. وحتى في هذه.. فقد حضنا ديننا على الصبر.. لكنه صبر القادر لا صبر العاجز.. صبر العفو عند المقدرة..

★ ★ ★

مساء يوم ١١ سبتمبر نزلت إلي الشارع كي ألمس بنفسي رد فعل الشارع المصري..

ولم أجد واحدا فقط حزينا لما حدث..

بجـــوار مؤسســـة حكوميـــة كان هناك جنديان للحراسة.. اقتربت منهما متسائلا عما حدث.. راحا يتسابقان في الإجابة.. وامتلأت عينا أحدهما بالدموع وهو يقول :

- الآن أخذنا ثأرنا لمحمد الدرة ..

★ ★ ★

في بريدي أيضا وجدت مئات الرسائل..

وكانت واحدة منها تقول :

" كـــان مشهد العديد من الأحياء الذين بقوا في المبنى الكبير بعد أن اخترقته الطائرتان كـــان ثمـــت من يشير بمنديل أبيض ويلوح في يأس لعل أحد يراه ويأتي لإنقاذه ، وظل يلوح ويـــلوح بقوة ثم بدأت هذه التلويحات تضعف شيئا فشيئا ... ثم .. ثم انهار المبنى بكامله أمام العيـــان وكـــاميرات التصـــوير. ألا يذكرنا هذا بشيء بمشهد قريب غير بعيد عن الأذهان وقد حانت ذكراه السنوية . نعم كان يلوح هو الآخر ويلوح ويلوح بيده ظاناً أنه بهذا قد يمنع جنود الاحتلال من إطلاق النار عليه وعلى ابنه المذعور في أحضانه.. ولكنها تلك اللحظة التي كـــان يـــتوق لها جلادوه وينتظرها صيادوه حين أطلقوا النار عليه وعلى ابنه بلا رحمة بمدفع أمـــريكي الصـــنع وقـــد أردوه قتيلاً أمام رؤوس الأشهاد ، لم تفلح تلويحاته وقتها في منعهم ولم يتحرك العالم لإنقاذه كما لم يقدر أحد من ملايين ممن شاهدوا ذلك اليوم علي إنقاذ الملوحين في المبنى الأمريكي قبيل انهياره... إنها عدالة السماء التي يتناساها دائماً أهل الأرض صدق الله العظيم "إن ربك لبالمرصاد" والله أكبر ولله الحمد"...

رسالة أخري كانت تقول:

"ليس من المهم من ذا الذي فعلها ولكن المهم أنهم قد ذاقوها. وإن طال الزمن.. ترى هل تذوقوا الآن طعم الألم الذي طالما جرعت حكوماتهم كئوسه لشعوب العالم أجمع !!؟؟. ترى هل أحس الملوح بيده ما معنى أن يكون أمل إنسان في الحياة..: كل أمله في الحياة أن يلمحه أحد أو يحس بوجوده أحد أو ينتبه للخطر الذي يتربص به أحد . فيبادر لنجدته . هل أحسوا حين لا تفـــلح تلك الشارات في إنقاذه من الموت فيتسرب إليه اليأس شيئاً فشيئاً . وتخور قواه شيئاً فشيئا. وتخبو طاقته شيئا فشيئا. فلا ترحمه الأقدار ويقضى الله أمراً كان مفعولا. وهل شـــعروا بمرارة أن تكون تلك الأقدار من صنع البشر وبإرادة سفك الدماء التي جبلت عليها نفوسهم ، وأن يكون كل هذا على مرأى ومسمع ومشهد من الناس جميعاً .؟؟.. ترى هل شعر المدفونون تحت أنقاض الحديد المحترق، بلهيب جدران (ملجأ العامرية) الذي ضرب بصواريخهم لتستحيل أجساد اكثر من ألف وخمسمائة طفل وامرأة ممن كانوا بالملجأ إلى كتل متفحمة مغيبة المعـــالم .؟؟ ترى هل شعر أهالي الضحايا بقسوة الموت الجماعي وألم المقابر الجماعية في البوسنة وكوســـوفا وصـــبرا وشاتيلا و..و.. حين يتم التعرف على أجساد الموتى بصعوبة شديدة بعد

عمـــليات التمثيل بالجثث ،وبعد فترات من التحلل. ترى هل شعروا بمهانة الحظر في ليبيا بتهم ملفقة ، ومحاصرة أفغانستان بجرائم معلقة ، وضرب السودان بأحكام مسبقة.

ثم مـــاذا عن نابالم هانوى .ويورانيوم عاصفة الصحراء، وإشعاع هيروشيما وناجازاكي و .. سلسلة الجرائم التي لا نهاية لها ... ترى هل أحسوا بألمها الآن

لا نستطيع الآن إلا أن نتلو قوله تعالى "ذق إنك أنت العزيز الكريم"

ورسالة أخري كتب مرسلها:

كم سيسعدني كثيراً بغض النظر عن النتائج أن تكون آخر العبارات المسجلة بالصندوق الأسود بإحدى الطائرات الفدائية بالأمس عبارة :

"توكلت على الله"!!![1]

★ ★ ★

وبعـــد أن عدت إلي منزلي مساء ذلك اليوم أتابع الأحداث لم أشعر بشماتة ولا بفرح.. فللموت جلاله حتى ولو كان من يموت كلبا.. فما بالنا بخمسة آلاف نفس..

على العكس.. كنت أجلس أمام التلفاز والدموع تملأ عينيّ..

لا.

أعترف..

ليس إشفاقا .. ولا تعاطفا..

و إنما رعب من الله.. القوى القهار العزيز المذل المنتقم العادل.. وكيف يأخذ الطغاة أخذ عزيـــز مقتدر.. يأخذهم في اللحظة التي بلغ ازدهاؤهم بأنفسهم فيها أن ظنوا أنهم قد ملكوا أقطار الأرض و أصبحوا قادرين عليها..

يأخذهم ويحيط بهم من حيث لم يحتسبوا..

★ ★ ★

(١) العـــبارة الـــتي اعتبرها الأجهزة الأمريكية دليلا علي انتحار الطيار المصري ومسوليته عن إسقاط طائرته بركابها عام ٩٩. وكان أحد الاحتمالات التي رفضتها الإدارة الأمريكية بازدراء أن يكون سقوط الطائرة المصـــرية بســـبب عمـــل تخـــريبي تكنولوجي عالي المستوي قامت فيه اجهزة من المخابرات الإسرائيلية والأمـــريكية بالـــتحكم الإليكتروني في الطائرة لإسقاطها. ويشاء الله أن يكون هذا الاحتمال هو أقوي الاحتمالات المطروحة لما حدث يوم ١١ سبتمبر.

تتحدث الأسطورة الإغريقية القديمة عن البطل أخيلوس، الذي حابته الآلهة (أستغفر الله مما يقولون لكن هكذا تقول الأسطورة) فقررت أن تمنحه الخلد فغمسته في مائه فأصبح جسمه كلـــه محصـــنا ضد الهلاك ما عدا جزء صغير أعلى كعبي قدميه..كان من يغمسه في ماء الخلد يمســـكه من هذه النقطة فلم يصل ماء الخلد إليها (مازال هذا الجزء أعلى القدم يسمى حتى الآن باسم : وتر أخيلوس) .. وكبر أخيلوس ليصبح البطل الذي لا يقهر، وظن أنه قادر على الدنيا وما فيها حتى اكتشف أحد أعدائه نقطة ضعفه.. فرماه بسهم أعلى كعبه.. فمات البطل الأسطوري الذي لا يقهر والذي ظن لنفسه الخلد..

كـــان تقديـــري للأمر أن ما حدث هو خطة لم يعرف لها التاريخ مثيلا.. وأنه – كما يقولون – أنجح (عملية إرهاب..!) في التاريخ.. وأن التخطيط كان عبقريا والنجاح في التنفيذ كـــان مذهلا.. والإعداد كان طويلا ومضنيا.. وحجم الاختراق للمؤسسات الأمريكية كان هائلا..

كـــان العـــبقري في الأمر أكثر من أي شئ آخر هو اكتشاف وتر أخيلوس الأمريكي.. الجـــزء الهـــش غير المحصن.. والذي يمكن النيل من أمريكا بإصابته.. وهو ليس جزءا بعرض الإصبع كما في أخيلوس.. بل مساحة شاسعة تغطى أمريكا كلها وامتداداتها في الخارج..

نعم كان العبقري كشف هشاشة أمريكا و إمكانية إصابتها في مقتل..

كـــل العملية كان عبقريا.. ابتداء من التمرن على قيادة الطائرات إلى اختراق الثغرة إلى معـــرفة الأماكن التي تضرب.. إلى التزامن الأسطوري.. وعلى سبيل المثال فإن الاصطدام بناطحات السحاب لم يكن ليأتي بهذا الأثر المدمر لو حدث الارتطام أعلى قليلا أو أوطى قليلا ممـــا حدث.. وأن حدوثه بين الطابق الثمانين والخامس والثمانين قد خلخل هذه الأدوار وترك خمســـة وعشرين طابقا غير مستقرة.. لتهوى هذه الطوابق العليا الخمسة والعشرين بكل ثقلها على باقي الأدوار الثمانين كمطرقة ضخمة فتدكها دكا..

وعلى سبيل المثال أيضا فإن الطائرة التي ارتطمت بالبنتاجون لم ترتطم بأي مكان فيه.. بل ارتطمت بمقر مكاتب القيادة .

الخطة عبقرية والتخطيط متقن والاختراق هائل والتنفيذ مذهل وكنت أرى أن المسلمين هـــم آخـــر المشتبه فيهم.. ليس لأنهم يفتقدون العبقرية والذكاء.. ولكن لأن أمريكا – راعية

العالم الحر تحاصرهم وتقف دونهم فلا تسمح حتى لحلفائها بتجاوز نقاط معينة في العلم والتكنولوجيا.. ولنتذكر مرة أخري الطائرة المصرية التي أسقطوها.. لأنهم اكتشفوا أن بعض خبرائها قد تجاوزا معرفة المسموح لهم به.

هذا هو الشق الأول في الأمر..

الشق الثاني : أن كفاءة العملية تبدو كما لو أنها عملية دولة وليست عملية أفراد أو منظمات.. لكن.. يستبعد هذا الافتراض أن مثل هذه الدولة ستمحى من الوجود محوا إذا ما تم اكتشافها(١)..

الشق الثالث: أن عملية كهذه من يقدر عليها ليس لديه الدوافع لتنفيذها ومن لديه الدواعي لا يقدر..

فإذا استبعدنا المسلمين - ولو مؤقتا - لا تبقى لدينا سوى جهات قليلة تستطيع القيام بهذا العمل الخارق ..(وفرق بين الخارق والأخرق!)..

١- المنظمات الأمريكية السرية، وهي بالغة القوة، ويفرض ستار كامل من السرية والتعتيم على نشاطاتها وقدراتها.. لكن عدد أعضائها يتجاوز المائة ألف.. وهي القادرة بطبيعة الحال على القيام باختراق هائل للمؤسسة الأمريكية لا يشعر به أحد .. فهم في النهاية أمريكيون. يشجع على هذا الافتراض ما حدث في أوكلاهوما.

٢- الموساد والمنظمات الصهيونية.. وللقارئ أن يعود إلى كتاب : "العملية هيبرون" الذي كتبه ضابط مخابرات أمريكي وخصص له محمد حسنين هيكل مقالة كاملة في مجلة الكتب وجهات نظر . إن إسرائيل هي المستفيد الأول مما حدث، وبالتالي فهي المتهم الأول فيه.

٣- الجيش الأحمر الياباني انتقاما لهيروشيما ونجازاكي.

٤- الصرب.. انتقاما ..

إلا أن هذه الافتراضات كلها ليست مصمتة ولا مطلقة، وكل الاحتمالات ممكنة، فقد يكون ثمة تحالف ما بين منظمة صهيونية واليمين الأمريكي تحت رعاية وتخطيط الموساد واستخدم في العملية صربيون (الغريب أن هذا هو نفس التشكيل في كتاب: العملية هيبرون).

★ ★ ★

(١) ذهب محمد حسنين هيكل في عدد أكتوبر من مجلة "الكتب وجهات نظر" إلي شكوكه في أن يكون وراء العملية أجهزة ناقمة لدولة لم يعد لها وجود، مثل الاتحاد السوفيتي أو يوغسلافيا، ورجح الأخيرة.

وفى كـــل الاحــتمالات و أيا كان من قام بالعملية فإن الإسلام حاضر.. ذلك أن قدرة الأبطـــال الاستشـــهاديين في فلسطين هي التي كشفت للعالم القدرة المذهلة الكامنة في الجسد البشرى لشهيد..

و أيا كان من قام بالعملية فقد كان الإسلام معلمه و أستاذه.. وذلك يكشف جزءا من الرعب الذي يحيط بهم الآن..

و أيا كان من قام بالعملية فهي تهمة لا ننكرها وشرف لا ندعيه..

إنــنا ضد قتل المدنيين – والعسكريين أيضا – في أي مكان في الدنيا.. لكننا لا يمكن أن نـــندد بقتل خمسة آلاف ممن قتلوا منا ثمانية ملايين ونصف المليون.. ولا يمكن أن نستنكر أن اليد التي امتدت بالخنجر وذبحتنا.. قد أصابها – أثناء عملية الذبح وبسببها – خدش..!!..

★★★

إنــني أطرح هذا التحليل أمامكم يا قراء.. أمامكم أنتم وليس أمام ولاة أمورنا ولا أمام الغرب.. فقط لنكون على بينة من أمرنا.. ولندرك أن فهمنا للأحداث لن يغير شيئا.. فالإعلام يزيف الوقائع والأدلة ..

ولقد علمنا إعلام الغرب أنه لا يوجد إعلام صادق و إعلام كاذب.. و إنما يوجد إعلام غبي وإعلام ذكي.. وكلاهما كاذب.. لكن الغبي هو الذي يُكتشف.

★★★

إن أمريكا تقود العالم أمامها كقطيع من السائمة.. تماما كما فعلت في حرب الخليج..

لقـــد اتهـــم المسلمون لتضرب بلادهم.. ولقد تورط ولاة أمورنا مرة أخرى في حماقة عظمى وخيانة عظمى كالتي تورطوا فيها في حرب الخليج..

لقـــد شقوا العالم العربي.. لكن أمريكا لم تكتف منهم بذلك.. فهي تريد منهم شق العالم الإسلامي أيضا..

وقد فعلوا ..!!

★★★

لكم كان مضحكا ومذلا ومهينا تسابقهم في إظهار الولاء..

وكان مبكيا ومذلا ومهينا عجزهم عن اقتناص الفرصة ومحاولة إقناع أمريكا أن سياساتها هـي الـتي تـؤدى إلى خرابه .. و أنهم على الرغم من كل محاولاتهم قد فقدوا السيطرة على شـعوبهم بعد أن فاض الكيل وزاد الميل.. وأنهم على الرغم من عجزهم فهم الأفضل لأمريكا عـلى الإطـلاق.. فمـا من حاكم سيذهب لتجد أمريكا بعده من هو أطوع لها منه.. وأنهم ينقرضون .. وعلى أمريكا أن تساعدهم كي لا ينقرضوا بالتخفيف من غلوائها.

★ ★ ★

تقود أمريكا العالم إلى محرقة جديدة.. -

ذلك لأن سنة الله فيمن ظلم ظلمها أن يقوده ظلمه إلى الهلاك.

لأنهـا لـو أنصفت، ولو كان الله يريد لها الخير لراجعت نفسها وكفت عن معاداة العالم كله.

لكنها لن تكف..

★ ★ ★

وضع أمريكا صعب أو مستحيل..

إنها كما يرى الكتاب الغربيون أنفسهم أكثر الدول إجراما في التاريخ..

ولـو أنها أرادت الكف عن الظلم والصلف والكبرياء والغرور فإنها لن تستطيع.. فهي لم تعرف سوى هذه الوسائل سبيلا.. ثم أن شركائها في الظلم من ناحية أخرى لن يسمحوا لها بالانسحاب من السفينة الغارقة لتتركهم وحدهم فيها..

ولنفترض على سبيل المثال أن أمريكا أدركت جسامة الأخطار المحدقة بها بسبب ظلمها وعدوانهـا على المسلمين.. و أنها قررت أن تنسحب أو تعتدل.. فهل ستسمح لها العصابات الصهيونية بذلك؟.. أم ستعاقبها بإرهاب (لا جهاد) أشد وأنكى.

لا تستطيع أمريكا إذن أن تتراجع.. ولا تستطيع شيئا سوى مواصلة طريقها نحو الهلاك.

★ ★ ★

عــبقرية ما حدث، أيا كان من قام به فعلا، وكيفما كانت الطريقة، أنه كشف كشفا عــبقريا يســتطيع جل المجاهدين دون كل الإرهابيين الاستفادة منه.. أو على الأقل.. نقلته مــن حيــز النظرية المجهولة إلى نطاق التجربة المذهلة في نجاحها.. هذا الكشف هو استغلال أســلحة العــدو في تدميره.. فإذا توافرت القدرة على التضحية حتى الاستشهاد فكيف تحمى أمريكا – وذيولها – أنفسهم .

كيــف يســتطيعون حمايــة أنفسهم من قنابل بشرية متحركة تحت وطأة ظلم أسطوري وطغيان واستكبار بلا حد ، و قد تسنح لها الفرصة في أي وقت وفى أي مكان فتنتهزها.. بداية مــن الصدام بحافلة وقطار وطائرة ومرورا بإشعال النار في محطات وقود وانتهاء بتفجير قنابل كيماوية وبيولوجية وحتى نووية.

★ ★ ★

منذ أعوام كنت قد كتبت مقالا(١) أحذر فيه أمريكا من أن الإفراط في الظلم سيهلكها، وأنــه لن تمر أعوام طويلة حتى تفاجأ بقنابل نووية تنفجر في نيويورك وشيكاجو وكاليفورنيا.. ذلــك أن الظــلم المذهل.. مواكبا للتقدم العلمي المذهل.. سيتيح لأفراد أو لمنظمات صغيرة تصنيع هذه الأسلحة في غضون سنوات قليلة.

قلت ذلك..

وهاهو ذا يتحقق..

مــن اليسير مع تصاعد المقاومة ضد أمريكا أن نلاحظ التطور الكيفي لهذه العمليات.. فمــن عمــلية بيروت التي كانت المفاجأة فيها والابتكار عذرا لأمريكا .. إلى عملية محدودة في الصومال.. إلى خطوة هائلة في تدمير المدمرة الأمريكية كول .. إلى تطور مذهل في العملية الأخيرة..

نعم.. لو أراد الله الخير بأمريكا لارتدعت..

لكنها لن ترتدع ولن تنكص..

ســتزيد مــن جــرعة الظلم والطغيان.. وستزيد بالتالي من الحافز على جهاد ظلمها.. وستوجه سهام كثيرة إلى وتر أخيلوس الأمريكي..

---

(١) راجع للمؤلف: " بغداد عروس عروبتكم" – مدبولي الصغير.

لقد كانت أحداث ١١ سبتمبر رد فعل لما سبقها من ظلم وطغيان الغطرسة الأمريكية.. فإذا زاد الظلم والطغيان والغطرسة فلابد أن نتوقع أعمالا أشد وأنكي..

وسيترتب على ذلك كله تداعيات من مجتمع لم تجمعه إلا القوة والأمن وانعدام المخاطر والعقاب..

ستقع أمريكا في ورطة.. فلا هي قادرة على إبادة المسلمين جميعا كما أبادت الهنود الحمر وفى نفس الوقت فلو أنها قتلت مئات الملايين من المسلمين لبقي من يستطيع مقاومتها.. والانتصار عليها .. خاصة بعد أن قامت هي بنفسها بتمزيق منظومتها الفكرية وقناعها الأخلاقي.

سيتعرض المجتمع الأمريكي لظروف من انعدام الأمن لم يتعود عليها..

لقد أدت العملية العبقرية الأخيرة إلى شرخ في التحالف الأمريكي الأوروبي، وهامست أصوات من أوروبا تقرر أن أوروبا بمأمن من هذه العمليات لأنها لم تظلم المسلمين ولم تبطش وتنكل بهم كما فعلت أمريكا..

لقد زلزل انهيار عمارتين أو ثلاث ومصرع خمسة آلاف المجتمع الأمريكي حتى النخاع..

ماذا سيفعل هذا المجتمع إزاء عمليات أكبر و أكثر..

إن المسلمين الذين يمتهنون اليوم قد يثأرون لأنفسهم بعد خمسين عاما..

تماما كما تقبل العقل الجمعي للعالم أن القائم بالعملية الأخيرة قد يكون من الجيش الأحمر الياباني انتقاما يأتي بعد خمسين عاما.. بل وأكثر..

في العمليات التالية أيا كان مرتكبها .. و أظنها ستتعدد.. وستشجع كل عملية عمليات أخرى .. ولن تقتصر على جنس أو لون أو دين.. فلقد عم الظلم الأمريكي العالم كله ..

العمليات القادمة إذن أمر حتمي ورد فعل لا مناص منه للبطش والطغيان الأمريكي.. بعد ذلك سينتقل الشرخ إلى المجتمع الأمريكي ذاته..

وستنهار أمريكا من داخلها كما انهار الاتحاد السوفيتي.

★ ★ ★

نعم..

هذه العملية العبقرية - أيا كان مرتكبها - هي بداية الحرب العالمية الثالثة..

ولكـــي لا يتصـــور القارئ أنني أبالغ فإن هذا العنوان ليس عنواني أنا.. بل اقتبسته من الكـــاتب الأمريكي الشهير توماس فريدمان حيث كان عنوان مقاله في صحيفة النيويورك تايمز بعيد أحداث ١١ سبتمبر[١]..

بدأت الحرب العالمية الثالثة.. وسوف تخسرها أمريكا..

فليضربوا كيفما شاءوا و أينما شاءوا لكن ذلك لن يغير من النهاية شيئا..

فليقتلوا من شاءوا.. فلطالما قتلوا - وقتل أسلافهم - المجاهدين والأنبياء والرسل..

ولم يغير ذلك من النهاية شيئا.. واندحر الطغاة وانهزموا..

★★★

قلت لكم يا قراء أن عنوان هذا المقال مقتبس من توماس فريدمان..

أمـــا العنوان الذي كتبته أنا.. تبريرا لموقفي الذي لا أستطيع فيه مشاركتهم في طوفان دموع التماسيح المتهاطلة من أربعة أركان العالم حزنا على خسائر أمريكا وقتلاها .. فقد كان:

لا أعبد ما تعبدون[٢]

★★★

(١) نيويورك تايمز- ١٣-٩-٢٠٠١.

(٢) نشر الجزء الأكبر من هذا المقال في صحيفة الشعب المصرية علي الإنترنت يوم الجمعة ١٤-١١ أي بعد أحـــداث ١١ ســـبتمبر بأيـــام ثلاثة، وكان الإعلام العربي كله وكأنما أخذته الصعقة فاقتصر علي ترديد مـــا يقولـــه الإعلام الأمريكي، وبلغ الأمر حد المهزلة حين ربط التلفاز المصري إرسالة بقناة الـــ CNN وبـــدون ترجمة! وكانت هذه أول مقالة تتصدي للاتمام الأمريكي دون ذل وخضوع و إحساس بالذنب فتلقفتها عشرات الصحف والساحات الإليكترونية العربية، ونشرتها.

وصمة عار[1]

أمريكا التي لا شريك لها

الإرهـــاب الأمـــريكي الذي واجهت به العالم رافعة شعار : "إما معنا أو مع الإرهاب" سيظل إلي أبد الآبدين وصمة عار في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ..

لا.. ليس في تاريخ الولايات المتحدة فقط.. بل في تاريخ الحضارة الغربية كلها..

وصمة الكذب القادر علي قتل من يرفض تصديقه..

وصـــمة الـــبرابرة والهمـــج الـــتي سقطت عن وجوههم فجأة كل الأقنعة التي تقنعت بها لتكشف زيفا عاش بالكذب القرون تلو القرون .

الأمـــر لا يتعـــلق باتهـــام أغـــلب الظن أنه كاذب شنت أمريكا بسببه حربا عالمية، بل بالممارســـات التي صحبت شن هذه الحرب. و أن هذا الاتهام حتى لو كان صادقا فإنه لا يبرر علي الإطلاق شن مثل هذه الحرب، ولا أي حرب علي الإطلاق. لأن أفغانستان الدولة لم تشن حـــربا عـــلي الولايات المتحدة، و إنما تشتبه الأخيرة في شخص ما وتتهم أفغانستان بإيوائه. وطالـــبت أفغانستان بالأدلة – طبقا للقانون الدولي – . وهذا هو الوضع الطبيعي في القانون الدولي، بل إن الدول الغربية نفسها تمنح حق اللجوء السياسي للعديدين من العالم ، بما فيه العالم الإســـلامي، رغم أنهم متهمين وليس مجرد مشتبه بهم، ورغم أن بعضهم قد صدر ضده أحكام بـــالمؤبد أو بالإعدام. وتزعم الدول الغربية أنها ترفض تسليمهم بسبب شكها في الإجراءات القضائية ونزاهتها، وبغض النظر عن أن الشك في محله – ومؤكد أنه في محله – ، فإن هذه هي ممارسة الدول الغربية في وضع مماثل و اختلاف حجم العملية لا يؤثر علي القانون، فسارق مائة جنيه يخضع لذات بنود القانون التي يخضع لها سارق المليار .

---

(١) المعـــلومات الـــواردة في هذا الفصل مستقاة من مصادر عديدة، منها قناة الجزيرة، وقناة محيط الإخبارية، وموقع إسلام أون لاين، وصحيفة الشعب الإليكترونية ورسائل من موقع هداية ٢٠٠٠.

لقــد اقــترحت أفغانستان تسليم أسامة بن لادن إلى دولة إسلامية، لأنه لا يجوز شرعا تســليم مســلم لكافر وإن وجب محاكمته في بلد إسلامي وبمحكمة إسلامية إذا توفرت أدلة الاتمام. تلك هي شريعة الإسلام وهي تعلو عن القانون الدولي، وهو الأمر الذي راعاه القانون الــدولي ذاتــه في خصوصيات الأمم والدول. وهو ما يتسق مع العقل والمنطق، ولذلك فإننا لا نجــد دولة محترمة - بالمفهوم الدنيوي لا الديني - تسلم رعاياها لكي يحاكموا في بلد آخر مهما بلغت الجرائم التي يتهمون بها. وهل يتصور علي سبيل المثال أن تسلم أمريكا أو إسرائيل أحد رعاياها - مهما ارتكب من جرائم إلي روسيا أو الصين ولا أقول إلي مصر أو السعودية .

كان المنطق كله مع أفغانستان (ولا أقول طالبان) ، وكانت الشرعية الدولية معها، وكان الشرع الإسلامي معها، وكان الآخرون جميعا علي باطل.

كانت علي حق حتى علي افتراض أن أسامة بن لادن هو الذي قام بأحداث سبتمبر، فما بالــنا إذا كانت الشكوك العميقة تحيط بالأمر كله، وحتى شريط الفيديو الذي تعتبره أمريكا دليل الاتمام الرئيسي، لم يعرض إلا في أواخر ديسمبر ٢٠٠١، وقيل أفم وجدوه في قندهار بعد انسحاب طالبان منها، أي بعد تدمير أفغانستان وسقوط عشرة آلاف مدني قتلي!!. مما يعني أن الحكم والعقاب والتنفيذ قد صدرت جميعا قبل إيجاد الدليل. ولما كان الدليل ذاته مشكوك فيه فــإن الأمــر يســتحق أن نســتعرض بعض الشهادات فيه. إلا أن علينا قبل استعراض هذه الشــهادات أن نجلى نقطة هامة، تتعلق بموقف أسامة بن لادن نفسه والذي لم يقدم نفيا قاطعا لقيامه بهذه العمليات، كما أنه لم يعترف أبدا. واكتفى بأن أيدها وامتدح من قاموا بها.

وبإيجــاز شديد فإن المتتبع لكل العمليات التي اقم بها أسامة بن لادن يجد أنه اتخذ منها نفس الموقف، لا إنكار ولا اعتراف بل تأييد. قد يقول البعض أن الموقف الأخير كان أخطر من أن تــتحكم فيه معطيات التجارب السابقة، لكن من كان يتوقع أن تتصرف الولايات المتحدة بكــل هذا العنف الخارج على كل مألوف، حيث هددت العالم كله: إما معنا أو مع الإرهاب، ومن يحدد موقفه بجانب الإرهاب فسوف يعامل بنفس الطريقة التي عوملت بها أفغانستان.

ومــن جهــة أخرى، فإن التمعن في موقف أسامة بن لادن يجد أنه يتمتع بقدر كبير من الحكمــة. إذ أنه لو أنكر قيامه بهذه العمليات فلن يكون لإنكاره أي قيمة عملية، فآلة الإعلام الجبارة في يد أعدائه، وسيظل العالم مقتنعا بما تردده هذه الآلة، ولن يكون الإنكار مجديا إلا إذا استطاع اكتشاف من قاموا بهذه العملية، وهذا بالطبع خارج نطاق قدراته، فلن يفيده الإنكار

إذن، بل لعله يضر بذلك التأييد والحماس الجارف الذي أجج الشارع الإسلامي في أنحاء العالم، بـــل وخـــارج العالم الإسلامي أيضا، مثل كوريا الجنوبية و أوكرانيا وسيريلانكا كما أذاعت وكالات الأنباء. كما أن إنكاره لها أو تنديده بها يمكن له أن يثبط آخرين على استعداد للقيام بعمليات استشهادية. في نفس الوقت فإنه لم يكن يستطيع الاعتراف بالقيام بهذا العمل، حتى مع الافـــتراض الـــذي أراه مستحيلا، وهو أنه هو الذي قام به فعلا، ففي هذه الحالة كان يعطى لـــلولايات المـــتحدة ذرائـــع لضرب أفغانستان. ثم أن هناك افتراضا آخر لا يجوز تجاهله، هو أن الولايـــات المـــتحدة لم توجه إليه اتهاما يقينيا، و إنما قالت أنه مجرد مشتبه فيه، وكان يمكن أن يكـــون هذا الموقف شركا خداعيا، ربما خامره أن الولايات المتحدة تسعى إليه، فمن وجهة الـــنظر الأمـــريكية ربمـــا يكون مغريا لبن لادن أن يعترف بارتكاب هذا العمل، ليفاجأ بعدها بأمريكا تقبض على الفاعلين الحقيقيين، وكان هذا كفيلا بتدمير جزء كبير من مركز بن لادن في الشارع الإسلامي.

في كـــل الأحوال إذن كان الإنكار غير ذى قيمة وكان الاعتراف خطرا، كان الإنكار يحمل في طياته احتمال الجبن والكذب ، وكان الاعتراف يحمل إمكانية التكذيب، وكلا الأمرين يخـــدش هالة موجودة بالفعل لا يجوز خدشها، ولم يكن أمامه إلا الموقف الذي اتخذه بالفعل، لا اعـــترافا مباشـــرا ولا إنكـــارا باترا، مادام المسئول الأول عن أفغانستان – آنذاك – وهو الملا محمد عمر، قد أنكر مسئولية طالبان أو القاعدة.

تبقى في هذا الصدد مسألة هامة، أسميها : الأسئلة المعكوسة ، وهى مسألة قد تحل جانبا مـــن الغموض الذي يكتنف الحدث، فلقد انشغل الجميع في الإجابة على طوفان من الأسئلة، دون أن يفكر إذا ما كان هناك أسئلة أخرى يجب أن تطرح لم يتم طرحها، و أن تهاطل الأسئلة من جانب آلة الإعلام الغربية والإدارة الأمريكية إنما يهدف بالذات إلى جذب الانتباه عن هذه الأسئلة بالذات. كان من هذه الأسئلة العكسية التي كان يجب أن تطرح ولكنها لم تطرح أبدا (وهـــى في الواقع مئات) : لماذا لم توجه الولايات المتحدة اتهاما قاطعا إلى أسامة بن لادن؟!.. لا أظن أن هناك واحدا في الدنيا تبلغ به السذاجة والغفلة لكي يعزى ذلك إلى النزاهة أو يقظة الضـــمير أو تحـــري الحقيقة!.. كان في استطاعة الولايات المتحدة أن توجه الاتهام كاملا منذ الـــبداية، وكـــان في استطاعتها تلفيق أدلة أقوى بدلا من تقديم الأدلة المضحكة التي قدمتها، وأتصـــور أن الرئيس بوش كان يواجه أزمة أشد من تلك التي يواجهها بن لادن، إذ أنه كان

يمكن أن يفقد منصبه لو أصدر اتهاما قاطعا ضد بن لادن ليفاجأ بهيئة أو منظمة أمريكية تعترف بأنها هي المسئولة، أو قيام مخابرات أجنبية، أو صحافة ذكية باكتشاف تورط أجنحة حاكمة في العملية برمتها. كان سيفقد منصبه، وقد تنهار بانهياره مؤسسات عديدة، لذلك كان الأسلم بالنسبة له، أن تظل كلمة المشتبه فيه هي المستعملة دائما، تحسبا للمفاجآت.

والآن إلى قائمة الشهود :

هيكل

يقول محمد حسنين هيكل [1] وهو برئ من أي انحياز أو حتى تعاطف مع التوجه الإسلامي:

" كيف وقعت الجريمة؟ ، وبالتالي من ارتكبها؟ (ومن الواضح أن الإجابة عن السؤال الأول هي الأساس الذي تقوم عليه إجابة السؤال الثاني). يلي ذلك أن الجرائم لا تحاكم بنيران الجيوش. وإنما بنصوص القانون، والاختصاص فيها للبوليس والمحاكم. وليس للطائرات والصواريخ. وعند المحاكمة وقبل الحكم، فإنه يتحتم أن تكون الفرصة متاحة للاطلاع علي الأدلة. والقرائن، وسماع الشهود، والتثبت من وقوع المسؤولية. بحيث تكون للحكم مشروعيته (لأن الجريمة تستغني عن المشروعية. لكن القضاء لا يستطيع)!."

ويستطرد هيكل قائلا: " كانت هناك وبدون صراخ جهات مسؤولة (أوروبية على وجه الخصوص) تطرح تصورات مختلفة بعضها فيه الكثير من إمكانية التصديق!.

وبين ما يطرح الآن وحتى في "بروكسل" عاصمة حلف الأطلنطي تصور مختلف يستبعد "بن لادن" ويعرض بناء كاملا هو دلالة شواهد، أكثر منه رباط وقانع. وهو تصور يستحق الاعتبار. دلالة الشواهد تعرض خطا متصلا ملخصه: إنه بالفعل يصعب وفق أي تقدير سليم نسبة ما جري فوق نيويورك وواشنطن إلى "أسامة بن لادن" أو تنظيم "القاعدة" الذي يتزعمه. والصعوبة لا تنشأ من حقيقة أن العملية التي وقع تنفيذها تتخطى إمكانيات "بن لادن" العملية والتنظيمية والإنسانية. لكن الصعوبة إلى درجة الاستحالة تنشأ من أن "بن لادن" كان خلال الفترة الأخيرة. بعد حادثة تفجير المدمرة الأميركية "كول" موضع رقابة لا يستطيع الإفلات منها. بمعني أنه يستطيع إخفاء نواياه في صدره، ويستطيع إخفاء تفاصيل حياته داخل الكهوف

(١) مجلة الكتب وجهات نظر – عدد ديسمبر ٢٠٠١.

الـتي يكمـن فيهـا، لكـنه في حالة الترتيب والتخطيط وتنفيذ عملية على مستوى ما وقع في نيويورك وواشنطن لا يقدر على إخفاء شيء ولو ليوم واحد في عملية استغرق الترتيب لها مـا لا يقل عن سنة كاملة، وشارك في الإعداد لها ما لا يقل عن مائة موقع في أميركا وأوروبا، ودخل في مهام تنفيذها ما لا يقل عن خمسين رجلا (وربما امرأة). وما هو ثابت أن "بن لادن" وتنظـيمه ليس مراقبا فقط، ولكنه مخترق من جانب أجهزة أمن محلية، أولها مخابرات باكستان العسكرية والمدنية، وهي الراعي الأساسي لحركة "طالبان" ثم مخابرات الهند وهي مهتمة بتنظيم "القـاعدة" بسـبب ظهور بعض أعوان "بن لادن" في "كشمير"، بالإضافة إلى خمسة أو ستة أجهـزة مخابـرات عربية وأوروبية. والشواهد تكاد تنطق بأن "الفاعل" طرف مستجد على الساحة، لم يراقب من قبل، وليسـت له سوابق تضعه في دائرة المراقبة، وذلك مكنه من تواجد لم يلفت الشبهات في مواقع استكشف فيها ودرس أثناء التخطيط، ثم استوثق منها وتأكد أثناء الاسـتعداد للتنفيذ، ثم ظهر في المواقع التي استكشفها وأعدها وفعل ما فعل في تلك الساعات المشحونة بالقلق وهي أربع ساعات غيرت العالم تقع بين السابعة والحادية عشرة من صباح يوم الـثلاثاء ١١أيـلول-سـبتمبر من توقيت شرق الولايات المتحدة الأميركية. ولم تكن هذه السـاعات الأربع الحاسمة تسللا أو تخفيا، وإنما كانت خطى وإجراءات عادية تحت سمع وبصر مـئات الموظفين معظمهم من ضباط المخابرات والأمن والجوازات والجمارك في مطار من أكثر مطـارات أميركـا ازدحاما (مطار بوسطن) وكذلك في دائرة كاميرات ثابتة ومتحركة قائمة في كـل زاوية لكي تكشف كل ركن. ومما يزكي أن "الفاعل" طرف جديد، أن الخيال الذي استعمله غير مطروق غير مسبوق مع التسليم بأن الخيال القديم حتى مع مقدرته على التجديد يظل دائما على صلة بالتجربة، في حين أن الخيال الجديد لديه جسارة أن يجرب في المطلق دون حاجة إلى أرضية سبق التعرف عليها، أو سقف تحدد ارتفاعه بالممارسة.

ويـزكي حقيقة أن "الفاعل" طرف جديد أنه قدم مستوى علميا ممتازا في دراسته لخطته لم يظهر من قبل. فهذا "فاعل" يدخل المطار حاملا حقيبته وسلاحه ينتظره وراء بوابات ركوب الطائـرات بعد انتهاء كل إجراءات السفر والأمن وهو واثق من كمال استعداده بما في ذلك طاقـة الـتفجير، لأنها خزانات وقود كافية للسفر ست ساعات في الجو من الساحل الشرقي للولايات المتحدة نحو الساحل الغربي. و"الفاعل" لديه بعد ذلك كفاءة أن يستولي على الطائرة الـتي صـعد إليها وتحويلها إلى قذيفة يستطيع توجيهها إلى هدف قرره. والهدف سبق اختياره بمعـناه الرمزي في "نيويورك" العاصمة الاقتصادية للولايات المتحدة أو في "واشنطن" العاصمة

السياســية. ثم إن نقطة الاصطدام بالهدف حساب هندسي دقيق يريد أن يصطدم على مساحة الارتفاع القائمة ما بين الدور الستين والدور السبعين لكي يكون حمل الأنقاض النازلة من أعلى إلى أسفل كافيا ليهوي ببرج التجارة المستهدف راكعا غائرا في حفرة غاص فيها دون أن يتبعثر أو يتناثر إلى بعيد. إن "الفاعل" تحركه دوافع نفسية مختلفة بالكامل عن التصور العربي للحركة المطــلوبة إزاء الولايات المتحدة، بمعنى أن مطلب العرب من أميركا أن تضغط علي إسرائيل، وهــذا الضــغط في حــد ذاتــه لابد أن يكون بعيار ومقدار بان مرات متعددة في عمليات سابقة سببت أضرارا جسيمة ومع ذلك تركت قنوات مفتوحة! لكن "الفاعل" صباح الثلاثاء ١أيــلول لم يظهر راغبا في التأثير أو مباشرة الضغط بمختلف درجاته، بل لم يكن في شكل فعله أنه يبعث بإشارة حتى لو كانت دموية إلى المستقبل، ولم يترك ثغرة لفرصة. وإنما كان "الفاعل" كمــا تقــول كافة الإشارات غاضبا، وكان مصرا على الانتقام، وفي الغالب من شيء وقع. وفي كل ما عرفه العالم في مجالات ما يسمى بـــ"الإرهاب" فقد كان ما بدا من هدف العمليات في كل المرات إحداث أكبر "كمية" من التأثير السياسي تزيح من الطريق عقبات أو تفتح على الطــريق مخــرجا، أما ما جرى في نيويورك وواشنطن فلم تكن فيه سياسة ولم يكن فيه "قبل" و"بعــد"، وإنمــا تبدى العمل مكتفيا بذاته مقدمة ونتيجة وكل شيء! .ضربة انتقام أو ضربة عقــاب يحــركها انضــباط صارم من اللحظة الأولي وحتى المشهد الختامي!. وتكاد تحركات "الفــاعل" وحــتى مــزاجه في الفعل توحي بأن التخطيط "عسكري". فذلك بالفعل مستوى الترتيب والتنفيذ، وعقلية ونفسية الإدارة، مع تصور "نظامي" شديد الوضوح، فهناك "تجهيز معركة". وهناك "تدريب معركة"، وهناك "أرضية وخطوط إمداد معركة". وتلك شواهد على أنــه إذا لم يكــن هناك شكل لـــ"تواجد" عسكري ملموس فإن هناك ظلا لتواجد عسكري محســوس. والتواجد العسكري المحسوس مع برودة أعصاب تتجلى في الصبر الدؤوب على التفكير والتخطيط والترقب والتنفيذ يبدو مستعدا بتصميم محكوم بإرادة أكبر من أن تنتسب إلى الانفعــال لمواجهــة انــتحار مؤكد. وذلك نوع من الفعل ظهر مفعوله بدرجات متفاوتة في مسار صراعات تاريخية انكسرت فيها وطنيات وحوصرت هويات. وضاقت نفوس بما عانت وقاست. وتحملت به وخضعت له.".

ويختتم هيكل شهادته الهامة بقوله: والذين يطرحون هذا التصور وغيره في أوروبا وحتى في عاصــمة حــلف الأطلسي يصلون في النهاية إلى أن تلك الإشارات تكاد أن تكون لمسات فرشــاة تمزج البقع بالأسود والرمادي والأحمر، وترسم لوحة عليها مساحات شديدة الغموض

مفتوحة للخيال والتأويل. وكان أكثر ما تثيره لمسات الأسود والرمادي والأحمر مشاعر وهواجس تستعيد شروط "الفاعل" وهي تلفت النظر إلى "البلقان" وصراعاته وبالتحديد إلى عناصر "صربية". هناك قومية اعتدي عليها وجودا ومشروعا وكرامة. وهناك جيش تم ضربه وتمزيقه وإهانته. وهناك شعب تعرض لغارات الأطلسي تتقدمها أساطيل الجو الأميركية لمدة خمسين يوما. وهناك زعماء سياسيون وعسكريون مهزومون، بعضهم مطارد وبعضهم مطلوب لقانون أملته شروط الغلبة، بل إن بعض الرموز الصربية وراء قضبان السجون فعلا. وفي بقايا الجيش الصربي عناصر لديها المؤهلات المطلوبة، ولديها طاقة الغضب الجامحة، ولديها التصميم على الانتقام والثأر مهما كان أو يكون، ولديها جسارة المخاطرة بملاقاة الموت دون اعتبار هذا النوع من الموت انتحارا. بالإضافة إلى ذلك فإن تلك العناصر الصربية مستوفية كل شروط "الفاعل" كما وقع توصيفها: قادم جديد إلى الرفض مازال خياله غير محدد وليست له سجلات سابقة تلاحقه وتتابعه خارج دائرة معينة. ولديه الشحنات والطاقات والقدرات والمهارات التي تهيئه لتطاير الشرر. وكانت شهرة "البلقان" في التاريخ الحديث أنه "برميل بارود" تسبب في الحرب العالمية الأولي التي قادت إلى الحرب العالمية الثانية وهذه الحرب العالمية الثانية أضافت إلى "البلقان" "برميل بارود" جديدا في الشرق الأوسط. ومع ذلك فربما تجاورت "براميل البارود". "برميل" الشرق الأوسط ("بن لادن" أو غيره) و"برميل" البلقان (الصرب وما حولها) و"براميل" بارود ثالثة أو رابعة، ثم تفجرت كلها صواعق نار فوق نيويورك وواشنطن. وقذفت بالعالم إلى حافة حرب من نوع جديد، هي الحرب "غير المتوازية".

مبارك

الشاهد الثاني الذي نستدعي شهادته في أحداث الحادي عشر من سبتمبر هو الرئيس المصري محمد حسني مبارك، وموقفه من الاتجاه الإسلامي يتجاوز موقف هيكل، ليس مجرد التجاوز الفكري، بل بعمل دؤوب طال عشرين عاما، وهذا العمل يعطي مصداقية مضافة، فالرجل معاد تماما للتيار الفكري الذي يمثله الملا عمر أو الشيخ أسامة بن لادن، بل هو معاد لمن هم أقل بكثير، ليس مجرد عداء الفكرة والمنهج، بل ذلك العداء الذي جعل عدد الذين نفذ فيهم حكم الإعدام من المسلمين (ولا أقول الإسلاميين) في مصر وفي عصر مبارك وحده يتجاوز عدد من أعدموا في القضايا السياسية فى تاريخ مصر كله، من عهد الفراعنة إلي عهد مبارك. وذلك ما يجعل شهادته غير مجروحة بأي طعن أو هوي، بالإضافة إلي قيمة أخري

لا نغمــط مــبارك حقــه فيها كخبير ذي باع طويل في الطيران، ومنَ واقع هذه الخبرة أكد أن عمــليات ١١ سبتمبر لا يمكن أن يقوم بها هواة، و أنها لا يمكن أن تكون قد تمت بالطريقة التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ركز الرئيس مبارك على استحالة قبول التصور الأمــريكي، عــلى الأخــص فيما يتعلق بالبنتاجون، الذي يبلغ ارتفاعه خمسة طوابق، ومحاط بناطحات السحاب. قال مبارك أن المناورة بطائرة عسكرية يقودها طيار عسكري محترف يناور بها بين ناطحات السحاب للاصطدام بالبنتاجون يكاد يكون عملا مستحيلا، وهو بالتأكيد أكثر استحالة بالنسبة لطائرة مدنية ضخمة يقودها هاو.

يضــيف إلي شهادة الرئيس مبارك قيمة ثالثة، أن الإدارة المصرية في حربها ضد ما يُسمي "بالإرهاب"، وطبقا للشهادات الأمريكية نفسها لم تراع في حربها علي ذلك الإرهاب مقاييس حقــوق الإنســان أو العدالــة، ولا حتى الصدق، وبالرغم من ذلك فقد وجدت مصر ممثلة في رئيسها أن الكذبة الأمريكية واسعة جدا.. أكبر من أن تصدق.

الشهود الآخرون الذين نستدعيهم هم من حفلت بتقاريرهم وكالات الأنباء والصحف.

الدكتور أحمد التويجري

في حديث علي قناة الجزيرة[1]، وفي واقعة بالغة الغرابة بالنسبة للنظام المتحفظ في المملكة العــربية السعودية، ظهر عضو مجلس الشورى السعودي الدكتور أحمد التويجرى ليوجه أعنف اتهامات للولايات المتحدة الأمريكية، مقررا أن من يقودها إنما هي عصابة صهيونية. كما أدلي ببعض الأسرار الخطيرة، منها أن ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير عبد الله كان قد وجه يــوم ٢٨ أغسطس رسالة إلي الرئيس الأمريكي بوش تعتبر أعنف رسالة في تاريخ العلاقات الأمــريكية العــربية. والمفهوم من حديث الدكتور التويجري - والذي لا يمكن أن يتم خارج موافقة النظام بل خارج تكليفه - أن رسالة ولي العهد كانت إنذارا أخيرا من السعودية كمعبر عــن العــالم الإسلامي إلي أمريكا بسبب موقفها مع إسرائيل. و أن ردود أفعالها في الإدارة الأمــريكية كــانت هائلة بسبب محتوى الرسالة وبسبب صدمة المفاجأة من عنف الرسالة غير المســبوق. والغريب أن بوش رد في نفس الأسبوع يطمئن الأمير عبد الله ويؤكد له أنه يوافقه فيما ورد فيها ويستمهله بعض الوقت. بعد أسبوع آخر وقعت أحداث ١١ سبتمبر.

(١) برنامج الشريعة والحياة- قناة الجزيرة- ٢٣-١٢-٢٠٠١.

ويؤكـد الدكـتور الـتويجرى أن هناك علاقة مباشرة بين إنذار الأمير عبد الله للإدارة الأمريكية وبين ما حدث في ١١ سبتمبر. ويؤكد أن الفاعل - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - هو الموساد الإسرائيلى ربما بالتعاون مع اليمين الأمريكى. و أن العملية كلها قد تمت لإنقاذ إسـرائيل من أزمتها، ولإجهاض احتمال توحد عربي إسلامي تقوده المملكة العربية السعودية ضد أمريكا وإسرائيل.

ولكـى نقـف على خطورة حديث الدكتور التويجرى، فإن علينا أن نفترض - وليس فى هذا أى تجاوز - أن الأمير عبد الله شخصيا هو الذى صرح بما قاله الدكتور التويجرى.

الملا محمد عمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

أما بعد :

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم "بسم الله الرحمن الرحيم "

﴿ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

إلى أمة الإسلام وإلى الشعب الأفغاني الغيور !

هذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا .

كـلكم على علم أن الإنجليز هجموا على أفغانستان فبأي حق هجموا على أفغانستان ؟ هل كان هناك أسامة ؟ وكذلك هجم الروس على أفغانستان "هل كان هناك أسامة ؟ وهذه هي الإمـبراطورية الثالـثة تهجم علينا "وكلكم على علم أن المسألة ليست قضية أسامة "وإنما هي قضية الإسلام "فهم يعادون الإسلام والمسلمين .

(١) موقـع أفغانسـتان عـلي الشـبكة العالمية، وقد تم ضربه مرات عديدة حتى تعطل تماما. وكانت حجة راعيـة الحضارة وراعية حقوق الإنسان ورائدة الحرية أن الكلام يمكن أن يكون مشفرا. وهي حجة تبيح لهـا أن تصـنع ما تشاء في أي وقت تشاء، لأن طريقة الشهيق والزفير نفسها - بمثل هذا المنطق يمكن أن تكون أيضا مشفرة.

صـــحيح أنه كانت هناك تفجيرات في أمريكا للطائرات "ولكن كل أحد يدرك أن رجلاً واحــداً – ولا سيما إذا كان مهاجراً ووحيداً – لا يستطيع أن يكون وراء هذه الانفجارات الكبيرة المنظمة . . وهذا لا يمكن أبدا .

والمدبــرون لهذه الانفجارات تعلمهم أمريكا "ولكنها لا تتهمهم "وبدلاً من ذلك توجه الاقامـــات كـــلها إلى أفغانستان وإلى الإمارة الإسلامية "لأنهم يعلمون أن في أفغانستان نظام إسلامي واقعي حقيقي "وهذا يعتبرونه خطراً عظيماً عليهم "وهم مدركون لهذا الخطر .

اعلموا أن المخرج من هذه الأزمة هو الاعتماد والتوكل على الله والصبر والثبات "فهذا هـــو الطـــريق الوحيـــد "فـــإذا هاجمتنا أمريكا بـــ (كروز) أو غيره وهجمت على البلاد " فلا بد من مواجهتها والتصدي لها .

وإذا كـــان الله أراد هـــذا فـــلا بد أن يقضي "والمخرج هو التوكل على الله والتصدي للعدوان . فعلى المسلمين أن يفكروا وينظروا إلى الإسلام وإلى حميتهم الإسلامية وأن لا يخافوا ولا يحزنوا "فلا بد من هذه المشاكل "والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وســـعادة تفـــوق كل لذة وسعادة في الدنيا "لأنه لا مفر من الموت "فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم "فليثبت المسلمون وليصبروا وليتوكلوا على الله "قال الله تبارك وتعـــالى : (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) فهل نعتمد على قول الله تبارك وتعالى "أم على قول أمريكا ؟!

إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط (أن نقول نحن مسلمون) بل الله يمتحننا بالمواجهة مـــع الكفر وأمريكا "لينظر كيف نعمل "فالله تبارك وتعالى يمتحن إيماننا وغيرتنا على الدين " وإلا فإنه يسهل على الله تبارك وتعالى أن يهدم أمريكا بأسلحتها وقوتها فلا يبقي منها شيء .

وإذا كانت المشاكل لا بد منها أن تقع فلتقع ومن الذي لا تأتي عليه المشاكل ؟!

الإنجـــليز والـــروس قتـــلوا الملايين من شعبنا ولكن الله أهلكهم بسبب تضحياتنا "وإن لم تضحوا وتغاروا على دينكم فانظروا إلى الدول في العالم "سلب منهم إيمانهم وغيرتهم وسلب مـــنهم كـــل شـــيء "لماذا نخاف ونحن الذين هزمنا إمبراطوريتا الإنكليز والروس بأيدي شعبنا ومزقوا كل ممزق ؟!

أفغانستان هي أفغانستان السابقة، وغيرتها هي غيرتها السابقة ، ودينها هو دينها السابق ، وإيمانها هو إيمانها السابق، فما هو المشكل إذاً ؟

إنــه لا أكــثر من أن يموت الناس ، فليموتوا لكن مع الإيمان والإسلام ، فليس في هذا غضاضة ، وإنما المصيبة الكبرى أن يسلب منهم الإسلام والإيمان ويموتوا بغير الإسلام والإيمان، فلا يخف أحد ، وليكن كل أحد على استعداد للجهاد ، وليبد كل منا استعداد للقيام بأي عمل يكــلف به عند الحاجة ، وأي تضحية دون إيمانه ودون دينه ودون كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فلينو كل أحد هذا وليعزم عليه ، فالله ينصركم ويقضي على جميع الفتن والبلايا.

إنكم إن جبنتم ، ولم تغاروا على دينكم ، فعليكم أن تنظروا إلى تاريخ أجدادكم الأمجاد، وانظــروا إلى هؤلاء المعوقين الذين قطعت أطرافهم في الجهاد ضد الروس . كيف غاروا على دينهم وكيف سووا الإمبراطورية الروسية بالأرض، وأنتم ترون المجاهدين وهم أحياء.

إنما يحصل هو تدبير وإرادة من الله تبارك وتعالى فلا تخافوا ولا تحزنوا ولا تلوموا الطالبان ولا أســامة فأقسم بوحدانية الله أننا لو سلمنا إليهم أسامة لا تنتهي المشكلة، وسيقولون بعده لماذا فعلتم هذا أو ذاك ؟ افعلوا هذا، وافعلوا هذا كما نقول ونأمركم، فأين يكون إيماننا وديننا في تلك الحالة؟!

وهــذه الــتفجيرات ما قام بها أسامة ولا يستطيع ولا يمكن أن يدبر انفجارات منظمة ودقيقــة، وإنما قام بهذه الانفجارات أشخاص ضحوا بأنفسهم، ولا أحد يضحي بنفسه لأجل أســامة والذي يضحي بنفسه لا يضحي من أجل أسامة، وإنما يضحي بنفسه لقناعته الشخصية فهو لا يخاف من أمريكا ولا من أحد، فلا يفعل هذا أحد لإرضاء أسامة ولا يمكن أن يكون هذا من أسامة.

هذه فقط وفقط هي الإمبراطورية الثالثة تفرض نفسها على العالم يغريها بذلك ويزينه لها العــلمانيون وضــعاف الإيمــان الذين يقفون بجانبها . بل وقف إلى جانبها من يفترض أنهم أعداؤها، لقد وقف الجميع ضدكم!

فعــلى كــل مســلم أن يتذكر إيمانه ودينه ويثبت في جميع الأحوال، وإلا كان في قلق واضطراب ولا ينجيه ذلك من الموت لأن الموت لا بد منه.

إنه يجب أولاً على المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يغاروا على دينهم ويذودوا عنه وعن أفغانســـتان وأن يستعدوا لكل تضحية من أجل الإسلام ، وإن لم يفعلوا فعلى شعب أفغانستان أن يثبتوا على إيمانهم وغيرتهم وشجاعتهم ويجددوا تاريخهم الجليل.

عندما هجم الإنكليز على أفغانســـتان ، وعندما هجـــم الـــروس لم أكن أنا ولا أسامة بن لادن، وقد تصدى لهم الشعب الأفغاني بكل شجاعة، دون أن آمرهم أنا أو أسامة بذلك ، ولكن الشعب الأفغاني ضحى وغاروا على دينهم وإيمانهم ، وهذه الآن أيضا حلقة من سلسلة هذه المواجهات، فيجب على كل مسلم أن يثبت ، ولو كلفه ذلك حياته فهذا هو طريق الفوز، ولا شك في هذا وليعتمد كل مسلم على ربه وليثق بقول الله تبارك وتعالى : (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط (أن يقول إنسان أنا مسلم) دون أن يخلص في هذا ويصدق، فلا بد من الإيمان الواقعي وبعد الإيمان الواقعي يكون الفوز حليفك ، وهذا وعد من الله تبارك وتعالى ولا يخلف الله الميعاد.

إنـــي لا أخاف ولا أداهن أعداء الإسلام والمسلمين وسلطتي وحكمي ورئاستي – حتى حياتي – في خطر ، وأنا مستعد لكل تضحية إن شاء الله.

ولو أنني أداهن الكفار وأسالمهم مخالفاً للإسلام فسيؤمنون لي الإمارة والسلطة ويمدونني بالمـــال، وأكـــون في سعة ورخاء كما يعاملون رؤساء سائر البلاد، ولكني أضحي حتى بنفسي وأغار على ديني الإسلام وعلى هذا الوطن المبارك، فما بال فرد من الأفراد العاديين الذين ليس عـــندهم ما يخافون عليه لا يغار على دينه ووطنه ويخاف ولا يحضر الجهاد ويفر خارج البلاد؟ فما بالهم وليس عندهم ما يخافون عليه عجباً؟!!

إن حكمـــي وســـلطتي وحياتي كلها في خطر ، ومع هذا أغار على ديني وأدافع عنه فما بالك أنت لا تغار على دينك وتخاف؟

إن هناك ضعفاً وهواناً في إيمانك، فإن كنت مؤمناً حقاً يكون الإيمان عزيزاً عظيماً عندك، فعليك أن تضحي في سبيله.

إنني مستعد لكل هذه التضحيات إن شاء الله ، فأعجبُ منك كيف لا تستعد!! فإن كان عندك إيمان أو غيرة فلتثبت. وإلا فلا أبالي بك ولا أستمع لك، ولماذا أستمع لك وليس عندك

غيرة ولا إيمان ؟ أنت تشير علي أن أفعل هذا، ودع هذا، فإن كان معك إيمان فلا تتنازل عن دينك وإيمانك . ولا تقبل بما فيه خطر على الإيمان والإسلام واستقلال الوطن. فإذا كنت تتنازل عن كل شئ وتقبل كل شئ فظاهر أن فيك ضعف إيمان ، فيجب عليك أن تقوي إيمانك وتعيد النظر في منهجك، لأن الذي معه إيمان قوي ويريد أن يحافظ على إيمانه فلا يقبل أمرا يكون فيه خطر على الإيمان والإسلام ، فيجب على كل مسلم أن يفكر بعمق ويغار على الإسلام والقرآن ، فالله رؤوف رحيم وسوف يكرمنا بالفوز، والفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك . وهذا هو طريق رفع راية الإسلام وليس رفع راية الإسلام ولا رفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في غير هذا الطريق. في غير هذا الطريق هدم الإسلام لأن هدم الإسلام أن تقبل ما يقوله الكفار ويأمرونك به، فهذا هو طريق هدم الإسلام، وأنت بفعلك هذا سويت اسم الإسلام وقدره بالأرض .

لا تسقط راية الإسلام بالموت والتضحية، وإنما تسقط بأن تقبل ما يخالف الإسلام ويكون فيه خطر على الإسلام.

عندما يكون هنالك استنفار للجهاد فيجب على كل أحد أن يستعد.

وأنا لا أقول لكم هذا من أجل الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة، ففكروا جيدا، فلو كنت أريد مجرد البقاء في السلطة فيمكنني ذلك بالمداهنة في الدين والتنازل عن الإسلام – لا قدر الله – فلو فعلت ذلك فسوف يحموني ويمدونني بالأموال، حتى بالقوات العسكرية، وليس طريق البقاء في الحكم أن يستعد الإنسان للتضحية ، وأنتم تعلمون أنني لا أقاتل من أجل الحكم والسيطرة ولا أحرضكم لأجل ذلك ، وإنما هذا أمر القرآن الكريم فانظروا في القرآن الكريم بماذا يأمركم وإلى أي طريق يهديكم ؟

وصيتي لكم هو ما وصاكم الله به في القرآن الكريم، فعلى كل مسلم أن يكون على يقظة في الأمور وألا يخاف .

ولا تخدعكم وسائل الإعلام فتضعف إيمانكم، والله يوفق جميع المسلمين إلى أن يثبتوا على الإيمان والإسلام .

ومن الله التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم الإسلام أمير المؤمنين

كتبها : ملا محمد عمر مجاهد

شهادة "ليندون لاروش"

وهـــو مرشـــح الحزب الديمقراطي للرئاسة في الانتخابات القادمة في الولايات المتحدة في عـــام ٢٠٠٤م، والـــذي يعد واحدا من أكبر الشخصيات السياسية في الولايات المتحدة الأمـــريكية ، وهـــو يؤكد أن الدافع وراء إشعال ما سمي بحرب الإرهاب إنما يعود إلى الأزمة الاقتصـــادية الكبيرة التي بدت بوادرها في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية، وأوروبا الغربية فكـــان مـــن الضـــروري اختراع عذر لإشعال حرب تحرك الاقتصاد الأمريكي الذي تلعب شركات الأسلحة دورًا كبيرًا في إنعاشه، وقد قال "لاروش" في المحاضرة التي ألقاها في واشنطن في ٢٤ – ٧ – ٢٠٠١م، أي قـــبل ٤٨ يومًا من وقوع الهجوم في نيويورك وواشنطن: "نحن في أزمة مالية، إن الولايات المتحدة الأمريكية تدار بشكل سيئ منذ عهد كارتر، ونظامنا على حافـــة الإفلاس، إن نظم المواصلات، والطاقة والتعليم والصحة وبنيتنا التحتية في حالة انهيار، إن ٨٠% من الشعب هم من ذوي الدخول المحدودة، ووضعهم الآن أسوأ بكثير من وضعهم في عـــام ١٩٧٧م وما دام صندوق النقد الدولي، وسياستنا الحالية، و"وول ستريت"، والنظام الاحتياطي الفيدرالي لا يزال مهيمنًا علينا، فلا يتوقع أحد أي إصلاح أو تحسن، وإذا استمرت الحال على هذا المنوال، فقد يضطر الرئيس بوش إلى التخلي عن منصبه قبل انتهاء مدة رئاسته، إن الانهيار لا يظهر فجأة أمام الأعين، فالسياسات الخاطئة تستمر وفجأة تقع الأزمة".

وأكمل قائلاً: " يتم في مثل هذه الأوضاع والفترات في العادة إشعال نار حروب عالمية، لقـــد تســـبب الإنجـــليز في إشعال نار الحرب العالمية الأولى للحيلولة دون حدوث مثل هذه التحولات في آسيا، فقاموا أولاً بإشعال النار في البلقان، ثم في العالم بأسره، وقام الألمان بإشعال نار الحرب العالمية الثانية بنفس الدوافع، والآن تريد القوى الموجودة في داخل الولايات المتحدة وفي إنجلترا إشعال حرب عالمية لعرقلة هذه التحولات الجديدة الجارية في آسيا".

وبعـــــد أسبوع واحـــد من وقوع الهجوم، صرَّح في مقابلة إذاعية بما يأتي: "إن عملية ١١ سبتمبر عملية مكياج صُنعت في فترة تسود فيها أزمة مالية ونقدية في العديد من الدول، لم تقم بهذه العملية أي قوة من خارج الولايات المتحدة الأمريكية أبدًا، يحتمل أن هناك أفرادًا مـــن بلدان أخرى تم استخدامهم فيها، ولكن الذي قام بهذه العملية عبارة عن قوى موجودة في داخـــل الولايات المتحدة، والهدف منها القيام بانقلاب إداري فيها، وجرٌ الولايات المتحدة إلى الحـــرب، وهذه القوى مستعدة للقيام بعمليات أخرى للوصول إلى هدفها، وستقوم بإثارة

الجماهير لجرّ الحكومة ودفعها للحرب، علينا أن نوقف هذا، عليكم ألا تصدقوا أبدًا الأخبار التي تذيعها قنوات CNN و FOX TV والقنوات المشابهة لهما، إن تصديق ما تذيعه هذه القنوات لجر البلد إلى الحرب يعني أنك تكون آلة لتحقيق أهداف الذين قاموا بهذه العملية، علينا ألا نفكر في التدخل في أفغانستان، وعلينا إيقاف إسرائيل عند حدها لأنها تشكّل خطرًا على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى غيرها من الدول، وأن نؤسس السلام في الشرق الأوسط لأن التوتر الموجود في هذه المنطقة جزء من الحرب المخطط لها في آسيا".

التقرير الألماني

يتساءل التقرير الألماني عما حدث: ما حدث هل هو إرهاب ، أم انتقام داخلي ، أم انقلاب عسكرى ؟! ويواصل التقرير تساؤله: ما هذا الذي حدث ؟ ومن ذا الذي استطاع أن يذل أمريكا ويمرغ أنفها في التراب ، وأن يستهدف أهم مراكزها الاقتصادية والعسكرية . ومؤسساتها الأمنية ، وكرامتها السياسية ، وهي عاجزة حتى عن فهم ما حدث !! فهل هو فعلا "بن لادن" الذي يعطونه حجما اكبر كثيرا من حجمه ، وأن تكون العملية لمجرد الانتقام من الهيمنة الأمريكية أم هو انتقام يقوم به اليمين الأمريكي المتطرف ضد الهيمنة الصهيونية علي الحكومات الأمريكية المتعاقبة أم هو عمل أجهزة مخابراتية أجنبية متفوقة لمنع الولايات المتحدة من المضي في مشروع مظلة الصواريخ الدفاعية ؟ أم هو صراع الأجنحة المتعارضة داخل السلطة الأمريكية وبدء النظام العالمي الجديد فعلا ؟. وفى البداية نؤكد أننا سنعرض لاحتمالات قد تبدو خيالية . إلا أنها ستظل أكثر واقعية من التصريحات الأمريكية الساذجة التي تعودنا عليها من قبل ، سواء في ضرب مصنع الشفاء للأدوية في الخرطوم ، بزعم انه مصنع للأسلحة الكيماوية أو حكاية انتحار " جميل البطوطي " فى قصة الطائرة المصرية الشهيرة. وقد بدا واضحا ومنذ اللحظة الأولي لعديد من خبراء مكافحة الإرهاب الأوروبيين أن دقة وتنظيم وكفاءة العملية أكبر من إمكانيات جميع المنظمات المعروفة . مثل الجهاد أو حماس أو حزب الله أو الجبهة الشعبية أو الديمقراطية، بل أيضا من منظمة القاعدة التي يترأسها بن لادن . كما شكك العديدون فى التصريحات الرسمية الأمريكية ، حتى أن أحد الخبراء أكد فى القناة الثانية الألمانية "ZDF" أن كل ما يقال مجرد تكهنات ، وأن التحقيقات محاطة بالسرية التامة . بل أن المخابرات الأمريكية إما أنها تحاول تسليط الأضواء بصورة مقصودة إلى جهة محددة حتى لا تتجه أفكار الرأي العام إلى "جهات أخرى " حاليا وإما أنها ليس لديها أي فكرة عما حدث

وفي حقيقــة الأمــر فان هناك العديد من الألغاز التي تتعارض مع التفسيرات الأمريكية التي زعمت أن الأمر تم عن طريق خطف طائرات مدنية وتوجيهها إلى أهداف معينة كقنابل مدمرة. حيــث أن الكثيرين شككوا في قصة اختطاف ٤ طائرات – في البداية قيل ٥ ثم قيل ٦ ثم ٨ وهكذا – حتى أن وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "جورج شولتس" صرح مشككا فى ذلك قــائلا : "مــنــذ عشــر سنــوات لم يتم اختطاف طائرة أمريكية ، فكيف يتم اختطاف ٥ طائــرات خلال ساعة واحدة؟" كما أنه من المعروف أن لكل طائرة مدنية تقوم برحلة ما خط ســير معــين وارتفاع معين لا تستطيع الخروج منه ، حتى لا تحدث كارثة وتصطدم بطائرات أخــرى ، خاصــة وأن مــنطقة بوسطن، نيويورك ، واشنطن علي الساحل الشرقي للولايات المــتحدة ، تعد أكثر منطقة فى العالم حماية ومراقبة بسبب الاستعداد القديم لمواجهة أي هجوم نــووي مــن قبل الاتحاد السوفيتي خاصة علي أهم مدينتين : واشنطن ونيويورك . بالإضافة إلى وجــود قاعدة البحرية الأمريكية التي تتعامل بأشعة الليزر ولعلنا لا ننسي إسقاط الطائرة المصــرية! وهــذا يؤكد أن خروج الطائرة عن مسارها سيتم إبلاغه فورا علي الأقل لحمايتها من السقوط مثلا، كما أن تغيير المسار كان هاما جدا حيث خرجت الطائرة الأولي عن مسارها إلى الشــمال بدرجة ١٢٠ درجة فجأة حين اقتربت من نيويورك بينما خرجت الطائرة الثالثة مــن مطار نيويورك وسارت فى مسارها حتى دخلت ولاية بنسلفانيا ثم دخلت ولاية أوهايو . ثم عــادت فجأة بصورة حادة ٣٠ درجة حتى تم اسقاطها بجوار مدينة بتسبورج . والرابعة هو الأغــرب ، حيــث مــا حادث يتناقض مع الفكر الإرهابي الذي يختار أقصر الطرق ، حيث ان الطائــرة اقتربت من مطار واشنطن وسارت في مسارها حتى مرت بولايتي ويست فرجينيا ثم أوهايو ..وفجأة عادت لتقصف مقر البنتاجون في واشنطن نفسها ، رغم أنها كانت تستطيع فعل ذلك مجرد إقلاعها من المطار وعبور نهر "بوتماك" بحيث تنتهي من مهمتها في ٥ دقائق بدلا من ٦٠ دقيقة من الذهاب والعودة . كما أنه لا يصدق أحد في أمريكا وفى العالم أن الإرهابيين يخــتطفون طائــرة أقــلعت من مطار بوسطن فى الساعة ٧,٥٩ وغيرت اتجاهها حتى وصلت الي نيويــورك ثم تصــطدم بالبرج الشمالي لمركز التجارة العالمي فى الساعة ٨,٤٥ (بعد ٤٦ دقيقــة) ثم تختطف طائرة أخرى أقلعت من بوسطن فى الساعة ٨,١٤ لتصطدم بالبرج الجنوبي بعد ١٨ دقيقة من الاصطدام الأول في الساعة ٩,٠٣ دقائق دون أي رد فعل لأي جهاز أمني أمــريكي وكأنهم يشاهدون فيلما سينمائيا. ليس هذا فقط بل يتم تحطيم جزء كبير من وزارة الدفــاع الأمــريكي "البنــتاجون" بطائرة ثالثة في الساعة ٩,٤٣ أي بعد ٥٨ دقيقة من أول

اصطدام بمركز التجارة العالمي ، رغم أن البنتاجون هو أول هدف يمكن قصفه عند حدوث أي هجـوم نووي أو حتى عسكري علي الولايات المتحدة ، فإذا كان البنتاجون لا يستطيع حماية نفســه من طائرة مدنية فماذا سيفعل مع أي هجوم عسكري حقيقي . من ناحية أخرى فان إغـلاق المطـارات الأمريكية وإغلاق المجال الجوى الأمريكي وتحويل الطائرات إلى المطارات الكـندية يـتعارض مع تصوير الأمر وكأنه مجرد اختطاف للطائرات لأن أي مختطف سيقال لـه اذهـب إلى كندا لن يذهب ، كما أنه لم يختطف الطائرة للهبوط . بل لتفجيرها في أماكن بعيـنها ، وهـذا يـدل علي أن الأزمة كانت أكبر من قدرة الولايات المتحدة علي التحكم والسيطرة بل ومواجهة بضع طائرات مدنية !!. كما أن اختفاء الرئيس بوش وهربه من ولاية فلوريدا الي لويزيانا ثم الهروب إلى مكان آمن في ولاية نبراسكا فى عمق الوسط الأمريكي كل ذلك آثار شكوكا مريبة حيث أن ذلك لا يحدث إلا إذا كان هناك هجومم خارجي أو لوجود سـلطة قادرة علي الوصول إلي الرئيس في أي مكان ، أو فشل كامل في السيطرة علي أجهزة الـتحكم الأمريكية وليس مجرد بعض الأفراد اختطفوا بضعة طائرات. والتبرير الذي ذكروه فيما بعد أن الطائرة التي اصطدمت بالبنتاجون كانت في البداية تستهدف البيت الأبيض وطائرة الرئيس الرئاسية ثم غيرت هدفها ، أمر مردود عليه حيث إن هذه العملية تميزت بالدقة الهائلة وتمت خطواتها بدقة غير عادية ولا احتمال فيها للتغيير كما أن استهداف طائرة لطائرة الرئيس أمر مثير للسخرية !! بل أن البعض تساءل إذا كان ما حدث هو فقط اختطاف بعض الطائرات بالسكاكين فلماذا تم تجميد الرحلات الأوربية لأمريكا ، ولماذا تم إغلاق المجال الجوى الأمريكي لعدة أيام ؟. كما أن البعض يتساءل : أين كانت الرادارات الأمريكية.. وأين القوات الجوية.. ومـا الذي منعها من مواجهة الموقف خاصة أن المفاجأة انتهت منذ اصطدام أول طائرة بمركز التجارة العالمي وما هو نوع الشلل الذي أصاب البنتاجون وباقي الأجهزة الأمنية ولماذا حدث ذلـك ؟ والغـريب أن من دبر هذه العمليات كانت لديه معلومات لا يمكن أن يحصل عليها إلا أشـخاص أمريكيون وعلي خبرة غير عادية عسكريا وفنيا وتكنولوجيا حيث أكد "كريج كيجـلي" المـتحدث باسم البنتاجون مثلا بأن مبني البنتاجون عليه وسائل عديدة للدفاع عن الـنفس لكن ليس من بينها اصطدام طائرة بالمبني ، فمن هو الذي عرف هذه المعلومات ؟!. وكذلـك يؤدي اصطدام طائرة بأي برج من برجي مركز التجارة العالمي إلى كسر العوارض الحديديـة ويؤدي هذا الضغط المفاجئ إلى تدمير العوارض الحديدية للجانب المقابل مما يحدث فـراغاً في مـنطقة الانفجار مما يعمل مع ارتفاع درجة الحرارة إلى ١٠٠٠ درجة مئوية علي

انصـــهار العـــوارض الحديديـــة الـــتي صنع منها المبني مما يؤدي لانهياره.. فكيف عرفوا هذه المعلومات ؟! . كما أن التصورات السخيفة بأن هناك بعض العرب مثل "محمد عطا" و"مروان الشيمي " كانا قد تدربا فى مدرسة " هوفمان " لتعليم الطيران تبدو متهافتة لأن هناك عشرات مـــن العرب والمسلمين يتدربون في مدارس عديدة للطيران في أنحاء أمريكا فهل هذا دليل ؟؟ كمـــا أن أحد مدرسي الطيران في المدرسة نفسها أكد أن نظم التدريب في الطائرات الصغيرة يختـــلف تماما عن الطائرات الكبيرة . ليس ذلك فقط بل أن خبير الطيران في واشنطن صرح قائلا : أن الطيار المجهول أدار الطائرة ٢٧٠ درجة نحو اليمين متجهة صوب وزارة الدفاع من الـــناحية الجـــنوبية الغربية حيث أصبحت تحت مستوى الرادار واختفت من شاشات المراقبة مضـــيفا أن قيادته الطائرة المدنية ذكرته بالطائرات المقاتلة.. وهذا لا يعنى إلا أن قائد الطائرة لابـــد وأن يكون طيارا مقاتلا محترفاً بل إن الطيارين المقاتلين قد يستطيعون المناورة بطائراتهم القـــتالية والدوران ٢٧٠ درجة غير أن هذا أمر شديد الصعوبة مع طائرة بوينج " ٧٥٧" . أمـــا الحديـــث عن عدة تدريبات في مدرسة للتدريب علي الطائرات الشراعية أو الطائرات الصـــغيرة فهـــو أمر يثير السخرية . لذا فإن اتهام "بن لادن" بأنه المسئول عن هذه العمليات يفـــترض انه قوة عالمية أخطر وأشد قوة من جميع الأجهزة الأمريكية بما فيها الجيش الأمريكي أو أنه حصل علي مساعدة علي أعلي المستويات من وزارة الدفاع إلى المخابرات إلى المباحث الفيدراليـــة لاســـتغلال هـــذا الدعم العالمي الغير مسبوق ، لحصار العالم الإسلامي والوصول إلى الـــتحالف الدولي ضد الإرهاب الذي يتبع أمريكا كقائد عالمي لحكومة عالمية مهيمنة . من ناحيـــة أخرى فان بعض المراقبين أشاروا إلى احتمال تورط العراق في هذه العمليات عن طريق طياريها الذين يتميزون بالخبرة بعد هجرتهم إلى الولايات المتحدة ولجوئهم إلى بعض دول أوربا، وهـــذا مردود عليه بأن السلطات الأمريكية المعادية للعراق لم تجد أي دليل علي ذلك كما أن ما ينطبق علي "بن لادن" ينطبق علي العراق حيث أن الأدلة تشير وبكل دقة إلى تورط جهات أمـــنية أمريكية فائقة القدرة التكنولوجية ، ولديها أسرار عديدة ، وقادرة علي التحرك بكل حرية . أما إذا استثنينا العرب والمسلمين ، فإننا نبحث عن المستفيد من الجريمة لنعرف من هو الفاعل وهي قاعدة قانونية قديمة ، وفى الحقيقة ورغم أن إسرائيل هي المستفيد الأول من هذه العمـــليات لـــتخفيف الضـــغط السياســـي والإعلامي من حولها ، ولإعطائها المبرر الأخلاقي والسياســـي الـــذي يتيح لها ذبح الفلسطينيين تماما كما فعلت الولايات المتحدة مع أفغانستان بالإضـــافة إلى استغلال الفرصة لإنهاء اتفاقية السلام تماما والقيام باحتلال كامل لمناطق السلطة

الفلسطينية وربما القيام بقصف مشترك مع الولايات المتحدة وربما الناتو كله لقصف الدول التي تحمــي الإرهــاب وهي في عرف أمريكا تضم سوريا والعراق ولبنان وإيران وهذا ما يمكن أن يعجــل بالحرب العالمية الثالثة ، أو ما يطلقود عليه المعركة النهائية "هرمجيدون " للقضاء علي "الشر" في العالم والإعداد لقدوم السيد " المسيح " ليحكم العالم لمدة ألف سنة .

ويواصـــل التقرير إلقاء شبهات قوية عن حجم التغلغل والتعاون الاستراتيجي للموساد مع الأجهزة الأمنية الأمريكية والقدرة الفائقة له للتحرك في الأراضي الأمريكية و أن ما حدث لا يمكـــن أن يـــتم إلا بمســاعدة من جهات أمنية أمريكية عليا وهذا ما يتجاوز مجرد مصلحة إســـرائيل لأن الأمـــر هنا يتعلق بأمن أمريكا وهويتها ونظام الحكم الذي سيقودها للمائة عام القادمة علي الأقل . ومن ناحية أخرى فإن المراقبين أكدوا علي أن الحكومة الأمريكية الحالية قــامت في خلال ٨ أشهر فقط بمعاداة معظم الدول ، بل ومنظمات العالم بصورة غير مسبوقة حيــث اصـــطدمت بروسيا فيما يتعلق بحرب طرد الجواسيس ثم بمظلة الصواريخ الدفاعية . واصطدمت بالصين فى موضوع الطائرة الصينية ، ومع معظم دول العالم ومنظماته فى تصرفات اســتفزازية بدأت بإعلان الانسحاب من اتفاقية الحد من الصواريخ الباليستية والإصرار علي مشـــروع مظلة الصواريخ الدفاعية والانسحاب من اتفاقية كيوتو لحماية المناخ . والانسحاب مـــن اتفاقيـــة وقف إنتاج الأسلحة البيولوجية ورفض اتفاقية الحد من إنتاج الأسلحة الصغيرة وغيرها من القرارات التي أدت لتذمر عالمي حتى بين أقرب حلفائها الأوروبيين الذين ساعدوا عـــلي طردها من لجنتي حقوق الإنسان ومكافحة المخدرات في حرب دبلوماسية واضحة عبر عنها محلل ألماني الشهير بعبارة " أمريكا التي لا شريك لها " . مؤكدا أنها تتعامل حتى مع دول أوربـــا والناتو بغطرسة تعتمد علي إصدار القرارات ثم إجبار هذه الدول بإتباعها بلا مناقشة وهذا ما يؤكد أن أعداء أمريكا ليسوا فقط العرب والمسلمين ، أو في شرق ووسط أسيا بل أن العداء اصبح عالميا بصورة واضحة ! بينما أشار بعض المراقبين إلى أبعاد أكثر خطورة ... حيث أشاروا إلى أن ما حدث من فزع وذعر وهروب وإجراءات أكبر ألف مرة من مواجهة هجمات إرهابيـــة يقـــوم بها مختطفو طائرات مدنية.. فهروب الرئيس الأمريكي إلى ولايات مختلفة حتى يصـــل إلى نبراســـكا وإغلاق المجال الجوى الأمريكي وإعلان قصف أي طائرة تتحرك وإخلاء موظفـــي وزارة الخارجية ومجلس النواب والشيوخ والأمم المتحدة بل وإخلاء مقار المخابرات الأمريكية وحدوث حالة من الهرج والمرج الغير عادي . ثم إرسال حاملات طائرات عسكرية وصـــواريخ موجهـــة لحمايـــة الســـواحل الأمريكية مثل حاملتي الطائرات " جون كنيدى "

و "جورج واشنطن " ثم إعلان استدعاء الاحتياطي الأمريكي للجيش ، وفتح باب قبول متطوعين جدد ، وإرسال نائب الرئيس الأمريكي " ديك تشيني " إلى مكان سرى قيل أنه في جبال " ميرلاند " لحمايته يؤكد أن الأمر يتجاوز إرهاب وطائرات ..لا ابن لادن ولا حتى إرهاب أي جهاز مخابرات في العالم ... بل هو أقرب إلى حالة الحرب الحقيقية . ولعل تصريحات عضو لجنة الكونجرس للشئون العسكرية ، " جيمس الهوف" يؤكد مدى التخبط .. فهو يؤكد أن ما حدث شل قدرات الجيش الأمريكي علي المواجهة حتى انه أشار بصراحة إلى أن ما حدث يصل إلى حد هجوم عبر حكومة دولة أجنبية حيث قال يجب اكتشاف المذنبين سواء كانوا منظمة أو حكومة دولة أجنبية ".

وكالات الأنباء

تداولت وكالات الأنباء أيضا معلومات بأن جميع دول الناتو عقدت اجتماعات سرية وكذلك روسيا فور ورود الأخبار التي توقعت أن يتم توجيه ضربة جوية معادية ضد الولايات المتحدة ربما تكون ضربة نووية ، لأن شبكة الدفاع الأمريكية شلت تماما وأن أجهزة الكمبيوتر التابعة للبنتاجون تعطلت تماما لسبب غير مفهوم ، حتى أنها فقدت القدرة علي رصد الطائرات المدنية أو إبداء أي رد فعل تجاهها ، مما تسبب في قلق أمريكي هائل من إمكان أن يكون ذلك مقدمة لحرب عالمية ثالثة وهذا ما تسبب في حالة القلق والتخبط الذي تصرف به القادة الأمريكيون . ولكن روسيا والصين أرسلت رسائل سريعة وحاسمة بأنها لا علاقة لها بتعطل الشبكة الأمريكية ولا بالهجمات بالطائرات المدنية وأخبرتها بأن تبحث عن المشكلة في داخل أمريكا !! . ورغم أن بعض المحللين ذهب إلى معقولية هذا الاحتمال بسبب إصرار الولايات المتحدة علي المضي قدما في مشروع مظلة الصواريخ الدفاعية ، وهو مما يعد إلغاء وتحييدا كاملا للأسلحة النووية الروسية والصينية بمعنى أن الولايات المتحدة ستكون قادرة علي المبادرة بقصف كل من روسيا والصين في الوقت الذي تستطيع فيه تحمل الضربة النووية المضادة مما يمكنها من تدمير البلدين ومن ناحية أخرى فإنها ستكون قادرة علي تحمل أو إضعاف الضربة النووية الأولي للصين أو روسيا في الوقت الذي يمكنها إصابة البلدين بقوة في الضربة المضادة . مما يعد بصورة أوضح إعلانا نهائيا لاستسلام الصين وروسيا أمام الولايات المتحدة التي ستنفرد وحدها دون أوربا أيضا بقيادة العالم وتهديد أي دولة فيه في أي لحظة . ولذا فان البعض فسر ما حدث بأنه رسالة روسية أو صينية ، يمكن أن تعتمد علي تكنولوجيا شديدة التفوق تشل

تمامــا الأجهــزة الإلكترونية الأمريكية لوسائل الدفاع مما يجعل ٧ طائرات مدنية قادرة علي إرعاب الولايات المتحدة بجلالة قدرها ويدللون علي ذلك باستمرار حالة الاستنفار الأمريكية حــتى بعــد عدة أيام ثم إعلان حالة الاستدعاء وفتح الباب أمام تطوع المواطنين الأمريكيين للالــتحاق بــالجيش الأمريكي بعد استعدادات لإعلان حرب كبرى وليس مجرد الحماية من الإرهاب أو قصف أفغانستان .

تيموثي ماكفي

اســتدعت وكــالات الأنباء أيضا ما صرح به تيموثي ماكفي منفذ انفجار أوكلاهوما الذي قال قبل أعدامه انه يوجد في الجيش الامريكي أكثر من عشرة آلاف يحملون نفس الفكر الذي نفذ بموجبه عمليته.

وقــد ذهــبت تحــليلات أخرى منذ البداية إلى أن ما حدث شبيه بما حدث في انفجار أوكلاهومــا عــام ١٩٩٦ وأن الانفجارات يمكن إن تكون من داخل أمريكا بل أن صحيفة "برليــن تســايتوبج" كتــبت تقريرا أكد أن الإشارات تدل علي أن مدبر الهجوم من أتباع الجماعات والميليشيات العسكرية الأمريكية التي تنتمي لليمين المتطرف والتي تشعر بفخر وطني شــاذ أو أن لديهــا تفويضــا إلهيــا ويضــرب مثلا لها بالجماعات المناهضة لنظام ZOG أي ZIONIST Occupied GOVERNMENT ويعترضون بصــورة أساسية علي هيمنة اليهود عــلي الحكومات الأمريكية المتعاقبة، وأشارت إلى أن " تيموثي ماكفاي " كان عضوا في أحد هذه الجماعات بل أشارت أيضا إلى جماعات أخرى مثل "كوكلوكوس كلان" و "أمة آريان " وحــليقي الــرؤس " والنازيون الجدد" و "المراقب الوطني " المعروفة بثقافة العنف والعنصرية والانتحار . بينما أجرت صحيفة " ديرتاجيس شبيجل " حوارا مع" توماس جدومكه " الخبير في شــئون اليمين الأمريكي الذي أكد أن لديه معلومات بأن سلطات الأمن الأمريكية تقوى تحرياتها في اتجاه مسئولية اليمين المتطرف المعروف بالتعصب وبالأيدلوجية المتطرفة اللازمة للقيام بمــثل هذا الهجوم ولديهم أيضا الإمكانيات الاستراتيجية الهائلة ، مضيفاً أن الدقة غير العادية التي تم بها الهجوم تتجاوز قدرة المنظمات الإرهابية العادية كما أنها تشير إلى استحالة إتمام هذه العمــليات بــدون مساعدة عديد من الأمريكيين الذين يشغلون مناصب حساسة في الأجهزة الأمــنية بصورة كاملة ، وليس فقط عن طريق الدعم اللوجيستي الهائل الذي يمكن من خطف طائرات في وقت واحد بل أيضا الهروب من أجهزة الرادار ، وهذا أمر غير ممكن بدون خبرة

تكـــنولوجية عاليـــة من داخل المؤسسات الأمريكية نفسها ، مضيفا أنه لا يمكن المرور هكذا وبسهولة فوق البنتاجون بدون أن يشعر بك أحد!! ويضيف " جرومكه" أن اليمين المتطرف متغلغل في الجيش بصورة كبيرة ويحصلون علي تعاطف غير محدود مما يمكنهم من الحصول علي دعـــم لوجيستي كبير ، كما يستبعد وجود تعاون بين هذه المنظمات ومنظمات شرق أوسطية، مؤكدا أن منظمة مثل "عنصر الأريان الأبيض " والمعروفة اختصارا باسم WAR (أى الحرب) تعـــادى السامية بشدة بمعني " عدو إسرائيل صديق ". ويضيف أن اليكس كورتس مؤسس جماعة " المراقب الوطني " كان قد عرض على الإنترنت أدلة تشير إلي قدرته علي إنتاج أسلحة بيولوجية بينما تم القبض منذ عامين علي أحد أعضاء منظمة "أمة آريان " وهو ينقل فيروسات " الجمرة الخبيثة " في سيارته .

انقلاب عسكري

هـــناك رأي مختلف وغريب تماماً يذهب إلى أن ما حدث أكبر من ذلك بكثير فهو أقرب إلى الانقـــلاب العسكري فى السلطة الأمريكية بعد وجود خلافات شديدة بين أجنحة السلطة الأمريكية إثر خلافات عديدة بين التيار الأصولي المسيحي[١] الذي يؤمن بعودة المسيح في نهاية العالم بعد المعركة الفاصلة بين الخير والشر والقضاء علي الأشرار (العرب والمسلمين) في موقعة " هـــرمجيدون " فى القـــدس خاصة أن عملية السلام وصلت إلى نهايتها . واصبح الاستعداد للقضاء علي الفلسطينيين مسألة وقت فقط . والتيار الآخر الذي يسعى إلى سيطرة أمريكا علي العـــالم بصـــورة متدرجة وصراع بين الأجهزة الأمنية المتعارضة مثل CIA والمباحث الفيدرالية FBI ووكالـــة الأمن القومي NSA والبحرية الأمريكية والقوات الجوية . والبنتاجون . حيث تزايدت الخلافات إلى الدرجة التي تسعي فيها بعض الأجنحة إلى تحدى السلطة الأمريكية الحالية ليثبت لها أنه يملك السلطة الحقيقية في أمريكا . ولعلهم يبرزون ذلك بالطريقة تبدو أقرب إلى مباراة في التحدي بين فريقين حيث أثبتت الفرق التي قامت بالتفجيرات بأنها تجيد لعب المباراة بمهـــارة : فقد قامت بتعطيل جميع شبكات الكمبيوتر الخاصة بالجيش الأمريكي ووزارة الدفاع ثم بـــدأت في الهجوم علي السلطة الحاكمة بأتفه وأضعف الأشياء . وهز أمريكا كلها بدون قنبـــلة واحدة أو جرام من المتفجرات بل بطائرات مدنية. ليس ذلك فقط. بل قامت باختيار

(١) راجع رضا هلال – مرجع سابق.

أوقـــات الهجوم بصورة تحتوى علي التحدي و الاستهانة. فبدلاً من التصرف بصورة منطقية بقصف البنتاجون أولا وبصورة مفاجئة ، ثم يقصف برجي مركز التجارة العالمي قاموا بالعكس باختطاف عدة طائرات في وقت واحد والسيطرة علي أجهزة الرادار والكمبيوتر في أهم مقر عســكري في العالم ، ثم بدأ في توجيه ضربة لأحد البرجين في الساعة ٨,٤٢ صباحا ثم ضربة أخرى بعدها بـــ ١٨ دقيقة للبرج الآخر في ٩,٠ صباحاً وبعد ساعة كاملة وجهت ضربة لمقر البنـــتاجون نفسه والذي وقف بلا حول ولا قوة، بل أنه تعمد تأخير قصف البنتاجون حيث خطفت الطائرة فور إقلاعها في الساعة ٨,٤٢ رغم قدرتهم علي إصابته من البداية .. والأكبر مـــن ذلك هو فشل جميع أجهزة الكمبيوتر بصورة غير عادية ، حتى أن قناة "sat.7" الألمانية أكدت أن الأقمار الصناعية كان عليها تغيير اتجاه الطائرة حتى لو كان أحد المختطفين يقودها كمـــا أن إســـقاطها بصاروخ كان أمرا ممكنا، و لكن هناك شيئا ما غير معروف منع حدوث ذلك. وكان خبير الإرهاب الألماني " هانز جورج زيبرت " قد صرح منذ اللحظة الأولي لقناة RTL الألمانيـــة : أنـــه لا يجب التسرع في الحكم باتهام أحد فربما تكون جماعة داخلية أمريكية وربمـــا يكـــون خطأ تكتيكيا ما أصاب الطائرات حتى أنها بدت وأحيانا وكأنها فاقدة السيطرة وتتجه إلى أهدافها بصورة لا إرادية ، حتى المناورات التي قامت بها يصعب علي أي طيار القيام بها بهذه الدقة ...

أمريكا لا تستطيع الاعتراف بحقيقة ما حدث

رغم تعدد حوادث الاختطاف التي قام بها بعض الأفراد . ومنهم عرب .. إلا أن الأخطر هـــو أن تدبير وقيادة هذا العمل الدقيق كانت في يد أمريكيين من داخل المؤسسات الأمريكية العليا وتعرف سلفا أن الحكومة الأمريكية ستصر علي اتهام بن لادن رغم كل شئ : أولا لأنها لا تستطيع الاعتراف بحقيقة ما حدث ، ولأنها لن تضيع فرصة الدعم العالمي اللامحدود لتأديب مـــن تشاء، كما أن التيار الأصولي المسيحي والتيار الصهيوني سيستغل القضية أفضل استغلال لفرض إرادة الذين يحكمون حكام العالم من الماسونيين الكبار علي العالم وخاصة الدول العربية والإســـلامية. فهل كان ما حدث حادثا إرهابياً مروعا أم انتقاما أمريكيا من الداخل أم انقلابا عسكريا لتغيير الدستور الأمريكي ، وتحويل الولايات المتحدة إلى دولة عسكرية بوليسية ؟

وقد يستبعد البعض قيام قوى في الولايات المتحدة بضرب مواطنيها، ولكن يكفي أن نقرأ كتاب الكاتب الأمريكي جسمي بامفورد الذي يحمل عنوان (Body of Secrets : Anatomy of the Ultra-Secret National Security Agency)، وفي هذا الكتاب يطلعنا المؤلف على وثائق سرية تعود لعهد الرئيس كيندي، عندما فشل الإنزال الأمريكي في خليج الخنازير وهي عملية كانت تستهدف الإطاحة بالرئيس الكوبي كاسترو، وقد صارت هذه العملية وصمة عار في جبين المخابرات الأمريكية، وقد قامت هيئة الأركان العامة الأمريكية بوضع خطة أخرى أطلقت عليها اسم (Northwoods) تتضمن قتل أمريكيين واقام كوبا بقتلهم. وكانت ترى أن العسكريين سينجحون فيما فشل في تحقيقه رجال المخابرات الأمريكية.

إذن فليس من المستبعد أبدا قيام بعض القوى بتنفيذ مثل هذه العمليات لكي تؤثر على الرأي العام الأمريكي والعالمي ولكي تشكل عذرا في القيام بشن عمليات حربية للوصول إلى أهداف معينة.

ويقدم أصحاب هذه النظرية دليلاً آخراً على أن القوى الخفية الموجودة في الولايات المتحدة هي التي دبرت هذه العملية الإرهابية، نستقيه من أحد الأفلام الأمريكية الحديثة. وقد قامت الحكومة الأمريكية وحليفتها الحكومة البريطانية في أواسط شهر أكتوبر الماضي بمنع عرضه . واسم الفيلم (SWORDFISH) ، ويكمن السبب في أن حوارا ساخنا يجري بين سيناتور في الكونجرس الأمريكي "وهو في الفيلم رمز القوة الخفية وراء الستار" والعميل السري الذي يكلفه هذا السيناتور بإنجاز بعض المهام السرية الممنوعة من الناحية القانونية. ويقول السيناتور في هذا الحوار: "أجل ... أجل سنقوم بإسقاط طائراتنا ... وسنقوم بضرب مبانينا ... وسنعرض الوجه القبيح للإرهاب أمام الأنظار ... وبهذا نحصل على تأييد الرأي العام لشن حرب على الدول الإرهابية ."

فضائح تحقيقات FBI

الأكاذيب الكبرى ..يتبعها ناس كثيرون ..عبارة شهيرة لهتلر تنطبق بامتياز علي ما يشهده العالم عما يقال عن إقامة تحالف دولي ضد ما يسمي "الإرهاب الإسلامي " مما يدل علي وقوع العقل الغربي في أسر عقلية عنصرية تلفيقية متطرفة، تتحدث عن تفوقها الحضاري وعن قيادة " حرب صليبية " طويلة المدي تعتمد علي إجراءات علنية وأخري سرية ..ضد

الإرهـــاب تحت عنوان " النسر النبيل " وتنتهي " بانتصار الخير علي الشر " لتحقيق " العدالة الأبدية المطلقة ".

ليـــس ذلـــك فقط بل أن الإعلام الغربي .. وبعض الصحف الغربية أصبحت تنقل عن المـــباحث الفيدراليـــة الأمريكية FBI والمخابرات المركزية الأمريكية CIA وكأنها ناطق رسمي باسمها . دون أن تدقق في مصداقية الأدلة رغم سذاجتها وتهافتها

من ناحية أخري فإن الأدلة التي تثبت وجود تورط أمريكي تبدو أكثر واقعية من اتهام بن لادن ومنظمـــته ســـواء فيما يتعلق بعلاقة تفجيرات ١١ سبتمبر وبمقتل أحمد شاه مسعود قائد الـــتحالف الشـــمالي في أفغانستان قبلها بيومين فقط أي في ٩ سبتمبر أو غيرها من الإشارات المريـــبة للسياســـة الأمريكية بعد انتهائها من حرب الخليج وحرب البوسنة والهرسك وحرب كوسوفا .

ولكننا اذا عدنا الي مصداقية سلطات التحقيق الأمريكية خاصة CIA و FBI في ملفات أخرى فإننا سنتجاوز موضوع إسقاط الطائرة المصرية بجوار نيويورك رغم التزييف الهائل للأدلة وذلـــك حتي لا نقع في التحيز. بل سنختار قضية داخلية تماما لمتابعة كيفية تلفيق تحقيقات هذه الجهـــات للأدلـــة والإعتماد علي ما يسمي " السرية " لإخفاء أدلة أخرى ..وهي قضية قتل الـــرئيس الأمريكي " جون كينيدي " فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ والغريب أننا فوجئنا بوجود علاقة شبه كبيرة بين تلفيق الأدلة في هذه القضية، و بين تلفيق الأدلة في قضية تفجيرات الثلاثاء الأسود.

ليس هذا فقط ... بل وجدنا هناك شبه تطابق بين أهداف " إغتيال كنيدى " الذي يعد "الإنقـــلاب الأول " فى الســـلطة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وتفجيرات ١١ سبتمبر التي تعد الإنقلاب الثاني داخل المؤسسات الأمريكية المتعارضة!.

يستدعي التقرير الألماني قول أيزنهاور " إن التأثير الكامل للنفوذ السياسي للبنية الصناعية العسكرية واضح في كل مكتب وكل مدينة وهي تعد خطرا كبيرا لأن قوتها الهائلة تعمل علي إنهيـــار الـــتوازن السياســـي"، ثم يستطرد إلي أن " كنيدي " تصادم مع "المؤسسة الشبحية " أو المؤسسة X" وهي المؤسسة التي تضع الأهداف الحقيقية للإستراتيجية الأمريكية والتي لها رجالها في المناصب العليا سواء مؤسسة الرئاسة أو الكونجرس أو CIA و FBI وفيما بعد وكالة

الأمـــن القومي NSA وأخيرا وكالة الاستطلاع القومي هذا بالإضافة الي البنتاجون والبحرية الأمريكية ... و... و... !! فهي المؤسسة الحاكمة فعلا في الولايات المتحدة لذا كان يجب أن يموت " كنيدي " . ولعل هذه المؤسسة هي التي وضعت أشهر وثيقة للأمن القومي فى مرحلة مـــا بعد الحرب العالمية الثانية وهي وثيقة "NSC-68" والتي صاغها " بول نتيز" الذي خلف " جورج كينان " في رئاسة إدارة التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية وهي وثيقة سرية أقرت في ١٤ أبريل ١٩٥٠ لم يفرج عنها سوي عام ١٩٧٥ و التي تصر علي إحتواء الإتحاد السوفيتي وكل ما يهدد فاعلية الهيمنة الأمريكية التي تسيطر علي ٥٠% من ثروات العالم .. وهذا ما ثبت فشله فى بداية الستينيات حين ظهر بوضوح عجز الميزان التجاري بين الولايات المـــتحدة وحـــلفائها كما أن تفوق النموذج الاقتصادي الألماني الأوربي ، والياباني أدي لزيادة اعـــتماد الولايـــات المتحدة لتفوقها العسكري كأداة لفرض نفوذها فى العالم . وهذا ما اعتبره "مكورميـــك" فى كتابه " ما بعد أعراض حرب فيتنام " إصرارا أمريكيا علي الانفراد بالهيمنة العسكرية علي حلف الناتو ، وعلي جنوب شرق آسيا بعد معاهدة الدفاع المشترك مع اليابان.

ولذا كانت حرب فيتنام مصلحة عسكرية ، ليس ذلك فقط بل أن " جون لويس جاديس" أكد في كتابه " مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية " أن تراجع الاقتصاد الأمريكي أمام الاقتصاد الياباني والألماني والأوروبي في بداية الستينيات أدي لأن تتجه الولايات المتحدة إلي الحفاظ علي إنفاقهـــا العســـكري المرتفع علي حساب حلفائها الاقتصاديين السياسيين. بمعني أن الولايات المـــتحدة اســـتخدمت الإنفـــاق العسكري لتدعيم الاقتصاد الأمريكي علي حساب حلفائها لحمايتهم من الخطر الشيوعي. حتي في لاوس وفيتنام . ومرة أخرى فإن حرب فيتنام أصبحت هدفـــا عســـكريا وإقتصاديا في نفس الوقت إلا أن "كنيدي " كان قد فعل العكس إثر قضية الصـــواريخ الكوبيـــة الـــتي كادت أن تتسبب في نشوب حرب نووية بين روسيا والولايات المـــتحدة . حيث اتجه الي إعلان سعيه لإنهاء الحرب الباردة والبدء في التعاون مع خورشوف. وإنهـــاء الحـــرب في جـــنوب شرق آسيا . لذا فقد بدأ فى العمل مع مؤسسات عدة من أهمها مخابـــرات البنـــتاجون وصـــلت في سبتمبر ١٩٦٣ الي تجهيز خطة تهدف الي سحب القوات الأمريكية من فيتنام حتى نهاية العام ١٩٦٥م. وكانت تهدف الي البدء بسحب ١٠٠٠ جندي حـــتى نهاية ديسمبر ١٩٦٣ ولكن بعد أسبوع من قتل الرئيس الفيتنامي في " سايجون " وقبل أسبوعين من قتل " كينيدي " تم إلغاء الأمر في ٧ يونيو ١٩٦٣ ولكن كنيدي أصر علي إكمال الخطـــة ولم يخضع للتهديدات التي حذرته بقتل الرئيس الفيتنامي ..فكان لابد من التخلص منه وكان لابد أن يحدث الانقلاب ضد الحكم الشرعي فيما يسمي " بالديمقراطية الأمريكية " .

تهافت الأدلة وسلطات التحقيق وأوجه التشابه فى التلفيق:

الغريب أننا حين ندقق في أدلة سلطات التحقيق فيما يتعلق باغتيال كنيدي نجد أنه يتشابه فى عدة نواح مع أدلة قضية تفجيرات ١١ سبتمبر رغم الإختلاف الكبير والجذري في أسباب الإنقلابيين والغريب والطريف في نفس الوقت أن قضية اغتيال " كنيدي " كلها تم تحميل مسئوليتها كلها لشخص واحد فقط هو " لي هارفي أوزوالد " والذي قالت عنه سلطات التحقيق العام أنه قام بقتل الرئيس بإطلاق ٣ رصاصات فقط علي الرئيس من نافذة مخزن الكتب الذي يعمل به في الدور السادس من علي ما يزيد عن ٤٠ مترا والأكثر طرافة أنهم قالوا أنهم وجدوا " البندقية الآلية " التي استخدمها " لي هارفي أوزوالد " ملقاة في مخزن الكتب وبجوارها ٣ رصاصات تماما كما قالوا عن كتاب " كيف تتعلم الطيران في ٢٤ ساعة " في السيارة فى مطار بوسطن أو رسالة محمد عطا التي بقيت وحدها رغم إحتراق الركاب وجسم الطائرة أو وجود جواز سفر في طائرة المركز التجاري العالمي رغم أنه قيل أن درجة الحرارة وصلت بعد الانفجار الي أكثر من ١٠٠٠ درجة مئوية حتي أن الحديد قد انصهر مما دمر المبني تماما كما أنهم زعموا أن " أوزوالد " كان قد اشتري البندقية بإسم " آ .هايدل " علي صندوق بريد في ولاية " تكساس " وأن الخط هو خط أوزوالد، تماما كرسالة محمد عطا، ولإثبات ملكيته للبندقية جاءوا بصورة مزيفة نشرتها مجلة " لايف " الأمريكية علي غلافها وهي لصور " أوزوالد " وهو يمسك البندقية ويبتسم للكاميرا ليؤكدوا أنها بندقيته وإذن فهو القاتل ولكن " أوزوالد " حين رأي الصورة صرخ قائلا " لست أنا من في هذه الصورة " نعم إنها صورة وجهي ولكن هذا ليس جسدى إنني افهم في التصوير جيدا . إن هذه الصورة تعرضت لمونتاج واضح "! والغريب أن الخبراء أثبتوا أن الصورة مركبة بسبب بسيط وسهل جدا وكان يجب ألا تقع فيه أجهزة أمن في حجم FBI و CIA حيث ثبت أن إتجاه الظل عند أنف أوزوالد يشير إلي أن وقت التقاط صورة الوجه كان حوالي منتصف الظهر لأن ظل الأنف كان عموديا، بينما يشير إتجاه ظل الجسم الذي تم تركيبه علي وجه أزوالد ..الي أن وقت التقاط الصورة للجسم كان إما بين ٨ أو ٩ صباحا أو بين ٤ و٥ عصرا ، لأن الظل كان مائلا بصورة واضحة، ولقد كان هذا متشابها بصورة مدهشة مع شريط الفيديو الرديء الذي بثته الإدارة الأمريكية كالدليل علي قيام بن لادن بالعملية، وفضلا عن وجود اختلافات بينة بين صورة

أســامة بن لادن التي عرضتها القنوات الأمريكية وتلك التي عرضتها قناة الجزيرة، فإن طالب ثانوي جلس ساعتين فقط علي الكمبيوتر فنجح في تزييف شريط علي لسان الرئيس بوش[1].

والغريب أن التحقيقات التي أدا ت أوزوالد وقعت في التناقض عدة مرات حيث أثبتت وجوده في ٣ أماكن في وقت واحد ، مثل كوبا والمكسيك والولايات المتحدة وهو نفس ما حدث مع بعــض المشتبه في قيامهم بتفجيرات ١١ سبتمبر، من ناحية أخري فإن هناك من شكك في أن تكون بصمات أوزوالد وضعت علي البندقية بعد وفاته ، خاصة أن محققي FBI أسرعوا بنقل البــندقية الي واشـــنطن ، بيـــنما بقيت بصمات أوزوالد في دالاس ، وبذلك فقد تم فقد سير الأحـــداث تماما ، بل أن محققي FBI " جيمس ليفستون " إعترف بأن هناك أكثر ٣ خصائص تعـــود الي ٣ أشـــخاص وليس أوزوالد فقط ويضيف " ان مجموعة البصمات لم تنسب كلها لمكتب FBI . والمثير للدهشة هو إنكار أوزوالد لإرتكابه أي تهمة قائلا أنا لم أرتكب أية جريمة وقد اعتقلوني فقط لأنني عشت في الاتحاد السوفيتي فشكلي لا يوحي بالثقة. ولا نخفي ما لهذه العــبارة من دلالة. حيث أن هذا هو نفس ما يحدث مع المشتبه فيهم من العرب المسلمين ... والذين اعتقلوهم فقط لأنهم عرب . ولأن أسماءهم وأشكالهم شرق أوسطية لا توحي بالثقة . بل أنها تحتوى علي نفس العداء والاتهامات ولكن للإسلام بدلا من الشيوعية !!.

ويستطرد التقرير بعد ذلك في تعداد الشبه بين تلفيقات الأجهزة الأمريكية في كل من الانقلابين: اغتيال كينيدي وانقلاب بن لادن. فيلاحظ التشابه بين حكاية الرسالة السحرية لمحمد عطا والتي أكد الصحفي الأمريكي الشهير " بوب وود ورد " صاحب فضيحة ووترجيت " أن بعــض العــبارات المستخدمة في الرسالة لا تستخدم في التعبيرات الإسلامية مثل متفائل وعبارة ١٠٠% . ليس هذا فقط . بل هناك عبارة " وإذا ذبحتم فاسلبوا من تقتلونه لأن ذلك مـــن ســـنن المصطفي صلي الله عليه وسلم " ولا ندري ماذا سيفعلون بالأسلاب . وهم من المفـــترض أنهم سيفجرون أنفسهم في الطائرة ، وعبارة " ثم طبقوا سنة الأسر وأسروا منهم " ولا ندري ماذا سيفعلون بالأسري أو بالأسلاب طالما أن الطائرات كلها ستنفجر في أهدافها !!

(١) ورد فيـــلم الفيديو متضمنا في رسالة إليكترونية من شقيق الطالب إلي المؤلف. وتم نشر الرابط الخاص به عـــلي الشـــبكة العالمية في عدد ٢١-١٢-٢٠٠١ من صحيفة الشعب . وما زال الرابط موجودا حيث يمكن مشاهدة الشريط!.

وهذا ما يدل علي أن الذين كتبوا الرسائل هم أمريكيون يتحدثون العربية ولكنهم حين زوروا الرسائل أخطئوا بصورة فاضحة تشبه ما حدث في أدلة إغتيال " كنيدي " .

وقــد لجــأت الأجهزة الأمريكية إلي ستر ما يفضح من أكاذيبها بالمزيد من الأكاذيب، فعــندما انكشــف التــلفيق في الرسالة التي صمدت لنيران صهرت الفولاذ عادت الأجهزة الأمريكية لتقول أن حقيبة عطا قد تخلفت عن طائرته، وكان هذا هو تبريرهم لوجود الرسالة سليمة بصفحاتها الأربع، لكنهم لم يستطيعوا الرد حين ثار التساؤل: ولماذا يصطحب حقيبة غير حقيبة يده في رحلة يعلم أنه لن يعود منها قط؟!.

نفس الشبهات أثيرت عن جواز سفر لأحد المشتبهين ادعت الأجهزة الأمريكية العثور عــليه بين حطام الطائرة الرابعة، فما الداعي الذي دفع صاحبه للاحتفاظ به في رحلة داخلية داخل الولايات المتحدة لا تستوجب أصلا وجود جواز السفر؟!.

شبهات حول الشركات العملاقة

كــانت هناك تقارير أيضا تشير بإصبع الاتهام إلي شركات السلاح العملاقة التي كانت وراء الانقلابين: انقلاب كينيدي وانقلاب بن لادن. وكان هدف تلك الشركات في الانقلابين أن تســتمر الحــرب ، وتســتعر ليســتمر تدفــق الأموال ودوران مصانع الأسلحة وفرض النفوذ العسكري والسياسي الأمريكي ، في حرب فيتنام التي تكلفت ٢٢٠ مليار دولار وفقد ٥ آلاف طائــرة هليكوبتر . وقصف فيتنام ب ٦,٥ مليون طن من القنابل وأدت لمقتل ٥٨ ألــف جندي أمريكي . وما يزيد علي ٢ مليون فيتنامي وآسيوى !!! أي أن الولايات المتحدة ساعدت علي قتل رئيسها و٥٨ ألف جندي من جنودها مقابل هيمنة ونفوذ ورواج إقتصادي وتعاون بين الأجهزة الحاكمة والأجنحة المتصارعة . فهل نتعجب أن قامت بعض هذه الأجنحة بالتضــحية بــخمسة آلاف قتيل[1] في مركزي التجارة العالمي والبنتاجون وراكبي الطائرات مقابل الانقلاب علي سلطة الرئاسة الأمريكي التي اتجهت منذ وصولها في يناير الماضي الي اتباع سياســة انعزالية . والتي وصلت الي السلطة بعد معركة سياسية لم تشهد لها مثيلا بين المعسكر الديمقراطي بزعامة " آل جور " والمعسكر الجمهوري بزعامة " بوش " وقد وصل تكسير العظام بــين المعسكرين الي حد أن تصور حدوث إنقلاب عسكري حقيقي كدول العالم الثالث صار

(١) ثبت بعد ذلك أنهم أقل من ثلاثة آلاف.

أمرا غير مستبعد بعد الحديث عن تزوير الانتخابات والعد اليدوى وتمسك المعسكرين بالأحقية في الحكـــم، ولعل الصراع لم يكن في حقيقة الأمر بين " آل جور " وبين " بوش " بل كان بين القـــوى والأجـــنحة المتصارعة التي تستخدم هذا أم ذاك ، ورغم أن المعسكر الذي كان يؤيد ثـــنائي " آل جور " ونائبه اليهودي " جوزيف ليبرمان " والذي كان يفضل السيطرة المباشرة عـــلي الحكـــم والـــبدء في فرض الهيمنة الأمريكية علي القارة الأفريقية ووسط آسيا بالقوة العســـكرية المباشـــرة بدلا من الضغوط الاقتصادية والهيمنة السياسية لإمكان استغلال فرصة الـــتفوق الأمـــريكي علي روسيا والصين ، وهو ما حذر منه المحلل الألماني الشهير " جوزيف جوفه" في أن الأوروبيين يريدون دعم الولايات المتحدة ومنعها في نفس الوقت من أن تتحول " آخـــر قـــوة عظمـــي " الي قوة أكثر تجبرا وغطرسة بعد أن صارت تتعامل حتى مع حلفائها الأوروبيين بطريقة الآمر النهائي ، وعلي الجميع إطاعته حتى أن " جوفه " وصفها بأنها تتصرف كأنهـــا " أمريكا التي لا شريك لها " . و هذا الوضع هو ما يطالب به التيار الأصولي المسيحي الـــذي يســـعي لإستغلال الفرصة لإحداث مزيد من الإضعاف للقوى المتصارعة معها وهذا مـــا وضـــح في عمليات المضاربات التي قادها الملياردير اليهودي " جورج سورس" وأدت الي إنهيار البورصات في جنوب شرق آسيا عام ١٩٩٧ بالإضافة الي وضع الولايات المتحدة قدمها في وسط آسيا لمنع أي تحالف محتمل بين الصين وروسيا وباكستان أو الهند من ناحية مع إيران وبعـــض الدول العربية في حلف معارض لأمريكا من ناحية أخري ، وكذلك استغلال مكافحة الإسلام، أو ما أسموه " التطرف الإسلامي " تماما كما كانوا يكافحون الشيوعية ، أو ما أسموه بالتطرف الشيوعي .

كان لابد من حرب جديدة، فقد انتهت الحرب الباردة وحربا الخليج و حرب "كوسوفا" بعـــد حرب البوسنة والهرسك، فالحروب يجب أن تستمر ومصانع الأسلحة يجب ألا تتوقف طالما أن كل ذلك يتم علي حساب الآخرين ، سواء كانوا الأوربيين أو اليابان ، أو حتي الدول العربية النفطية !!

المخابرات الامريكية وراء مقتل شاه مسعود

والغريب أن نفس سيناريو تحقيقات " كيندي " وإعلان الحرب علي فيتنام يتكرر ولكن بصورة مخالفة فقد تم اغتيال " أحمد شاه مسعود " علي يد عملاء للمخابرات بعد رفضه التام

لأي محاولـــة للتحالف مع الولايات المتحدة أو غيرها لإسقاط طالبان ، فتم قتله، ليفتح الباب أمام من هو مستعد للتحالف، وهو ما حدث بالفعل !!

كما أن الحديث الأمريكي عن سرية الأدلة في قضية تفجيرات ١١ سبتمبر بدعوى حماية الأمـــن القومي هو نفس ما وصفه " جاريسون " بأنه يمثل الفاشية الكبري ..حيث يتم تأجيل الكشف عن أسرار اغتيال " كينيدي" حتى عام ٢٠٣٨ م ثم تم تقديمها وصارت عام ٢٠٢٩م بدعوى حماية الأمن القومي ، كما أن مفهوم العدالة الأبدية أو المطلقة هو مفهوم إلهي يشير الي أن أمـــريكا فقط هي التي ستحدد ما هو العدل وما هو الظلم ، ما هو الحق وما هو الباطل ، مـــا هو الخير وما هو الشر ، وهذه هي بداية الكارثة ! والغريب أن البروفيسور " أوجست براديـــتو " الأســـتاذ في جامعة القوات المسلحة الألمانية في مدينة " هامبورج " قد ركز علي السؤال الأهم وهو " من المستفيد ؟ " مؤكدا أن الأمر أكبر بن لادن لأن الأمر لا يتعلق بغضب أعمي هدفه الدمار ، بل بحسابات دقيقة لأهداف محددة ، فالهجمات التي تعرضت لها أهم رموز القـــوة العظمي الوحيدة في العالم هي " استفزازات مقصودة " ومن له دراية بعمل المخابرات يعـــرف ردود فعـــل الخصـــم مسبقا ..ولذا فمن وراء ذلك قد يكون الهدف استفزاز حلف الـــناتو وجره الي معركة مع العالم الإسلامي، وبالتالي يكون قد تم جرنا الي الوقوع في مصيدة مخيفة " !!

ماذا حدث إذن؟!

إذا لم يكن بن لادن مسئولا ولم يكن المسلمون مسئولين ولم تكن الطائرات قد اختطفت فكيف جرت الأمور إذن؟.

يعـــرف من يتابع التطورات التكنولوجية، أن الولايات المتحدة بدأت منذ عام ١٩٨٤م بتجارب للسيطرة عن بُعد على الطائرات والتحكم في سيرها، وأنها نجحت في تجاربها هذه قبل ثماني سنوات تقريبًا، وقد أجرت تجربتها الأولى الناجحة على طائرة مدنية من نوع بوينج خالية من الركاب ومن طاقم الطائرة، وقد أقلعت هذه الطائرة باستخدام هذه التكنولوجيا، ثم هبطت بســـلام في إحدى القواعد، وكانت الغاية من التجربة علاوة على التأكد من إمكانية القيادة والـــتحكم في الطائـــرة عـــن بُعد اختبار هل تحترق الطائرة إن هبطت على الأرض دون فتح عجلاتها عند استخدام وقود غير سريع الاشتعال أم لا؟.

ويــتم التحكم في الطائرات المدنية منها والحربية عن بُعد، باستخدام نظام حديث يدعى (JPLS)، وقد أنفقت الولايات المتحدة على اكتشاف وتطوير هذا النظام الخطير مبلغ ٣,٢ مليار دولار، وتعاونت وزارة الدفاع مع مجموعة شركات "رايثون" وهي حوالي عشرين شركة متخصصة في نظم الصواريخ والدفاع الجوي ونظم السيطرة على حركة المرور الجوية والنظم الإلكـتـرونية، ويتم تشغيل هذا النظام بواسطة الأقمار الصناعية، فإذا دخلت أي طائرة سواء أكـانت مدنية أم عسكرية مجال هذا النظام، استطاع مشغل النظام فكَّ رموز وشفرات نظام الطيران في الطائرة حتى وإن لم يَقُم الطيار بإعطائه هذه الرموز ثم يكمل السيطرة على الطائرة وتوجيههـا إلى الهدف الذي يريده، كما يتم إسكات جميع أجهزة الاتصال والتخابر الموجودة على الطائرة.

ويشير أصحاب نظرية المؤامرة الداخلية أن الطائرات لم تُختطف، بل تم التحكم فيها عن بُعـد، وأجـبرت على السير نحو الأهداف المرسومة لها من قبل، لذا، فإن مكتب التحقيقات الفيـدرالي يستجوب رئيس مجموعة الشركات هذه واسمه "دانيال بورهام" ورئيس المهندسين المشرف على نظام JPLS واسمه "بروس سولومون" لذا فمن العبث القيام بالبحث عن خاطفين لهذه الطائرات لأنها لم تختطف، بل وُجِّهت عن بُعد إلى الأهداف المرسومة لها، ولكن لما كان من شروط اللعبة اتهام العرب والمسلمين بتنفيذ الضربة الجوية. كان من الضروري ترتيب سيناريو خطف الطائرات من قبل إرهابيين عرب.

وعـندما اتجهـت الـتحقيقات إلى مثل هذه الوجهة الخاطئة. ظهر العديد من محاولات الـتزييف. وتـبين أن غايـة التحقيقات لم تكن من أجل الوصول إلى الحقائق وتعيين مرتكبي العملية. بل إلصاق التهمة بالعرب وبالمسلمين.

★ ★ ★

تساؤلات في الشارع الإسلامي(١)

هل تستطيع أية دولة أن تسأل أمريكا عن التالي ..

مـن الجدير بالذكر أن نشير قبل طرح الأسئلة على الولايات المتحدة ، إلى أمور تدعو إلى عدم الثقة بالتحقيقات الأمريكية ومن هذه الأمور .

---

(١) وصلتني هذه التساؤلات من قراء عبر البريد الإلكتروني.

أن أمـــريكا ضـــربت مصـــنع الشفاء للدواء في الخرطوم بناءً على تقارير مؤكدة لدى الـــــ(سي آي إيه) بأن مصنع الشفاء هو مصنع للكيماويات ومرتبط بأسامه بن لادن ، وبعد الضربة دعا السودان دول العالم جميعاً إلى تشكيل لجنة تحقيق لتنظر هل مصنع الشفاء سبق وأن صـــنع أي مـــواد كيماوية قاتلة ؟ واستجابت شركتان ألمانية وفرنسية لذلك وقامت بتحليل التربة التي زعمت الـــ(السي آي إيه) أنها استندت في معلوماتها على تحليل التربة ، فإذا بتحليل الشـــركتين يـــدل على أن المصنع لم يدخله مواد كيماوية عسكرية قط . ولم تتراجع الولايات المتحدة ولم تعوض أو تعتذر أو توافق أن تكون طرفاً في محاكمة دولية .

وكذلك ضربت الولايات المتحدة أفغانستان ودمرت معسكر البدر للكشميريين زاعمة أنه هو معسكر القاعدة الرئيسي ، بناءً على تقارير مؤكدة طبعاً !!! .

وكذلك اتهمت الحكومة الأمريكية بن لادن في تفجير سفارتيها ولا زالت حتى اليوم رغم محاكمة المتهمين لم تثبت ما يدين ابن لادن قانونياً .

وكذلـــك وجهت التهمة شبه رسمية إلى الإسلاميين في تفجير أو كلاهما . وبعد التحقيق اتضح بأنهم يمينيون أمريكيون .

وهذه التقارير الوهمية التي استندت عليها الحكومة الأمريكية في الاعتداء على الآخرين ومحاكمتهم غيابياً صادرة عن نفس الهيئة التي ستعتمد عليها الحكومة الأمريكية في إدانة أسامه بن لادن وطالبان ومن ثم ضرب أفغانستان وسبعة وعشرين هدفاً جهادياً .

لذا يجب ألا يصدّق العالم لا سيما دول الخليج تلك التقارير التي تزعم أن لدى الحكومة الأمريكية ٤٠ ألف خيط يؤدي إلى إدانة الفاعلين كما صرح رامسفايلد وزير الدفاع في ثاني يوم من التفجيرات .

ويجـــب على دول العالم بناءً على عدم الثقة في التقارير الأمريكية بسبب تاريخها السابق أن تطـــلب بتشكيل لجنة دولية للتحقيقات ولا تسمح للولايات المتحدة بأن تتكتم على أدلة التحقيقات وتوجه التحقيقات والإدانة إلى من شاءت وتصرفها عمن شاءت .

وعـــلى أقل الأحوال يجب على العالم ألا ينجر وراء الولايات المتحدة في اتخاذ أي عمل سياســـي أو عســـكري أو اقتصـــادي حتى تجيب إدارة الرئيس الأمريكي على هذه الأسئلة وما شابهها رسمياً وبكل وضوح .

س١ : مـــا الدليل المادي على تورط ابن لادن وبالتالي طالبان التي تزويه بما حدث في نيويورك وزاشنطن ؟! لكي تتخذ الولايات المتحدة موقفاً عملياً من أول يوم ضدهم .

س٢ : لماذا يعلن رئيس الــ(سي آي إيه) في مقابلة له بعد الحادث بأربع ساعات أن العمليات عـــليها بصـــمات ابـــن لادن ؟! فهل التهمة معدة مسبقاً والإدارة الأمريكية على علم بالحادث ؟! .

س٣ : لماذا تكتمت المخابرات الأمريكية على طائرتين أخريين عدا الأربع المعلنة ، كانت شركة الطـــيران (أميركا إيرلاينز) أعلنت عن فقدهما ، ثم أعلنت سقوطهما ، وسحب الخبر وتوارى عن الأنظار والأسماع ؟! .

س٤ : مـــا الســـر في أن الصـــندوقين الأسودين لكل طائرة لم يحملا أية معلومات ؟! أم أنها معـــلومات لا تناسب الإدارة الأمريكية ؟! و إذا كان ادّعي أن بعض الصناديق تأثرت بالحـــرارة فلماذا لم يستفد من صناديق طائرة بنسلفينيا رغم أن الإدارة الأمريكية أعلنت نـــبأ العـــثور عليه سليما، ثم ما لبث أن قالت أن المعلومات التي وجدت به غير ذات قيمة؟عـــلماً أنه من المستحيلات في علم الطيران المادي أن تفقد المعلومات من طائرتين تحطمتا فكيف بأربع أو ست طائرات !!.

س٥ : مـــن الذي أسقط الطائرة التي وقعت في بنسلفانيا ؟ ولماذا زعمت الولايات المتحدة أنها سقطت على إثر شجار دار بين الخاطفين والطاقم ؟! ولم ترد على التقارير التي أثبتت عن طريق شهود عيان أن مقاتلات أمريكية اعترضتها فأسقطتها ؟! .

س٦ : هل صحيح أن الإدارة الأمريكية حريصة على أرواح المدنيين أم أن الأمر يتعلق بمصالح أخـــرى ؟ ومن أجل هذا أسقطت بعض الطائرات المختطفة، وأمرت بإسقاط كل طائرة يشتبه أن تكون مخطوفة ؟!.

س٧ : كيف وصل الخاطفون إلى الثغرة التي لا يمكن معرفتها بسهولة إطلاقاً، أليس في ذلك مـــا يـــدل على احتمال أن تكون التهمة متعلقة بأشخاص في الإدارة الأمريكية ذاتها ؟! بل ربما في المخابرات أو البنتاغون ؟! .

س٨ : كيـــف اســـتطاع الخاطفون أن يصلوا إلى هذه الدقة في التوقيت والأهداف مع وجود سيارات مفخخة على الأرض انفجرت خلف البيت الأبيض وأمام وزارة الخارجية؟![1].

س٩ : كيف زعمت الإدارة الأمريكية بأن الخاطفين تدربوا في معاهد هواة الطيران ، وتقارير خبراء الطيران تشير إلى أن الضربات نفذها محترفون في الطيران ؟ بل إنها ضربات طيارين عسكريين لا يمكن أن ينفذها الهواة ؟! .

س١٠ : لماذا أغفلت الإدارة الأمريكية النظر في سجلات الطيارين الأربعة وهم أمريكيون ثلاثة منهم شاركوا في فيتنام والرابع قتل أخوه في فيتنام ، وقيل أنهم ينتمون إلى جماعات يمينية متطرفة ؟!

س١١ : لماذا لم يكن في الأمكنة المستهدفة عدد يذكر من اليهود ؟! وقد أعلنت بعض التقارير عن تغيب ٤٠٠٠ آلاف يهودي عن العمل صبيحة الضربات ؟! .

س١٢ : مـــا هـــي المواد التي صنع منها الجواز السعودي الذي وجد كما تزعم أمريكا تحت أنقاض مبنى التجارة وكان يحمله أحد الخاطفين ؟!! علماً أن الفولاذ قد انصهر من شدة حرارة الانفجار ؟! .

س١٣ : كيف نفذ الخاطفون العمليات الانتحارية ثم ذهب سبعة منهم لمزاولة أعمالهم في تونس وفي الســـعودية ؟! فـــبعد إعـــلان أمريكا عن أسماء الخاطفين وجد سبعة منهم على قيد الحياة !! .

س١٤ : لمـــاذا أعـــلن وزيـــر الخارجيـــة كولن باول عن الكشف عن أدلة تورط ابن لادن في العمليات ، ثم يعلن الرئيس الأمريكي بعده عن عدم الكشف عن الأدلة ؟ .

س١٥ : لمـــاذا أهمـــلت الولايات المتحدة التهديدات التي أصدرتها منظمة مهرب المخدرات الكولومبي أوشو بعد تسليمه لكولمبيا قبل العمليات بأسبوع وتوعدوا فيها أنهم سيجعلون واشنطن جحيماً ؟! وتزامنت العمليات مع زيارة وزير الخارجية الأمريكي لكولمبيا ؟! .

س١٦ : لماذا أهملت الولايات المتحدة الاحتفال الذي قام به متطرفون يهود أمام أنقاض مبنى التجارة ؟! .

---

(١) تم تجـــاهل هذه المعلومات تماما بعد ذلك، ولم يعد أحد يسأل عنها ولا عمن قام بارتكابها، رغم أن العثور عليهم يمكن أن يحل لغز العملية كلها.

س١٧ : لمـــاذا لم تحقق الولايات المتحدة مع رئيس الوزراء اليهودي السابق إهود براك الذي كـــان قبل العمليات بساعة يلقي خطابه في أحد المحطات الأمريكية ويدين فيه الإرهاب العربي ويدعوا لمكافحة الإرهاب ؟! .

س١٨ : لمـــاذا أعلنت شركة الطيران (أمريكا إيرلاينز) عن قائمة ركاب رحلاتها ولم يوجد على القائمة أي جنسية عربية ، وبعدها بساعات يعلن مكتب التحقيقات الفيدرالي عن قائمته فإذا بها تضم تسعة عشر عربياً على متن الرحلات ؟ ! .

س١٩ : كيـــف تخرج الولايات المتحدة بعد العمليات بعشرة أيام رسالة تزعم أنها توجيهات من أبي عطا إلى الخاطفين وجدت في أمتعته ، وهي التي تخبطت في إدانته في البداية أكثر من أربعة أيام ؟ فلو كانت الرسالة لديها كما تزعم لما تخبطت كل تلك الفترة !!.

س٢٠ : كيف أعلنت الولايات المتحدة عن عدد من الخاطفين أنهم أتباع لابن لادن وقد عرف عنهم حبهم للعهر والخمور ؟! وكيف لمن هذا حاله أن ينفذ مثل تلك العمليات ؟! .

س٢١ : كيـــف قبضـــت الولايات المتحدة على رجل سيخي وزعمت أنه من أتباع ابن لادن لمجرد أنه ملتح ؟! .

س٢٢ : لقد أعلنت الولايات المتحدة عن إحباطها لعملية خطف طائرة في مطار جون كيندي والقبض على المتورطين ولم تعلن حتى اليوم عن أي معلومة أخرى عن أولئك الخاطفين ، الذين زعموا أنهم أحد خلايا الإرهابيين العرب ؟!.

والأســـئلة كثيرة جداً والتناقضات لا تنتهي وكل يوم وهي بازدياد . فالتخبط الأمريكي واضـــح والارتباك ظاهر من أول ساعة عندما اختبأ الرئيس في ملجئه، وألقى الخطاب مرتجف الشفتين ، والهول بادٍ في عينيه .

ولكننا ننصح كل الدول أن لا تنجر وراء هؤلاء المتخبطين وليطالبوهم بالدليل العملي، فكمـــا زعمـــت ثبوت التهمة على مفجري طائرة بان أمريكان فوق لوكربي وأحضرت ألف وخمســـمائة شاهد وفشلت في إثباتها على أحدهما، والآخرلا زال يستأنف الحكم لعدم وضوح الأدلة.

شهادة أخيرة:

أمريكا خططت ونفذت هجمات ١١ سبتمبر[1] !

كشف مسؤول سابق في شرطة ولاية لوس أنجلوس الأمريكية أن حكومة بلاده متواطئة وشريكة في تنفيذ هجمات ١١ سبتمبر على مركز التجارة العالمي!

ففي محاضرة أقيمت في حرم جامعة ولاية بورتلاند - واستمرت لمدة ساعتين ونصف الساعة - اشتملت على عرض للوثائق المتصلة بهجمات ١١ سبتمبر وما أعقبها ، وحضرها حوالي ألف شخص أتوا من مناطق بعيدة مثل سياتل وسان فرانسيسكو تحدث مايك روبرت الضابط السابق في شرطة لوس أنجلوس ، وكشف عن تلك الحقائق والتفاصيل المذهلة ، وبدأ محاضرته بتقديم رهان بمبلغ (١٠٠٠) دولار أمريكي لأي شخص يستطيع أن يبرهن على أن المصادر التي أشار إليها ليست مصادر موثوقا بها ، أو أنه قد قدم معلومات مغلوطة .

ولم يبرهن أحد، لا أثناء المحاضرة - التي تجاهلها الإعلام - ولا بعدها.

وخلال المحاضرة قدم أكثر من (٤٠) معروضاً بصرياً تؤكد اشتراك الحكومة الأمريكية وعلمها المسبق بالهجمات .

وازدادت حرارة انفعال الجمهور وغضبه عندما قدم مايك روبرت مقتطفات من كتاب " طاولة الشطرنج الكبيرة " الذي أصدره في عام ١٩٩٧م " زبيغنيو بريجنسكي " مستشار الأمن القومي في إدارة الرئيس " كارتر " وعضو اللجنة الثلاثية .

وهذه المقتطفات بالإضافة إلى خرائط " لآسيا الوسطى " أوضحت بجلاء أن الحرب الحالية في أفغانستان كانت قيد التخطيط منذ أربع سنوات على الأقل. وتشير مقتطفات من ذلك الكتاب إلى الحاجة الماسة إلى هجوم يشابه هجوم " بيرل هاربور " .

وكانت المحاضرة حافلة بالإثباتات الوثائقية ، وأشار " مايك روبرت " ضمن أشياء أخرى ، كيف أن رئيس الاستخبارات الباكستانية - الذي تقلد منصبه بموافقة وكالة الاستخبارات المركزية - بعث بالتلكس حوالة بمبلغ ١٠٠ ألف دولار إلى " محمد عطا " الذي يعتبر الخاطف الرئيسي.

---

(١) صحيفة الشرق القطرية - عن لوس أنجلوس تايمز الأربعاء ٢٠٠١/١٢/١٩م .

وعندما قدم " مايك روبرت " خلال محاضرته البيانات والشواهد البصرية حول أحداث ١١ سبتمبر انفعل الجمهور وأجهش بعضهم بالبكاء .

وكان هناك اهتمام خاص بمشروع خط الأنابيب الذي تم بعثه مؤخرًا ، ويهدف إلى نقل النفط والغاز من جمهوريات آسيا الوسطى إلى ساحل باكستان للتصدير إلى الصين واليابان .

وأوضح " مايك روبرت " كيف أن الدكتور " هنري كيسنجر " كان العقل المدبر لتلك الصفقة .

وعند انتهاء المحاضرة وقف الحضور وصفقوا لمدة دقيقتين .

من هو " مايك روبرت " ؟

" مايك روبرت " (٤٩ سنة) مولود في واشنطن ، وحصل على مرتبة الشرف في العلوم السياسية من جامعة كاليفورنيا وهو سليل أسرة لها تاريخ وجذور عميقة في العمل في المجالين الاستخباري والعسكري . والتحق بشرطة لوس أنجلوس وعمل بها قبل تخرجه من الجامعة . وأصبح ضابطًا في عام ١٩٧٣م .

عمل في خمسة أقسام من شرطة لوس أنجلوس . وخلال خمس سنوات في الخدمة الفاعلة الممتازة نال ثلاث عشرة إشادة ، وأربعة ثناءات .

وقد قامت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الـ (C.I.A) بمحاولتين لتجنيد " مايك " للعمل لصالحها . كانت أولى المحاولتين قبيل تخرجه من الجامعة . والثانية بعد أن أشاد به المسؤولون كضابط ميداني ، ومحقق ناشئ برع في مجال التحقيق حول قضايا تتعلق بالمخدرات .

وفي عام ١٩٧٧م اكتشف " مايك " أن الـ (C.I.A) متورطة في عمليات استجلاب المخدرات داخل الولايات المتحدة الأمريكية عبر مدينة نيوأورليانز . وذلك في عملية تهريب أشرفت عليها أحد عناصر الـ (C.I.A) . وكانت خطيبته في ذلك الوقت .

وأخذ " مايك " في الحديث عن تلك المعلومات وإفشاء خباياها حتى طرد من إدارة الشرطة التي يعمل بها في لوس أنجلوس . وذلك في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨م بعد تعرضه لمحاولة اغتيال وتهديدات . ومنذ ذلك الحين استمر في إفشاء ما لديه من معلومات.

وفي عام ١٩٨١م تحدث " مايك " عن المخدرات وتورط جهاز الـ (C.I.A) فيها أمام الملأ داخل البيت الأبيض عندما كان يزور صديق الدراسة " كريغ فيولر " الذي أصبح فيما بعد معاونًا عسكريًا لـ " جورج بوش " الأب عندما كان نائبًا للرئيس الأمريكي آنذاك .

وفي المقالات التي نشرها استفاض في الحديث عن المواجهة التي تمت بينه وبين مدير جهاز الـ (C.I.A) " جون ديوتش " في الخامس عشر من نوفمبر عام ١٩٩٦م التي أدت إلى استجوابه من قبل لجنتي الاستخبارات في البيت الأبيض والكونغرس .



لقد كنت مضطرا للاستطراد في كشف الأكاذيب الأمريكية، كي نصل إلي فهم حقيقة دوافع ما حدث، ومن ارتكبه ولماذا ارتكبه.

ومزيد من التفاصيل يظهر خيبة لا تتصور.. فالضابط المسئول في البنتاجون تلقى إخطارا بخطف الطائرات. و أمر بإقلاع الطائرات من قاعدة جوية على مسافة دقيقتين من واشنطن. ليفاجأ بأن الطيارين غير موجودين في أماكن عملهم ..!! فأصدر أمرا إلى قاعدة على بعد ٢٠٠ ميل، وكانت أطقم الطائرات غير كاملة. إلا أنها أقلعت بأطقمها الناقصة لتصل بعد تدمير البرج الثاني، وعادت الطائرات إلى قاعدتها. والقائد الميداني في البنتاجون، في مركز القيادة العسكرية علي مستوى العالم يكاد يجن وهو يجري الاتصالات بباقي القواعد الأمريكية ليفهم ما يحدث، خاصة بعدما اكتشفوا فقد برنامج الطوارئ من علي كمبيوتر البنتاجون كما أشارت المخابرات الهولندية. ومرت ساعة كاملة، وبعدها توقف القائد الجبار عن جهوده. فقد كان مكتبه، مكتب قيادة العالم هدفا للطائرة الثالثة. ومات الرجل دون أن يفهم ما يحدث.

الخسائر المادية هائلة إلا أن لها في النهاية حدودا.. أما الخسائر المعنوية فهي بلا حدود. لقد ثبت فشل المنظومة الفكرية والعسكرية والتكنولوجية للولايات المتحدة الأمريكية.. وهو لبس ما يمكن استعاضته، لأن الشك سيظل دائما موجودا ويقضي بأن الغرور الجامح يغطي كيانا زائفا، وعلي المستوى النفسي والمعنوي، فقد يفسر هذا جانبا من القسوة التي لا حدود

هـــا، والمـــبالغة في الغطرســـة، التي تصرفت بهما الولايات المتحدة بعد الأحداث، ربما كنوع من التعويض.

★ ★ ★

وانتقـــلت أمريكا – كما عبرت سفيرة أمريكية – من طور الدهشة والذهول إلى طور الغضب الجامح إلى تساؤلات خافتة: لماذا يكرهنا العالم، إلى شعور أخير بالخوف.. وهو شعور لم يشعر به الأمريكيون قط .

بقيت الكرامة الجريحة.. وكان لابد من وجود ضحية..

وكانت الضحية موجودة .. فلم يعد سواها: العالم الإسلامي..

وكـــانت الخطـــة موضوعة تنتظر الذريعة لتنفيذها.. ذريعة يرجح الغربيون أنفسهم أنها مصـــنوعة.. فالمكاسب الناجمة عنها هائلة..يضيق هذا الكتاب عن حصرها ولكن إشارة سريعة إليهـــا تكفـــي، فمن التواجد في مركز يتيح لها تهديد الصين وروسيا وباكستان والهند وإيران والعـــالم العربي، إلي اكتمال السيطرة على بترول العالم وخطوط مواصلاته، إلى إحكام الحصار النهائي حول العالم الإسلامي كله في آخر حرب صليبية.

ولم يكـــن ثمة دليل واحد على مسئولية بن لادن.. فأخذت أمريكا تلفق الأدلة وتتخبط تخبط جاهل عيي.. لكنه الجاهل العيي الذي يمسك في يده مسدسا سيطلقه على الفور على من يكذب حججه المتهافتة..

ولم تكـــن الأدلـــة التي قدمتها محض غباء ولا مجرد استهانة بالعالم الإسلامي.. بل كانت إهانة ..

تصرفت أمريكا – أستغفر الله العظيم – كإله، لا.يرد قضاؤه ولا يكذب قوله.. إله ذو قـــوة مطلقة، وحتى نهاية الحرب المعلنة في أفغانستان بانسحاب ما يطلق عليهم الأفغان العرب

مــن تورا بورا رفضت أمريكا أن تعترف بسقوط قتيل واحد[1] في الاشتباكات مع المجاهدين في أفغانستان، و أن العدد القليل الذي قتل إنما قتل بسبب أخطاء أمريكيين آخرين في سقوط طائــرة أو اصــطدام طائــرتين أو قصف خاطئ، رغم أن مصادر أمريكية صرحت أن القتلي أربعــون، بينما صرحت مصادر أوروبية أن عدد القتلي والجرحي الأمريكيين يتجاوز الألف. لكن هذه الحقيقة كانت تتنافي مع الألوهية التي تدعيها أمريكا فأنكرتها.

لكن كم الإجرام والدمار والكذب والقتل الذي مارسته الولايات المتحدة يجعلها شيطانا لا إلها.. ويجعلها مسيخا دجالا .. يدمر قيم العالم كما يدمر دوله، مسيخ دجال: من دخل جنته هلك، ومن دخل ناره نجا.

(١) اعــترفت أمريكا بعد ذلك بجرح أمريكي واحد ثم اعترفت بقتل آخر من جراء رصاصة أطلقها مجهول في جــلال أبــاد . وكأنمــا كــانت تــتوقع أن يلقى لهم هذا المجهول جواز سفر أو رسالة ليكشف لهم عن شخصيته. وبالرغم من ذلك، فقد كانت أمريكا كاذبة، وفى ذلك الحادث، لم يصب الجندى الأمريكي برصاصىن مجهول، بل كان كمينا سقط فيه من ٢٠-٢٥ جنديا وضابطا.. جميعهم قُتلوا.

بوش الدجال

من دخل جنته هلك.. ومن دخل ناره نجا..

الاختيار ليس أن نكون مع أمريكا أو مع الإرهاب.. بل مع أمريكا (الشيطان) أو مع الله..

من يفتي بجواز التحالف مع أمريكا لضرب أفغانستان ملعون حتى لو تعلق بأستار الكعبة.. فاسق حتى ولو كان شيخ الأزهر..

ينفجر الغضب في قلبي حتى يكاد يقتلني.. وليته قتل..!!

تتأجج النار بين جوانحي.. حتى تكاد تخنقني.. وليتها تخنق..!!..

تقبض أصابعي على جمر لا يستقر فيها و إنما ينتقل منها ليسرى في العروق مسرى الدم وليدخل كل خلية من خلاياي حتى يصبح لكل خلية أتونها الخاص تحترق فيه..

ذلك يا رب.. يا قهار يا جبار يا مذل.. يا علام الغيوب .. لأن أعداءك.. حطب جهنم من كتاب وفقهاء سلطان وساسة .. يريدون منا أن نحول أمريكا إلى مطلق علينا أن نؤمن به سرا وجهرا.. وعلينا أن نؤمن بغيبها - فما تقوله هو الصواب ولو كان بلا دليل.. وما ترفضه هو الذنب الأكبر وعقوبته جاهزة ناجزة.. وفى نفس الوقت.. يريدون يا رب أن نكفر بك.. وإلا كنا مع الإرهاب..

وليس الاختيار المعروض أن نكون مع أمريكا أو الإرهاب.. بل مع أمريكا أو الله..

لقد حاربونا وجرمونا وحاصرونا وافتروا علينا الأكاذيب لأننا نقول قال الله تعالى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم..

و الآن يريدون منا أن نردد خلفهم: قال بوش .. وقال باول..

وأن يكون إيماننا بما يقولان إيمانا مطلقا..



هل سميتهم حطب جهنم..

ذلك لا يكفي..

من لي بكل قواميس الدنيا لأجمع منها كل ما يستحقونه من نعوت ..

بل من لي بمن يصك من الحروف كلمات لم تنطق من قبل أبدا لأصف بها إجراما وكذبا لم يسبق مثله في العالمين..

مـــن لي بألفــاظ لم تعــرفها القواميس قط ... لتصف ذلك المشهد الدامى لأقوى دولة فى الدنيا.. لا تكتفي فقط بتجييش جيشها الجبار للهجوم على بلد فقير يعاني المجاعة لمجرد شبهة على فرد – وليس على الدولة – لم يقم عليها أي دليل..

هل رأيتم يا قراء إجراما أكثر.. أو وحشية أشد..

وهـــل رأيـــتم كذبا أفجر من ذلك الكذب الذي يصف هذا البلد بأنه راع للعالم الحر ولحقوق الإنسان..

هذا الراعي الذى يقيم الدنيا ولا يقعدها من أجل أربعة آلاف مدني من رعاياه هو الذي يملك ولا فخر أكبر قائمة فى التاريخ لضحاياه من المدنيين .. عشرات الملايين..

★★★

فلكي تكون – أيها القارئ – متحضرا، بل لكي تكون مجرد إنسان ، عليك أن تبدأ أي حديـــث بتقديم القرابين إلى الأوثان في واشنطن و إلى مسيخها الدجال الذي أعلن بدء الحرب الصليبية بإدانة عمليات الإرهاب في نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر..

فـــإن عنّ لك أن تذكر شهداءنا وضحايانا فأنت إرهابي متخلف وحشى همجي لا تجوز عليك رحمة ولا عقاب لك إلا القتل..

★★★

لو أنني فقأت أيها القارئ عينك..!!

فهل أنا مجرم؟!!..

أم نبحث أولا ماذا فعلت أنت بي..

فإن كنت قد فقأت عينيّ كلتيهما فأنت المجرم ولا ريب..

هكذا يقول شرعنا وبهذا تنطق شريعتنا إذ روي عن الفاروق عمر بن الخطاب أنه قال ما معناه: إذا جاءني رجل مفقوءة عينه فلا أحكم له حتى أرى خصمه فقد تكون مفقوءة عيناه..

★★★

مـــاذا تقول أيها القارئ فيمن ينظر إليك مهددا مزدريا في كبرياء و أنفة واستعلاء كي يقول لك :

لا تربط بين الأمرين.. لا تربط بين فقأ العين وفقأ العينين..

ماذا تقول؟!..

★★★

لكنها لم تكن عينان فقط ما فقئتا..

فعـــدد من قتل – في عالمنا العربي فقط – بسبب الحلف الصليبي الصهيوني الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية في نصف القرن الأخير يتجاوز ثمانية ملايين مسلم..

ما يحدث في فلسطين الآن ترونه يا قراء بأعينكم ولستم بحاجة إلى أن أصفه لكم..

ولكن تذكروا أن مسيخ أمريكا لم يعتبر أبدا أن قتل المدنيين و الأطفال والشيوخ والنساء إرهابا بل لقد استعمل الفيتو كي يمنع إدانة مرتكبيه..

قصـــف المدنيين بالدبابات والصواريخ والطائرات و الأسلحة المحرمة واليورانيوم المشع مباح وحلال ودفاع عن النفس لكن مواجهة الدبابات بالحجارة إرهاب..

نعم..

مسيخ أمريكا مجرم..

رئيس أمريكا مجرم..

ولســـت أنا الذي أقول ذلك.. بل يقوله أمريكي .. وليس أمريكيا عاديا .. بل دارس قـــانون مـــن طراز رفيع شغل ذات يوم أرفع المناصب القانونية في الولايات المتحدة نفسها.. منصب النائب العام.. والرجل هو رامسى كلارك..

ثم يعقب أمريكي آخر.. ويهودي أيضا هو نعوم تشومسكي بقوله :

"إن هـناك ما يكفي من الأدلة لاتهام كل الرؤساء الأمريكيين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بأنهم مجرمو حرب"..

★★★

لقد مارست أمريكا تعتيما إعلاميا كاملا علي عملياتها في أفغانستان خاصة بعد أن أظهرت الأيام الأولي للحرب مدي الهمجية والبربرية الأمريكية لينتهي الأمر بقصف مكتب قناة الجزيرة وليكون البث كله بعد ذلك خاضعا للرقابة الأمريكية.

لا نعرف الكثير إذن مما حدث في أفغانستان، لكننا نستطيع قراءة المنهج والسلوك والأداء في مناطق أخري من العالم قام بفضحها أوروبيون و أمريكيون.

ورد في كتاب : "التنكيل بالعراق : العقوبات والقانون والعدالة" لمؤلف إنجليزي هو جيف سيمونز[1]: " إلى المليون طفل عراقي الذين قتلتهم الحرب البيولوجية الأمريكية في عقد التسعينيات. وإلى مئات الآلاف الآخرين الذين سيلحقون بهم في الأشهر والسنوات القادمة "..

كما ورد قول نعوم تشومسكي: " ... التنكيل بالعراق سجل حافل بالجرائم الرهيبة المستمرة ، يصدم القارئ، ومن شأنه أن يُشعرنا جميعا بالعار.."

وقول النائب البريطاني توني بن : " إنه سجل متّقد بالغضب. وأكاديمي موثّق في آن معا"..

وقول هوك ستيفتز : " ... وصف مدمر ... لقد نجح المؤلف من خلال وثائقه الوفيرة وبسطها بأسلوب ساخط لاذع في تسليط ضوء قوى على أكثر جرائم الإبادة الجماعية وحشية في القرن العشرين .."

يصرخ مؤلف الكتاب : " إنني أشعر بالعار المتسم بالعجز إزاء ما حكمت به حكومتي والمتواطئون معها في الإبادة الجماعية. أولئك المشلولون نفسيا. ومن ينقلون الشعور بالذنب.."[2]

(١) التنكيل بالعراق – مرجع سابق.

(٢) راجع للمؤلف. "الوعي يترف من ثقوب الذاكرة" – مكتبة مدبولي – و : " بغداد عروس عروبتكم " – مدبولي الصغير.

ولنقرأ ما أورده الكتاب من شهادات كتاب أجانب ...

يقـــول ديـــتر هانوش الموظف بالأمم المتحدة : " إن شحة الغذاء المخيفة تسبب أضرارا لا يمكـــن معالجـــتها لجيل كامل من الأطفال العراقيين ... بعد ٢٤ عاما من العمل في الميدان، ولا ســـيما في أفريقيا ابتداء من بيافرا لم أكن أعتقد أن أي شئ يمكن أن يصعقني. غير أن هذا لا يمكن مقارنته بأسوأ السيناريوهات التي شاهدتها ... " .

جريج لاموت صحفى بريطانى يحكى:" إنه أبشع شئ رأته عيناى في حياتي. الجثث في كل مكان. وأشلاء الجثث في كل مكان ".

★ ★ ★

تســـتطيع أن تقـــرأ أيها القارئ من الآن نتائج الهجوم الأمريكي على أي بلد إسلامي.. تستطيع أن تقرأ نتائجه فيما حدث في العراق و أفغانستان..كما تستطيع بنفس الطريقة أن تقرأ ذات النتائج لما سيحدث فى ستين بلد إسلامي إن لم تتحد لمواجهة الوحش الأمريكى..

ولنعد إلى كتاب جيف سيمونز في حديثه عما فعلته راعية العالم الحر والأمينة على الحرية والديموقراطية والشفافية وراعية حقوق الإنسان:

مراســـل مجلة نيوزويك الأمريكية يحكى: "مررنا بجنود موتى راقدين. وكانوا بلا علامة عـــليهم. ووجدنا آخرين بتروا بترا شديدا. ساقان في سروالهما على بعد ٥٠ ياردة من نصف الجسم الأعلى..".

صحفي بريطاني آخر علق ساخرا: " كانت الحرب نووية بكل معنى الكلمة. جرى تزويد جنود البحرية والأسطول الأمريكي بأسلحة نووية تكتيكية. والأسلحة المطورة أحدثت دمارا يشـــبه الدمار نووى. استخدمت أمريكا متفجرات الوقود الهواء المسماة Blu-82 وهو سلاح زنـــته ١٥٠٠٠ رطـــل وقـــادر على إحداث انفجارات ذات دمار نووى حارق لكل شيء في مساحة تبلغ مئات الياردات. الأبشع قنابل اليورانيوم المستنزف التي جرى استخدامها لأول مرة. وهى أرخص و أحط طريقة للتخلص من نفايات المفاعلات والمحطات النووية، الدبابات الأمـــريكية أطـــلقت ستة آلاف قذيفة يورانيوم، والطائرات أطلقت عشرات الآلاف، وتقرير سرى لهيئة الطاقة الذرية البريطانية يقدر ما خلفته قوات التحالف في ميادين الحرب بما لا يقل عـــن أربعـــين طنا من اليورانيوم الناضب، أضف ما جرى من تدمير المفاعل النووي العراقي

ومحطـات الطاقـة ومصـانع الكـيماويات، وهكذا توالت كوارث الحرب الأكثر تسميما في التاريخ، وتقدر مصادر غربية أن هناك ٨٠٠ طن من غبار وذرات اليورانيوم الناضب سوف تسـتمر في الهـبوب على شبه الجزيرة العربية لمدى طويل جدا، فقد تم تلويث الهواء والتربة والأنهـار بكميات مفزعة من الإشعاع المسبب للسرطان، والكارثة مستمرة لآلاف السنوات القادمـة، الأطفـال يلعبون ببراءة بدمى مصنوعة من قذائف اليورانيوم، والنتيجة موت بطيء ومؤكد، مكتب السكان الأمريكي يقول أن عمر العراقيين هبط ٢٠ سنة للرجال و ١١ سنة للنسـاء، ونصف مليون حالة وفاة بالقتل الإشعاعي في العاجل والآجل، سبقت حرب الإبادة المحرقة وتلتها واستمرت حتى الآن في حصار غير مسبوق ولا ملحوق في وحشيته..".

ولنـترك – مؤقتا – جيف سيمونز الذي كشف لنا ما حدث للعراق، والذي نحاول منه أن نستكشـف ما حدث لأفغانستان وما سيحدث لستين بلد إسلامي.. لنتركه فلدينا شاهد أمريكي يطل علي بعض الحقيقة غما جري في أفغانستان.

فقـد نشرت جريدة "بلتيمور كرونكيل" الأمريكية التي تصدر شهريا في عددها الصادر في شـهر ديسمبر ٢٠٠١م تحقيقا جاء فيه "أن القاذفات الأمريكية قصفت أفغانستان بقذائف اليورانيـوم المسـتنفد؛ وهـو مـا أعطى للأفغان الذين يموتون من الجوع والقصف الفرصة لأن يذوقوا لأول مرة الموت بطعم مختلف، وهو مجموعة الأمراض السرطانية والفشل الكلوي الـذي يسببه الغبار المتطاير عن قذائف اليورانيوم المستنفد"، مشيرة إلى أن الولايات المتحدة قصـفت أفغانسـتان بصـواريخ "تومـاهوك" وقذائف أخرى طائرة. ومعظم هذه القذائف من اليورانيوم المستنفد.

وأوضح التحقيق الذي نشرته الصحيفة أن المسألة لن تقتصر على مجرد استنشاق الغبار المـتطاير عـن قذائف اليورانيوم المستنفد، وإنما يتعداه إلى تلويث نهر كابول وهو مصدر المياه الرئيسي بأفغانستان؛ وهو ما يعني انتشار الأمراض السرطانية، خاصة سرطان الدم بين الأفغان. والحمى الترفية. وتقويض الجهاز المناعي في الجسم البشري .

كما أبرزت الجريدة الشهرية أن هذه المخاوف لم تقتصر على أفغانستان فقط. وإنما انتشر الخـوف ليشمل وسط آسيا؛ حيث ينتظر أن تحمل الرياح والأنهار غبار قذائف اليورانيوم إلى جيران أفغانستان، خاصة باكستان التي سوف ينالها النصيب الأوفر من هذا الغبار بتلويث مياه نهر "إندوس" الباكستاني الذي يعد نهر كابول أحد روافده .

وجدير بالذكر أنه فيما أوقف كثير من الدول استخدام اليورانيوم المستنفد في صنع قذائفها، فإن وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاجون) وحلف شمال الأطلسي (ناتو) يصران على أن الأعراض التي ظهرت على المدنيين والجنود العراقيين والصرب في حرب الخليج الثانية ۱۹۹۱ وحرب البلقان ليست بسبب هذا النوع من القذائف.

وكانت كل من إيطاليا وفرنسا والبرتغال قد طالبوا الناتو بوقف استعمال هذه القذائف، خاصة بعد أن تأكد لدى هذه الدول أن الجنود الذين شاركوا في حربي الخليج الثانية والبلقان أصيبوا بأمراض تشير بما لا يدع مجالا للشك في أن اليورانيوم المستنفد كان سببا مباشرا في ظهورها.

ويقول عدد من الخبراء: إنه لا تنبعث عن اليورانيوم المستنفد في حالته الطبيعية إلا كميات قليلة جدا من الإشعاعات، ولكن عند اصطدام القذائف المصنوعة منه بجسم صلب تتحول إلى غبار وأبخرة تسبب أضرارا صحية بالغة بعد استنشاقها.

وقد جزم العديد من العسكريين الذين شاركوا في حرب الخليج الثانية ضد العراق أن لهذه المادة دورا في العلل الصحية التي يعانون منها، والتي أطلق عليها بشكل عام "مرض حرب الخليج". وأن مواليد هؤلاء العسكريين يولدون بمجموعة من الأمراض والتشوهات الخلقية.

وكانت الولايات المتحدة قد استخدمت وحلفاؤها قذائف اليورانيوم المستنفد ضد العراق في حرب الخليج الثانية بكثافة، حتى قيل إن مجموع ما تم قصف العراق به من هذه القذائف وصل لـ ۳۰۰ طن. وهو ما تسبب في زيادة نسبة الأورام السرطانية في العراقيين بشكل حاد. ووصلت هذه الزيادة إلى ٦٠٠٪ بالنسبة لسرطان الدم في جنوب العراق. خاصة بين الأطفال –حسب تقرير جريدة "بلتيمور كرونكيل"–. وفيما نالت العراق هذه الحجم الضخم من قذائف اليورانيوم المستنفد، فإن يوغسلافيا نالت ۳٪ فقط من هذه الكمية، أي حوالي ۱۰ أطنان فقط.

تري .. كم طنا قذفت بها أفغانستان؟!

ربما نعرف – كما حدث مع العراق – بعد خمسة أعوام.. وربما لا نعرف أبدا.. فراعية الشفافية والحرية تفرض حظرا شاملا علي الإعلام.. والدولة التي طالما نددت بدول الستار الحديدي وضعت حول نفسها ستارا يبدو الستار الحديدى إزاءه مجرد لعبة أطفال.

و لأننا لا نعرف ماذا حدث وماذا يحدث فليس أمامنا إلا العودة إلى ما حدث في العراق لنقرأ منه ما يحدث الآن وما سيحدث.

يواصـــل جيف سيمونز: " إن الولايات المتحدة هي المهندس الراعي لعملية الإبادة هذه التي تستمر منذ أعوام، ويعمل المسئولون الأمريكيون عن قصد وبتصميم قاس وفظ على منع الإعانة عن شعب يعاني الجوع والمرض، ولا تنفى واشنطن هذه الحقائق البشعة.."

★★★

لا تربط بين الأمرين.. بين ما فعلته أمريكا بالعالم وما تفعله وبين أحداث ١١ سبتمبر.

ولكي تكون متحضرا لا تذكر ما أحصاه جيف سيمونز ونعوم تشومسكى من جرائم الأمريكيين ...

تلك الجرائم التي تبيد فيها أمريكا الشعوب والأمم من أجل أطماعها الوحشية:

في ليـــبيريا قـــتل في أوائل عقد التسعينيات أكثر من ١٥٠ ألف شخص ، وقتل الآلاف في زائير (أرغم نصف مليون شخص على هجر منازلهم بسبب التطهير العرقي)، وشرد مليون نســـمة في سيراليون . ومات زهاء ٦٠ ألفا في الحرب والمجاعة عام ١٩٩٠ وحده . وفي أنغولا مـــات ٢٠ ألفا أثناء حصار منظمة يونيتا لمدينة كويتو الذي استمر ٨ أشهر. وهو حدث بين أحداث مماثلة عدة. السياسات الاستراتيجية الأمريكية في أفريقيا التي لا يكشف عنها ...

... أصـــبحت القـــوة الجويـــة الملكية والقوة الجوية للجيش الأمريكي راعيتي القصف الاســـتراتيجي ومضـــيتا في إتقان أسلوب التدمير الواسع للمدن باستعمال القنابل الحارقة ... كان الجنرال جورج مارشال ، رئيس الأركان ، قد أمر مساعديه في الواقع بتخطيط هجمات حارقـــة (تحرق الهياكل الخشبية والورقية للمدن اليابانية الكثيفة السكان . وفي إحدى الليالي دمـــرت ٣٣٤ طائرة أمريكية ما مساحته ١٦ ميلا مربعا من طوكيو بإسقاط القنابل الحارقة. وقتلت ١٠٠ ألف شخص وشردت مليون نسمة . ولاحظ الجنرال كيرتس لوماي بارتياح أن الرجال والنساء والأطفال اليابانيين قد أحرقوا، وتم غليهم وخبزهم حتى الموت). كانت الحرارة شـــديدة جدا حتى أن الماء قد وصل في القنوات درجة الغليان وذابت الهياكل العدنية وتفجر الـــناس في ألســـنة مـــن اللهب . وتعرضت أثناء الحرب حوالى ٦٤ مدينة يابانية، فضلا عن هيروشيما وناغازاكي ، إلي مثل هذا النوع من الهجوم . ويشير أحد التقديرات إلى مقتل زهاء

٤٠٠ ألــف شخص بهذه الطريقة. وكان هذا تمهيدا لعمليات الإبادة التي ارتكبتها الولايات المتحدة ضد أقطار أخرى لم تهدد واشنطن.

وبــين عــامي ١٩٥٢ و ١٩٧٣ ذبحت الولايات المتحدة في تقدير معتدل زهاء عشرة ملايين صيني وكوري وفيتنامي ولاووسي وكمبودي . ويشير أحد التقديرات إلى مقتل مليوني كــوري شمــالي في الحرب الكورية وكثير منهم قتلوا في الحرائق العاصفة في بيونغ يانغ ومدن رئيسة أخرى، ويذكرنا هذا بالهجمات الحارقة على طوكيو (القتلى حوالى ٣ ملايين) .

وشــهد الجنرال ايميت اودونيل . قائد قيادة قاذفات القوة الجوية في المشرق الأقصى. في جلسات الاستماع المكارثية أن "شبه الجزيرة الكورية برمتها تقريبا في حالة مفجعة، إذ دمر كــل شــيء ولم يبق شيء يستحق الذكر قائما". وأن دخول القوات الصينية المفاجئ كوريا الشمالية لردع ماك ارثر من عبور نهر يالو إلى الصين قد منح قاذفات القنابل الأمريكية فرصا جديــدة للقــتل الجماعي . (كنا بلا مهام طيران حتى قدم الجيش الصيني . إذ لم يكن قد بقي هــدف في كوريا : سجلات جلسات الاستماع المكارثية) وبعد أقل من عقد واحد أخضعت فيتنام ولاوس وكمبوديا إلى النوع نفسه من المعاملة .

وذكــر الراهب البوذي الفيتنامي ثيتش ثين هاو أنه بحلول منتصف عام ١٩٦٣ سببت حرب فيتنام مقتل ١٦٠ ألف شخص. وتعذيب وتشويه ٧٠٠ ألف شخص. واغتصاب ٣١ ألــف امــرأة . ونزعت أحشاء ٣٠٠٠ شخص وهم أحياء . وأحرق ٤٠٠٠ حتى الموت . ودمــر ألــف معــبد . وهوجمت ٤٦ قرية بالمواد الكيماوية السامة . الخ . وأدى القصف الأمريكي لهانوي وهايفونغ في فترة أعياد الميلاد من عام ١٩٧٢ إلى إصابة أكثر من ٣٠ ألف طفــل بالصــمم الدائم . وبعد الحرب بينما عانى الأمريكيون الكرب بسبب ٢٤٩٧ جنديا مفقــودا كافحت العوائل الفيتنامية للتكيف مع ٣٠٠ ألف مفقود. وربما بلغ عدد القتلى في فيتــنام ٤ ملايــين فضلا عن ملايين كثيرين آخرين من المعوقين والمصابين بالعمى والصدمات والتشــويه . وتقلصــت فيتــنام إلى بلد للقبور ومبتوري الأعضاء والأرض المسممة واليتامى والأطفال المشوهين .

لعــل مجمــوع الموتى والمشوهين ، ضحايا الأيديولوجيا الغربية ، يصل إلى ٢٢ مليونا. إلا أن الكآبة الأمريكية بسبب (مرض فيتنام) لا علاقة لها بذلك .

إن دمـــاء الكوريـــين والفييتناميين واللاووسيين والكمبوديين ليست وحدها التي لوثت الأيدي الأمريكية التي لا يمكن محو الدماء عنها. فقد شاركت الولايات المتحدة على نحو مباشر وغير مباشر في عمليات التعذيب والتشويه والقتل في أقطار كثيرة أخرى في أنحاء العالم . وثمة تواطؤ أمريكي واضح في المجازر الإندونيسية والحروب ضد الناس المكابدين في أمريكا الوسطى (نيكـــاراغوا والســـلفادور وغواتـــيمالا وهندوراس : قتل مئات الآلاف الآخرين عن طريق الأسلحة الأمريكية والتدريب والمشورة الأمريكيين ونيابة عن أمريكا) في الاضطرابات المدنية الأمـــريكية (الصـــراع الدامـــي في وأنغولا وموزمبيق ناميبيا وغيرها)، وفي أعمال القمع التي ارتكـــبها الطغـــاة الذين دعمتهم أمريكا عبر العقود (سوموزا وبينوشيت وماركوس وموبوتو وباتيستا وديم وكي وري ودوفاليه وسوهارتو وسافيمبي وغيرهم) . ثمة مثال واحد من أمثلة كـــثيرة : ذبح الجنود الذين دربتهم الولايات المتحدة في الوزوتي عام ١٩٨١ حوالى ١٠٠٠ فـــلاح أعزل منهم ١٣٩ طفلا . وقتل الجيش الأمريكي المدرب في غواتيمالا أكثر من ١٥٠ ألف فلاح بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٨٦.

★ ★ ★

لا تربط بين كل هذا – أيها القارئ وبين أحداث ١١ سبتمبر..

لا تعترض على أن هذا الوحش المسعور هو الذى يريد أن يعلمك حقوق الإنسان كيف تكون..

وتعلم..

لا تتســـاءل عـــن معنى الديموقراطية والحرية والإخاء والمساواة والحداثة وقيم الحضارة الغربية..

لا تتساءل..

ولا تقل قال الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم..

بل لا تقل أيضا قال تشومسكى أو سيمونز أو كلارك..

ليس لك إلا أن تقول قال بوش وقال باول وقال رامسيفيلد..

فإن لم تفعل فأنت إرهابي متخلف تستحق القتل..

إيـــاك أن تتورط حين يحدثوك عن الضحايا الأبرياء من المدنيين الأمريكيين أن تذكر لهم ما أورده جيف سيمونز في كتابه، حين سئلت مادلين أولبرايت وزيرة خارجية أمريكا في ذلك الوقــت : هـــل يســـتحق تنفيذ الأهداف الأمريكية قتل نصف مليون طفل عراقي.. فأجابت بلا تردد في كلمتين فقط: نعم يستحق.

لا تتساءل قط: هل كان النصف مليون طفل مدنيين آمنين أم عسكريين..؟!..

★ ★ ★

ينفجر الغضب في قلبي حتى يكاد يقتلني.. وليته قتل..!!

تتأجج النار بين جوانحي.. حتى تكاد تخنقني.. وليتها تخنق..!!..

فلم أعد يا رب أحتمل كل هذا الذل والمهانة والعار..

لم أعد أحتمل..

ويخيل إليّ أحيانا أن كل يوم جديد أعيشه هو وزر جديد..

إذ كيـــف أري هذا الذى يحدث ولا أقدم على الاستشهاد يا رب دفاعا عن أمتك وعن دينك..

وكيف أراه فلا ينفجر قول الحق مني لأصف الكافر أنه كافر والفاسق أنه فاسق والخائن أنه خائن.. كيف أراه فلا أسمي الأمور بأسمائها..

ويمر اليوم وراء اليوم وتتضاعف أوزاري..

كل يوم بوزر..

كل يوم بوزر..

كل يوم بوزر..

★ ★ ★

لا تـــنـــس أبدا أيها القـــارئ حتى لا يصيبك صاروخ كروزو أو تقبض عليك قـــوات الـــ FBI أن تشيد بالشعب الأمريكى العظيم..

لا تـــناقش المبررات القانونية والأخلاقية لحرب أمريكا الصليبية ولا تعارض الهجوم على أفغانستان ثم من بعدها ستين دولة عربية أخرى..

لا تقل أن هذا ظلم وحشي وسعار مجنون وغطرسة بلا حدود..

لا تناقش..

فالرد المفحم جاهز..

٨٠% من الشعب الأمريكي يوافق على ذلك..

وذلك هو المطلق.. هو - أستغفر الله العظيم - القدر الذي لا نستطيع له ردا..

إياك أن تتورط وتنطق بما في قلبك:

إيـــاك أن تقـــول هذا لا يعني إلا شيئا واحدا.. و هو أن ٨٠% من الشعب الأمريكي مجرمون كقادتهم..

إياك أن تقول ذلك..

لكن تشومسكي وكلارك يقولانه..

أمـــا سيمونز فيناقش كيف يستطيع المواطن الغربي أن يشارك حكامه جرائمهم الوحشية بعين لا تطرف وضمير لا يحس..

يفسر جيف سيمونز قدرة أمريكا - شعبا وحكومة - علي تبرير اعمالها الإجرامية بأن أجهـــزتها الإعلاميـــة تبدأ قصفها المركز علي من تنتوي آلتهم الحربية تدميرهم .. فيصورونهم رمـــوزا للشـــيطان والشر فإذا عاني الأبرياء فاللوم على قيادتهم . وإذا فقد الأطفال الرضع بصرهم بسبب الحاجة إلى الأنسولين كان علي الإرهابيين الأشرار التفكير في ذلك مقدما. وإذا اضـــطرت النســـاء إلى تحمـــل آلام عمـــلية الولادة القيصرية بلا مخدر فلا بد أن الإرهابيين متوحشـــون . إنهـــا عمـــلية نقل الذنب . إذا كنت أنا وكان بلدي وحلفاؤنا وعقيدتنا نمتلئ بالاســـتقامة. فمن هو المسؤول عن الحقيقة الواضحة بأن الأبرياء والمدنيين والنساء والأطفال الرضع يحتضرون بالآلاف في ردهات المستشفيات الوسخة؟..

لقــد أدت الدعايــة مهمــتها القــذرة. وإذا كنت أنا وحكومتي نمنع الأدوية والغذاء عــن الأطفال المرضى والمصابين بسوء التغذية فلا بد أنه يوجد سبب وجيه . ما هو السبب ؟ من الواضح أنه من فعل الشيطان .

★ ★ ★

ينفجر الغضب في قلبي حتى يكاد يقتلني.. وليته يقتل..!!

قال الله تعالى: ﴿ وَما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر/٧)

لكن الميديا الإعلامية على مستوى العالم ، وذيول هذه الميديا في العالم العربي والإسلامي تكاد تقول:

« وَما أمركم به بوش فخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »

أمــا ولاة أمورنــا من حكام وساسة وعلماء وكتاب فهم ما بين حاكم خان وشيخ هان وكتاب وساسة استمرءوا الكذب والزور.

★ ★ ★

يقتلني يا ناس ما أراه من رد فعل ولاة أمورنا.. يقتلني..

يذبحــني أن أمريكا الصليبية الصهيونية لم تكن لتقدر على بلد إسلامي دون معاونة بلد مسلم.. يذبحني..

يقطــع نياط قلبي أن أقل درجة من درجات الوحدة والتضامن كانت كفيلة بأن تراجع أمــريكا نفســها قبل الهجوم على أفغانستان أو قبل أن تمارس إجرامها في العراق وهي تلبس القفاز العربي أو في فلسطين وهي تلبس القفاز الإسرائيلي.. يقطع نياط قلبي..

★ ★ ★

وبعد كل هذا الذي يحدث مازلنا عاجزين عن إقناع ولاة أمورنا أن أمريكا هي العدو.. و أن المستهدف هو الإسلام.. و أن مصطلح الإرهاب قد تم صكه في المخابرات الأمريكية كي يستعمله حكام نيط بهم القضاء علي الإسلام.. أما الثمن فكان البقاء في مناصبهم..

★ ★ ★

تساءلت و أنا مذبوح من الألم: لماذا يفعل ولاة أمورنا ذلك؟..

ووجدت جزءا من الإجابة في صحيفة الأهرام : عدد ١٩٩٩/٢/٢٣

كان الموضوع عن دور أمريكا الوضيع في جريمة اختطاف أوجلان مجاملة لتركيا ، وعن ضغطها على "بنجالوس" وزير خارجية اليونان لكي يشارك في المؤامرة ، وعندما رفض انبرى له من المخابرات الأمريكية من يهدده..

إنـــني أعتذر للقارئ إذ أنقل ما نشرت الأهرام نصه ... أعتذر إذ أكتبه بالإنجليزية كما نشر و أعتذر عن عدم ترجمته الترجمة الصحيحة التي لم يوردها الأهرام ومعه الحق كله ، يقول الأهرام :

لم تكـــن الضـــغوط صارمة فقط بل كانت بذيئة وسوقية، لقد تم إبلاغ بنجالوس وزير خارجية اليونان بشيء مثل " وحياة أمك سوف تفعل ذلك " ...

لم تكن تلك هي الترجمة الصحيحة ... لكن الأهرام نشرت إلى جوار هذه الجملة النص الإنجليزي :

"

كانت هذه هي ديموقراطية زعيمة العالم الحر..

كانت هذه هي الديموقراطية والحرية وحقوق الإنسان والحداثة..

فهل تفهم الآن أيها القارئ لماذا لزم كل ولاة أمورنا جحورهم..

لقـــد عومـــل وزير خارجية اليونان بهذه الطريقة وهو أبيض ومسيحي و أوروبي فكيف تتخيلون أن يعامل خفير على بئر بترول سموه أميرا..

★ ★ ★

يا إلهي.. لكم قاموا بلي عنق الحقيقة – بل بكسره – لكي يدافعوا عن أمريكا.. دافعوا حتى عما لا يجوز الدفاع عنه.. كمثل تصريح الدجال بوش بأنها حرب صليبية..

كلمة أخري مجرمة تجاهلوها بمنتهي الخسة.. وهي كلمة بوش عما سيفعله بالأفغان :

"سوف ندخنهم" : "we will smoke them"

ولم يشـــرح لنا كاتب ولا صحيفة معنى الكلمة، ولم يزد ما قالته قناة الجزيرة من أنه ربما يقصد استعمال الغازات السامة..

ولســـت أظـــن أهـــم – كتابنا وصحفنا – جهلة إلى هذا الحد.. بل إنها الخسة والعداء للإســـلام.. لقد تجنبوا محاولة تفسير الجملة لأنها تحمل الوجه الوحشي المجرم للحضارة الغربية وكيف تعاملت مع المسلمين.. فكلمة التدخين هذه كلمة واسعة الاستعمال في صيد الحيوانات خاصـــة الثعالب.. ولكن الفرنسيين استعملوها في الجزائر مع المسلمين .. مع مدنيين وبشر .. كـــالمدنيين والبشر ضحايا مركز التجارة العالمي.. كان الفرنسيون يطاردون الجزائريين العزل بالرصاص في شعاب الجبال وهم يفرون أمامهم ويلجئون إلى الكهوف.. فيقوم الرجل الأبيض المســـيحي المتحضر بإشعال النار في فوهات الكهوف فيموت اللاجئون إليها بالدخان .. وهذا معنى تعبير بوش : "سوف ندخنهم " .

إنني لا ألقى الكلام على عواهنه يا قراء.. ولا أقوله استنتاجا.. بل إنه هو ما كتبوه هم عـــن أنفسهم.. ولتقرءوا معي شهادة الكونت "دى هاريسون" في كتابه صيد البشر يصف عمـــل إحدى الكتائب التي شارك فيها : " صحيح أننا كنا نعود بملء برميل صغير من الآذان المقطوعـــة، مثنى مثنى من أجساد الأسرى، أصدقاء كانوا أم أعداء. وكانت هناك ضروب من القســـوة لم يسمع بها أحد من قبل. إعدامات أمر بها من أمر ببرودة. ونفذها الجلادون ببرودة بعيـــارات ناريـــة أو بضربات سيف تنال من أولئك المساكين. الذين كان أعظم ذنب اقترفوه أحيانا أنهم أرشدونا إلى مستودعات فارغة، وقد أحرقنا القرى التي مررنا بها"..

وفى ١٩ يونيو سنة ١٨٤٥ التجأت قبيلة ولد رياح بعد أن طردتها كتائب بوجو المحرقة مـــن قـــراها إلى مغارة. فعمد الكولونيل بيليسيه إلى إشعال النار في فوهة المغارة طوال النهار والليل، و إليكم رواية شاهد عيان:

"مـــن ذا الذي يستطيع وصف هذه اللوحة؟؟ أن ترى في منتصف الليل وفى ضوء القمر كتيـــبة مـــن الجيوش الفرنسية تضرم نار جهنم كلما خبت، وأن تسمع الأنين الخافت لرجال ونساء و أطفال وحيوانات، وتمزق الصخور المتكلسة التي تتشقق وتنهار، وفى الصباح، عندما عمـــدوا إلى تنظيف مدخل المغائر كانت ثمة جثث الأبقار والحمير والخراف وبين البهائم كان يتكدس تحتها رجال ونساء و أطفال وقد شاهدت جثة رجل يضع ركبته في الأرض ويده تمسك

متشنجة بقرن بقرة أمامه، كانت امرأة تحتضن طفلها بين ذراعيها، لقد اختنق هذا الرجل عندما كان يحاول حماية أسرته من غضب هذا الحيوان، وقد عدوا ٧٦٠ جثة.

".. أرســـل الحـــاكم العام بوجو إلى الكولونيل بيليسيه الأمر الآتي: إذا انسحب هؤلاء الجراء إلى مغاراتهم فعليك أن تقلد كافينباك دخّنهم إلى الحد الأقصى مثل الثعالب"..

وكافينباك هذا هو الذي سيصبح الحاكم العام للجزائر بعد ذلك..

وكانت هذا هو معنى تعبير بوش الدجال: سوف ندخنهم..[1]

★ ★ ★

لم تـــرد وسائل إعلامنا أيضا على برلسكوني.. لم يقل له مثقفونا اليساريون حتى ما قاله لينين.. نعم لينين .. عن غزو ليبيا و فصلها عن الخلافة. إذ يقول في مقال له في البرافدا تحت عـــنوان "نهايـــة الحرب بين إيطاليا وتركيا" : كيف كانت هذه الحرب ؟ كانت مجزرة بشربة متمدنة متقنة، كانت تقتيلا للعرب بواسطة أحدث العتاد. لقد قاوم العرب مقاومة المستميت. فحيـــنما أنـــزل الأميرالات الطليان في بدء الحرب، بدون حذر: ١٢٠٠ بحار؛ هاجمهم العرب وقتـــلوا مـــنهم حـــوالي ٦٠٠ شخص. وعقابا قتلوا من العرب حوالى ٣٠٠٠ ونهبوا وذبحوا عائلات بأكملها وقتلوا النساء والأطفال. الطليان الأمة الدستورية المتمدنة علقوا على المشانق حوالي ١٠٠٠ عربي وقد قتل من العرب حوالي ١٤٨٠٠ وستستمر الحرب في الواقع. بالرغم من الصلح لأن القبائل العربية الموجودة بعيدا عن الساحل في داخل القارة الإفريقية لن ترضخ وسيستمرون زمنا طويل في تمدينها بالحراب والرصاص وحبال المشانق والنار واغتصاب النساء (البرافدا – العدد ١٢٩، ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢).

★ ★ ★

كانوا يمدنوننا بالحراب والرصاص وحبال المشانق والنار واغتصاب النساء..

كـــانوا.. فهـــل اختلف الأمر الآن أم أن السهم تحول إلى صاروخ كروزو والحربة إلى توماهوك والسيف إلى الشبح ودخان الحطب على فوهة المغارات إلى قنابل اليورانيوم المشع .. والحرب الصليبية تحولت إلى حملة صليبلية أشرس.

★ ★ ★

(١) راجع مزيدا من التفاصيل في الوعي يترّف من ثقوب الذاكرة.

يا أمة..

يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله..

نحن لسنا إرهابيين..

هم الإرهابيون المجرمون..

وليس العرب ولا المسلمون هم الذى استعملوا القنابل النووية فأبادوا ملايين "المدنيين"..

لسنا نحن الذى يتوجب عليهم التوبة والاعتذار بل هم..

فواجهـي يـا أمـة .. لأن الوحش المسعور يشحذ الآن أنيابه .. و الأمر الآن يتعلق بوجودك ..

و أنت قادرة يا أمة لا إله إلا الله على مواجهته..

واجهـي يـا خير أمة أخرجت للناس واستعيدى قوتك لكي تسود مبادئ دينك الحق ولتمنعي انحراف التاريخ الذي انحرف الآن تحت وطأة وحش الحضارة الغربية المسعور..

انهضي يا أمة..

واجهي مشاكلك.. مشكلتك في قياداتك..

ومشكلتنا في النخبة المستغربة .. حلفاء أعدائنا علينا..

★★★

كـنت أراقـب جيوش التحالف الشمالي وقواده فيستبد بي العجب كيف تبلغ الأمور بالـناس هـذا الحد من الغدر والخسة والضعة والمهانة و التدني والخيانة، فيشاركون في هدم أوطانهم وحرق أبنائهم و إخوتهم، لقد تحالفوا مع كل عدو لبلادهم ودينهم وأمتهم من أمريكا إلي روسيا إلي بريطانيا إلي إسرائيل. تحالفوا مع كل أعداء الله.

كنت أراجع الفتاوى الدينية القاضية بخروجهم من الملة..

وهنا .. دهمتني – فوق كل ما دهمني – حقيقة مروعة رهيبة، فالتحالف الشمالي لا يقوده القـواد السـبعة في شمـال أفغانستان، بل يقوده ويشارك فيه جل حكامنا وجل دولنا وجل جيوشنا.. وجل مثقفينا.. وكل شرطتنا..

نعم .. ويا للألم..

جل حكامنا وجل دولنا وجل جيوشنا.. وجل مثقفينا.. وكل شرطتنا..

جـــلهم.. أعضـــاء في الـــتحالف الشمالي.. تحت إمرة الغرب الصهيوني الصليبي.. ضد أمتهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

★★★

يا فقهاء.. لماذا تتحرجون من إطلاق فتاواكم لحماية الإسلام والمسلمين..

أتخشون عقاب الحاكم؟..

أتخشون الموت..؟

أتخشون أفضل الجهاد..

فمـــا الفرق بينكم إذن وبين الحاكم الذي يخشى اتخاذ قرار يغضب بوش الدجال خوفا من بطشه ..

أفتوا وموتوا شهداء ...

واجهوا فقهاء السلطان بأن من يفتي بجواز التحالف مع أمريكا لضرب المسلمين ملعون حتى لو تعلق بأستار الكعبة فاسق حتى ولو كان شيخ الأزهر..

واجهوا شراذم الدويلات التي اصطنعها الاستعمار على تخوم عالمنا العربي أنها كانت شرا ووبالا على الأمة.. وواجهوا الأمة بأن هذه الشراذم لابد أن تضم أو تنضم للأمة..

واجهوا دول الطواغيت بأن وجود الأمة نفسه مهدد من أجل فرد وحيد في كل دولة.. واجهوا من أجل وحدة المسلمين وعودتهم أمة..

★★★

قراصنة ونخاسون وعبيد..!!

ليست مشكلتنا أننا مارسنا العنف.. بل أننا لم نمارسه بالقدر الكافي..

شق هذا الطفل قلبي..

شق قلبي..

طفـــل أفغـــاني هـــو.. كـــان جالسا علي فراش رث لسرير متهالك في حجرة متداعية في مستشـــفى ليـــس بها دواء.. وكان قد فقد كل أهله.. الأب والأم والجد والجدة والإخوة والأخوات.. اثنا عشر ماتوا جميعا عندما سقطت عليهم قنبلة قصفتهم بها طائرات القراصنة..

ربمـــا كـــان في الثالـــثة أو الرابعة من عمره.. لا أستطيع التحديد.. ففي عالم القراصنة مصاصي دماء كبوش وبلير يجعل فقر الدم وسوء التغذية من المستحيل تحديد عمر أي شخص.. فقـــد يكـــون الطفل في العاشرة من عمره وتحسبه في الخامسة، وقد يكون الرجل في الثلاثين فتحسبه في الستين.

كـــان الطفـــل جالسا في سريره.. لم يكن يبكي.. ولا حتى يتأوه رغم الساق المكسورة والحقن المغروس في عنقه.. رحت أرقبه – لهف قلبي – وأحاول أن أفسر معني التماعة عينيه.. هل كان الغضب؟ أم الفزع؟ أم الحزن؟ أم الألم؟ أم الدهشة؟ أم عدم الفهم؟ أم الاحتقار؟..

أم الإدانة..؟

الإدانة..

أحسب يا ناس أن ما قرأته في عينيه المتعاليتين كان الإدانة..

إدانة لو وزعت علي أهل الأرض لوسعتهم..

تخيـــلت عيســـي وموسى عليهما السلام في السماء يهرعان ليتضرعا إلي الله متبرئين ممن ينتسبون بالزور إليهما..

وتخيـــلت الدموع تطفر من العينين الشريفتين لحبيبنا المصطفي صلي الله عليه وسلم رحمة وتحنانا وعتابا: ألم أترك فيكم ما إن تمسكتم به لما وصلتم إلي هذه المهانة أبدا.

تخيـــلت القرصان بوش وقد أمرهم أن يأخذوا جمجمة والد هذا الطفل كي يشرب فيها نخب المساء..

يشرب فيها في صلف وغطرسة وشماتة وتشف وغرور..

يســـتخف به السرور بما فعل.. رغم أن قطيعا من الذئاب كان يمكنهم أن يفعلوا الشئ نفسه ..

وتخيلت التابع بلير يمسك رمحا يطعن به موضع العفة من أم الطفل الميتة.. أمه التي غابت ملامحها خلف التراب بعد أن أخرجوها من تحت الأنقاض..

هل قلت أن التابع بلير كان يطعن موضع العفة من أم الطفل؟..

لا والله..

بـــل كان يطعن موضع العفة من ملوكنا ورؤسائنا و أمرائنا ووزرائنا وقوادنا وجيوشنا وشـــيوخنا وقبائلـــنا و أحزابـــنا ونقاباتنا ومفكرينا وصحفنا وكتابنا ومضاربنا ومدننا وقرانا ونجوعنا وكفورنا وواحاتنا ووهادنا وسهولنا .... وشعوبنا..

أما القرصان المجرم.. فقد بدا لي شيطانا يصيبه السعار والعطش عندما يشم رائحة بترول فلا يرويه إلا الدم..

شـــيطان يصـــيبه الســـعار فيتحول إلي صنف رهيب مروع أشد وحشية من الحيوانات المفترسة.. فما من حيوان مفترس إلا وله بعض صفات طيبة.. ففي الجمل حياء وفي الأسد إباء وفي الكـــلب وفاء وهكذا دواليك. أما هذا الصنف الذي يحمل ملامح البشر. فليس فيه من صـــفة حميدة. ليس إلا القسوة والغدر والكذب والخداع ونعومة الحية الرقطاء وسمها النافث. والهرب ممن هو أقوى منه. والتهام من هو أضعف.

هذا الشيطان. شيطان الحضارة الغربية. مستثار الآن. ليس بسبب أحداث ١١ سبتمبر. بـــل لأن هذا السعار كامن فيه. كامن في وجدانه وعقيدته وتجاربه. كامن في جدوره الرومانية الـــتي لم تنجح الديانة المسيحية السمحة في هذيبها.. فلم تمنحها إلا غشاء رقيقا يتمزق دائما مع التجربة.

نعم.. عندما أخذ الرومان المسيحية لم يتنصروا، بل روّموا الكنيسة!!.. و أصبح الإيمان ستارا يخفي خلفه أحط درجات الوثنية.. وهذا هو الشكل الذي يواجهنا به الغرب منذ أكثر من عشرين قرنا متسترا بالمسيحية لم يختلف أداؤه فيها عن عشرة قرون قبلها .. وفيها كان يجاهر بالوثنية..!!

★ ★ ★

دعونا الآن من عملية الخداع في استعمال كلمة الإرهاب لدمغنا بها. ذلك أن الترجمة الحرفية لكلمة Terrorism هي الترويع، وهي جريمة تصل عقوبتها في الإسلام إلي الحد الأقصى والأقسى، لكنهم في إطار الغزو الفكري اختاروا كلمة الإرهاب بدلا من كلمة الترويع، وذلك لعلاقة الكلمة بالأمر القرآني الذي يأمرنا بإعداد قوة نرهب بها عدو الله وعدونا.. إنهم لا يهاجمون القرآن مباشرة.. بل يهاجمون ما فيه.. نعم.. مصطلح الإرهاب مصطلح شرعي قد جاء في كتاب الله جل وعز إذ قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ .

نفس الطريقة المراوغة استعملوها بمعاونة أذنابهم بيننا. حين استعملوا العلمانية (وترجمتها الحرفية : اللا دينية) إيهاما للناس بعلاقتها بالعلم. كذلك خلطوا بين الحداثة – وهي كفر صريح – وبين التحديث وهو مطلب كل أمة..

ولكن..

لنترك ذلك الآن ولنعد إلي سؤالنا الرئيسي :

هل مشكلتنا أننا نمارس الإرهاب؟ أم أن مشكلتنا هي أننا لم نرد علي إرهاب الغرب لنا في الوقت المناسب بالقدر المناسب.

★ ★ ★

السؤال المطروح إذن عن علاقة الإسلام بالإرهاب يحتاج منا أقصي درجات الدقة..

هل نحن الذين مارسنا الإرهاب؟..

هل مشكلتنا أننا نمارس الإرهاب؟؟

أم أن مشكلتنا أننا لم نمارس القدر الكافي منه لإرهاب عدو الله وعدونا.

★ ★ ★

في المستشـــفيات، وبالتحديد في وحدات الرعاية المركزة، يحدث لكثير من المرضي خلل في كيمياء الدم، فيرتفع الصوديوم وينخفض البوتاسيوم - علي سبيل المثال أو العكس. ويكون العـــلاج الـــذي ينقذ حياة المريض هو تصويب هذا الخلل، فإذا أخطأ التشخيص والتحليل، وأعطينا المريض مما يعاني من زيادته، أو جردناه مما يشكو النقص منه، فإنه يموت علي الفور.

التشخيص إذن في حالة عالمنا الإسلامي تشخيص جوهري..

والإجابة عن السؤال تحدد لنا الطريق..

وهـــل نحتاج إلي عملية جراحية لاستئصال الإرهاب فينا.. وهى عملية سيجريها الغرب بالطـــبع.. أم أن الغـــرب هو الذي يحتاج إلى عملية جراحية لاستئصال الإرهاب منه.. وليس في العالم من يجريها سوانا..

★ ★ ★

والآن مـــرة أخري : هل مشكلتنا أننا مارسنا الإرهاب ونمارسه؟ أم أننا لم نمارسه بالقدر الكافي ؟..

لن أجيب أنا يا قراء..

ســـأترك العلامة الفرنسي فرانسوا بورجا يجيب حين سئل مرة أثناء محاضرة له عما إذا كان العنف الـــذي لجـــأت له بعض الجماعات الإسلامية هو توجه أصيل فيها ولم يكن وليد الظروف.؟..

وأجـــاب بورجـــا: اعطـــني أي حزب سياسي في الغرب وأنا أحوله لك خلال أسابيع إلى الجماعة الإسلامية المسلحة باتباع نفس الأساليب التي اتبعت ضد الحركات الإسلامية.

★ ★ ★

أظن أن الإجابة واضحة يا قراء..

واعلموا أن مصطلح الإرهاب قد تم صكه في المخابرات الأمريكية كي يحدث ما يحدث الآن ..

ودعونا نتناول الأمر باختصار شديد..

انهزمت دولنا حضاريا وعسكريا أمام الغرب بعد أن ابتعدت عن الإسلام وذلت أمتنا بعد أن تركنا الجهاد. ملك الغرب ناصية أمرنا، ولي علينا ولاة أمور هم علينا وليسوا منا، واصطنعوا كتابا ومفكرين وشيوخا راحوا يروجون له، دعم الغرب أكثر الحكومات طغيانا وبطشا وفسادا، تململت الشعوب وهي تدرك أنها مساقة بالغرب وبحكامها وأولي الأمر فيها إلي الكارثة، حاولت الشعوب المقاومة السلمية لكن الحكومات واجهتها بمباركة من الغرب بمنتهي القسوة والبطش، كان لعنف السلطة اللامحدود رد فعله فبدأت بعض فئات الشعب تواجه عنف السلطة الهائل بعنف محدود، عنف بلغ من عجزه أنه لم ينجح في تغيير أي نظام للحكم - بغض النظر عن الأشخاص- وكان المحرك الأول لهذا العنف هو الحمية الدينية التي تدفع كل مسلم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و إقامة شرع الله الذي أهدره الحكام بمباركة الغرب، وهنا تدخل الغرب ليصك مصطلح الإرهاب، وليهديه إلي ولاة الأمر في العالم الإسلامي، وجاء المصطلح علي هواهم، وتلقفوه بقصر نظر منقطع النظير ليرهبوا به شعوبهم، غير مدركين أن الدائرة ستدور، و أنهم مهما بلغت درجة عمالتهم فهم موظفون مؤقتون عند الغرب.

كان الغرب يقهر الأوطان ويحارب الإسلام ويسيطر على موارده ويمزق أرضه كي يمنع عنه كل بصيص أمل في استرداد عافيته، وكان ولاة أمورنا يقهرون الشعوب .. ويحاربون الإسلام.. سفينة النجاة التي تعصمنا من طوفان الغرب. واصطنع أولئك الحكام شيوخا وكتابا يصوغون لهم إسلاما آخر غير الذي أنزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم..

إسلام أمريكي..

إسلام ترضي عنه اليهود والنصارى والمشركين..

إسلام لا نتحدث فيه عن الإيمان بالغيب.. بل يوصم الإيمان بالغيب بالجهل والخرافة..

إسلام لا يتحدث عن الحلال والحرام بل عن الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد..

إسلام لا نسمع فيه عن مذهب الإمام أبي حنيفة ومذهب الإمام الشافعي بل عن مذهب بوش ومذهب بلير ومذهب بيرلسكوني.

ونجح الغرب من خلال وكلائه، والوكلاء من خلال الكتاب والصحافيين في أن يرفعوا لواء يحرمون فيه التكفير مطلقا..

كان الكفر يحمي حصونه..

و أصبح حق التكفير مقصورا على الكفرة..

ومنعت معظم الهيئات الإسلامية من أن تقول هذا حلال وهذا حرام أو هذا إسلام وهذا كفر..

ورتع كفار الداخل والخارج فينا.

كـــان البطش هائلا ومزدوجا.. وكان الغرب قرصانا.. وكان ولاة أمورنا نخاسين باعوا شعوبهم.. وكان المسلمون أشبه ما يكون بالعبيد.. وكان عليهم أن يجاهدوا لاسترداد حريتهم لكن ولاة الأمر والغرب اعتبر هذه المحاولات للتحرر إرهابا..!!

أصـــبحت أي درجة من درجات مقاومة فساد السلطة ولصوصيتها وإسرافها وفسادها وكفرها وتزويرها للانتخابات وتعذيبها للناس – بأجهزة مستوردة من أمريكا – إرهابا يجب تجريمه ووصم من يمارسه بالإثم الشديد.

و أصبحت أي محاولة لتجميع الأمة كي تنهض من كبوتها لمواجهة الغرب إرهابا..

★★★

لـــو أن حكوماتنا قامت بدورها، ولو أنها نهضت بالحد الأدني الذي لا يسوغ بدونه لولي الأمـــر أن يحكـــم. وهـــو المحافظة علي الأمن لدولهم وشعوبهم لكان من الممكن أن نوافقهم أن الخروج عليهم إرهاب.

ولو أنهم فتحوا الأبواب أمام الشعوب لأي قدر من التغيير لكان الخروج عليهم إرهابا..

ولو..

ولو.. ولو..

★★★

في تجربة تربوية أجريت علي مجموعة مصطفاة من أفضل الطلبة كانوا يدرسون في معهد أمريكي لتخريج القضاة أجروا هذه التجربة :

طلـــبوا من مجموعة من الطلبة إجراء بحث، وتعمدوا أن يكون إجراء هذا البحث محتاجا إلي عشـــرة أيام لإنجازه، لكنهم سمحوا لهم بيومين فقط، وسمحوا لهم بالاطلاع علي ما يشاءون مـــن مـــراجع في المكتـــبة، و أخفوا عنهم أمر كاميرات التصوير التي تراقبهم، وانطلق الطلبة في المكتبة يحاولون إنجاز المستحيل، لكنهم سرعان ما أدركوا استحالة المحاولة، ونسي الطلبة كل مـــا تعلموه، و إزاء ظرف غير طبيعي تراجعت قيمهم و إحساس كل منهم بالآخر، فراح كل واحـــد منهم يسارع بالكشف في المراجع، ليس لإكمال بحثه، بل لتمزيق الصفحات المطلوبة في البحث و إخفائها حتى لا يستطيع زملاؤه الوصول إليها. لقد أدرك كل واحد منهم استحالة النجاح، فتحولت مهمته إلي منع الآخر من النجاح.

وخلصت التجربة إلي أنه إذا وضعت إنسانا طبيعيا بل متفوقا في ظروف غير طبيعية فمن المحتم أن تكون تصرفاته غير طبيعية!!..

★★★

تري.. هل العلاقة واضحة..

لقد وضع المسلمون في شتي أنحاء العالم في ظروف غير طبيعية..

وكان من الطبيعي أن تكون ردود أفعالهم أحيانا غير طبيعية..

★★★

علي أنني لا أقصد المجاهد أسامة بن لادن بهذا المثل..

إنما أقصد به كل التجاوزات التي حدثت..

★★★

عـــندما نقـــول أن شخصا ظل يدخن السجائر ثلاثين عاما فكان من الطبيعي أن يصاب بســـرطان الـــرئة فـــليس معني قولنا هذا أننا نوافق علي إصابته بسرطان الرئة و أننا نشجع السرطان..

وعـــندما نقول أن أمريكا والغرب ظلوا يمتهنون العالم الإسلامي طيلة قرون وقرون حتى كـــان مـــن الطبيعي أن يحدث ما حدث في ١١ سبتمبر فليس معني ذلك أننا نؤيد ما حدث أو نرحب به..

فقط نقول أنه أمر طبيعي.. وكان لابد أن يحدث..

وتماما.. كما أن الاستنكار تجاه السرطان لا يجدي في حالة مثلنا الأول، إنما يجدي أن نستنكر التدخين ثلاثين عاما فهو الذي أدى به إلي ما صار إليه. والاستنكار هنا يدفع الآخرين إلي عدم تكرار السبب كي لا تتكرر ذات النتيجة..

كذلك تماما في أحداث ١١ سبتمبر..

إدانة الأسباب التي أدت إليه هي وحدها المجدية.. وهي التي تمنع تكراره..

أما ما حدث في ١١ سبتمبر فليس إرهابا.. إنه أمر طبيعي .. ونتيجة طبيعية .. كالسرطان.

★ ★ ★

من خلال هذا كله نستطيع القول أن أسامة بن لادن ، حتى لو كان هو المسئول عما حدث في ١١ سبتمبر ، ليس إرهابيا..

لقد حاول القيام بما عجزت عنه جيوش أنفقت علي السلاح في العشرة أعوام الأخيرة فقط ألف مليار دولار..

جيوش لم تطلق منها رصاصة واحدة لحماية الأمن القومي.. بل كانت كل جهودها لتهديده.

حاول القيام بما لم يقم به حكام وكان واجبهم أن يقوموا به.

حاول القيام بما كان يجب أن تقوم به شعوب فلم تقم به.

حاول أن يقوم بدور أمة..

أنفق ثروته كلها : وهي مئات الملايين من الدولارات علي الجهاد في سبيل الله، مرة ضد طواغيت الإلحاد المجاهر ومرة ضد الوثنية التي روّمت الكنيسة.

أنفق المال في سبيل الله وكان ذلك غريبا علي حكام تعودوا أن يسرقوا مال الله..

جهز المجاهدين من ماله فقاتلوا وقتلوا وقُتلوا في سبيل الله..

جيوشنا كانت تقتل شعوبنا في سبيل الغرب..

ولــو أن الجيــوش كــانت تواجه جيوشا لكان من الواجب اتباع قوانين الحرب وعدم التعرض للمدنيين..

لكنــنا كــنا إزاء وضــع غير طبيعي، لفرد يواجه القراصنة الذين حولوا حكام بلاده إلى نخاسين ، فكان من الطبيعي أن يكون رد الفعل غير طبيعي..

★★★

إنــني يا قراء أصل إلي الحد الأقصى.. و أفترض أن المجاهد أسامة بن لادن هو الذي قام بأحداث ١١ سبتمبر..

لكنني بالرغم من ذلك مازلت أشك كثيرا أنه فعلها.. لكنني وقد وصلت للحد الأقصى فلم يعد الولوج في غيره ذا أهمية..

★★★

فلنــتجاوز الآن عــن أن الحكام لم يكونوا مجبرين عما فعلوا.. لأن أقل قدر من التعاون والاتحاد كان كفيلا بردع أمريكا و إسرائيل ..

لكنهم لم يفعلوا..

تصرف كل حاكم بدولته كما يتصرف الطفل الفاسد المدلل بدمية يعبث بها، فإذا ما أراد أحد أن يأخذها منه دمرها تدميرا..

كــانت غايــة كل حاكم أن يستمر في ملكه .. مهما كانت النتائج وخيمة.. و أدرك الغــرب هــذا وشجع عليه.. وصارت كلمة الوحدة بين بلاد المسلمين أبغض الكلمات عند الحكــام.. وارتضــوا الشــرذمة حتي تداعت علينا الأمم كما تتداعي الأكلة علي قصعتها.. وليــس ثمــة وجــاء إلا وحدة الأمة.. لكن خضوعهم للبيت الأبيض والشيطان أهون عليهم من الخضوع لله..

في ظل هذا الوضع المأساوي أتي أسامة بن لادن فهاله ما رأي..

★★★

فلنواصـــل الافـــتراض إذن.. ولـــنقل أن أسامة بن لادن هـــو الذي فعلها ثم هـــرب إلي أفغانستان..

فهل يسوغ هذا لأمريكا.. أقوي و أغني دولة في العالم أن تهاجم بهذه الوحشية أفقر دولة في العالم.. و أن تقتل منها حتى الآن آلاف المدنيين انتقاما لرعاياها المدنيين !!..

مئات سوف يصبحون ألوفا..

منهم أسرة هذا الطفل الذي شق قلبي..

★★★

هل يسوغ ذلك الإجرام الأمريكي والذي تبدي في قصف محطات الكهرباء في بلد يعاني من الجفاف والمجاعة وهي تعلم أنه يعتمد في إمداداته من المياه علي المضخات الكهربائية.

هـــل يســـوغ ذلك الإجرام الأمريكي بقصف مخازن الغلال التابعة للأمم المتحدة حتى تتحكم بغلالها وحدها في الشعب الأفغاني فتجوع من تشاء وتطعم من تشاء.

وهل يسوغ ذلك الإجرام الأمريكي بإلقاء مساعداتها الغذائية في المناطق التي تعتزم إنزال قواتها البرية فيها ، وذلك حتى يتدافع الناس إليها فيطهروها بأجسادهم من الألغام، حتى يتمتع القرصان الأمريكي بالأمان حين يترل..

هل..

وهل..

وهل..

★★★

وبعيدا عن أحكام الشريعة الإسلامية، فهل تنصاع أمريكا للقانون الدولي، إن بوش الأب مـــتهم بارتكـــاب جرائم حرب بحكم محكمة أمريكية لجرائمه في العراق، فهل تسلمه أمريكا للعراق كي يحاكم فيها..

وهل يسلمون المجرم شارون..

بـــل هـــل يســـلمون ذلك الجنرال الفرنسي الذي اعترف أنه قتل مئات الجزائريين من التعذيب.؟..

★★★

ما يحدث أيها القراء هو إجرام وثني تمارسه قوة وثنية تتستر في المسيحية واليهودية، وهو إرهـــاب فاجـــر ومجرم يستهدفنا كمسلمين ولا أمل لنا إلا في اتباع الأمر القرآني بأن نعد لهم ما استطعنا من قوة .. لكي نرهبهم بها..

أمـــا عن السؤال : كيف؟ فلقد حاول أسامة بن لادن أن يجيب عن السؤال.. ولا أملك إلا الدعاء له بالنصر.. لكن السؤال الذي حاول هو الإجابة عنه.. فهو مسئولية الأمة كلها..

★★★

هل قرأتم يا قراء..

وهل تفهمون الآن قول العلامة الفرنسي بورجا: اعطني أي حزب سياسي في الغرب وأنا أحوله لك خلال أسابيع إلى الجماعة الإسلامية المسلحة باتباع نفس الأساليب التي اتبعت ضد الحركات الإسلامية .

وهـــل تدركـــون الآن أن مشـــكلتنا ليست أننا قد مارسنا الإرهاب، بل مشكلتنا أننا لم نُرْهب عدو الله..

لم نرهـــبه.. فانكشـــفت بلادنا و أمتنا وعاث فيها الإرهابيون فسادا حتى وجدنا أنفسنا في هذا الوضع الزري..

لم نرهبه.. فلم يعد بيدكم إلا أن تروحوا مثلي .. ترقبون ذلك الطفل الذي شق قلبي.. فيشق قلوبكم دون أن تستطيعوا مد يد العون.. ترقبون في عينيه المتعاليتين إدانة لو وزعت علي أهل الأرض جميعا لكفتهم.. ولو وزعت على المسلمين جميعا لقادقم إلى جهنم..

إمبراطورية الشيطان

ليس غريبا ذلك العرض الإسرائيلي الشيطاني بإنشاء مسخ لدولة اسمها فلسطين. لا تحمل مـــن مقومـــات الدولة إلا اسمها، دولة بلا حدود متصلة، وبلا جيش، إلا ذلك الجيش الذي يحارب الأمة ويطارد المجاهدين، دولة بلا سماء، وحتى باطن الأرض لا تملكه، دولة بلا اقتصاد، يســـتنزف الإســـرائيليون ثـــرواها، لكي ينعموا بالرفاهية.بينما يعيش أبناء البلاد حياة الخدم والـــرقيق، ويكـــون دور الحاكم فيها دور مروض العبيد، الذي لا تقدر قيمته إلا بقدر عدد العبيد الذين يستطيع أن يروضهم. ويكون دور المثقفين ورجال الإعلام وبعض الصحافيين هو دور القواديـــن الذين يزينون الخنوع والاستسلام للأمة، كما يزين القواد الزنا لبغيّ. يفصلون الأمـــة عـــن ثقافـــتها، وحضارها، ودينها، بدعاوى الحداثة والحضارة، وهم في ذلك الوضع المهيض، يشبهون خادمة بئيسة، بل جارية وضيعة، تزداد قيمتها أمام قريناها من الجواري كلما عـــن لســـيدها أن يغتصبها، فاغتصاب مولاها شرف تتيه به علي الأخريات، ودليل علي أها تحدثت وتحضرت.

ليـــس غريبا ذلك العرض الإسرائيلي الوقح، لأنه هو بذاته، هو الذي يمارس ضد الأمة الإســـلامية كـــلها مـــنذ خمسة قرون علي الأقل، هو بذاته، بنفس الوقاحة والبشاعة، وكأنما فلســـطين هـــي الـــنموذج المصغر، والأمة الإسلامية هي النموذج الأكبر، وفيما عدا الحجم، فالتطابق كامل.

هايـــة القرون الخمسة الأخيرة كانت :كتمال الانكسار لكن الصراع كان قد بدأ قبلها بكثير..



في إيجـــاز معجـــز يختصر "العلامة محمود شاكر" الأمر لنا في كتابه البالغ الأهمية "رسالة في الطـــريق إلى ثقافتـــنا[1]" حين سقطت أوروبا في حمأة القرون الوسطى المظلمة منذ سقوط

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا – محمود شاكر– دار الهلال.

الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ أي قبل الهجرة بنحو من مائة وأربعين سنة، والحقيقة أن أوروبا كـانت ساقطة فيما هو أسوأ من القرون الوسطى قبل ذلك بقرون طويلة. كانوا في جاهلية جهلاء، أهلها همج هامج، لا دين يجمعهم، وعند مجيء الإسلام لم يكن سلطان الكنائس المسيحية مبسوطا علي معظم أوربا المعروفة الآن، كانت روما التي أفرغت الديانة المسيحية من محتواها قد سقطت وكان الشمال كله وثنيون برابرة، و كان سلطانهم مبسوطا على الشام ومصر وشمال أفريقية منذ قرون طويلة سبقت، وفى طرفة عين، في أقل من ثمانين سنة، تقوض فجأة سلطان الرومان على هذه الرقعة الواسعة، وتقوض أيضا سلطانها على نفوس الجماهير الغفيرة من رعاياها ، الذين دخلوا الإسلام طوعا، بل و أعجب من ذلك، صاروا هم جند الإسلام وحماة ثغوره وعواصمه، وحصروا الروم في الشمال، وجاهدت الدولة البيزنطية في الشمال أن تسترد ما ضاع، وظلت أربعة قرون تحاول أن تعود فتخترق هذا العالم الإسلامي من طرفه الشمالي عند الشام، وذهب جهدها هدرا، ولم يغن عنهم السلاح شيئا، وكل يوم يمر، يزداد رعايا الرهبان والملوك انبهارا بالإسلام وخلقه وثقافته وحضارته. وظل الصراع مشتعلا مدة أربعة قرون بين الروم المحصورين في الشمال وبين المسلمين الذين يتاخمونهم جنوبا، وتدبر الأمر قادتهم، وداخلتهم الخشية أن يفضي الأمر إلى زوال سلطانهم عن جنوب أوروبا. وخيم اليأس فانطلق الرهبان يجوبون شمال أوروبا ليدخلوا أهلها من الهمج الهامج الذي لا دين له في النصرانية، ليكونوا بعد قليل مددا لجيوش جرارة تطبق على ثغور الإسلام . ويعدوهم لخوض المعركة العظمى ، ثم جاء ما يبدد هذا اليأس، هذه هي الجيوش الجرارة من النورمنديين والصقالبة والسكسون بقيادة الرهبان وملوك الإقطاع التي جيشت من الهمج الهامج جيوشا تتدفق من قلب أوروبة، تريد مرة أخرى اختراق العالم الإسلامي من شماله في الشام، ونشبت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين كاملين (٤٨٩-٦٩٠ هجرية/ ١٠٩٦- ١٢٩١ ميلادية) . وفى خلالها استولوا على جزء من أرض الشام، و أقام به بعضهم إقامة دائمة، وأنشأوا ممالك. وخالطوا المسلمين مخالطة طويلة، كانت فرحة رائعة لهم لكنها انتهت بالإخفاق واليأس من حرب السلاح، وخمدت الحروب تقريبا بين الإسلام والصليبية نحو قرن ونصف قرن، ثم وقعت الواقعة، اكتسحت الأرض الرومية في آسيا، في شمال الشام، ودخلت برمتها في الإسلام، وفى يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة٨٥٧/ ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية، سقطت القسطنطينية، ودخلها محمد الفاتح بالتكبير والتهليل، إذن فقد وقعت الواقعة، واهتز العالم الأوروبي كله هزة عنيفة ممزوجة بالخزى والخوف والرعب والغضب والحقد، ولكن قارن

ذلـــك إصـــرار مستميت على دفع هذا الخزى، و إماطة هذا الخوف والرعب، وإشعال نيران الغضب والحقد، ومن يومئذ بدأت أوروبا تتغير ، لتخرج من هذا المأزق الضنك، وبهمة لا تفتر ولا تعــرف الكـــلل، بـــدأ الرهـــبان معركة أخرى أقسى من معارك الحرب، معركة المعرفة والعلم ... فقد أدركوا أنها الوسيلة للانتصار علينا...

★★★

في كـــتاب "محمـــد" تأليف كارين آرمسترونج[1] أن بعض الأوروبيين أصبحوا يعتقدون آنذاك أن الإسلام قد يكتسح الممالك المسيحية اكتساحا شاملا، وفى سنة ١٤٥٣، بعيد الفتح الـــتركي لإمـــبراطورية بيـــزنطة الذي أتى بالإسلام إلى عتبة أوروبا، بدأ الأوروبيون يفكرون في ضـــرورة العثور على أسلوب جديد لمواجهة الخطر الإسلامي، قائلين أنه من المحال أن يلقى الهزيمة في ميدان القتال أو عن طريق أنشطة التبشير التقليدية، ثم جاء عصر النهضة الأوروبية، واكتســـب الغـــرب الـــثقة في ذاتـــه، ولم يعد الأوربيون يحفلون فرقا من الخطر الإسلامي، بل أصبحوا ينظرون إلى الدين الإسلامي نظرة المترفع الذي يجد فيه بعض التسلية والترفيه..

★★★

ومـــنذ خمسة قرون كانت الدولة الإسلامية الكبرى تتخلى تحت وطأة الضربات الهائلة للغرب الصليبي و المكائد اليهودية عن سيادتها للعـــالم وريادتها له . ولولا أن قيض الله الدولة العثمانية للدفاع عن هذه الأمة لكنا الآن كالهنود الحمر، بقايا شراذم .

حتي ذلك الوقت كنا أقوياء، وكنا سادة العالم، وكنا متحضرين، رغم ما تحفل به كتابات المستشرقين و أذنابهم بعكس ذلك.

كـــنا لا نسمح لسفن الغرب أن تعبر مضيق باب المندب من اليمن إلى خليج السويس لأنهم سيمرون قرب بحر جدة وهو من الحرم ، فكان البحر الأحمر كله عندهم حرم لا يدخله إلا مســـلم! وكـــانت ســـفن العثمانيين تتسلم بضائع التجار الفرنجة عند اليمن وتنقلها هم إلى خليج السويس وتسلمهم إياها في المتوسط .

وحـــتي القـــرن السابع عشر ، كان السلطان عبد المجيد يسمى البحر المتوسط البحيرة العثمانية ، فسأله صحافي إنجليزي إذا كان المتوسط وشاطئه الشمالي كله لأهل الصليب بحيرة

(١) محمد– كارين آرمسترونج– سطور.

عثمانية؟ فما البحر الأسود الذي يحيط به ملك الإسلام وجيوش الخلافة العثمانية فعلاً ؟ فقال السلطان العثماني : البحر الأسود هو مسبح قصري !.

وإزاء عجـــز أوروبا عن مواجهة الدولة الإسلامية في الشرق، فقد شددت الحصار علي امتدادها في الغرب، فسقطت الأندلس بعد فتح القسطنطينية بأربعين عاما، سقطت وانتهي فيها الإســـلام بعـــد أن ظل يحكم فيها ثمانية قرون، كان البابا هو الذي يقود الحملات وهو الذي يخطط ويقرر، بل وهو الذي يقسم بلاد المسلمين بين المستعمرين، فانطلقت جحافل الصليبيين الثمـــلة بـــأول نصـــر حاسم ونهائي علي المسلمين لكي تحاصر العالم الإسلامي كله. انطلقت من مختلف بلاد أوروبا، ومن روسيا.

نحن لم نسئ إليهم .. كنا دائما نحترم جميع أنبيائهم ونؤمن بأديانهم لكنهم أبدا لم يحترموا نبيـــنا ومـــا اعترفوا بديننا بل إن تقدمهم الحضارى الذى أعتمدوا علينا فيه لم يغذه بعد ذلك ويستحثه ويستنفره سوى السعى المحموم بالحقد الأسود الهادف لتدميرنا. ومنذ القرن الخامس عشر وهم يحاولون محاصرتنا اقتصاديا كى يضعفونا عسكريا ثم يمحقونا..

إن افـــتقاد الـــنظرة الشـــاملة للتاريخ تصيبنا بالعماء عن فهم الحاضر وتمنعنا من إنقاذ المستقبل..

والغـــرب (الصليبيون) منذ مؤتة يفكرون بنفس الطريقة ويسيرون نفس المسار ومهما فشلوا، فإنهم يعاودون الكرة المرة تلو المرة حتى ينجحوا..

المأســـاة أن مـــا كـــانت الحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية تطلبه دائما هو أن نبقى فى بلادنا التى حررناها من استعمارهم أحرارا نتعايش معهم فى سلام..

أما هم فكان مبتغاهم طيلة الزمان أن يعيدوا احتلال بلادنا وأن يقضوا على ديننا..

وعـــندما أدرك الغرب عجزه عن إبادتنا فقد تآمر الصليبيون مع المغول علينا – وذلك ثابت فى التاريخ رغم التعتيم عليه(١) ..

كانت فلسطين هي الهدف منذ استعاد المسلمون العرب فلسطين العربية من الرومان بعد معركة أجنادين وقد نجحوا فى تحقيقه فى الحروب الصليبية ثم نجح العرب المسلمون فى تحريرها مرة أخرى.. بعد حطين تحطمت جيوشهم لكن هدفهم لم يتحطم..

(١) تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتي قيام الدولة التيمورية – عباس اقبال المجمع الثقافي بابوظبي .

يلخص الدكتور محمد عمارة[1] الأمر بقوله:

إذا كنا بصدد الحديث عن الجديد في مخططات الغرب تجاه المسلمين ، فيحسن أن نذكر بعض التواريخ التي تفسر لنا أمورا كثيرة ..(..).. فبالطبع إن الصراع بين الشرق والغرب صراع قديم، وغزوة الإسكندر الأكبر احتلت " الشرق " قبل الميلاد . وهزمت الدولة الفارسية التي كانت أبرز القوى الموجودة ، ونعلم أن هذه الغزوة (الإغريق ثم الرومان) زحفت إلى مختلف بقاع الشرق (شمال إفريقيا ومصر والشام والحبشة واليمن، وكادت أن تصل إلى وسط شبه الجزيرة العربية في غزوة الفيل ، والتي ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس عامها) . ونعلم أن الفتوحات الإسلامية كانت في جوهرها حروب تحرير الشرق من هذه الغزوة الإغريقية الرومانية ، حتى إن شعوب الشرق – وهى على دياناها القديمة – وقفت تحت راية الفتوحات الإسلامية تحريرا لهذا الشرق من ذلك الاحتلال ، ونعلم أيضا أنه لم تكن هناك فتوحات إسلامية دار فيها الحرب والقتال بين جيش إسلامي وبين شعب من شعوب البلاد التي فتحها المسلمون ، فعندما جاء المسلمون إلى مصر كانت حربهم مع الروم . ونفس الشيء كان في الشام.

ويواصل الدكتور عمارة :

إذن فالحرب في الفتوحات الإسلامية كانت تدور ضد بقايا وصور الهيمنة والغزوة الإغريقية الرومانية ، ولم تكن بين المسلمين وبين شعوب البلاد التي فتحها المسلمون (..).. وعندما حررت المنطقة ، جاء الغرب مرة ثانية في ظل الحروب الصليبية كي يستعيد ما فقد، فكان الصراع وكأنه موجات(..).. في ١٤٩٢ م سقطت غر ناطة وأخرج المسلمون من بلاد الأندلس .وسقوط غر ناطة لم يكن نهاية مطاف الضغوط الغربية ضد عالم الإسلام ، لأن صحوة وتجديد العثمانيين لعسكرية الدولة جعلت الغرب منذ خمسمائة عام يخطط التخطيط الآتي :

أن يلتف حول عالم الإسلام ويطوقه عن طريق رأس الرجاء الصالح (..).. في نفس العام الذى سقطت فيه غرناطة بدأت رحلة كولمبس (..).. وكان يقصد الالتفاف حول العالم الإسلامي لمحاصرته.

وعندما ذهب البرتغاليون إلى الهند ، كانت إسلامية ، وكانت تحكم حكما إسلاميا في ذلك التاريخ ، ولم يكن الوعي غائبا عند حكامنا المماليك وإنما كانوا يدركون أنها حركة

(١) " الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين" د. محمد عمارة – دار الوفاء.

التفاف حول العالم الإسلامي ، ليس فقط لتحويل طرق التجارة (وهو باب من أبواب الذبول الاقتصادي للعالم الإسلامي) ، وإنما كانوا يدركون المخاطر الاستراتيجية التي يبتغيها الغرب ، ولذلـــك لم يكن غريبا أن تخرج الجيوش المملوكية من مصر لتقاتل البرتغاليين في الهند في ذلك التاريخ ، وهزمت الجيوش المملوكية في ١٥٠٤ أي بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح بأقل من ٧ سنوات. ولم تنته قصة التفاف البرتغاليين لبلاد المسلمين بعد هذا الانتصار الذي حققوه ، فـــنجد الفليـــبين التي كانت بلادا إسلامية (كانت مانيلا اسمها أمان الله)، ذهب إليها ماجلان (الذي ندرسه على أنه مكتشف) ليحارب الإسلام والمسلمين، ومات هناك ١٥٢١م في قتال ضد المسلمين .

بعـــد هذا الالتفاف بدأت مرحلة ضرب قلب العالم الإسلامي ، والتواريخ خير شاهد. فنجد بونابرت الذي جاء إلينا في عام ١٧٩٨ ثم فريزر في ١٨٠٧والجزائر احتلت في ١٨٣٠، ثم عـــدن ١٨٣٨م ، ثم تونس ١٨٨١م، ثم مصر ١٨٨٢أم ، ثم ليبيا ١٩١١ ، ثم المغرب ١٩١٢ . ثم عمـــوم البلوى في سايكوس بيكو التي قسمت ما بقى من عالمنا العربي ١٩١٦ ، ثم الـــذروة عند سقوط الرمز (الدولة العثمانية) في ١٩٢٤ . إذن صراع الغرب مع الإسلام مـــنذ خمسمائة عام على طرد الإسلام من أوربا ، وعلى بدء هذه الغزوة الصليبية التي بدأت بالالـــتفاف حـــول العالم الإسلامي حتى جاء بالعشرينات وعلي أعتاب الحرب العالمية الأولى. حيث أعلن سقوط كافة أنحاء العالم الإسلامي تقريبا أمام الهيمنة الغربية . هذا الصراع لم ينته عـــند هذا الحد ، بل دخلنا في إطار الصراع حول الهوية ، وتلك هي المعركة القائمة حتى هذا التاريخ .

ولم يكـــن هـــدف الغرب طرد الإسلام من أوروبا فقط ، بل كان القضاء علي الإسلام نفسه .

لقـــد أعلن البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥– ١٣١٤) أن وجود مسلم على الأرض المسيحية يعتبر "إهانة لله" ... وأن المسلمين فى الممالك الأوروبية " وكر الوباء متوهجة التلوث مصـــدر الطاعون العضال والجراثيم القذرة " وبهذا المنطق أبادوا المسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليـــا فى بدايـــة القرن الرابع عشر وعندما سقطت غرناطة دقت أجراس الكنائس فى شتى أرجاء أوروبا ابتهاجا بالنصر المسيحى على الكفار، ثم لم تلبث محاكم التفتيش أن بدأت وعلى مدى ٣٠٠ سنة بتخيير المسلمين بين الموت بأبشع الطرق أو التنصر أو الاستعباد أو الرحيل..

نفس الخطط ونفس الإجرام.. وما فشلوا في إنجازه منذ ألف عام ومنذ خمسمائة عام يعيدون الكرة الآن كي ينجحوا فيه. وعلي سبيل المثال فإن المؤامرة الأمريكية علي السودان والعبث الإسرائيلي في أثيوبيا ليس إلا استمرارا لمخطط "دالبوكيرك" منذ خمسمائة عام، وهو أحد قواد حملاتهم الصليبية التي لم تنقطع قط، وكان المخطط يزمع تحويل مجرى نهر النيل ليحرم مصر من أراضيها الخصبة فيتم هلاكها وإخضاعها، وقد كتب إلى ملك البرتغال يستدعى صناعا مهرة ليقوموا بفتح ثغرة بين سلسلة التلال الصغيرة التى تجرى بجانب النيل فى الحبشة ولكنه توفى سنة ١٥١٥ ثم أحبط مواصلة الخطط فى هذا الإتجاه انضمام مصر بالفتح إلى الدولة الإسلامية الكبرى منذ عام ١٥١٧.

كانت البرتغال أسبق دول أوربا فىاستعمار العالم الإسلامي، فقد استطاع فاسكو ديجاما أن يدور حول أفريقيا ويكتشف الطريق إلى الهند مارا براس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧ (الاكتشاف كان جديدا بالنسبة لهم) كل هذا بعد ٥ سنوات فقط من سقوط غرناطة.

ولم تمض غير أعوام قليلة حى أصبحت البرتغال وهي أصغر دولة أوروبية آنذاك تبسط سلطانها على مساحات أوسع من الإمبراطورية الرومانية فى عظمتها الغابرة.

وخشيت البرتغال أن تلحق بها دول أخرى فسعت إلى البابا ليمنحها مرسوما يقضى بتمليك البرتغال جميع القارات والبحار والجزر التى يكتشفها البرتغاليون فى الطريق إلى الهند وأقر هذا المرسوم ثلاثة بابوات آخرون، وافقوا على تلك الهبة العجيبة.

فلما نشطت أسبانيا فى مجال التهام أطراف العالم الإسلامي كان عليها أن تسلك طريقا آخر غير طريق البرتغال، ومن ثم تبنت مشروع كريستوفر كولمبس للوصول إلى الهند بطريق الإبحار غربا وقد استطاع كولمبس أن يعبر المحيط الأطلسى متجها إلى الغرب حتى وصل إلى اليابسة واكتشف دنيا جديدة عرفت فيما باسم أمريكا، ولكنه ظل حتى آخر لحظة من حياته يؤكد أنه نزل فى شرق آسيا وأنه إذا واصل السير غربا فسوف يبلغ نهر الكنج ببلاد الهند وهذا ما أثار مخاوف البرتغال حيث بات مرسوم البابا عديم القيمة مادام الوصول إلى الهند أصبح ممكنا عبر الطريق الغربي، وهبت البرتغال إلى السلاح تدافع عن حقوقها فى الهند، ولكن البابا تدخل فى النزاع وقسم العالم مناصفة بين ملك أسبانيا وملك البرتغال فشطر خريطة العالم شطرين متساويين بالمرسوم الصادر فى مايو سنة ١٤٩٣ بحيث تكون جميع البلاد الواقعة غرب الجزر الخضراء ملكا لأسبانيا وجميع البلاد الواقعة فى شرقها ملكا للبرتغال..

بقـــي أن نقول أن الذي مول رحلة كولومبس كانت ملكة أسبانيا، و أن هدف الرحلة، كان الوصول إلي الهند، واستغلال مناجم الذهب فيها، لتمويل حملة صليبية جديدة علي العالم العربي .

عندما بدأ الاحتلال الأسبانى للفلبين التى غيروا اسمها تمجيدا للملك فيليب الثانى كانت العاصـــمة اسمها أمان الله وكان الحاكم الفلبينى المسلم هو راجا سليمان عام ١٥٦٥ ميلادية. وكـــان المســـلمون يشكلون ٩٠% من سكان الفلبين كما كان الإسلام منتشرا فى المنطقة كلها..

سرعان ما دخلت بريطانيا إلي المعمعة وبدأت مخططها الكبير للاستيلاء علي الهند.

وكـــان الحكم الإسلامي قد استقر في الهند ورسخت أقدامه وقامت له دولة منذ أن بدأ الســـلطان الأفغاني المجاهد "محمود الغزنوي فتوحاته العظيمة في سنة (٣٩٢هـــ - ١٠٠١م)، وامتد وجود الإسلام في الهند لأكثر من ثمانية قرون، حتى قضى الإنجليز علي الحكم الإسلامي عـــام ١٨٥٨م وبعد ثورات هائلة للمسلمين تحالف معهم فيها الهندوس.. تمكن الإنجليز من القضـــاء علي الثورة الأخيرة ضدهم وقاموا بالقبض على آخر ملك مسلم للهند وهو بهادر شـــاه ، وســـاقوه و أهل بيته مقيدين في ذلة وهوان، وفي الطريق أطلق أحد الضباط الرصاص من بندقيته على أبناء الملك وأحفاده، فقتل ثلاثة منهم، وقطعوا رؤوسهم.

ولم يكتف الإنجليز بسلوكهم المنحط بالتمثيل بالجثث، بل فاجئوا الملك وهو في محبسه بما لا يخطـــر عـــلى بال أحد خسة وخزيًا، فعندما قدموا الطعام للملك في سجنه. وضعوا رؤوس الثلاثة في إناء وغطّوه، وجعلوه على المائدة. فلما أقبل على تناول الطعام وكشف الغطاء وجد رؤوس أبنائه الثلاثة وقد غطيت وجوههم بالدم.

حاولت بريطانيا مرات عديدة غزو أفغانستان أيضا، لكنها منيت بهزائم فادحة.

تصـــدرت بـــريطانيا - أفعى التاريخ الرقطاء - قيادة الحملة علي العالم الإسلامي. بعد أن هـــزمت أسبانيا و أزاحت البرتغال. ونجحت من موقعها الجديد في الهند أن تبث الخلافات والعصبيات في العالم الإسلامي. وباركت إنشاء الدولة الصفوية في إيران. وبثت الحية الرقطاء الفتن بين الدولة العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية فانشغلا بالمعارك بينهما، بينما روسيا تلتهم بلادهما من الشمال في خراسان وبريطانيا تلتهمها من الجنوب في الهند.

★★★

كنا قد أصبحنا قصعة تتداعي الأكلة عليها ..

عند الفتح الإسلامى لم تنشب أى معارك مع الروس فروسيا نفسها لم تكن موجودة حتى ذلك الوقت.. كان الموجود مجرد إمارة حقيرة لا تتجاوز مساحتها ٢٥٠ كيلومترا مربعا وكان اسمها موسكوفيا .. وخلال الخمسة قرون التالية حين تشكلت ما تعرف اليوم بروسيا من قبائل السنورمان وهم مجموعة من الغزاة البرابرة الوثنيين امتهنوا القرصنة وقطع الطرق .. لم تزد مساحتها عن مساحة مصر اليوم.. و لم يكن عددهم حينئذ يتجاوز المائة ألف.

و بدخول القرن الخامس الهجري سيطر السلاجقة الأتراك على معظم القوقاز وازدادت نسبة المسلمين في عهدهم زيادةً عظيمةً إلا أن المنطقة أصيبت بنكسة بسبب الهجمة المغولية. ثم حدثت آية من آيات الله و هي تحول تلك القبائل الهمجية الشرسة إلى الإسلام وحسن إسلامهم فيما بعد و صاروا حماة للإسلام في القوقاز وعلى ضفاف الفولجا والذى أصبح نهرا إسلاميا .

خضعت إمارة موسكوفيا للحكم الإسلامى حتى بدأت الصراعات بين المسلمين فبدأت هذه الإمارة الصغيرة فى الاستيلاء على الأراضى المجاورة..

وحتي القرن الخامس عشر الميلادى كان دوق روسيا الأعظم يقسم يمين الولاء للمسلمين ويعلن خضوعه وجميع الأمراء الروس لهم .. نعم .. كانوا يدفعون الجزية ويدعون لهم فى الكنائس. كان إيفان الأول موظفا عينه الحكام المسلمون لتحصيل الجزية من الروس.. فكان يسرق لنفسه أضعاف الجزية وبدأ فى تكوين جيش قوى.. وحتى عام ١٤٨٠ كانت روسيا تدفع الجزية للمسلمين القوقازيون..

وحتى ذلك الوقت لم تكن مساحة روسيا تتجاوز مساحة مصر لكنها أخذت بعد ذلك تتوسع توسعا همجياً فوق جماجم المسلمين حتى بلغت اليوم خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول فوصلت إلى البحر الأسود في عهد بطرس (١٧٢٢م) و لم يكن لها موضع قدمٍ فيه من قبل.

القوقاز التى احتلتها روسيا تقارب مساحتها مساحة أوروبا.. و دولة منها هى الداغستان – وليست السودان – هى أكبر بلد فى العالم الإسلامى من ناحية المساحة..

كان الهجوم الكاسح على الإسلام والمسلمين قد غير اتجاهه من الهجوم على القلب (فى الحروب الصليبية) إلى الهجوم على الأطراف.. وكان البابا يبارك.. والتدين المحرف المنقوص

يتلاقى مع هوى نفوس الملوك اللصوص .. وكان أجداد النخبة المثقفة المنحرفة قد زيفوا وعى الأمـــة أيامها.. وأوهموها أن الحروب الصليبية قد انتهت وانقضى الخطر.. بينما هذه الحروب لم تـــتوقف حـــتى اليـــوم.. كما أوهموها أن الدولة الإسلامية هي سبب تخلفنا.. و أعلوا شأن القومية والفرعونية والقطرية وكل ما يبعدنا عن الإسلام.. كان السم يسري في جسد الأمة.. وبدلا من علاجها بالترياق حقنوها بمزيد من السم.

حينما بدأ الهجوم علي العالم العربي من الغرب بعد سقوط الأندلس(١٤٩٢ م) كان ثمـــة هجوم آخر يبدأ ضد العالم الإسلامى من الشمال والشرق حيث بدأ هجوم كاسح آخر من الروس.

فى منتصـــف القرن السادس عشر الميلادى بدأ إيفان الرابع المسمى "بالرهيب" (حفيد إيفـــان الأول أجير المسلمين) هجومه .. ولقد سمي بالرهيب لكثرة الفظائع التي ارتكبها. تولى الحكم و هو في الثالثة من عمره بعد وفاة أبيه. و في الثالثة عشرة قرر التخلص من الوصي عليه و لكي يبث الرعب في نفوس النبلاء الروس قام بإلقاء الرجل الذي رباه للكلاب لكي تنهشه وهو حي! و قد بلغت قسوة إيفان هذا وإجرامه أن ذبح ابنه بيده. قام هذا المجرم بعد أن تغلب على بعض إمارات المسلمين ودخل عاصمتهم قازان بقتل كل سكان تلك المدينة ... فى مجزرة هائلة عام ٩٥٩هـــ (١٥٥٢م).

بعـــد سقوط قازان المروع تحول نهر الفولجا من نهرٍ إسلاميٍ إلى نهرٍ يسيطر عليه مجرمو الروس بعد أن أراقوا دماء المسلمين على ضفتيه. أيضاً بسقوط أستراخان أصبح للروس موطأ قـــدمٍ على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحر قزوين (أو بحر الخزر) ذلك البحر الذي كان بحيرة إسلامية على مدى أكثر من أربعة قرون..

كـــان من العوامل المساعدة على انتصارات الروس ذاك التنازع الذى نشب بين الدول الإســـلامية الكـــبرى قـــبيل القـــرن الخامس عشر.. المماليك فى مصر والصفويون فى إيران والعـــثمانيون.. (نفـــس ما يحدث الآن) .. وفي عام ٩٨٦هـــ (١٥٧٨م) كان العثمانيون (الســـنة) والصفويون (الشيعة) يقتسمون النفوذ على الجمهوريات الإسلامية فى قازان ، وبعد وفاة شاه عباس ١٦٢٨م استنجد مسلمو قازان بالسلطان العثماني يؤكدون له أنهم من رعاياه و يطلبون مساعدته لمواجهة الخطر الروسي الذي عظم في ذلك الوقت. لكن العثمانيين كانوا مشـــغولين بجهـــادهم في وســـط وجنوب أوروبا في هذا الوقت مما أعطى الروس اليد الطولى فى البلاد الإسلامية فى القوقاز..

عـــام ١٥٥٦ قام الروس بإغراء حاكم مسلم هو الأمير تيمروك بالتحول إلى المسيحية مقابل مساعدة الروس له ضد منافسيه، وبالفعل تحول تيمروك إلى المسيحية وزوج إحدى بناته للقيصر الروسى إيفان الرهيب.. ولقى الحاكم المرتد جزاءه عام ١٥٥٨ فقد استعاد المسلمون الإمارة ودمروا المرتدين.. وفى عام ١٥٩٤ أرسل الروس حملة عسكرية أخرى للاستيلاء على مـــزيد من الأراضى الإسلامية فتصدى لها المسلمون(العثمانيون والتتار والداغستانيون) وهزم الـــروس بعـــد معركة شرسة لكنهم عادوا مرة أخرى عام ١٦٠٤ حيث قام القيصر بوريس جودونوف بهجوم كبير على داغستان فى محاولة لاحتلالها ولكن حملته انتهت بكارثة كبرى فقد دمر المسلمون جيشه وحطموا القلاع الروسية على أنهار سولاك وسونجا وتريك.

وصب الروس غضبهم على المسلمين الذين فى قبضتهم ..

و اســـتغرقت سياســـة الـــبطش و التنصير الإجباري و هدم المساجد و حرق المدارس الإســـلامية قرنين من الزمان لقمع المسلمين على ضفاف الفولجا وفى سيبريا التى سقطت عام ٩٨٨ (١٥٨٠م) بعد أن كانت تحكم بالإسلام..

نعم.. كانت سيبيريا أرضا إسلامية استسلمت بعد معارك استمرت ٥٦ عاما..

و في عام ١٧٢٢م بدأت حملة روسية استعمارية جديدة بقيادة بطرس (المسمى بالكبير). و اســـتطاع بطـــرس انتزاع داغستان من جسد الأمة الإسلامية على حين غفلة من المسلمين. ثم استولى للمرة الأولى فى التاريخ على شمال الشيشان و شرقها . و من الفظائع التي تروى بعد ســـقوط تلك البلدان أن الروس جعلوا بعض أسرى المسلمين فريسة يتبارون لاصطيادها عن طريق كلاب الصيد تماماً كما كان يفعل الإنجليز بالثعالب البرية.

و توالت المصائب بتولي كاثرين عرش روسيا و تلك المرأة كان حلمها وهدفها المعلن هو الســـيطرة عـــلى بـــلدان المسلمين و تحويلها إلى بلدان أرثوذكسية . ففرضت النصرانية على المسلمين القاطنين فيما يسميه الروس وأوليائهم بالجزء الأوروبي من روسيا (يعنون بذلك تتاريا و باشـــكريا و الشوفاش و كومي و غيرها من بلدان المسلمين التي لا تمت لروسيا بصلة دينية كـــانت أو عرقية أو لغوية أو تاريخية أو حضارية. وعندما اصطدمت بتمسك المسلمين بدينهم ســـراً أصدرت مرسومها الشهير بأنه على المسلمين الذين عمدهم الكنيسة قهراً (وكان هؤلاء المستضـــعفين يمارسون شعائر دينهم سراً كما كان الأمر في الأندلس فيما بعد ١٤٩٢م وهو تـــاريخ ســـقوط غرناطة) التوقيع على إقرار كتابي "يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية (أي

العقيـــدة الإســـلامية) و تجنب كل اتصال بالكفار (أي المسلمين) والتمسك بتعاليم النصرانية والثـــبات عليها". وبالطبع كان هذا المرسوم أيضاً حبراً على ورق إذ بعد ما يقرب من قرنين عـــلى إصـــداره وتحديداً في عام ١٩٠٥م عندما أتيحت بعض الحريات الدينية في روسيا ظهر هؤلاء المقهورين كمسلمين حافظوا على إسلامهم سراً طوال تلك القرون.

لم يكتمل سقوط القوقاز بين أيدى البرابرة الهمج إلا فى عام ١٧٨٥..

ولتـــتذكروا يـــا قراء.. أن الحملة الفرنسية قد بدأت بعد ذلك بأعوام قليلة.. فى حرب طويـــلة مســـتمرة.. وضع أسسها وبدأها الباباوات.. ثم يسخر كلاب جهنم منا الآن حين نتحدث عن المؤامرة..

حـــين اســـتيقظ المســـلمون القوقاز والشيشان على تلك المصائب هرعوا إلى حكامهم وأمـــرائهم يلتمسون منهم العون.. يلتمسون منهم السماح لهم بالاستشهاد.. لا يطلبون منهم إلا تدعيم وتنظيم هذا الاستشهاد.. لكن الحكام والأمراء خانوا بل وتحالف بعضهم مع الروس لقمع المسلمين (ما أشبه الليلة بالبارحة!).

فى معـــركة اســـتيلاء الروس على البلاد الإسلامية وبدون حصر للحروب المحلية مع الإمـــارات المسلمة المستقلة شنت روسيا ١٢٠ حربا ضد العثمانيين الأتراك استغرقت ١٥٠ عاما و ٦٠ حربا ضد الصفويين استغرقت ٩٤ عاما ..

كانت حرب إبادة.. بلغ تعداد إحدى القبائل فى تعداد أجرى عام ١٨٨٩ ثلاثة ملايين (يقـــارب الـــرقم تعداد مصر فى ذلك الوقت) .. الباقى منهم الآن ٨٥٠٠٠٠ !!.. فى مائة عام..

فى منطقة القبرطاى كان تعداد المسلمين ٤٠٠٠٠٠ لم يبق منهم الآن إلا عشرين ألفا..

ومـــع ذلك فقد كانت هذه المناطق أحسن حالا من سواها .. فثمة قبائل كاملة ومدن هائلة لم ينج منها أحد ولم يبق منها أحد...

يقـــول المؤرخ جون بادلى فى كتابه: "الغزو الروسى للقوقاز" : لو اتحدت إيران وتركيا لـــتم هزيمة الروس هزيمة ساحقة.. (ترى ماذا يحدث الآن لو اتحدت إيران وتركيا وانضمت إليهما مصر؟!)..

وفى عــام ١٨٢٨م نــتج عن الاستعمار الأوروبي تغلغل الإنجليز والروس في الشؤون الإيرايــنة. فقــد ســلم القاجاريون القوقاز (جورجيا وأرمينيا وأذربيجان حالياً) إلى الروس في معــاهدتين منفصلتين: معاهدة جلستان عام ١٨١٣، ومعاهدة تركمان جاي عام ١٨٢٨. وأرغــم القاجــاريون عــلى سن قانون الامتيازات الأجنبية، والتي بموجبه أعفى جميع الرعايا الأجــانب مــن المــثول أمام القضاء الإيراني، الأمر الذي جعل الشعب الإيراني يشعر بالمذلة والإهانــة. مــنذ ذلك الوقت وحتى مطلع القرن العشرين أصبحت إيران موزعة بين المصالح المتعارضــة لروسيا وبريطانيا، فكانت روسيا تبني سياستها على أساس التوسع في آسيا وتطمع أن يكــون لهــا ميناء في المياه الدافئة في الخليج، بينما سعت بريطانيا إلى السيطرة على الخليج وجميع الأراضي المجاورة للهند.

هــذه هي قصة الجمهوريات الإسلامية التي استقلت بعد انفراط الاتحاد السوفيتي، والتي تحيط الآن بأفغانستان. وتساعد الأعداء عليهم.

هــذه الجمهوريات كانت تشكل مع أفغانستان في عصر الدولة الإسلامية منطقة هائلة كــان اسمهــا خراســان.. كــانت تشكل ١٤/١٥ من مساحة الاتحاد السوفيتي حتى انهياره وتفككــه.. ولكن الجمهوريات التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي لا تشكل إلا جزءا يسيرا من الأراضى الإسلامية التي غزاها الروس. والذين لم يشبع نهمهم أبدا لأرض الإسلام، ففي عام ١٩٧٩ قاموا بغزو أفغانستان.. آخر مناطق خراسان.[١]

١٤/١٥ من مساحة الاتحاد السوفيتي السابق كانت بلادا إسلامية ومع ذلك فإن محمد حسنين هيكل[٢] يتساءل عن الحماقة الأفغانية التي دفعتها للجهاد ضد الاتحاد السوفيتي رغم أنهــا جــاهدت حين غزاها في أرضها ولم تصدر هي الجهاد إلى أرضه ولم تغزه ولا هي حاولت اســترداد الأرض الإســلامية السليبة بجوارها... وبرغم التقدير العالي الذى يتمتع به هيكل فى كافة الأوساط، وبرغم شبه إجماع على أنه واحد من أفضل السياسيين الصحافيين المحللين فى العــالم – بالمقــاييس الغربية لا الاسلامية – إلا أن كل المواهب الفذة للأستاذ الكبير يتوقف مفعولهــا حيــنما يتعلق الأمر بالإسلام . حيث يتورط فى نفس التسطيح الذى ينظر به الغرب لقضايانا مستعملا نفس لهجة الازدراء والتعالي وادعاء الحكمة التي اتسم بها الغرب في التعامل

(١) أطلس تاريخ الإســــلام – دكتور حســــين مؤنس – الزهــراء للإعــلام العــربي. تاريخ القــوقاز – محمود عبد الرحمن – دار النفائس– بيروت.

(٢) مرجع سابق.

معـــنا فيقول: " والواقع أن وكالة المخابرات المركزية الأميركية بدأت التحريض ضد الاتحاد السـوفياتي باســم الإسلام ومن وراء حدود أفغانستان بينما النظام الملكي يحكم في "كابول" والعـرش عـليه الملك "ظاهر شاه" والسلطة الحقيقية في يد ابن عمه ورئيس وزرائه السردار "داود خـــان". وقد أدى التحريض إلى قلاقل أوصلت إلى عزل الملك "ظاهر شاه" وجاءت ب"داود خـــان" لرئاســة الدولة في محاولة لتهدئة التحريض لم تنجح. وكذلك وقعت سلسلة انقلابـــات في أفغانستان انتهت جميعا بتدخل سوفياتي صريح في أفغانستان بدعوة "شرعية" من قـــائد انقـــلاب شيوعي هو الجنرال "بابراك كارمل" سنة ١٩٧٩. وهنا انتقلت المخابرات المركـــزية الأميركيـــة من التحريض إلى انتهاز الفرصة لحرب استتراف خفية تشن على الاتحاد السوفياتي باسم الإسلام، وتصادف أن ذلك وقع في الأجواء العاصفة للثورة الإسلامية في إيران وتأثيراتها على ما حولها. وكانت حرب استتراف الاتحاد السوفياتي بعد حرب التحريض عليه تخطيطـــا أميركيـــا، وإشرافا باكستانيا، وتمويلا خليجيا (سعوديا في أكثره)، ومشاركة عربية متعددة الأطراف فيها من قدم السلاح والعتاد وفيها من قدم المجندين والمتطوعين الذين اعتبروا أنفسهم مجاهدين ضد الإلحاد. وفي حين أن العدو الحقيقي للعرب والمسلمين كان الاغتصاب الإســـرائيلي في فلسطين، فإن العمل العربي والإسلامي ذهب للجهاد في أفغانستان مقاتلا ضد الإلحاد المادي الذي دخل من بوابات "كابول". وكانت الخطط الأميركية محكمة، والإشراف الباكستاني حازما (يشرف عليه رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية الجنرال "حميد غول")، والـــتمويل الخليجي سخيا. وحشد السلاح وتجنيد المتطوعين شديد الهمة والعزم. وتقول كافة الشـــواهد أن شبابا عربيا مسلما أضاع نفسه وهدفه وحياته في حرب لا معنى لها ضد طرف لم تثـــبت عداوتـــه لا للعرب ولا للمسلمين، لكنه اتهم بالإلحاد واختص بالعقاب رغم وجود كثيرين غيره في عالم ضاع منه الكثير من اليقين! "

★ ★ ★

لقد كان هذا الاستطراد الطويل ضروريا لكي ندلل علي عمق الاختراق الحاصل لعالمنا العـــربي والإسلامي. وكيف أن واحدا من أفضل عناصر النخبة في عالمنا العربي يجهل التاريخ جهـــلا فادحـــا. وليس التاريخ في حد ذاته ما نقصد، لكن ما نقصده هو أن النخبة لو كانت قد أخلصت مع أمتها، لو لم تزيف وعيها وتساعد الغرب علي محو ذاكرتها لما نسينا أبدا أن بلدا تشـــكل الأرض الإسلامية التي احتلها أكثر من ٩٣% من مساحته لا يمكن أن تشكل دعما لـــلعالم العربي أو الإسلامي. ولا يمكن أن يكون قيام عملائها بانقلاب شيوعي يقوم باستدعاء

الجيش السوفيتي سوى احتلال صريح ، فهي عدو شئنا أم أبينا. ولو صدقت معنا النخبة، فلم تخدعـــنا عن حقيقة الغرب، وعن الثقافة اليهومسيحية للولايات المتحدة الأمريكية والتي تجعل مـــنها ومـــن إسرائيل كلا لا يتجزأ. لو صدق معنا هؤلاء و أولئك لما سقطنا في بحور التيه بين هؤلاء و أولئك، وكلهم أعداء.



نعـــود إلي الغـــزو الروسي و الإنجليزي لبـــلاد المسلمين. فقد التقت القوتان الغازيتان - بـــريطانيا وروسيا - علي تخوم أفغانستان، فالإنجليز الذين ابتدءوا سيطرتهم على الهند منذ القـــرن السادس عشر كانوا حريصين علي ألا تصل روسيا إلي المياه الدافئة. وكانوا يتحينون الفرص للانقضاض على أفغانستان من الجنوب الشرقي (الهند) بينما كان الروس يعدون العدة لاجـــتياحها مـــن الشمال. وبذلك تحولت هذه البلاد إلى ساحة مفتوحة للصراع بين موسكو ولـــندن كـــان المتضـــرر الوحيد فيه الشعب الأفغاني المسلم. الذي استمر في مقاومته فنجح في الاحـــتفاظ بســـيادته، وهزم بريطانيا مرات عديدة، وتصدي لروسيا حتي هزمها في القرن العشرين. أفلت الأفغان من الاختراق الذي شمل العالم الإسلامي كله. وظل صموده هذا أمرا غير مقبول من الغرب، حيث تواصل امبراطورية الشيطان الآن محاولة قهره.

كـــانوا - ومـــا زالـــوا - يقطعـــون جسد الدولة الإسلامية كما تفعل الآن إسرائيل في فلسطين، والهند في كشمير وروسيا في الشيشان وخراسان و أمريكا في العالم كله. ففي نهاية القرن التاسع عشر كادت روسيا أن تتمكن من القضاء علي الدولة العثمانية من تجاه الغرب. ووصـــلت إلي عشـــرة أميال من عاصمتها، لولا تدخل الدول الأوروبية وبريطانيا التي كانت حريصة علي ألا تصل روسيا إلي المياه الدافئة للبحر المتوسط تماما كحرصها علي ألا تصل إليه من خلال أفغانستان و إيران. وكانت فرنسا وإيطاليا تقتسمان الدول العربية، وكانت بريطانيا تحـــتل مصـــر، وكانت أمريكا تنشئ الكلية الأمريكية في بيروت الجامعة بعد ذلك - في عام ١٨٣٥ م، كـــي تـــبث سموم القومية في العالم العربي، وفي تركيا، وفي البلقان تمهيدا للقضاء النهائي علي الدولة الإسلامية. وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل.

كـــانت الضربات هائلة، ومستمرة، ومخططة، وكان التشويه والكذب سائدين، وكانت أي مقاومـــة منا موصومة بالإرهاب، وكانوا يقاتلوننا كافة وكنا نواجههم قبيلة قبيلة، وبلدا بلدا، تماما علي عكس الأمر القرآني.

كـــانت بلاد المسلمين تتفتت، وتتمزق، وكانت الحدود تصطنع، والفتن تزرع، وجيوش المســـلمين لا تحـــارب إلا المســـلمين، و إمبراطورية الشيطان التي تنقلت عاصمتها من روما إلي لشـــبونة إلي مدريد إلي باريس إلي لندن إلي واشنجتن تحاصرنا بلدا بعد بلد، تترك لنا مزقا مفتتة من الأرض لا نملك سماءها ولا ما تحت أرضها، وكانت تحول الحكام إلي مروضين للعبيد، والمثقفين إلي قوادين، يدفعون بالأمة إلي الرضا بالاغتصاب، والمذلة، باسم الحضارة.. الحرية.. الديموقراطية.. العلمانية.. الحداثة.. تحرير المرأة.. حقوق الإنسان.. ومقاومة الإرهاب..

★ ★ ★

نعم

الحضارة.. الحرية.. الديموقراطية.. العلمانية.. الحداثة.. تحرير المرأة.. حقوق الإنسان.. ومقاومة الإرهاب..

كـــلها شعارات رفعها كلاب النار حطب جهنم في الجانبين.. جانب الشيطان هناك .. وجانب التحالف الشمالي هنا.. التحالف الشمالي الذي شكله أعداؤنا في كل بلد من بلادنا..

رفعوهـــا.. رغـــم أن آية في القرآن الكريم وحديث من الأحاديث النبوية الشريفة كان كفيلا بكشف الغطاء عن الإجرام الشيطاني الذي يواجهنا الغرب به..

رفعوها .. رغم أن أقل دراسة للتاريخ - ولا أقول حتى للدين - كانت كفيلة بكشف إجـــراد الحضـــارة الغـــربية عموما - والحضارة الروسية جزء منها - والأمريكية علي وجه الخصوص..

رفعوها وما زالوا يحكمون وكأنما لم يقودوا الأمة للكارثة..

رفعوها.. وما زالوا يكتبون .. بل يعهرون..

لكـــنني ألفت نظركم يا قراء، أن النخبة المستغربة لم تصل إلي ما وصلت إليه إلا بخيانة الأمة وخيانة الله..

إذ كلما كانت خيانة الوطن والأمة أكبر أصبح الاستقرار في السلطة أطول..

و كـــلما تعددت مهارات الواحد منهم في الكذب كلما كان كاتبا أكبر.. وكلما كان ضـــد أمته أكثر كان أشهر.. ويكفي أن تفرط فتاة في شرفها كي تكون كاتبة كبيرة.. أما من يصبح شاذا.. فإن كرسي الوزارة ينتظره.

و ألفـــت نظـــركم أيضا يا قراء إلي أن ذلك يتم بعمليات الشراء المباشر.. شراء الذمة والدين.. وكمجرد مثال علي ما أقول.. فإنني أذكر لكم راتب اثنين من الكتاب والصحفيين اللذان تصديا لنا إبان ما سمي بأزمة الوليمة[1]:

الأول راتبه ٢٣٠٠٠ جنيها.. شهريا..

والثاني ١٢٠٠٠ جنيها شهريا..

ولا يحســـب في ذلـــك دخـــلهم من الصحف العربية والقنوات الفضائية.. وكلها تحت السيطرة !!..

★ ★ ★

هؤلاء و أولئك فقدوا الحياء فلم يقتلهم الخجل وهم يرون كيف تصرفت راعية الحضارة والحـــرية والديموقراطية والعلمانية والحداثة وتحرير المرأة و حقوق الإنسان في قلعة جانجي .. في شمـــال أفغانســـتان . وما حدث في قلعة جانجي وحدها كان كفيلا بأن يجعل الأعين العمياء تري.. لكنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور..

في قـــلعة جـــانجي كـــان ثمـــة ثمانمائة أسير.. استسلموا .. كانوا من المجاهدين العرب والباكستانيين . وكانت أوامر وزير الدفاع الأمريكي: لا أريد أسري!!.

ولتـــلحظوا يـــا قـــراء أن أهـــم ما يحاول الشيطان الأمريكي أن يدمره ليس القواعد ولا المخابئ ولا أسامة بن لادن ولا الملا عمر.. لا.. ليس ذلك.. فما يحاول الشيطان الأمريكي أن يدمره هو أبعد من ذلك و أكبر..

إنه يحاول أن يقصف ويدمر آية من آيات القرآن..

نعم..

يحاول أن يقصف ويدمر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

نعم .. ذلك أول ما يحاول الشيطان القضاء عليه.. كي يكونوا عبرة و آية..

ولهذا فقد كان الإجرام والهمجية والبربرية والوحشية بلا حدود..

(١) الوعي يترف من ثقوب الذاكرة– مرجع سابق.

دعونا الآن من أن حكومات الشعوب الإسلامية هي التي أرسلتهم ودعمتهم..

دعونا الآن من فتاوى الأزهر والمسجد الحرام والشيخ يوسف القرضاوي والتي صدرت تحثهم علي الجهاد عندما أمرت أمريكا الحكومات بذلك.. وكيف يسرت هذه الحكومات لهم كـل السـبل.. بـل وكانت مصر تمدهم بسلاح تدفع السعودية ثمنه.. أما الكويت والخليج فقد حفلت بمظاهر التأييد والتعبئة والدعم لهم..

كان ذلك في بداية الثمانينيات بعيد الغزو الروسي لأفغانستان..

وعـندما ذهبوا حاولوا أن يوحدوا بين الأحزاب الأفغانية المتصارعة التي كانت تخوض الجهـاد ضـد الاتحاد السوفيتي.. وكانت خمسة.. ونجح المجاهد المصري كمال السنانيري في أن يجمع قياداتهم في المسجد الحرام في مكة و أن يأخذ عليهم ميثاقا غليظا في الحرم ألا يختلفوا..

ولم تكـن أمريكا تريد ذلك.. كانت تريدهم فئات متناحرة حتى يسهل عليها بعد ذلك بث بذور الفتنة بينهم..

وصدرت الأوامر..

و ألقي القبض علي كمال السنانيري في مصر..

وفي السجن ..

قتلوه..

★ ★ ★

وجـاهد المجـاهدون العـرب حق الجهاد حتى اندحر الغزو السوفيتي بل وانهار الاتحاد السوفيتي كله..

ولو أن ذلك حدث في بلاد أخري .. لا أقول حتى في بلاد تعبد الله.. بل في بلاد تحترم نفسها وتحترم البطولة لاحتفلت بهؤلاء الأبطال أيما احتفال..

لكننا أنكرناهم وطاردناهم حتى انتهي بهم المآل أسري عند الأمريكيين في قلعة جانجي .. في مزار شريف..

★ ★ ★

قبلوا الأسر تحت الحصار والخيانة و أبشع قصف جوى في التاريخ..

وأوعز الشيطان للأمم المتحدة أن تعلن أنه ليس لديها إمكانيات لقبولهم كأسري..

وكـــرر ربيب الشيطان رامسيفيلد أنه لا يريدهم أحياء.. وصرخت جهات عديدة تحمل أمريكا وبريطانيا مسئولية تنفيذ القوانين الدولية المتعلقة بالأسري.. وصرح الشيطان الأمريكي أنه لا يملك قوات لذلك.. كان يملك فقط القوات التي تقصفهم - ولأول مرة في التاريخ يتم قصـــف الأســـري بهـــذه الوحشية والهمجية والإجرام - . وكان يملك أيضا القوات الكافية لاستقبالهم والتنكيل بهم والتحقيق معهم في قلعة جانجي.. ويعلم الله ماذا حدث..

إذ يبدو أن الاستفزاز كان أقسى من أن يحتمله حتى أسير مقيدة يداه خلف ظهره..

وفضـــل المجـــاهدون الاستشهاد علي أسر كانوا يظنونه طبقا لمواثيق الأمم يحفظ - حتى ولو ذرا للرماد في العيون - شعار : حقوق الإنسان..

قصـــفوهم بالدبابات والمدافع والصواريخ.. قصفتهم البي ٥٢.. فلما لجأ الباقون منهم إلي السراديب أغرق عبيد الشيطان تلك السراديب بالبترين ثم أشعلوا النيران..

فلما انطفأت النيران حولوا مجري نهر علي تلك السراديب فأغرقوهم..

★ ★ ★

وكـــان ذلـــك هو عنوان الحضارة.. الحرية.. الديموقراطية.. العلمانية.. الحداثة.. تحرير المرأة.. حقوق الإنسان..

ثمة عنوان آخر يتجسد جليا - أيضا - في مشهدين: مشهد الغرب محتفيا بنساء كابول مدعيا بهجتهن برجوع مصفف الشعر و أدوات الزينة.. ولطالما تصايحوا لذلك وهللوا باعتباره رمز حرية المرأة..

أما في الجانب الآخر من المشهد كان هناك - أيضا - امرأة..

لم يتصايح لها أحد وما احتفل بها أحد بل التزموا صمت القبور .. كان بيت المرأة الطيني قـــد هدم بفعل صاروخ أمريكي.. لم نشاهد البيت وهو يتهدم.. وما رأينا لحظة العناق الدامي بين الصاروخ والطين.. ولا هدم البيت ولا انفجار الدم ولا تناثر الأشلاء وما سمعنا صرخات غوث لا تغاث ولا حتى حشرجة الموت وشهقته الأخيرة.. وإنما كان ما رأيناه هو مشهد المرأة

– واسمهـا خديجة.. وربما يسعد السفاح رامسيفيلد عندما يعرف ذلك – وقد جمعت خديجة ما تبقي من أثاث بيتها علي عربة يد صغيرة أخذت تجرجر أقدامها وهي تدفعها أمامها.. فوق الأثـاث المحطم كان ثمة قطعة كبيرة من قماش مهترئ ملفوفة علي شئ ما.. ما يسميه العامة "صرّة".. وتعثرت القدمان المنهكتان فاختل توازن العربة فسقطت الصرة وانكشف ما فيها.. وكان ما فيها أشلاء أسرة المرأة.. بقايا أشلاء أبنائها وزوجها..

ولم يصـرخ مـن أدعيـاء حقوق الإنسان صوت وما نطق من دعاة تحرير المرأة أحد.. وكانت كاميرات التصوير مشغولة بالمرأة الأخري وهي تزين أظافرها وتصبغها بالمانكير.. رافعة شعار تحرير المرأة – بشرط ألا يكون اسمها خديجة – وشعار حقوق الإنسان.

ثمة عنوان آخر كان في فلسطين حيث صرح بوش بأن إسرائيل أفضل صديق ، هم شعب يحب السلام ، و احلم به معهم ...

كان حديثه بالنص:

" فيما يتعلق بي شخصيا. ليس لإسرائيل صديق افضل من الولايات المتحدة . إسرائيل ديمقراطية وتجمعنا بها قيم كثيرة " ، " هم شعب يريد السلام. انه حلم أتقاسمه معهم " ، " لكن إذا أردنا السلام فمن المهم أن يساهم جميع المدافعين عن السلام في ضرب الإرهاب وإحالة من يقوم به إلى القضاء " ... وكان الأطفال يقتلون.. والبيوت تدمر والمدن تنتهك..

وكـان اسـتعمال الدبابات والـ F16 دفاعا مشروعا عن النفس بينما إلقاء الحجارة إرهابا.

ما أريد أن أصل إليه يا قراء هو أن بوش – كمجرد رمز – ليس مجرما بالصدفة.. وإنما هو عريق في الإجرام.. عراقة لا تتصل بإدارته فقط بل بأمته كلها.. من الجذور .. ومن جذور الجذور..

وليس هذا الإجرام مفاجئا إلا لمن تعاموا – متعمدين عن قراءة التاريخ..

★ ★ ★

يقول الفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي[1] أن انحطاط الثقافة ينبع من تاريخ الولايات المـتحدة ذاتهـا ومن تكوينها و أن ما تقود أمريكا العالم إليه إنما هو إلى نهاية إنسانية الإنسان

(١) أمريكا طليعة الانحطاط– رجاء جارودى– (دار الشروق)

وتجـريده من أخص خصوصياته أي تسامي المشروع الإنساني والاستسلام لحتميات اقتصادية كأنها قوانين طبيعية . إنه هبوط بالإنسان ليعيش في غابة الحيوان حيث ينهش القوى الضعيف . إن ما يميز وحدانية السوق (الإله الجديد الذي تحاول أمريكا فرضه علي العالم) في الواقع هو تـلك "الليـبرالية الشمولية" ، وهذا الاحتقار لحرية الإنسان. ولقد أجادت الولايات المتحدة دائمـا اسـتخدام الذرائع لتصل إلى ما تريد.. ومن اليسير تعداد الأمثلة لاستخدام الذرائع والافتراءات ، مثل "مكافحة الإرهاب" ، أو "التدخل الإنساني" ، أو "حماية حقوق الإنسان " . لتبرير العدوان المباشر على الدول ، أو فرض القيود على الاتفاقيات الاقتصادية معها.

نعـم.. انحطت الثقافة الأمريكية بمفهوم الإنسان فجعلته مجرد حيوان مستهلك لا غاية له إلا الاستهلاك. ويفضح ميشيل ألبير في كتابه : "الرأسمالية ضد الرأسمالية انحطاط الحضارة الأمريكية فيقول : "الواجب الواضح هو استبعاد قضية الغاية الفلسفية" . وتلك بوضوح هي الغايـة النهائية لـ "وحدانية السوق " . وذلك بأن "نتأمرك " على الحياة الأكثر زيفا . ابتداء مـن الفيـلم الأمـريكي الذي بدأ بمطاردة الهنود وانتهى بتدمير العقول . ومرورا بكل أفلام الغـرب. وأحـراش المـال . و"دالاس " . وكل مناظر العنف . واللا إنسانية من "باتمان " إلى "ترميناتور" حتى الموعظة الرمزية التي تعود بنا إلى عالم " الديناصورات".

ويـري جـارودي أن ركائـز المجـتمع الرأسمالي الذي تقوده اليوم أمريكا وتقود العالم كالسـائمة إليه هي: تجارة المخدرات والسلاح والفساد. إذ يتساوى حجم تجارة المخدرات ماليا مع حجم تجارة السيارات والصلب داخل الولايات المتحدة . كما يتزايد الاستهلاك يوميا مع افتقاد معنى للحياة وتفشى البطالة والإقصاء ، ولأسباب أخرى عديدة[١].

وهكذا . فمما له مغزى كبير : أن انتحار المراهقين ترتفع معـدلاته في البلدان الأغنى . كمـا في الولايات المتحدة والسويد : ومن ثم ينتحر الشماليون لغياب الغايات . بينما يموت الجنوبيون لنقص الوسائل !.

---

(١) لا أكـاد أصـدق مـا سمعته من ثقات، أن الحكومة الخفية – على عكس المعلن – في الولايات المتحدة قـد اسـتاءت كثيرا عندما تولت طالبان الحكم و أوقفت زراعة الأفيون. لكن عدم التصديق هذا تزلزل عـندما لاحظت أن قوة رئيسية من التي اعتمدت عليها أمريكا في حرب طالبان والقاعدة كانت عصابات المخـدرات. و أن زراعـة المخدرات عادت بعد الاحتلال. وجارودي يضيف هنا تأييدا جديدا لأولئك الثقات.

وثمة إضافة هنا نضيفها إلي جارودي..

وهي أن الغاية بالنسبة للمسلم تحتل مكانا خاصا لا يقوم بغيرها إسلام.. ألا وهي عبادة الله.. وإقصـاء الغاية يعني في حقيقته إقصاء الدين. وما تفعله أمريكا ليس ضد الإسلام فقط.. إنه أساسا ضد عبادة الله.. ولا مانع – مؤقتا – من السكوت عن الإيمان السلبي به.. أو إيمان الخرافات والأساطير.

إن الإجـرام الأمـريكي يتبع نفس المنهج، إنها لا تريد الأفغان العرب أحياء، إذن فهي لا تـريد أسـري.. وبنفس المنطق.. هي لا تريد تدينا صحيحا – لإدراكها خطورة مثل هذا الـتدين علي منظومتها الفكرية – لذلك فإنها تحاصر المسلمين الحقيقيين كما حاصرت الأفغان العـرب في قـلعة جانجي، تحاصرهم ولا تريد منهم أسري. إنها – فقط – تريد أعضاء تحالف شمالي !!.

والتـنويريون الحداثيون المستغربون في بلادنا يقدمون كل ما تبتغيه أمريكا .. بل وأكثر مما تبتغيه ...!!



ويوضح جارودي أهمية السلاح – بعد المخدرات – بالنسبة لأمريكا، وضرورة استمرار المعـارك الحربية لاستمرار رفاهيتها.. ، فصناعة السلاح وتصديره هي الصناعة الأكثر رخاء: فهي التي صعدت بأمريكا إلى القمة، وجعلتها القوة العالمية الأولى عقب الحرب العالمية الأولى . في عام ١٩٤٥ استولت – بفضلها – الولايات المتحدة على نصف الثروة العالمية، وتوصلت إلى حـل نهائي لأزمتها التي بدأت عام ١٩٢٩ . وقد فجرت الحرب الكورية نجاحا اقتصاديا هـائلا وجديـدا . ومذبحـة العراق كانت إكليلا من المجد وإعلانا مصورا بالحجم الطبيعي والصوت والصورة لحركات الموت القاهرة والمعقدة، فارتفعت مبيعاتها ودارت عجلات إنتاجها عقب المذبحة .

بخـور آخر للحضارة الأمريكية الجديدة "وحدانية السوق" بعد المخدرات والسلاح : وهـو الفساد.. وهو في المنهج الأمريكي ليس أمرا عارضا ولا ضريبة للتقدم.. بل هو عنصر رئيسـي لا يمكـن لأمريكا الاستمرار بدونه.. ونشر الفساد داخل أمريكا وحول العالم ليس عرضا جانبيا للممارسات الأمريكية بل هو هدف أصيل في صلب النظام..

عرف آلان كوتا منطق النظام الأمريكي ، فقال :

" لا يمكـــن فصـــل انتشار الفساد عن توسع الأنشطة المالية والإعلامية . فعندما تسمح المعلومة بتكوين ثروة في بضع دقائق لا يمكن جمعها حتى بعد سنوات من العمل الشاق والمتعب طوال عمر كامل ، فإن إغراء شراء أو بيع هذه المعلومة لا يقاوم " . (الان كوتا: "الرأسمالية في كل حالاتها" الناشر : فايار، ١٩٩١)

وأضـــاف : "يلعب الفساد دورا مساويا للخطة". و بعبارة أفضل : في نظام كل شئ فيه يبـــاع ويشترى ، لم يعد الفساد – بل والدعارة أيضا – شذوذا شخصيا عن قواعد المجتمع . بل أصبحا من القوانين البانية للنظام ..

فهـــل تدرك الآن أيها القارئ.. هل تعي أن الفساد المنتشر في عالمنا العربي إنما منبعه هو تلك العلاقة الحميمة مع أمريكا؟!..

يواصل جارودي:

ذلك أن انحطاط الثقافة ينبع من تاريخ الولايات المتحدة ذاتها ومن تكوينها، وكل سكان أمريكا مهاجرون من الخارج ، عدا سكانها الأصليين من الهنود الحمر الذين كانت ثقافتهم تنظم علاقتهم الاجتماعية ، ولكن راح ٨٥% منهم في الإبادة الكبرى ، كما تم إقصاء البقية الباقية مـــنهم وتهميشـــها . وقـــد جاء سكان أمريكا (أي المستوطنون الأوروبيون) بحثا عن العمل وكسب المال أساسا . ومع اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم ، بين أيرلنديين وإيطاليين وغير ذلك من أجـــناس وجنسيات مختلفة ، كانت الرابطة الوحيدة التي ربطتهم جميعا هي ذلك الخيط الرفيع المشـــابه لما يربط العاملين في المؤسسة أو الشركة التجارية ، وأصبحت الولايات المتحدة تتبنى منظومة الإنتاج التي يقودها المنطق التكنولوجي والتجاري ، والتي يشارك فيها كل فرد منتجا أو مستهلكا، في غاية وحيدة هي تنمية مستوى المعيشة كميا .

هكذا كانت كل هوية ، ثقافية أو روحية أو دينية ، تعتبر مسألة شخصية ، فردية تماما، لا تتداخل مع مسيرة النظام . الذى شجع على أن يصبح الإيمان عديم الأهمية.

جـــنون الـــتأله مرض قديم في الحضارة الأمريكية . فقد كان من مصلحة هذه الحضارة ألا تنافس قيمها أي قيم أخري من خارجها، ولو كانت هذه القيم قيم الإيمان، ويؤكد جارودى أنـــه بالنسبة لهذه الحضارة فقد مات الإله ، و أصبح على الإنسان أن ينقطع عن كل ما هو مقدس ، وبخاصة هذا الدأب في البحث عن معنى الحياة الذي يقود بالتبعية إلى الإيمان بالله.

واتســـع المجـــال بذلك أمام تفشى الخرافات وانتشار الطوائف والهروب إلى المخدرات أو الشاشـــة الصـــغيرة ، بينما غطى كل ذلك صبغة تدعى الدينية وهي "البيوريتانية" الرسمية أو الـــتطهرية الرسمية ، التي تتعايش مع كل أنواع انعدام المساواة وكل المذابح والجرائم ، بل وتمدها بالتبرير والغطاء الديني.

لقد اكتشف توكفيل الحقيقة. وكان أول محلل ومراقب ثاقب البصيرة للولايات المتحدة، ففي عام ١٨٤٠ ، وفي كتابه الأساسي عن هذه الدولة ، وكانت لا تزال وليدة ، حين قال : " لم أعرف شعبا مثل هذا الشعب استولى فيه حب المال على قلوب البشر" .. " إنه شعب من شراذم المغامرين والمضاربين " . واليوم – أيضا – نستطيع أن نعثر في تاريخ هذا الشعب على أسس انحطاط ثقافته.



نعم .. الأمريكيون برابرة همج كالإسرائيليين.. ولكننا لا نريد الاعتراف بذلك..

لماذا قلنا أن الشعب الإسرائيلي مجرم لأنه انتخب الجزار شارون ولا نقول بنفس المنطق أن الشعب الأمريكي الذي انتخب بوش هو الآخر شعب مجرم؟!

وتماما كما حدث في فلسطين المحتلة التي لا يعترف فيها اليهود حتى الآن بحدود لدولتهم فإن الأمريكيين لم يعترفوا بحدود لدولتهم. وكانت العلاقة مع الآخرين – أيضا – ذات طبيعة خاصة . بدأت أولا بطرد الهنود للاستيلاء على أراضيهم ووضعهم بين خيارين: إما الإبادة وإما النفي والانسحاب إلى المعازل . وبعد ذلك كانت العلاقة بين البيض أنفسهم ، خاضعة لأحكام قانون الغاب . لنهب الثروات المسروقة من الهنود ، أرضا كانت أم ذهبا. وهكذا تقلص معنى الحياة إلى هذا التوسع الكمي للملكية وللأرض وكنوزها . وكان "الوست " أو "أقصي الغرب البعيد" يعنى – باستثناءات قليلة – تقديس هذه الملحمة العنصرية . وقانون الأقوى في حرب الجميـــع ضد الجميع . ولم تلعب التطهرية المسيحية أو البيوريتانية أي دور سوى دور تبريري لتلك الأفعال والعلاقات الاجتماعية . بل و المحرك لها !.

وهكـــذا أصـــبح العنف الأكثر دموية ، والتحريض عليه بنفاق المتدينين . ملمحا دائما في تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها . فلقد قدم المتطهرون من الإنجليز الأوائل إلى الولايات المـــتحدة، حاملين معهم العقيدة الأكثر دموية في تاريخ البشرية، ومسلحين بفكرة : "الشعب

المختـــار"، مقتنـــين فكرة الإبادة، وكأنها حسب روايتهم أوامر إلهية . كانوا يسرقون أراضى الأهالي الأصليين طبقا لتعاليم يهوا "إله الحرب " في "العهد القديم"، هذا الإله الذي أمر "شعبه المختار" بإبادة وذبح السكان القدامى في أرض كنعان واغتصاب أرضهم .

وبالضبط ، فإنه كما سمى الأسبان حربهم لإبادة الهنود في جنوب القارة الأمريكية تبشيرية "واستند المتطهرون الإنجليز على أوامر "يهوا" بالإبادة المقدسة ، لتبرير طردهم للهنود وسرقه أرضهم إحياء للعهد القديم . فقد كتب أحدهم : " واضح أن الله يدفع المستوطنين للحرب . بينما يعتمد الهنود بعدهم وعددهم على ارتكاب الخطأ، مثل القبائل القديمة. يتحينون الفرصة لفعـــل الشـــر، تماما مثل قبائل "الأماليسيت " القديمة والفلسطينيين الذين كانوا يتحدون مع آخرين لقتال إسرائيل ".

وهذا يوضح فكرة أن الأرض "الموعودة" في فلسطين أو أمريكا ليست سوى أرض محتلة بـــالقوة! ويوضـــح أيضا أن الإجرام طبيعة أصيلة في الشعب الأمريكي كله – كما هو طبيعة في الشعب اليهودى في إسرائيل – .. وهو يقود العالم كله أمامه للانحطاط..

إن إعلان استقلال الولايات المتحدة ، في ٤ من يونيو عام ١٧٧٦ ، الذي يعد إرهاصا لـــ "إعلان حقوق الإنسان والمواطن " في فرنسا عام ١٧٨٩ ، يعطى مثالا صارخا للنفاق عن الحرية بمعناها الأمريكي . ينص الإعلان في سطوره الأولى على ما يلي : "لقد خلق الناس جميعا متساوين . ومنحهم الله حقوقا لا تقبل التنازل عنها ، كالحياة ، والحرية والبحث عن السعادة". ومـــع ذلك .... فقد استمرت عبودية الزنوج مع هذه "الحرية" قرنا من الزمان . وكان لا بد مـــن أن تـــنفجر حرب أهلية عام ١٨٦٥ لإنهاء ما كان يسمى حتى ذلك الوقت "بالمؤسسة الخاصـــة" (!) أو "نظـــام العبيد" . وحتى بعد تلك الحرب لم يكن لهم مكان في المجتمع . حيث انـــتقل العـــبيد الزنوج بمقتضى هذا الإفراج من العمل في مزارع الجنوب بالسخرة إلى العمل في مصانع الشمال بأجر زهيد أو بمثل سابقه . ثم نشأ بعد ذلك إرهاب المنظمات السرية ، مثل كـــو كلوكس كلان . واستبعدت القوانين السوداء العبيد القدامى من الحياة السياسية ، كما اســـتبعدتهم من الحياة المدنية . واستمر التمييز العنصري حتى يومنا هذا برغم تضحيات بذلها عظمـــاء مثل مارتن لوثركينج . وكذلك ظهر أبشع أنواع النفاق فيما يخص الهنود. كما ظهر لأول مـــرة ما أصبح المبدأ المحرك لكل الاعتداءات المستقبلية التي ستقوم بها الولايات المتحدة الأمـــريكية عبر العالم أجمع . ويتمثل هذا المبدأ في اعتبار كل عدوان أو إبادة تقوم بها الولايات المتحدة نوعا من "الدفاع الشرعي" .

إن إعلان الاستقلال ، الذي أقر مبادئ الحرية والمساواة، وصف الهنود بأنهم "متوحشون بغـير رحمـة، وسيلتهم المعروفة هى شن الحرب وذبح الجميع " . هكذا تكلموا عن السكان الأصـليين حـتى يـبرروا مسبقا المذابح ونهب الأراضي، واعتبار تلك الجرائم البشعة نوعا من "الدفاع الشرعي" . كما لو كان الهنود هم الذين "غزوا" أراضى المهاجرين ، بينما هؤلاء الأوروبيـون كانوا ينهبون أراضى الهنود ويدمرون حياتهم بصفة مستمرة . ومنذ ذلك الحين ومنذ تلك "الخطيئة الأساسية" : إبادة الهنود واستعباد الزنوج واستخدام أبواق الإعلام لقلب الحقائق، منذ ذلك الحين تم وضع حجر الزاوية الأساسي للسياسة الأمريكية وللثقافة الأمريكية وفي مـنهج إدارة أمـريكا للعالم. فقد قلصت الإبادة التى قام بها " شعب الله المختار " أعداد السـكان الأصـليين مـن عشرة ملايين[1] إلى ٢٠٠ ألف نسمة. وقد شهد توكفيل بربرية المستعمرين ضد الهنود الحمر الذين يملكون أسلحة لا تتوازن أبدا مع أسلحة الغزاة . ووصف بسـخرية لاذعة وإنسانية ذبيحة ، ذلك النصر الذي حققته " الحرية" وهذه المسيرة المنتصرة "للحضارة عبر الصحراء" ، بينما في قلب الشتاء كان البرد قارسا . وكان ثلاثة أو أربعة آلاف جـندي يطاردون السكان الأصليين الرحل الذين يخطون آخر خطواتهم نحو الانقراض . وهم يحمـلون جـرحاهم ومرضاهم وأطفالهم الرضع وعواجيزعم إلى حافة الموت . "مشهد مؤثر لا يمحى أبدا من الذاكرة" .

هكذا بدأ التاريخ في شمال العالم الجديد.

هكذا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية..

قتل وسرقة ونفاق وكذب وادعاء فاجر بأن الله يبارك كل ذلك..!!..

وبـنفس هـذا المـنهج أطلقوا على الرئيس بنيامين فرانكلين في عام ١٧٥٤ . اسم "أبو الأمة" . لأنه "الرجل" الذي أزاح الأهالي الأصليين ، ليفسح المجال أمام شعبه . وقد لقن جـورج واشـنطون نفس الدرس لبعض قبائل الهنود الحمر ، عندما أمر قواته بتدمير مجتمعهم وحضـارتهم . وكانا بمقاييس عام ١٧٧٩ على درجة من التقدم . ولم يشهد العالم مثيلا لهذا النفاق والجبن الأخلاقي الذي لقي ثناء واستحسانا لعدة قرون.

---

(١) تصـل بعض التقديرات بالرقم إلى خمسين مليونا. ولكن من الممنوع في الولايات المتحدة بحث هذا الأمر. تماما كما هو ممنوع التشكيك في رقم الستة ملايين يهودي في الهولوكوست المزعوم. ولقد حاول الصديق والمفكر الأستاذ مجدى حسين أثناء إحدى رحلاته للولايات المتحدة أن يجري بحثا عن الهنود الحمر. ولكنه قوبل بتحذير مذهل،إذ قيل له أن هناك من قتل لأنه أصر على إجراء مثل هذا البحث.

تلك كانت الخطوات الأولى في إجرام لم يتغير و إنما تعددت وسائل إخفائه والتمويه عليه.

لقد كشف توماس جيفرسون ما تغلغل في هذا الشعب من لصوصية و إجرام ليس ضد الهنود الحمر فقط.. بل ضد الرجل الأبيض أيضا.. يقول جيفرسون : "من الخير أن تبقى القارة في قبضة العرش الأسباني حتى تكتمل لشعبنا القوة ليأخذها منه قطعة بعد قطعة".



ما تفعله أمريكا ليس جديدا عليها.. و إنما هو جوهر الحضارة الغربية التي حملته معها من أوروبا.. كل شئ كذب وكل شيء خداع ولا جريمة محرمة في سبيل المكسب.. والآخر دائما كومة من القش ..(نفس ما يحدث الآن لإخوتنا في أفغانستان وفلسطين).

ففي بريطانيا استند آدمز إلى نفس النهج حين حاولت الصين وقف تصدير الأفيون عن طريق الهند ، وهي المحاولات التي فجرت حرب الأفيون ، واستخدمت فيها إنجلترا القوة . لدحر مقاومة الصين للمبادئ "النبيلة" لحرية التجارة . بينما وصف آدمز محاولة الصين لوقف إغراق بلادها بالأفيون بأنها ضد الطبيعة، ومحاولات تعارض طبيعة الأشياء!.

ثم يأتي بعد ذلك ودرو ويلسون ليحدد "مهمتنا الخاصة" بأنها "تلقين" كل شعب مستعمَر: "النظام وضبط النفس (!) والتدريب على القانون والطاعة " .

ومعنى ذلك من الناحية الواقعية : " الخضوع لحقنا في استغلالهم ونهبهم " .

ويشرح ودرو ويلسون في نص خاص الدور الذي تقوم به سلطة الدولة في هذا "المشروع" : بما أن التجارة لا تعرف حدودا قومية، وبما أن المنتج يحتاج إلى العالم ليصبح بأجمعه سوقه التجارى، فلابد إذن من أن يسبقه علم بلاده ، حتى يوفر له فرصة اختراق كل الأبواب المغلقة. ولابد أن يحمي رجال الدولة الامتيازات التي يحصل عليها رجال المال، حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير سيادة الأمم التي تحاول التصدي لذلك . يجب إقامة المستعمرات أو ضمها حتى لا نترك أي ركن في العالم. هذه المذكرات السرية توضح المعنى الحقيقي لمثل ويلسون العليا في الحرية والحكم الذاتي. وهى المثل العليا التي يثرثر بها كثيرا مثقفو الغرب .

وقد شرح وزير خارجية ويلسون ، روبرت لانسينج ، معنى " مبدأ مونرو" في مذكرته التي اعتبر نشرها خطأ ، وإن كان لا يشك في صحة حججه ، جاء فيها : " تدافع الولايات المتحدة عن مصالحها الخاصة، حين تدافع عن مبدأ مونرو، لأن سلامة بقية الأمم الأمريكية

ثانويـــة بالنسبة للولايات المتحدة، ولا تعتبر هدفا في حد ذاته . وبرغم أن ذلك يبدو في منتهى الأنانيـــة، فـــإن مؤسس هذه العقيدة لم يكن لديه أي دوافع أخرى أكثر عمقا، أو اكثر كرما لتقديمها" .

إن دراســـة الجـــذور المؤسسة للأسطورة الأمريكية وسياستها الخارجية ، تؤكد أن تلك الجذور لم تتغير منذ قرنين من الزمان.

نعم.. الإجرام أصيل عريق..

ليس في جورج بوش ولا في إدارته.. و إنما في الشعب الأمريكي إلا من رحم الله..

تاريخ الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر هو في الأساس تاريخ القضاء على الهنود. من عام ١٨٠٠ حتى عام ١٨٣٥ ، أبعدت تلك القبائل لما وراء الميسيسبي عبر ظروف انتقال وإقامة تعد أحلك صفحة في التاريخ ، وتفوق سوء الحال الذي أحدثه التهجير الهتلرى . وبعد عـــام ١٨٤٠ وإنشاء ومد السكك الحديدية ، أجبر الهنود على ترك آخر أراضيهم ليستقروا في المعـــازل المشـــابهة للحظائر الحيوانية . وأدى هذا الصراع إلى موت الملايين . لأن المقاومة المسلحة للهنود لم تنته إلا بذبح زعيمهم " وفندني في عام ١٨٩٠.

★★★

هـــل أدركتم يا قراء حجم الخطر الذي تمثله تلك القوة الحمقاء الشرسة المجرمة الهمجية البربرية علي العالم .. وعلينا..

قوة الولايات المتحدة الأمريكية والقطيع الذي تسوقه..

نفس ما فعله التتار في العالم.. ونفس ما فعلوه في الخليفة العباسي حتى برغم استسلامه .. لأنهم رأوا أن مجرد وجوده سيشعل الجهاد من جديد..

★★★

لقد طرحت أحداث الشهور الأخيرة من العام الأول في القرن الحادي والعشرين الأمر كما لم يطرح من قبل أبدا..

كـــان الغرب بمنهجه المجرم ووسائله الباطشة يخفي جزءا من الصورة دائما ويبث الشك فيما عداها.. حتى جاءت تلك الأحداث لتظهر الصورة كاملة كما لم تظهر من قبل..

إن الحداثـــة، وعبادة الدولار والذهب، هما دين الولايات المتحدة الأمريكية الذي تحاول ببطشها وقهرها جر العالم إليه..

يقول جارودي :

تعـــنى "الحداثـــة" النســـيان والازدراء والجهل والصبيانية لصالح الجهل والأمية الثقافية والجاهـــلية الميكانيكية والمعلوماتية. إن المهمة الأولي للمثقفين هي كشف الأكاذيب التي تسود المـــراجع المدرســـية ووســـائل الإعـــلام، وهمـــا اللذان يخدمان الغرب للإبقاء علي هيمنته بأيديولوجيات مغالطة عن حداثته.." ..

ثم يؤكـــد: " وليس ثمة افتراض واحد عن تلك الحداثة المزعومة لا يعد افتراء وكذبا. وأولها تلك المزاعم عن الديموقراطية ، وحماية حقوق ا لإنسان والحرية " .

لقـــد أعلنت أمريكا ومن يسير في ركابها من أتباع الدين السري الجديد الذي يسميه جـــارودي "وحدانية السوق "، و أسميه أنا: " عبادة الشيطان " .. أعلنت حربا حقيقية علي الديـــن ، مع تحويل كل ما يخالف ديانتهم إلى شيطان . وبغض النظر عن المميزات والحسنات أو الجرائم والأخطاء والمزايا ، فإن كل من خالف معبودهم وهيمنتهم أصبح هتلر جديدا سواء كان أصوليا أو عراقيا أو حتى معارضا من بيرو.

نعم.. أمريكا تقود العالم إلي عبادة الشيطان..

والجريمة ليست جريمة فرد ولا إدارة ولا فئة.. الجريمة جريمة الشعب الأمريكي كله..

قـــد يقـــول البعض – وقد أوافقهم – أن بعض الشعب الأمريكي ودود.. و أن صفاته الخلقية في التعامل بين الأفراد صفات طيبة..

وقـــد يقول البعض أن الشعب الأمريكي يجهل ما يدور في العالم حوله.. وقد أصدق من يقول ذلك..

لكنني في نفس الوقت.. أعقب علي هذا وذاك.. أقول أن الود الذي يزعمه البعض هو ود مصـــنوع.. فالقيم الإنسانية لا تعرف التجزئة.. كما أن تفسير الحداثة للقيم هي أن تكون نسبية ومتغيرة.. والقيم لا يمكن أن تكون قيما إلا إذا كانت مطلقة.. وبعبارة أخري فإننا نعني بالنســـبي: البشـــري ونعني بالمطلق: الإلهي.. إن الكذب يظل في القيم المطلقة كذبا دائما حتى

لــو نجاك من الهلاك أو أتي إليك بثروة قارون.. بينما هو في القيم النسبية يكون خيرا أو شرا حسب الظروف المتغيرة.. إننا علي سبيل المثال عندما نتحدث عن درجة حرارة معتدلة أو عالية أو منخفضــة فلابد أن يكون مرجعنا شئ ما.. فهي معتدلة للإنسان مثلا.. فإذا نحينا الإنسان ســقط المعــني عــلي الفور.. فالحرارة المعتدلة في الشمس بضعة آلاف درجة وفي القمر عدة مئات..

نعم.. ليس هناك أي معني للقيم ما لم تنسب إلي الله.

في كــتاب بــالغ الأهمية للدكتور عبد الوهاب المسيري[1] يقول:" ... والنسبية بدأت تستشري في بلادنا أيضا . ويلاحظ أن كثيرا من المثقفين اليساريين ممن اكتسحتهم النسبية تخلوا عــن عقيدتهــم الثورية وعن الإيمان بمقدرة الإنسان على التجاوز(فالتجاوز يفترض اختيارا ، والاخــتيار يعني مفاضلة ، والمفاضلة لابد أن تستند إلى معايير ثابتة) وأصبحوا من دعاة الأمر الواقع والتطبيع وقبول ما هو قائم ، أي أصبحوا من عمد الرجعية الصلبة. ولكن ، وهذا هو الغــريب، يوجد فريق لا يزال متمسكا بقيم مثل الخصوصية القومية المستقلة وضرورة مقاومة إسرائيل، ومع هذا تجده ينطلق من الإيمان بنسبية كل الأشياء ، فمثل هؤلاء غير مدركين أنه إذا كانت حقا كل الأمور نسبية (كما يدعون) فلا سبيل لتفضيل شيء على آخر، فالتغير يكتسح كــل شيء في طريقه. فالالتزام في الأدب مثلا يفترض وجود قيم إنسانية ثابتة، لابد أن يدافع عــنها الأديب الملتزم ، فإن كانت كل الأمور نسبية ، فالالتزام يصبح مساويا لعدم الالتزام، والدفاع عن الإنسان يصبح مثل الهجوم عليه. وقد حضرت ندوة عقدت ضد التطبيع حضرها ممثلو الأحزاب المصرية، بما في ذلك اليساريون، الذين قدموا ورقة عن الهوية المصرية قالوا إنها كانت فرعونية ثم قبطية ثم عربية ثم حديثة!. وقولهم هذا يؤكد الصيرورة المستمرة، بل وتنتهي الهــوية بشيء عام لا لــون ولا طعم ولا رائحة له يسمى "حديثة" . فأشرت إلى أنه مع هذه الــتغيرات المذهلة لم لا نتصور تحول هذه الهوية إلى هوية شرق أوسطية، كما ينادي الصهاينة! أليــست كــل الأمور نسبية؟ أليست كل الأمور متساوية ؟ فاستشاط كاتب الورقة غضبا، وأصدر أصواتا عصبية حيث كان يجلس"..

(١) رحلتي الفكرية– الجذور والبذور والثمر– الهيئة العامة لقصور الثقافة.

النسبية إذن وجه من وجوه الكفر.. بل أبشع وجوهه..نعم.. تعني الكفر بكل شئ.. بالله وبالأنبياء والكتب المقدسة والأحاديث النبوية الشريفة.. ولا يقتصر الأمر على ذلك.. لأنها تعني أيضا الكفر بالقومية والوطنية وبأى مرجعية على الإطلاق.. فهى كفر مطلق. والغريب كما قال الدكتور المسيري أن الكثيرين من المثقفين في بلادنا – اليساريين على وجه الخصوص – يتبنونها ثم يدعون أنهم مسلمون مؤمنون بل يتصدون للمسلمين والمؤمنين كي يعلموهم فقه دينهم. كما يدعون أنهم وطنيون يكرهون إسرائيل.. أو يدعون أنهم ضد الشذوذ الجنسي[١].

وهنا أريد أن أركز علي معني هام لا أريد أن أستطرد فيه كثيرا: وهو أن نسبية القيم تعني في النظرية الأصلية كما هي في الواقع والتطبيق: انعدام القيم.. و أن هذا هو نفس معني الحداثة، وما بعد الحداثة، فكل هذه المسميات فى النهاية – كالعلمانية والماركسية – كفر.

ولعلي أذكر القراء بأحد تصريحات بوش في يوم ١١ سبتمبر حين قال: إنهم ضد حداثتنا.. والواقع أننا فعلا ضد الحداثة – وأنبه القارئ إلي الاختلاف الكلي بين الحداثة والتحديث – لكننا لا نتدخل في أمرهم في بلادهم.. هم الذين يحاولون إرغامنا علي الكفر تحت اسم الحداثة. ولقد بدا ذلك بفظاظة في انتقادهم للتعليم الديني وخطباء المساجد في مصر والسعودية والباكستان، كما تبدي رد الفعل بمنع خطباء المساجد من الدعاء للمجاهدين في أفغانستان.

نحن لا نريد إرغامهم علي الإيمان..

هم الذين يريدون إرغامنا علي الكفر..

ننتقل إلي النقطة الثانية.. ذلك أن جهل الشعب الأمريكي بما يدور حوله – وهو في الغالب بسبب تصرفات بلاده ومحاولتها أن تهيمن علي العالم – هو جهل متعمد.. كتعمد أسرة ألا تسأل ربها عن مصدر أمواله لأنها في الوعي أو حتى في اللاوعي تدرك أنه مال حرام.. حصيلة السرقة وملوث بالدم.. أو كتعمد أب ألا يسأل ابنته عن الجواهر التي تزين جيدها ويديها.. لأنه يعلم في الوعي أو اللاوعي أنها نتاج الدعارة..

يقول جارودى عما فعلته أمريكا بنفسها وبالعالم : " حولت كل شئ إلي دعارة"..

(١) للتذكرة، أذكر القارئ بما قاله وزير الثقافة المصري إبان أزمة الوليمة من أن " الأخلاق نسبية، وكل شئ نسبي".

ولكم هو مصيب..!!

كل شئ..

فـــتاريخ الولايات المتحدة هو تاريخ سرقة أوطان و إبادة شعوب واسترقاق البشر الذين قامت علي أكتافهم أسس النهضة الشيطانية..

السرقة والقتل والنهب والاحتلال والكذب وازدواج المعايير صفات أصيلة في الشخصية الأمريكية.

في نيويـــورك ، وحسب إحصاءات الشرطة ، يقع هناك حادث قتل كل أربع ساعات ، واغتصـــاب كل ثلاث ساعات ، واعتداء كل ثلاثين ثانية . وبرغم كل ذلك ، فإن نيويورك لا تتبوأ سوي المكانة العاشرة ضمن مدن الولايات المتحدة بالنسبة لانتشار الجرائم . وفي عام ١٩٩٨ ، تم إحصاء ٢١٠٠٠ جريمة قتل في سجل الولايات المتحدة الأمريكية . واليوم هناك أكثر من مليون أمريكي في السجون ، وأكثر من ثلاثة ملايين آخرين تحت المراقبة القضائية .

أربعة ملايين .. هم الذين لم يستطيعوا الإفلات من القانون..!!

وفي تقريـــر صـــدر عن "صندوق حماية الأطفال" – المؤسسة الرئيسة لحماية الأطفال في الولايات المتحدة – رصد الخط البياني الصاعد بلا توقف للأطفال والمراهقين المقتولين بالأسلحة الـــنارية : " منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٩١ قتل ما يقرب من ٥٠ ألف أمريكي أقل من تســـعة عشـــر عامـــا (٩ آلاف أقل من أربعة عشر عاما و ٤٠ ألفا بين خمسة عشر وتسعة عشـــر عامـــا)، قتلوا برصاصات أو حوادث أو جرائم متشابكة . في خلال الفترة ذاتها، نجد أن عدد المحتجزين لارتكاب جرائم قتل وذبح ممن هم دون سن التاسعة عشرة قد تزايد بنسبة ٩٣% " . وحســـب مـــا ورد في الـــتقرير ذاتـــه ، فإنهم في الأغلب الشباب الذين يقتلون أو يصيبون شبابا آخرين.

كما سجل عدد القضاة الذين ثبتت إدانتهم في قضايا الرشوة والغش الضريبي بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٠ رقمـــا قياســـيا فاق عدد الذين أدينوا للسبب ذاته خلال الـــ١٩٠ عاما الأولى من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

إن خمسة عشر مليون أمريكي يعملون في صناعات السلاح والأنشطة المتعلقة بها، وهذا الـــرقم يـــزيد عـــن ربع القوة العاملة في المجتمع الأمريكي، والذين يمكن أن يتضرروا بشدة ما لم تكن هناك حروب.. فهل يختلفون عن أكلة لحوم البشر؟.

إدارة مجــرمة لشعب ليس بريئا ولا يمكن أن يتوب.. فبدون القتل والسرقة والهيمنة لا يستطيع أن يعيش في المستوى الذي اعتاد عليه.

مــا أقولــه عن قيام أمريكا بمحاولة الهيمنة علي العالم كي تستمر في نهبه تحت شعارات أخلاقية ليس مجرد تكهنات.. بل إن التقارير الأمريكية التي يكشف عنها بمقتضى قانون تداول المعــلومات – بعــد منع نشرها فترات يطول بعضها إلي ما يقرب من مائة عام كما في قضية اغتيال كينيدي – تقر بذلك. يقول تقرير منها:

"نحن نملك حوالي ٥٠% من ثروة العالم ، غير أننا نمثل ٦% من سكانه فقط .. وفى مثل هــذا الوضــع ، لا يمكن تجنب أن نكون هدفا للضغينة والغيرة . فمهمتنا الحقيقية، في الفترة القادمــة ، هــي تطوير نظام علاقات يسمح لنا بالحفاظ على هذه المكانة . دون تعريض أمننا القومي للخطر . ولتحقيق هذا علينا أن نتخلص من أي رومانتيكية ، وأن نكف عن الحلم ، مع البقاء متيقظين . ويتعين أن يكون كل تركيزنا منصبا على أهدافنا القومية المباشرة والفورية، وألا يصــيبنا الغرور . ولا يمكن أن نسمح لأنفسنا اليوم باتباع رفاهية حب الغير والخير على الصعيد العالمي . وينبغي أن نتوقف عن الحديث عن أهداف كبيرة غير محددة فيما يخص الشرق الأقصــى ، فهو غير قابل للتنفيذ ، وكذلك حقوق الإنسان ، ورفع مستوى المعيشة ، وإرساء الديموقراطية . ولن يكون بعيدا اليوم الذي سيكون علينا فيه استخدام القوة" .

إن الولايــات المــتحدة تعيش أعلى بكثير من إمكاناتها : فاستغلال العالم يتم على نفس الــنحو الــذي تمت به مجازر الهنود ، كما لو كانت مذابح الهنود الحمر لم تكفها . والولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأغنى رسميا في العالم، ولكنها في الواقع أكثر دولة مدينة –أيضا– بما يقدر بــ ٣٥٠٠ مليار دولار من الدين الخاص ، ومبلغ مماثل من الدين العام ، وهذا يعنى ما يساوى ثلاثة أضعاف ديون كل دول العالم الثالث مجتمعة .

نعرف ونعترف ونقر أن الشعب الأمريكي شعب مجتهد.. لكن تراكم الثروة بهذه الطريقة ليســت نتاج اجتهاده بل حصيلة نهبه وسرقاته، وتوظيف آلته العسكرية الجبارة في دعم هذه السرقات وحمايتها.

وكانت دائرة الشيطان مغلقة، فكل حلقة فيها تؤدى إلي الأخرى.. وبلا نهاية.. فالحفاظ علي السرقة دون حساب ودون عقاب كان يستلزم دائما الحفاظ علي أقوي جيش في العالم.. والحفــاظ علي أقوي جيش في العالم يتطلب استثمارات هائلة.. والاستثمارات الهائلة تتطلب ســرقات هائلة – فضلا عن ضرورة وجود مبرر قوي يقنع الشعب الأمريكي بتخصيص هذه

المبالغ الهائلة التي تستقطع للجيش - .. لكن.. لا الإدارة تستطيع مواجهة الأمة بأنها أمة من اللصوص ولا الأمة الأمريكية قادرة علي أن تواجه نفسها بذلك .. فالمواجهة تتطلب قرارا.. والقرار إما أن يكون توقفا عن السرقة وتخليا عن نمط حياة يعبدونه من دون الله أو اعترافا أمام العالم بأنهم شعب مجرم ولص.. ذلك الاعتراف الذي سيشكل - رغم القوة الجبارة - ضربة قاتلة لبريق المشروع الأمريكي.. لذلك لم يكن أمامهم من سبيل إلا الكذب والتزييف والخداع.. كذب كلي شامل.. كذب لا يقتصر علي تزوير وقائع الحاضر.. بل يعيد كتابة التاريخ البشري كله مزورا.. ومن خلال هذا التاريخ المزور.. يمكن الكذب ليس علي الناس فقط.. بل علي الله.. كما يمكن تقديم الدين والمتدينين في صورة مشوهة مقززة تدعو للاستهجان والازدراء.. صورة الخرافات والأساطير.. وهنا تتقدم الحداثة علي هذه التربة الممهدة لها منادية بالانفصال عن الماضي كله وابتداع قيم حداثية جديدة.. لكن تدعيم الكذب يحتاج إلي الكذب باستمرار.. كما يحتاج إلي إخراس كل صوت يكشف ولو نزرا يسيرا من الحقيقة في أي بقعة من بقاع العالم.. لا بد إذن من قمع هذه الأصوات.. من إخراسها.. من إغلاقها كما أغلقت صحيفة الشعب .. أو قصفها كما قصف مكتب الجزيرة في كابل ومحطات الإرسال التليفزيوني في فلسطين ، والحرب بالنسبة لأمريكا ليست معركة أو عدة معارك تنتهي بالانتصار.. بل هي سلسلة متشابكة لا تتوقف أبدا.. ومن المحتم قبل نهاية كل حرب أن تكون الحرب التالية جاهزة.. ممنوع وخطير ومدمر أن نترك للعالم فرصة لالتقاط الأنفاس و إلا فكر في أمره وتدبر.. وحينها يمكن أن يكتشف الحقيقة.. حقيقة الشيطان الذي أصبح الأمريكيون عبدته ومريديه وجنوده.. لذلك كله كان لابد أن يكون هناك عدو دائم.. عدو خطر.. يهدد الولايات المتحدة ذاتها .. لذلك فإن مواجهته نوع من الدفاع الشرعي عن النفس.. من أجل ذلك اقتنعوا و أقنعوا شعبهم أنه يجب الحفاظ علي وضع القوة الهائلة الخاصة بهم مهما تكلفت وذلك لتخليد الهيمنة عبر إيقاع الهزيمة بأعدائهم بأسلوب مدمر وقوة عسكرية تكفي لردع أي أمة أو مجموعة من الأمم تفكر في تحدى إرادة الولايات المتحدة أو الاعتراض علي هيمنتها وسرقاتها. حتى الاعتراض بالكلمة. ليس هناك حياد.. إما معنا أو علينا.. وقد كتب بول نيتز - أحد كبار المخططين الأمريكيين في الخمسينيات - في خطة "الصقور ": "إن الولايات المتحدة تملك لاشك قوة عالمية لذلك وجب نصب عدو شامل وتحويله إلى شيطان بطريقة تبرر أي تدخل أو اعتداء من قبل الولايات المتحدة، واعتباره رد فعل دفاعيا لتهديد شامل تعرضت له مسبقا، دفع بها لاتخاذ هذا الإجراء" .

لقد كان انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، ثم انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٨٩ ورطة للولايات المتحدة، فقد وضعها ذلك أمام المشكلة الصعبة، وهى تبرير استمرار سياسة التسليح أمام شعبها، إذ إن تلك السياسة هي أحد العناصر الأساسية وغير المستغنى عنها في دائرة الشيطان

وكان يجب إذن البحث عن بدائل "لإمبراطورية الشر".

وكالزارع الماهر – علي اعتبار أن الشيطان ماهر – فإنه يحتفظ في مخازنه دائما برصيد من البذور كي يزرعها فصلا بعد فصل و عاما بعد عام .. قد تختلف الظروف والأحوال والمناخ ومتطلبات السوق فيغير موعد زراعته أو يقدم زراعة محصول ويؤجل زراعة محصول آخر حتى الوقت المناسب.

من هذه البذور كانت هناك بذرة جاهزة في المخازن.. كانت موجودة منذ زمان طويل جدا.. توارثوها قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وانتقلت من عاصمة إلي عاصمة ومن بلد إلي بلد.. تغيرت الأسماء وتغيرت الدنيا لكن البذور ظلت كما هي.. منذ مؤتة وأجنادين وأوربيان الخامس والحروب الصليبية.. في نهاية السبعينيات من القرن الماضي أخرجت البذور من مخازنها.. وراحوا يتداولون الأمر في دهاليز المخابرات الأمريكية.. ووضعوا لأول مرة في التاريخ أسماء لهذه البذور.. "كالإرهاب" و"التأسلم".. بدءوا ينشطون هذه البذور كالزارع حين يشتل.. ثم صدروا هذه الشتلات إلي عملائهم من الحكام والنخبة المثقفة .. ولا أقول أنهم ابتلعوا الطعم.. وليته كان طعما.. إذن لاكتشفوه ذات يوم وتغيروا.. لكنه بالنسبة لهم كان جزءا من عملهم ومن مناصبهم التي لم يوضعوا فيها إلا للقيام به.

ورعت الأنظمة العربية والإسلامية هذه الشتلات.. و أخذت أجهزة الإعلام تهاجم التأسلم والإرهاب. وعبر عمليات معقدة متشابكة .. بل شديدة التعقيد والتشابك استطاعوا توجيه الأمور في الاتجاه الذي يريده سادتهم.. تماما كالقنوات التي يحفرونها كي تسيل السيول فيها.. علينا أن نتأمل هذا التشبيه جيدا.. فالناس لا يخلقون السيول ولا ينزلونها من السماء.. لكنهم يستطيعون التحكم في مسارها.. وهذا بالضبط ما فعلته الولايات المتحدة – والغرب كله– في كثير من الحركات الشعبية والإسلامية التي نهضت لكي تقاوم الانهيار.. فقام الغرب بحفر الحفر والمسارات لها، فتغير المسار و أسن الماء.

تم التوجيه وراحت الأمور تتداعى والوكلاء ونخبة المثقفين المنحرفة تمهد التربة وتشق "المخرّات" للسيول ..!!...

في بدايـــة الثمانينات كان الاتحاد السوفيتي لم يتفكك بعد.. ولا كانت شتلات الشيطان أينعت بالقدر الكافي لخداع المسلمين بأن الحملة ليست ضدهم.

كـــانت هناك بالطبع أصوات أدركت الخطر منذ زمان طويل جدا لكنها كانت محاصرة لا يصل صوتها إلى عامة المسلمين.. وقد تكفلت النخبة المثقفة الرسمية بهذا الحصار.. تماما كما حاصر الخونة من التحالف الشمالي في أفغانستان الأبطال المجاهدين.. تماما.. وكما أطلق الغرب عـــلي حـــثالات التحالف الشمالي من الخونة والمرتشين وقطاع الطرق وتجار المخدرات اسم المجـــاهدين وأطـــلقت على المجاهدين الحقيقيين اسم الإرهابيين فقد أطلقت على النخب المثقفة المستغربة اسم المثقفين.. الذين قاموا يدعمهم الإعلام الوطني والعالمي بتسمية علماء الأمة الذين يحملون ثقافتها الحقيقية بالمتطرفين والإرهابيين والظلاميين والمتخلفين والمتأسلمين.

وكـــانت الفترة فترة قلق بين الانتهاء من حرب أوشكت علي نهايتها(ضد الشيوعية) والتمهيد لحرب توشك أن تبدأ (ضد الإسلام).

وفي فترة ما بين الحربين تلك كان لابد من بذر الحقل بزراعات مؤقتة .. لذلك برز كل من "الحق في التدخل الإنساني" أو "حماية الحقوق " أو "حرب المخدرات " .

وأصـــبحت إمبراطورية الشر الجديدة ممثلة بعد ذلك في العراق، التي استعملت أمريكا ضـــده كـــل قواتها المسلحة، في الوقت الذي تستخدم فيه الفيتو التي تملكه لمنع إدانة الجرائم الوحشية التي ترتكبها إسرائيل. لكن الحرب مع العراق كانت أصغر من أن تمثل الوقود الدافع لعربة الشيطان والسرقة والنهب و إقناع الشعب الأمريكي بمواصلة الإنفاق علي الآلة الحربية خاصة بعد أن هزم الأعداء جميعا.

كان لابد للهدف أن يكون كبيرا باتساع العالم..

وكان لابد للزمن أن يكون غير محدد..

وكان لابد من خلق إمبراطورية شر جديدة.. •

وتمامـــا.. كمـــا يفعـــل الزارع.. تم اقتلاع المحصول المؤقت المزروع: "الحق في التدخل الإنســـاني" أو "حمايـــة الحقوق " أو "حرب المخدرات ".. وزرع المحصول الجديد : الإرهاب الإسلامي..!!

ولعـــل القـــارئ يلاحـــظ أنهـــم في بداية حربهم تلك ضد الإسلام .. في أفغانستان.. قد استعانوا أول ما استعانوا بالمجرمين وقطاع الطرق وتجار المخدرات..!!..

ويـــبرر الأمريكيون الأمر لأنفسهم بأن "إمبراطورية الشر" لابد أن تسحق حتى تعود إلى العصر الحجري، تماما كما يقتنع كل قرصان وقاطع طريق بضرورة قتل ضحيته كي يتمكن من سلبه.

تحاول الولايات المتحدة أن تكون ممثلة الله على الأرض طبقا لثلاث خصائص رئيسية ، مـــن صـــفات الله : امـــتلاك كل العلوم والقوة الشاملة ، والإحسان . بالتالي يعنى هذا رقابة إليكـــترونية على العالم ، وعلى الذين يشك في كونهم ممثلي الشر وحملته . وتستأثر الولايات المتحدة لنفسها بمعرفة من يدخلون تحت هذا التصنيف . فلا توجد محاكمة لهم . بما أن الولايات المـــتحدة تحتكر مسألتي الثواب والعقاب ، بالإضافة لحق الادعاء . هكذا تمارس هيمنة ثقافية وتمتلك قوة اقتصادية وعسكرية تحت إدارة البنتاجون وجهاز الاستخبارات لتنفيذ أحكامها.

★ ★ ★

سيطر الشيطان علي الولايات المتحدة الأمريكية وتقمص روحها : و أنا هنا أقصده بمعناه الغيبي المادي (فالشيطان رغم الحداثة موجود) كما أقصده بمعناه المعنوي المجازي.. ثم أن هناك شياطين الجن والإنس..

وبدلا من أن تحدد الإنسانية اتجاه القوة راحت القوة تحدد اتجاه الإنسانية.

ربمـــا يكـــون الشعب الأمريكي شعبا جاهلا لم يدرك ذلك.. لكن طلبة فرنسا أدركوا بصيصا من الحقيقة في تظاهرات عام ٦٨: فرفعوا لافتة علي كليات العلوم الإنسانية ووضعوا مكانها لافتة مكتوب عليها: كليات العلوم اللا إنسانية.!!..

تاريخ الولايات المتحدة والغرب كله معها سلسلة من الأفعال اللا إنسانية.. من الأفعال الإجرامية.

فـــلم تكن كوريا أو فيتنام مثلا دولتين غازيتين للولايات المتحدة، بل كانت الولايات المتحدة هي الغازية . وعلى بعد أكثر من عشرة آلاف كيلومتر من حدودها ، أعلنت الولايات المتحدة أنها في حالة دفاع شرعي !.

لقـــد قـــتل الأمريكيون – بالقصف الجوي – ١٣٥٠٠٠ قتيل في مدينة دردسن دون أن تكـــون هدفا عسكريا . وكذلك هيروشيما التي قذفت بقنبلة ذرية في ٦ من أغسطس عام ١٩٤٥ أســـفرت عـــن ١٦٠٠٠٠ إصابة ... ونجازكي عرفت نفس المصير بعد ثلاثة أيام

مـن الأولى ، بـرغم أن اليابان كانت في طريق مفاوضات الاستسلام . وانفجار زورق حربي أمـريكي في ميـناء هافانـا خافانا الحجة للحرب ضد الأسبان ، فقدوا بمقتضاها بورتوريكو والفليبين وكوبا . وكان مجرد اشتباه في المجاهد أسامة بن لادن كافيا لتدمير دولة.. مجرد اشتباه لم تقم عليه أي دليل. .

وليسـت هذه أول مرة تدبر فيها قوى متآمرة حادثا من هذا النوع لتستغله في التنكيل بخصـومها أو تـنفيذ مخططهـا المعد سلفا ، منذ حادثة المالطي والحمار التي اتخذها الأسطول الـبريطاني المصـوب مدافعه مبررا لضرب الإسكندرية ١٨٨٢ واغتيال السير لي ستاك سنة ١٩٢٤ الـتي اسـتغلها الإنجليز لتمهيد التربة وزرع نوع من أنواع البذور مكنهم من تقديم مطالبهم المعدة سلفا ، و إطلاق النار على السفير الإسرائيلي في لندن لتبرير احتلال بيروت.

نعم..

قوة متآمرة تدبر حادثا لاستغلاله..

هذا تماما ما أريد أن أصف به أحداث ١١ سبتمبر..

قـد يعترض البعض وقد يستنكر.. وهؤلاء لا آبه لهم.. لأنهم هم الذين واصلوا خداعنا عـندما صـرح بوش أنها حرب صليبية فراحوا هم يصرخون : إنها ليست صليبية.. وأخذوا يدافعون بأنها زلة لسان .. فلما فصل بيرلسكوني[1] في الأمر أصابهم الخرس.. وهؤلاء لو أتيت لهـم باعتراف مكتوب من منظمة أمريكية أو من الموساد والسي آي إيه بأنها هي التي ارتكبت الحـادث سيصـرخون أنني زورت هذا الاعتراف.. فإذا عدت و أحضرت لهم اعترافا ممهورا بالـتوقيعات والأخـتام الرسمية سيصرخون أنها " زلة توقيعات" و أنهم لا يقصدون ما وقعوا عليه.. تماما كما قالوا أن بوش لا يقصد أنها حرب صليبية.

(١) برلسـكوني قالها بالفم الملآن. ودونما أدني حرص علي مشاعر المسلمين: حضارتنا متفوّقة علي حضارتهم (المسـلمين أساسـاً. وشعوب الأرض الأخري غير الأوروبية قاطبة وضمناً). ولهذا ينبغي أن علي الغرب. واسـتناداً إلي تفـوّق قيمه، أن يُغرْبن Occidentalize ويغزو Conquer شعوباً جديدة . هكذا. ببساطة وصـراحة: نخضعهم لقيَمنا لأنها الأفضل للإنسانية. ونغزوهم (أيّاً كان المعني وراء فعل الغزو هذا) إذا تعثّر إخضـاعهم في حـروب القِيَم. ولكي يضرب برلسكوني أمثلة من العالم المحسوس، وليس العالم الإفتراضي وحده، يقول إنّ الغرب فعلها مع العالم الشيوعي ومع جزء من العالم الإسلامي، ولكن للأسف مع جزء من العالم الإسلامي يعود إلي ١٤٠٠ سنة إلي الوراء .

لكـــنني لكم أنتم يا قراء أقول لكم، أنني فضلا عن الأدلة التي سقتها قبل ذلك أملك دليلين آخرين على قيام تنظيم من قلب حضارة الشيطان بأحداث ١١ سبتمبر ..

★★★

الدليل الأول هو الحداثة..!!..

نعم.. الحداثة.. حيث لاقيمة ثابتة ولا مبادئ ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا معايير ثابتة وكل شئ متغير بتغير الظروف وكل شئ ممكن..!!.

لقد اهتم الجميع بكلمات بوش عن الحروب الصليبية.. وكلمات بيرلسكوني عن الإسلام لكـــن أقـــل القليلين من انتبهوا لكلمات لا تقل خطورة انطلقت من بوش وكيسنجر ووزير الثقافة الفرنسي وعشرات غيرهم.. من أن المسلمين (المتخلفين الهمج) ليسوا ضد أمريكا بل ضد الحضارة الغربية.. ضد الحداثة..

الحداثة..

إنني أرجو القارئ أن يصبر على جفاف الفقرات التالية، فهي ليست خروجا على سياق الموضـــوع بل هي صلبه ونخاعه، إنني لا أبدأ الحديث عن الحداثة من الصفر و إلا لكان الأمر ســـهلا، ولكنني أبدأه على كوم هائل من التضليل والتعتيم والتجهيل والخداع قاده الحداثيون في بلادنـــا، وهم لا يختلفون عن عباد الشيطان في شيء، ولطالما أوهموا الناس على سبيل المثال أن الحداثـــة مجـــرد نظـــرية في الأدب.. وكانت هذه هي الخدعة الكبرى التي جعلت المجتمع لا يواجههـــا في الوقت المناسب بما تستحق، جعلت المجتمع يوصد سمعه إزاء من كانوا يحذرون طـــول الوقت، وكان التحذير يصطدم دائما بتلك الغلالة الشيطانية من الغموض التي يسربل بهـــا الحداثيـــون أعمالهم، وهو غموض متعمد للتدليس على الناس، خاصة مع الخلط المتعمد بـــين الحداثة والتحديث، وشتان ما بينهما، واستمرت الخديعة حتى انفجار أزمة الوليمة التي كان لي شرف تفجيرها .. عندما فجعت الأمة أن الحداثة تعني ضمن ما تعنى أقذع سباب لله ســـبحانه وتعـــالي عما يشركون وللقرآن الكريم وللرسول صلى الله عليه وسلم. وبدأ الناس يســـمعون ويعون ويعلمون ما غاب عنهم فيدركون أن الحداثة ليست مذهبا أدبيا.. بل نظرة شـــاملة لـــلكون تتناقض مع الدين وتزيحه وتحل محله. لذلك أرجو من القارئ أن يصبر عليّ، وأعده بالاختصار الشديد .

فالحداثـــة يـــا قراء كما يصفها الدكتور عوض محمد القرني – في كتابه الهام : الحداثة في ميزان الإسلام – تقديم سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى أنها : "مذهب فكري جديد يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتمرد على الأخلاق والقيم والمعتقدات".. و يؤكد : "أن الصراع مع الحداثة – أولاً وأخيراً – صراع عقائدي بحت"..

ثم يضيف قائلا:

"انتهت الحداثة في النهاية إلى الجمع بين ضلالات البشر، فمن شيوعية مادية إلى داروينية تقول : "بأن أصل الإنسان قرد"، وميثولوجية تنكر أن يكون الأصل في الأديان التوحيد، وأن الإنســـان الأول ما لجأ إلى التدين إلا لجهله بالطبيعة وخوفه منها، حين لم يستطع أن يواجهها بالتفسير العلمي الصحيح – كما يقولون – " .

نفس هذا المعنى يصل إليه كاتب عملاق آخر هو الدكتور عبد العزيز حمودة[1] في كتابه: المـــرايا المقعـــرة، وهو سفر يقع في أكثر من خمسمائة صفحة ويبدأ بداية جياشة حين يتحدث عن إحساسه بانشطار الذات في أزمة وليمة لأعشاب البحر حين راح السؤال يهدر داخله : "مـــن نحن" ثم يكشف شيئا فشيئا أنهم خدعونا بالخلط بين الحداثة والتحديث، و أن الحداثة صـــفقة شـــاملة نبيع فيه كل تاريخنا وتراثنا. و أن أهم مستلزمات الحداثة هو القطيعة المعرفية الكاملة مع تراثنا.

والـــتراث يـــا قراء مصطلح حداثي يقصد به القرآن والسنة وتاريخ الإسلام و آدابه جميعا.. لكنهم حين يهاجمون لا يقصدون سوي القرآن والحديث.

والحداثة كما يقول الدكتور بشير موسى نافع: " أعلت مرتبة العقل فوق النص المقدس، بـــل وجعـــلت من العقل المرجع الأوحد للقيم والسلوك وعلاقات الاجتماع الإنساني. تهاوي بذلك الاعتقاد بوجود ثوابت إنسانية خالدة، وانتقلت القيم من دائرة الثابت إلى دائرة النسبي، ومن الدلالة المطلقة للخير والشر إلى التحولات المتغيرة للاقتصاد والسياسة والتقنية ".

نعم يا قراء.. اقرءوا كل كلمة بتمعن..

عـــلى أن شـــعار سيادة العقل على النص – رغم أنه في جوهره كفر – .. لكنه فضلا عن ذلك لم يكن حقيقيا.. كان مجرد طعم يغريك ويغويك حتى تدلف فيه فيسلمك على الفور

(١) المرايا المقعرة – دكتور عبد العزيز حمودة – عالم المعرفة .

إلي غـــيره..ولقــد أسفر بعد قليل عن : سيادة الحس على العقل .. ومن التجليات الفادحة الفاضحة لسيادة الحس على العقل تقبل الشذوذ الجنسي و إباحته.. بل وصل الأمر أن تهدد أمريكا مصر بمنع المعونات عنها إن هي استمرت في مكافحة الشذوذ، وفي ضوء ما نرى، فمن المؤكـــد، أن مكافحـــة الشـــذوذ ستعتبر خلال عشرة أعوام – على أبعد تقدير – ضربا من ضروب الإرهاب الذي يخضع لعقاب التحالف الأمريكي. . وقد نقصف بالطائرات والصواريخ إن احتججنا عليه !!..

يستطرد الدكتور نافع قائلا : " عندما سادت ثقافة – الآن وهنا – علي حساب الإيمان الإنساني بالله والعالم الآخر، أخذت الروابط الإنسانية في الانهيار الواحد منها بعد الآخر، طالما أن الــتجربة الإنسانية تدور في النهاية حول المنفعة والإنجاز الفردي خلال حياة بشرية قصيرة بكل المقاييس ".

إن الموضـــوع معقد إلى حد ما يا قراء .. ليس لصعوبة كامنة فيه.. ولكن لأن الحداثيين لا يســـفرون عمـــا في أنفسهم أبدا إلا حين يضمنون أنهم الأقوى و أنهم قادرون علي سحق خصومهم.. تماما كما تفعل أمريكا الآن بالعالم..

إنني أرجو يا قراء أن ننظر بعمق إلى مقومات الفكر الغربي الحداثي والذي يعتمد في جزء مهـــم مـــنه على نظرية دارون، وهي نظرية متهاوية لا قيمة لها إلا في إعلاء الكفر والحداثة، وموجز منطقها المختل كأن تقول :

المنضدة لها أربعة أرجل.. والبقرة كذلك.. إذن فالمنضدة بنت البقرة!!.

لكن التجلي التطبيقي لهذه النظرية كانت فكرة البقاء للأقوى، وهي الفكرة التي تشكل أساســـا رئيسيا للفكر الحداثي الغربي وهي الفكرة التي جعلت – كما يقول الدكتور نافع – تشرتشل، باعتباره وزيرا للمستعمرات، في مجلس العموم البريطاني يدافع عن استخدام القوات الـــبريطانية للقنابل الكيماوية ضد العشائر العراقية الثائرة خلال ثورة ١٩٢٠ إذ قال بوضوح أن من حق الأمم المتحضرة أن تستخدم الوسائل التي تراها مناسبة لقمع البرابرة.

هـــذه الفكرة الشريرة كانت وما تزال أساس الصلف الأمريكي في التعامل مع العالم.. في الجـــرائم البشعة التي ارتكبتها أمريكا في العراق وأفغانستان على سبيل المثال.. وفي الجرائم التي سترتكبها باسم الحرب على الإرهاب.

وهـــي أيضا أساس الصلف الإسرائيلي.. فأمريكا هي إسرائيل و إسرائيل ليست سوي حامـــلة طائرات ضخمة لأمريكا.. هي أساس الصلف الإسرائيلي التي جعلت مجرما كنتنياهو يعـــلق عـــلى ما قيل من أن البحث عن أسامة بن لادن في جبال أفغانستان كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. فإذا بالخنزير يقول:

– ولماذا تتعبون أنفسكم بالبحث عن الإبرة.. احرقوا كومة القش..

والآن لنترك الدكتور بشير نافع يختم هذه الفقرة الجافة عن الحداثة .

"المشـــكلة الرئيســـية في التصـــعيد التبشيري الغربي، الحديث نسبيا، لقيم الديمقراطية والـــتعددية وحقوق الإنسان، إنها لا تبدو (وهي كذلك حقيقة) انعكاسا لإيمان ثابت وراسخ وأصيل بل مجرد تطور قيمي مستمر، وإنها تحتل الفضاء القيمي ذاته الذي تحتله سياسات حصار الشـــعوب وتجويعها وتشريعات الإجهاض واعتبار العلاقات الشاذة علاقات أسرية. كل شيء قـــابل للـــنظر وإعادة النظر. بل وحتى الإرهاب الذي اصبح رمزا للشر الإنساني كله خلال الأسابيع الأخيرة، كان دائما وحتى فترة قصيرة أداة هامة من أدوات السياسات الغربية. أليس مدهشـــا أن إحدى المنظمات المستهدفة الآن في قائمة الإرهاب التي أعلنتها الحكومة الأمريكية كانت هي ذاتها التي استلمت عونا بريطانيا سريا لاغتيال العقيد القذافي؟".

★ ★ ★

الدليل الثاني الذي أقدمه لكم يا قراء عن مسئولية جهة أمريكية داخلية عن عمليات ١١ ســـبتمبر – واضـــعا في الاعتـــبار أن الموساد تنظيم أمريكي أو أن الإدارة الأمريكية عصابة صهيونية) هو دليل صغير جدا لكنه بالغ الإيحاء.

هـــل تذكـــرون الصحفية البريطانية إيفون ريدلي التي وقعت في قبضة طالبان يوم ٢٨ ســـبتمبر و أطـــلقت سراحها يوم ٨ اكتوبر. لقد أجرت صحيفة الإندبندنت البريطانية حديثا صحفيا معها في منتصف ديسمبر ٢٠٠١، و أطلقت الصحافية مفاجأة مذهلة، حين قالت أنها بصـــدد إصدار كتاب بعنوان « في أيدي طالبان » أن أجهزة المخابرات الغربية حاولت قتلها لتعزيز الدعم الجماهيري لتوجيه ضربات جوية لأفغانستان!!.

نفس الأمر مع اختلاف مقياس الرسم!!.. كل شئ ممكن..

إلا إذا رأى الحداثيون التنويريون من أعضاء التحالف الشمالي أن ذلك ليس إلا : "زلة كتاب!!".

★ ★ ★

إن أي محاولة لحصر جرائم الولايات المتحدة الأمريكية هي محاولة مضحكة.. لأنها تستلزم كتابة تاريخ العالم كله في خمسة قرون.. تاريخ العالم بكل ما فيه من أحداث ووقائع وتطور علمي وعملي وفلسفي ونظري.. ويشمل ذلك كل العلوم .. اللا إنسانية..!!..

وهي أيضا أساس الصلف الإسرائيلي.. فأمريكا هي إسرائيل و إسرائيل ليست سوي حاملة طائرات ضخمة لأمريكا.. هي أساس الصلف الإسرائيلي التي جعلت مجرما كنتنياهو يعلق على ما قيل من أن البحث عن أسامة بن لادن في جبال أفغانستان كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. فإذا بالخنزير يقول:

– ولماذا تتعبون أنفسكم بالبحث عن الإبرة.. احرقوا كومة القش..

والآن لنترك الدكتور بشير نافع يختم هذه الفقرة الجافة عن الحداثة :

"المشكلة الرئيسية في التصعيد التبشيري الغربي، الحديث نسبيا، لقيم الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، إنها لا تبدو (وهي كذلك حقيقة) انعكاسا لإيمان ثابت وراسخ وأصيل بل مجرد تطور قيمي مستمر، وإنها تحتل الفضاء القيمي ذاته الذي تحتله سياسات حصار الشعوب وتجويعها وتشريعات الإجهاض واعتبار العلاقات الشاذة علاقات أسرية. كل شيء قابل للنظر وإعادة النظر. بل وحتى الإرهاب الذي اصبح رمزا للشر الإنساني كله خلال الأسابيع الأخيرة، كان دائما وحتى فترة قصيرة أداة هامة من أدوات السياسات الغربية. أليس مدهشا أن إحدى المنظمات المستهدفة الآن في قائمة الإرهاب التي أعلنتها الحكومة الأمريكية كانت هي ذاتها التي استلمت عونا بريطانيا سريا لاغتيال العقيد القذافي؟"

★ ★ ★

الدليل الثاني الذي أقدمه لكم يا قراء عن مسئولية جهة أمريكية داخلية عن عمليات ١١ سبتمبر – واضعا في الاعتبار أن الموساد تنظيم أمريكي أو أن الإدارة الأمريكية عصابة صهيونية) هو دليل صغير جدا لكنه بالغ الإيحاء.

هل تذكرون الصحفية البريطانية إيفون ريدلي التي وقعت في قبضة طالبان يوم ٢٨ سبتمبر و أطلقت سراحها يوم ٨ اكتوبر. لقد أجرت صحيفة الإندبندنت البريطانية حديثا صحفيا معها في منتصف ديسمبر ٢٠٠١، و أطلقت الصحافية مفاجأة مذهلة، حين قالت أنها بصدد إصدار كتاب بعنوان « في أيدي طالبان » أن أجهزة المخابرات الغربية حاولت قتلها لتعزيز الدعم الجماهيري لتوجيه ضربات جوية لأفغانستان!!.

نفس الأمر مع اختلاف مقياس الرسم!!.. كل شئ ممكن..

إلا إذا رأى الحداثيون التنويريون من أعضاء التحالف الشمالي أن ذلك ليس إلا : "زلة كتاب!!".

وهي أيضا أساس الصلف الإسرائيلي.. فأمريكا هي إسرائيل و إسرائيل ليست سوي حاملة طائرات ضخمة لأمريكا.. هي أساس الصلف الإسرائيلي التي جعلت مجرما كنتنياهو يعلق على ما قيل من أن البحث عن أسامة بن لادن في جبال أفغانستان كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. فإذا بالخنزير يقول:

– ولماذا تتعبون أنفسكم بالبحث عن الإبرة.. احرقوا كومة القش..

والآن لنترك الدكتور بشير نافع يختم هذه الفقرة الجافة عن الحداثة :

"المشكلة الرئيسية في التصعيد التبشيري الغربي، الحديث نسبيا، لقيم الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، إنها لا تبدو (وهي كذلك حقيقة) انعكاسا لإيمان ثابت وراسخ وأصيل بل مجرد تطور قيمي مستمر، وإنها تحتل الفضاء القيمي ذاته الذي تحتله سياسات حصار الشعوب وتجويعها وتشريعات الإجهاض واعتبار العلاقات الشاذة علاقات أسرية. كل شيء قابل للنظر وإعادة النظر. بل وحتى الإرهاب الذي اصبح رمزا للشر الإنساني كله خلال الأسابيع الأخيرة. كان دائما وحتى فترة قصيرة أداة هامة من أدوات السياسات الغربية. أليس مدهشا أن إحدى المنظمات المستهدفة الآن في قائمة الإرهاب التي أعلنتها الحكومة الأمريكية كانت هي ذاتها التي استلمت عونا بريطانيا سريا لاغتيال العقيد القذافي؟"

★ ★ ★

الدليل الثاني الذي أقدمه لكم يا قراء عن مسئولية جهة أمريكية داخلية عن عمليات ١١ سبتمبر – واضعا في الاعتبار أن الموساد تنظيم أمريكي أو أن الإدارة الأمريكية عصابة صهيونية) هو دليل صغير جدا لكنه بالغ الإيحاء.

هل تذكرون الصحفية البريطانية إيفون ريدلي التي وقعت في قبضة طالبان يوم ٢٨ سبتمبر و أطلقت سراحها يوم ٨ اكتوبر. لقد أجرت صحيفة الإندبندنت البريطانية حديثا صحفيا معها في منتصف ديسمبر ٢٠٠١، وأطلقت الصحافية مفاجأة مذهلة، حين قالت أنها

بصـــدد إصدار كتاب بعنوان « في أيدي طالبان » أن أجهزة المخابرات الغربية حاولت قتلها لتعزيز الدعم الجماهيري لتوجيه ضربات جوية لأفغانستان!!.

نفس الأمر مع اختلاف مقياس الرسم!!.. كل شئ ممكن..

إلا إذا رأى الحداثيون التنويريون من أعضاء التحالف الشمالي أن ذلك ليس إلا : "زلة كتاب!!".



لقـــد أعلن رونالد ريجان أن ثراء ورخاء الولايات المتحدة يرجع إلى كونها "أمة مباركة مـــن الله ". لكن أحد رجال الدين الأسبان جرؤ على استهجان ما قاله ريجان واصفا إياه بأنه "تجديف وهرطقة"، لأن ثروة وقوة الولايات المتحدة لا تأتي من مباركة الله . ولكنها ترجع إلى استغلال العالم وبخاصة العالم الثالث عبر التبادلات غير المتوازنة وغير المتعادلة، وفرض استيراد المنتجات الأمريكية بالقوة، وغزو رءوس الأموال الأمريكية للدول التي تنخفض فيها المرتبات . وعبر الفوائد الاستغلالية "للقروض " .

يقـــول جارودي: " تحتل الولايات المتحدة المتحدة رأس القائمة في تسلسل الأمم الذي وضـــعته، وهـــي محاطة بمن يمثلون مركز العالم : الحلفاء الذين تنطبق عليهم السمات الثلاث الخاصة : اقتصاد سوق حرة ، إيمان بالله يهودي- مسيحي ، انتخاب حر . على الكفة الأخرى هـــذا العالم الموزع بين الخير والشر ، إمبراطورية الشر وتتمثل في البلدان التي لا تتبع اقتصاد سوق حرة ، ولا إيمانا يهوديا مسيحيا ، ولا ديموقراطية على الطريقة الأمريكية ".

في ظـــل المفاهـــيم الأمريكية الشيطانية أصبح أفضل و أشمل و أصدق تعريف للإرهابي أو المســـلم أو الأصـــولي : هو ذلك الشخص الذي يرفض ما تفعله إسرائيل في العالم العربي وفي الفلسطينيين.. لكنه - حتى إن وافق فإن ذلك لا يكفي.. إذ لابد من اكتمال المنظومة.

وهـــي أيضا أساس الصلف الإسرائيلي.. فأمريكا هي إسرائيل و إسرائيل ليست سوي حامـــلة طائرات ضخمة لأمريكا.. هي أساس الصلف الإسرائيلي التي جعلت مجرما كنتنياهو يعـــلق عـــلى ما قيل من أن البحث عن أسامة بن لادن في جبال أفغانستان كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. فإذا بالخنزير يقول:

- ولماذا تتعبون أنفسكم بالبحث عن الإبرة.. احرقوا كومة القش..

والآن لنترك الدكتور بشير نافع يختم هذه الفقرة الجافة عن الحداثة :

"المشـــكلة الرئيســـية في التصـــعيد التبشيري الغربي، الحديث نسبيا، لقيم الديمقراطية والـــتعددية وحقوق الإنسان، إنها لا تبدو (وهي كذلك حقيقة) انعكاسا لإيمان ثابت وراسخ وأصيل بل مجرد تطور قيمي مستمر، وإنها تحتل الفضاء القيمي ذاته الذي تحتله سياسات حصار الشـــعوب وتجويعها وتشريعات الإجهاض واعتبار العلاقات الشاذة علاقات أسرية. كل شيء قـــابل للـــنظر وإعادة النظر. بل وحتى الإرهاب الذي اصبح رمزا للشر الإنساني كله خلال الأسابيع الأخيرة، كان دائما وحتى فترة قصيرة أداة هامة من أدوات السياسات الغربية. أليس مدهشـــا أن إحدى المنظمات المستهدفة الآن في قائمة الإرهاب التي أعلنتها الحكومة الأمريكية كانت هي ذاتها التي استلمت عونا بريطانيا سريا لاغتيال العقيد القذافي؟"

★ ★ ★

الدليل الثاني الذي أقدمه لكم يا قراء عن مسئولية جهة أمريكية داخلية عن عمليات ١١ ســـبتمبر – واضـــعا في الاعتـــبار أن الموساد تنظيم أمريكي أو أن الإدارة الأمريكية عصابة صهيونية) هو دليل صغير جدا لكنه بالغ الإيحاء.

هـــل تذكـــرون الصحفية البريطانية إيفون ريدلي التي وقعت في قبضة طالبان يوم ٢٨ ســـبتمبر و أطـــلقت سراحها يوم ٨ اكتوبر. لقد أجرت صحيفة الإندبندنت البريطانية حديثا صـــحفيا معها في منتصف ديسمبر ٢٠٠١. وأطلقت الصحافية مفاجأة مذهلة. حين قالت أنها بصـــدد إصدار كتاب بعنوان « في أيدي طالبان » أن أجهزة المخابرات الغربية حاولت قتلها لتعزيز الدعم الجماهيري لتوجيه ضربات جوية لأفغانستان!!.

نفس الأمر مع اختلاف مقياس الرسم!!.. كل شئ ممكن..

إلا إذا رأى الحداثيون التنويريون من أعضاء التحالف الشمالي أن ذلك ليس إلا : "زلة كتاب!!".

★ ★ ★

لقد كان طبيعيا لشعب بلا تاريخ كالشعب الأمريكي أن يعطي فكرا بلا جذور. لم يعط الفكر إنما أعطي نقيضه.. أعطي هدم الفكر.. وهدم المعني .. وهدم – حتى – الفن.. فلا شيء يدعو إلي الصحوة بل إلي الغيبوبة.

وكل شئ مسربل في الظلام الدامس للكذب وفي متاهة الخداع .

وهـــي أيضا أساس الصلف الإسرائيلي.. فأمريكا هي إسرائيل و إسرائيل ليست سوي حامـــلة طائرات ضخمة لأمريكا.. هي أساس الصلف الإسرائيلي التي جعلت مجرما كنتنياهو يعـــلق عـــلى ما قيل من أن البحث عن أسامة بن لادن في جبال أفغانستان كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. فإذا بالخنزير يقول:

- ولماذا تتعبون أنفسكم بالبحث عن الإبرة.. احرقوا كومة القش..

والآن لنترك الدكتور بشير نافع يختم هذه الفقرة الجافة عن الحداثة :

"المشـــكلة الرئيســـية في التصـــعيد التبشيري الغربي، الحديث نسبيا، لقيم الديمقراطية والـــتعددية وحقوق الإنسان، إنها لا تبدو (وهي كذلك حقيقة) انعكاسا لإيمان ثابت وراسخ وأصيل بل مجرد تطور قيمي مستمر، وإنها تحتل الفضاء القيمي ذاته الذي تحتله سياسات حصار الشـــعوب وتجويعها وتشريعات الإجهاض واعتبار العلاقات الشاذة علاقات أسرية. كل شيء قـــابل للـــنظر وإعادة النظر. بل وحتى الإرهاب الذي اصبح رمزا للشر الإنساني كله خلال الأسابيع الأخيرة، كان دائما وحتى فترة قصيرة أداة هامة من أدوات السياسات الغربية. أليس مدهشـــا أن إحدى المنظمات المستهدفة الآن في قائمة الإرهاب التي أعلنتها الحكومة الأمريكية كانت هي ذاتها التي استلمت عونا بريطانيا سريا لاغتيال العقيد القذافي؟"

★★★

الدليل الثاني الذي أقدمه لكم يا قراء عن مسئولية جهة أمريكية داخلية عن عمليات ١١ ســـبتمبر – واضـــعا في الاعتـــبار أن الموساد تنظيم أمريكي أو أن الإدارة الأمريكية عصابة صهيونية) هو دليل صغير جدا لكنه بالغ الإيحاء.

هـــل تذكـــرون الصحفية البريطانية إيفون ريدلي التي وقعت في قبضة طالبان يوم ٢٨ ســـبتمبر و أطـــلقت سراحها يوم ٨ اكتوبر. لقد أجرت صحيفة الإندبندنت البريطانية حديثا صحفيا معها في منتصف ديسمبر ٢٠٠١، و أطلقت الصحافية مفاجأة مذهلة، حين قالت أنها بصـــدد إصدار كتاب بعنوان « في أيدي طالبان » أن أجهزة المخابرات الغربية حاولت قتلها لتعزيز الدعم الجماهيري لتوجيه ضربات جوية لأفغانستان!!.

نفس الأمر مع اختلاف مقياس الرسم!!.. كل شئ ممكن..

إلا إذا رأى الحداثيون التنويريون من أعضاء التحالف الشمالي أن ذلك ليس إلا : "زلة كتاب!!".

★★★

في كتاب : " وليم كار" الشهير: " اليهود وراء كل جريمة"، وهو كتاب صدر منذ أكثر من ربع قرن يتحدث الكاتب عن العهد الذي أصبح فيه الشيطان سيد العالم .. وعن تأسس كنيس الشيطان على الأرض الذي شرع من أول يوم في التآمر لمحاربة الدستور الإلهي .. ويذكر وليم كار أن بدايات هذا الكنيس الشيطاني قديمة و أن المسيح عليه السلام قد فضح كنيس الشيطان هذا وهاجم أتباعه مسميا إياهم أبناء الشيطان،ووصفهم بأنهم كذابون ولا يدينون بأي دين سماوي (...)

في جزء آخر من الكتاب يتحدث المؤلف عن المخطط الذي شرع أتباع ذلك الكنيس الشيطاني في تنفيذه منذ أكثر من مائتي عام وبالتحديد في عام ١٧٧٦ م .. حين تمت صياغة المخطط الدموي الوحشي والذي جعلوا غايته وضع خطة للكنيس الشيطاني ليسيطر على العالم . والذي ضمنه النقاط التالية :

١- تدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية كافة.

٢- تقسيم الجوييم - غير اليهود - إلى معسكرات متنابذة تتصارع فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشاكل التي تتولى المؤامرة توليدها و إثارتها باستمرار ملبسة إياها ثوبا اقتصاديا تارة و أخرى اجتماعيا وثالثة سياسيا ورابعة عنصريا و إلى آخره.

٣- تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ثم تدبير حادث في كل مرة يكون من نتيجته أن ينقض كل معسكر على الآخر حتى يفنى بعضها بعضا.

٤- بث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متناحرة و إشاعة الحقد والبغضاء بين أبناء البلد الواحد حتى تتقوض جميع مقومات المجتمع الدينية والأخلاقية والمادية.

و أذكر القارئ أنني قد قرأت هذا الكتاب منذ ربع قرن، ولا أعرف متى نُشرت أول طبعة منه.. وأنني لم أصدق كل ما ورد فيه عندما قرأته حتى جاءت الأحداث المذهلة لتصدق ما فيه. ففي قسم من الكتاب يتحدث المؤلف عن الجنرال "البرت بايك" والذي ضمه الصهاينة إلى صفوفهم عام ١٨٤٠ فبدأ مرحلة جديدة من التخطيط والتنسيق العسكري، وقد تضمن مخطط بايك (والجزء التالي منقول بالنص) :

١- تؤمن الحرب العالمية الأولى الإطاحة بالحكم الملكي في روسيا.

٢- تؤمن الحرب العالمية الثانية اجتياح روسيا لنصف العالم.

٣- يــأتي أخيرا دور الحرب العالمية الثالثة والأخيرة، وينص المخطط لهذه الحرب على تصــدى الصــهيونية لــلزعماء المسلمين في العالم الإسلامي وشن حرب ساحقة على الإسلام باعتباره القوة الأخيرة التي ستقف تجاه قوى الشر.

★★★

هذا هو تقييم خمسة قرون من الحضارة الغربية التي انتهت فيها القيادة إلي أمريكا خمسة قــرون مــن الكذب والشر والجرائم والسرقة والنهب والقتل والاستعباد والتفرقة العنصرية والاســتعمار وخمســين عامــا من تطبيق نظام العولمة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ثم منظمة التجارة العالمية . ولم يتوقف منذ ذلك الحين دق علامة الصليب على أسنة السيوف ، كصنم يمثل الذهب والموت . ها هي ذي القصة كلها، فهي لا تخرج - أبدا - عن هذا الإطار. وهذا هو لب القضية.

★★★

ولم يكــن الصــليب رمــزا للمسيح عليه السلام و إنما كان جزءا من أدوات النصب والاحتيال وقناعا من أقنعة الشيطان.. فهؤلاء الناس لا يمكن أن يكونوا مسيحيين أو يهودا حتى بــالمعني الحرف.. لا يمكن أن يكونوا قوما طلبوا الطريق إلي الله فأخطئوه.. إنما هم قوم طلبوا الطريق إلي الشيطان فأصابوه.. لا يمكن إلا أن يكونوا عبدة شيطان.. بالمعني الحرفي المباشر..

وعــندما كان العداء لليهود يخدم أغراض الغربيين شتتوهم وطاردوهم ونكلوا بهم .. وجعلوا الإنجيل يقول ذلك.. فلما اختلف الظرف اكتشفوا أن العلاقة بينهم وبين اليهود أوثق مــا تكــون.. وجعلوا الإنجيل والتوراة يقولان ذلك أيضا.. بل وجعلا البابا والكنيسة يبرئان اليهود من دم المسيح (في تصورهم الخاطئ).

لم تكن التوراة ولا كان الإنجيل ولا كانت حتى الحداثة.. فكم القهر والظلم والشر الذي ارتكــب كان دائما يفوق القدر اللازم لتحقيق رغباتهم المعلنة و أطماعهم غير المعلنة.. كانوا يمارســون الجرائم حتى ولو لم يكن هناك داع لارتكابها.. وكانوا يسفكون الدماء دائما.. حتى دون أن تعود عليهم بفائدة مباشرة أو غير مباشرة.

كانوا يمارسون الشر حتى عندما لا يكون لارتكابه دافع ولا عائد..

كانوا يمارسون الشر من أجل الشر..

وذلك.. هو جوهر عبادة الشيطان..

★★★

نعـــم .. عـــبادة الشـــيطان و كنيس الشيطان .. و ليس هذا رأينا – نحن المتطرفين الإرهابيين !!– فيهم.. بل هو متخذ من أقوال المسيح عليه السلام عنهم منقولة عن الكتاب الشهير:" اليهود وراء كل جريمة .. " .

فإذا أضفنا لهذا الرأي رأيا آخر لواحد منهم – ليس متطرفا ولا إرهابيا مثلنا – لاكتملت الصـــورة.. وذلـــك هو الصحفي البريطاني الشهير روبرت فيسك.. والذي كتب في مقال : أنه لو كان أفغانيا لقتل كل غربي يتاح له قتله..!!..(١)

مـــا أريد أن أصل إليه أن الحضارة الغربية التي تقودها أمريكا ليست حضارة مسيحية و أن الصليب الذي يرفعونه ليس رمزا للسيد المسيح.. و أنها حضارة شيطانية لا تخضع مبادئها ولا ممارســـاتها للدين، أو لدين!! .. لا في مبادئها الأولي التي أنزلت علي النبي عيسي بن مريم عـــليه الســـلام، ولا حتى في المسيحية المحرفة باليهودية، وهذا واضح. إلا أنني أريد أن أثبت أن ممارســـاتهم تلك لا تخضع للعقل أيضا.. ولا حتى للعقل بمفهومه الغربي.. فإن كانت ليست مسيحية ولا هي عقلانية فلن يبقي أمامنا سوي احتمال واحد وهو أنها حضارة شيطانية..

نعـــم .. العقـــل لا يبرر ممارساتهم.. من السرقة إلي الكذب إلي التزوير في كل شئ حتى في ديموقراطيتهم المدعاة والتي يصنعون فيها أغلبية مزورة باتباع ما سماه ولتر ليبمان الصحفى المرموق والمحلل السياسى الشهير بـــــ"تدبير الموافقة" أو ما يسميه "نعوم تشومسكى": "صناعة الإجماع ".. وكلا الرجلين أمريكى!!..

★★★

في العقـــود الماضـــية. كـــنت كثيرا ما أندهش لحماقات أجهزة الأمن في العالم العربي والإســـلامي، كنت أندهش لقدر الغباء الذي تتسم به أكاذيبها وتلفيقاتها وتقاريرها، وكنت أندهش لمدي قصر النظر الذي جعل منها الدب الأحمق الذي يخرب وطنه ..

الآن. بعـــد ما حدث في ١١ سبتمبر والطريقة التي تصرفت بها رائدة الحضارة وراعية حقـــوق الإنســـان إزاءهـــا، أســـتطيع – وتستطيعون معي – أن نفهم – لا أن نقبل – كل ما مارسته تلك الأجهزة من كذب وتزوير وتلفيق للقضايا.. نستطيع أن نفهمه من خلال واقع مـــر.. ذلك أن معظم الكوادر العليا في هذه الأحهزة قد تلقت تدريباتها العملية في الولايات المـــتحدة الأمريكية.. عند الـــ CIA و الـــ FBI ، ومنهم تعلموا الكذب والتزوير بالصورة الفادحـــة الفاضحة الفجة الغليظة التي رأيناها أخيرا.. فكيف نعجب إذن إذا كانوا يمارسون

(١) الشعب الإليكترونية– عدد ٢١-١٢-٢٠٠١.

ما تعلموه. ذلك أن طريقة تعامل القوة العظمي مع الأحداث كانت لا تختلف عما يمارس في أي وحدة جاهلة غشوم للأمن السياسي في العالم الإسلامي..

التزوير والتلفيق والادعاء المجرم.. وحتي المحاكم العسكرية..

★★★

في ظل ما يحدث أيضا انكشفت كما لم تنكشف أبدا خيانات أولي الأمر في بلادنا .. لأنه إن جاز للأمة أن تخدع في مرامي الغرب ومقاصده معذورة بالجهل فإن ولاة الأمر لا يعذرون بجهل بل يدانون لعلمهم بما جهلته الأمة وبتواطئهم مع أبناء الشيطان وعبدته ضد الأمة ودينها.

كنا ندهش لذلك عندما افتضح، لكننا وجدنا التفسير.. فكما أن كوادر أجهزة الأمن تتلقي تدريباتها في الولايات المتحدة الأمريكية ، فإن كوادر الساسة تفعل ذات الشئ.

ولقــد بدا كما لم يبد أبدا من قبل كيف مرق هؤلاء و أولئك من الإسلام وهم يوالون أعداء الله علي المسلمين.. فموقفهم بحكم الإسلام ردة وبحكم القانون خيانة عظمي..

ولم تكن الردة والخيانة كل ما ظهر..

فقد بدت خسة ولاة الأمر متوازيا ومتواكبا مع خسة أمريكا كما لم تبد أبدا..

بــدت في موقفهــم من المجاهدين العرب في أفغانستان.. في موقف أمريكا.. وفي موقف حكامنا..

بدت للدرجة التي سارع فيه الأوروبيون لاقتراح أن يحاكموا في أوروبا.. لأنهم لو سلموا إلي أمــريكا فسوف تحيلهم إلي محاكم عسكرية وقد تقتلهم و إذا أحيلوا إلى بلادهم العربية فسوف يقتلهم حكامهم..

لكم كان ذلك كاشفا ومخزيا ومهينا..

بــدت في الموقف من بنات الدكتور أيمن الظواهري الأربع بعد أن ماتت أمهن وشقيقهن محمد..

في ظل ادعاءات حماية حقوق الإنسان والتقدم والحضارة والإنسانية كان موقف أمريكا وحشيا وبشعا فقد رفضت حق الأسر وأصرت علي قتل الرجال وتسليط أذنابهم من خونة التحالف لاغتصاب النساء..

وفي ظل الانتماء العربي كان صمت حكام العرب مخزيا ومهينا..

في مقـــال لي كنت أضرب المثل علي بشاعة موقف ولاة أمورنا فشبهتهم بالأب الديوث الــذي تغتصـــب بناته أمامه فينكر أنهن بناته خوفا من المغتصبين متظاهرا بالمشاركة في الحفل الداعر..

كان التشبيه مروعا.. للدرجة التي جعلتني أتردد مرات قبل كتابته.. وكنت أخشي من خيالي الجموح وكنت أخشي من أن أظلم..

لكـــن أيامـــا لم تمر.. حتي كانت سيدتان مسلمتان مصريتان من زوجات المجاهدين يلقي القبض عليهما فتغتصبان وتعذبان وتحرقان ويدعي الكفرة الفجرة أنهما قتلا نفسيهما حرقا..

ولم يتحرك أي أب ديوث.. ولم يحتج ولم يعترض ولم يندد ولم ينطق..

فمن فعلوا ذلك أعضاء في التحالف الشمالي.. أنداده وأقرانه..

ولم تتحرك في أربعة أركان المعمورة من منظمات تحرير المرأة أو حقوق الإنسان منظمة..

إذ يبدو أن الأولي لا تدافع عن الحرية المطلقة ولا عن الحرية كما نفهمها.. بل فقط عن حريـــتها الجنســـية فقط.. فهي منظمات تعهير المرأة لا تحرير المرأة.. أما الثانية فليست سوي منظمات حقوق الإنسان الأبيض المسيحي أو اليهودي..

★ ★ ★

مع الأحداث راحت أقنعة الغرب العفنة تتساقط قناعا خلف قناع..

ســـقط – عـــلي سبيل المثال – زيف الديموقراطية في العالم الغربي وعلي رأسه الولايات المتحدة الأمريكية..

★ ★ ★

ولقد اكتشفت الأمة فيما اكتشفت – ويا للمفاجأة – أن ما ينطبق علي ممارسات رجال الأمن من تلفيق وكذب وتزوير ينطبق أيضا علي الديموقراطية.

فـــبعض حكامـــنا، المتخـــلفون، الهمج الهامج، يسوقون شعوبهم بالهراوات والسياط والرصاص وتزوير الانتخابات والاستفتاءات.. يزورون بصورة مباشرة..

كنا نري ذلك منكرا.. وكان بعضنا ينظر إلي الغرب في حسد..

الآن نكتشف أن نفس الشيء في جوهره يحدث في الغرب و إن تغير شكله..

نعــم.. في الغرب يتم نفس الشئ.. لكن بطريقة غير مباشرة.. بطريقة أكثر خبثا وذكاء ودهــاء..بصــناعة الإجماع وتدبير الموافقة.. إنهم لا يسوقون الناس إلي صناديق الانتخاب.. ولا يمنعونهم عنها بالهراوات والساقطات.. لكنهم صنعوا الآلية لتشكيل وعي الناس وصياغة وجدانهــم.. لتضليل "الرأي العام " حيث تطورت تقنيات الإعلام ، و"التيك أواى" الثقافي، لغــزو العالم أو تحطيم ثقافاته .. فآلة الإعلام الجبارة التي في أيديهم تجعلهم قادرين علي إخفاء مــا يشاؤون من الحقائق وعلي إبراز ما يشاؤون منها.. ويذهب الناس إلي صناديق الانتخاب فيدلون فيها برأيهم سابق التصنيع.. وتصبح الأغلبية المزورة – كما يحدث في بلادنا – ولكن بطــريقة أخــري معبرة عن الديموقراطية.. بينما الكذب يسربل كل شئ.. ومرة أخري فإن الناس تمارس ما تعلمته وما علمته ..

يقول رجاء جارودي في كتابه : أمريكا طليعة الانحطاط :

لقــد كــانت الديموقــراطية دائما ستارا للأقلية ، من ملاك العبيد حتى أساطين المال ، ومــا كــان يســمى "بديموقراطية أثينا" في وقت بيركليس ، و التى كان يضرب بها المثل كأم الديموقــراطيات ، لم تكن في الحقيقة سوى سيادة عشرين ألف مواطن حر على مائة ألف عبد محــروم من أي حق . إننا أمام حكم الأقلية المستعبدة ، ويسمى "ديموقراطية" . إنها ديموقراطية السادة ، وليست للآخرين .

ثم يكتشــف جــارودى تهــاوي منطق الحضارة الغربية التي يدعي منظروها أنها معلمة البشرية. فأساتذة الأخلاق هؤلاء – على غرابتهم – يعطون للعالم مثال الأصولية الأشد تطرفا. لأن الأصــولية هي ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة واحتكار الحق ، بل والواجب في فرضها على الآخرين . إن النموذج الأمثل للأصولية هو الاستعمار الذي كانت حجتاه الأيديولوجيتان نشر وإرساء "الإنجيلية" ليفرض على العالم مفهومه الخاص عن الدين ، وليقوم العسكريون والتجار بالباقي ، أي بالمجازر والاستغلال . وعندما يتراجع الدين ، يتقدم نفس المنفذين ليفرضوا على العــالم "حداثــتهم " . لقــد كــانت الأصولية المنحرفة للغرب هي الأساس .. ولقد تولدت الأصوليات الأخرى احتجاجا على الأصولية الأساسية للغرب وشركائه

ولم يكــن توحــد الاســتعمار تحت قيادة الولايات المتحدة ، في "النظام العالمي الجديد" إلا استمرارا للفوضى الاستعمارية القديمة بصورة جديدة ! باسم "الليبرالية الاقتصادية الشاملة" لتجعل الهيمنة على العالم من الآن فصاعدا بوسائل اقتصادية (دون استبعاد التدمير العسكري).

وبعـــد القضـــاء على "التفرقة العنصرية" في جنوب إفريقيا والتي كانت الصهيونية الإسرائيلية أفضل حلفائها، أصبحت تلك الصهيونية الإسرائيلية هي الممثل الأخير للاستعمار الكلاسيكي ، أي الاستعمار العنصري .



حـــاول الغرب أن يدمر المعايير القديمة لأن لها مرجعيتها المستقلة التي يمكن أن تحكم له أو عـــليه. وحـــاول أن يرســـي دعائم مسوخ من المرجعيات المشوهة تنبثق من داخله هو.. فالمرجعية تابعة لما يفعله وليس ما يفعله هو التابع للمرجعية.

وعـــندما يتم كل ذلك في إطار إلغاء المرجعيات القديمة.. وخلق معايير جديدة..وإقناع الـــناس مقدمـــا أن هذه المعايير الجديدة نسبية وليست مطلقة.. و أنها قابلة للتغيير.. بل لابد أن تتغير.. تماما كما تتغير أنماط الأزياء و طرازات السيارات.. وفي وسط هذه الفوضي الشاملة في عـــالم المعايير والقيم.. تصبح المعايير المزدوجة هي الأمر الطبيعي وما سواها باطل.. ويصبح الشـــذوذ الجنسي مباحا وتحريم الجنس قبل الزواج جريمة.. ويصبح موت طائر تتهم به العراق مبررا لمـــوت مليوني عراقي.. أما موت ملايين البشر من غير البيض الحـــداثيين فلا قيمة له.. في إطـــار هـــذه الفوضى الشاملة.. يتخلي الإنسان عن عرشه ويصبح حيوانا من الحيوانات.. والحـــق عنده ليس إلا القوة والسعادة ليست سوي اللذه.. ويصبح الاهتمام كله كيف يكون جـــلد وجهـــك أكـــثر طـــراوة و أشد نضارة.. وكيف يكون الخصر أصغر والصدر أكبر.. أما الضمير والروح فلا وجود لهما.. وهما من بقايا الخرافات والأساطير..

بداهـــة يانـــاس أن تكـــون هناك مرجعية مطلقة نقيس عليها الأشياء.. أنت لا تستطيع أن تقول أن المسافة بينك وبين جارك مائة وتسكت.. إذ لابد أن تكون هناك وحدة قياس ثابتة – ولا تتعلق بك ولا بجارك – يتفق عليها الجميع.. لابد أن تقول أن المسافة مائة متر أو ياردة أو ذراع أو بـــاع أو قـــدم .. أو .. أو .. أو.. فذلـــك هو الذي يرسم الحدود بين الناس.. ولا يجعـــل المعيار مزدوجا.. لكل واحد وحدة القياس النابعة من مصالحه وهواه.. ولما كانت المصالح والهوي متغيرات فإن مجمل النتيجة التي تدفع إليها الحضارة الأمريكية العالم هو تحويله إلي غابة بلا قانون..

نعـــم .. لا قـــانون ولا منطق ولا ثوابت.. في القرن الثامن عشر والتاسع عشر تحالف الأمريكيون البيض مع الأسبان البيض لإبادة الهنود الحمر .. كانت تلك هي مصلحة الطرفين

في زمـــان مـــا.. فلما تغير الزمان انقلب التحالف إلي صراع.. فعندما نجح التحالف الشيطاني في إبـــادة الهـــنود الحمر انقلب الأمريكيون علي الأسبان فأبادوهم أو طردوهم.. وفي كل من الحـــالين كانت أجهزة الإعلام تشحن الناس وتزور وعيهم.. فيذهبون إلي صناديق الانتخاب فيدلون بأصواقم .. فيصوتون في المجالس النيابية فتصبح قوانين القتل والإبادة والاغتصاب هي الشـــرع الـــذي يعلو حتي علي ما لديهم من إنجيل وتوراة.. وكان هذا طبيعيا بالنسبة لفكر مـــنحرف يحمـــل داخل طياته أسوأ ما في الوجود من صفات.. كما يحمل أيضا داخل فكرته نفســـها بـــذور فـــنائها وفـــنائه.. فعلي افتراض نجاحهم في تحويل الإنسان إلي حيوان والدنيا إلي غابـــة.. فسوف يظل الأقوي يقتل الأضعف حتي لا يبقي في الدنيا سوي فرد وحيد يعتلي جـــبلا من الجماجم. لقد كان في تبني الغرب للنظرية المضحكة لداروين أحد السبل إلي فكره المنحرف ذلك.. إذ أنه يأمل أن يصل – بنهاية التاريخ المزعومة – إلي توازن كتوازن الحيوانات في الغابة .. وكان يمكن لذلك أن يتم لولا أن الإنسان ليس حيوانا..!!..

الحضارة الغربية لا تحمل في طياقا الكفر بالله وبالمطلق فقط .. بل إنما تحمل أيضا الكفر بـــالعقل الذي ادعت أنما تعلي من شأنه. ذلك أن هذا العقل العملي (البراجماتي) الذي تدعيه ليـــس عقلا.. إنهم يدعون أنه هو الوسيلة الوحيدة لتسيير حياة الإنسان ما بين حياته وموته.. ولنصـــطبر قليلا علي زيف هذا الادعاء.. ولنتساءل : ألا يحتاج ما قبل الميلاد وما بعد الموت لتفســـير وتفكير وتدبير؟!.. هل الإنسان آلة لها تاريخ صنع وتاريخ انتهاء وذلك كل شئ؟!.. والحديـــث هنا طويل لكن المجال الآن ليس مجاله.. فلنعد إلي ما اصطبرنا عليه.. إلي التساؤل : هـــل يصـــلح العقل البراجماتي النفعي لتسيير حياة الإنسان بين مولده وموته؟.. ماذا إذن عن الأحـــلام.. كيف يفسر العقل البراجماتي النفعي أن يري الإنسان في أحلامه وعيناه مغلقتان؟.. وكيف يسمع وأذناه نائمتان.. وكيف ينتقل من أدني الأرض إلي أقصاها وساقاه ثابتتان؟.. ليس لـــدي العقـــل الغربي من تفسير لذلك سوي هلاوس فرويد.. ولنترك ذلك أيضا .. ولنناقش الســـؤال مـــن زاويـــة أخري .. سوف نتغاضى عن أن الإنسان يولد(وليس ذلك من العقل في شئ).. وسوف نتغاضي عن أنه يموت (وليس ذلك من العقل في شئ).. وسوف نتغاضي عن أنه يحلم (وليس ذلك من العقل في شئ).. سوف نتغاضي عن كل ذلك ونواصل السؤال عن الإنســـان المســـتيقظ الذي لا يولد ولا يحلم ولا ينام ولا يموت.. هل من العقل أن يغفل هذا الإنسان التفكير في ذاته؟ في غايته من الحياه.. في الطعام الذي يأكله والماء الذي يشربه والهواء الـــذي يتنفســـه..؟.. في الأرض الـــتي يعيـــش عليها والتي لولاها ما عاش ؟؟.. في الشمس

والقمــر؟؟.. في الكون كله؟؟ ..!!.. هل العقل أن نحصر الإنسان في الوسائل و أن نحرّم عليه الغايــات؟.. هل العقل ألا تكون في حياة الإنسان قيمة إلا لما يمكن تقييمه بالدولار أو مكاييل الذهب. إن أكثر الماديين غلواء لا يستطيع إنكار أن الإنسان روح وجسد.. و أن الروح حين تغــادر الجســد لا يــبقى منه إلا جيفة نتنة.. ولقد ركزت الحضارة الشيطانية علي ما يحتاجه الجســد (ودعــنا الآن بأنهــا توفــر ما يحتاجه أجساد بنيها على حساب ما تحتاجه أجساد الآخرين).. و أهملت تماما ما تحتاجه الروح.. بينما الروح - كالجسد - إن لم تُغَذّ تموت..!!

تخيــلوا يا قراء أن العقل الغربي يلغي كل ذلك ثم تكون لديهم من الصفاقة ما يبيح لهم الادعاء أنهم يعلون شأن العقل..!!..

ســقط الــنموذج الــذي يقدمونــه للعقل كما سقط النموذج الذي يقدمونه للأمن وللديموقراطية. وهاهي ذي حقوق الإنسان أيضا تسفر عن عنصرية همجية وحشية مسعورة.. كمــا أن شــعار المساواة يسفر عن عكسه تماما.. و إذا بهذه الحضارة المتقدمة على مستوي التكنولوجيا والمنحطة علي مستوى الروح تتصرف كحيوانات الغابة.. بل أضل سبيلا..

نعم يا قراء.. أضل سبيلا..

فريادة الأمريكيين للانحطاط لم تتوقف عند حد، شوهوا الدنيا ودنسوا العالم وجمعوا شرور الأولين والآخرين. حتى الفن لم يتركوه..

هــل تــتخيل أيهــا القارئ بعد ما قرأت أنه يمكن لكاتب هذا الكتاب أن يفاجأ بجريمة يرتكــبها الأمــريكيون؟ أم تظن أنني بلغت نهاية المدي، وأنه لا سبيل لمفاجأتي بأي جريمة من جرائمهم.

لكــنني أجيــب بعكس ما تتوقع، ولقد ظللت - والله - مريضا لمدة أيام بعد أن قرأت الفقــرة التالية في كتاب للدكتور عبد الوهاب المسيري[١]، فمع السطور الأخيرة منها انفجر في قــلبي ألم كــالنزيف، ودوى الطنين في رأسي، وشعرت بغثيان لا يتوقف، وامتلأت بالفزع والجزع، تقول الفقرة الطويلة:

" وبطــبيعة الحــال أثرت النسبية في كثير من مجالات الحياة ، خصوصا الفنون. وبدأت في الســتينيات عملية التحرر من قيود وحدود الفن ، الأخلاقية والجمالية، وتزايدت معدلات

---

(١) مرجع سابق.

الإباحية والعنف ثم جاوزهما عملية التحرر ، إذ أصبحت تحررا من أي قيود أو معايير. كان مـن أهـم رواد الـبارتزان ريفيـو في جامعة رتجرز الفنان آندي وورهول الذي كان يوقع في منتصف الستينيات على علب القمامة وعلب الحساء القديمة فتتحول بقدرة قادر إلى أعمال فنية تباع بآلاف الدولارات . وكان له فيلم يسمى "النـوم " ، يسـتمر عرضه لمـدة ثلاث سـاعات ، عـبارة عـن شخص نائم يتحرك كل ربع ساعة أو عشر دقائق. كما رأيت فرقة مسـرحية في نفس الفترة تسمي نفسها "مسرح الواقعية الراديكالية" ، وكان عنوان المسرحية التي تقدمها هو "أخت فيديل كاسترو" وكانت مليئة بالإشارات الجنسية الطفولية (من بينها عـرض الأعضـاء التناسلية) التي لا تهدف إلى نقل رسالة ، فهدفها الأساسي هو أن تصدم الجمهـور . ولكن الأدهي، ولسبب لا أعرفه حتى الآن ، كان الذكور يلعبون دور الإناث ، وكانت الإناث يلعبن دور الذكور . ويتم كل هذا باسم الإبداع والنسبية والحرية. وما حيرني كـثيرا هو أن جمهور المتفرجين عبر عن إعجابه الشديد بهذه المسرحية ، التي لا يسمع أحد بها هذه الأيام ، تماما مثلما عبر عن إعجابه بفيلم " النوم ". ظل هذا التيار يتطور إلى أن عبر عن نفسـه بشـكل مثير في الآونة الأخيرة في أعمال ثلاثة فنانين دفعوا بالنسبية إلى أقصى مداها ، إذ أصـبحت تعـني التحرر من الحدود الإنسانية ذاتها: أولهم اندريه سيرانو . وتعود شهرته إلى "لوحـة" بعـنوان "فلتتبول على المسيح"، حيث وضع الفنان صورة المسيح على الصليب في الـبول . وثانيهم هو روبرت مابلثورب ، وهو مصور فوتوغرافي تخصص في تصوير نفسه في أوضـاع جنسية شاذة تتسم بالعنف. وثالثهم وأشهرهم هو جويل بيتر ويتكين وهو مصور فوتوغـرافي يستخدم أجساد الموتى في أعماله الفنية. ومن أهم أعماله عيد المغفلين، وهو تقليد لأحـد الأنـواع الفنية الكلاسيكية يسمى "الغرور" موضوعه الأساسي هو الغرور الإنساني وتـأكيد أن كل شيء إلى زوال. وكانت اللوحة التي تدور حول الموضوع تأخذ شكل فواكه أو طعام في طبق ، توضع بجوارها جماجم بشرية ، وطائر ميت في طبق لتذكر الإنسان بالموت. ولكـن ويـتكين طور طريقة التناول وحولها ، إذ كان يضع بدلا هن الجماجم أيادي وأقداما إنسانية حقيقية، وبدلا من الطائر الميت كان يضع جثة طفل ميت (يقال إنه قام "بإبداع " هذا العمـل في مشـرحة !) . ومن موضوعات ويتكين الأثيرة تصوير الموتى بعد أن يرتدوا بعض الملابس، وصورة رجل يضع مسمارا في قضيبه (فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يتواصل بها مع الآخرين كما يخبرنا الفنان) . وقد أبدع ويتكين لوحتين صورتين شهيرتين: صورة جنين مشوه وقـد تم تثبيتـه عـلى صليب ، ورجل بلا رأس يجلس على كرسي . وحينما تقيأت إحدى المدعوات في حفلة افتتاح أحد معارضه ، قال الفنان : "إن إحدى علامات المرأة الجميلة ، أنها

تحـــتفظ بجمالها حتى حينما تتقيأ!" . وتباع النسخة من صوره بـــ ٣٥ ألف دولار (من عملائه الفـــنان ريتشارد جير وجون إلتوت) . وفي مقال عن ويتكين بدأه الكاتب بقوله : "إذا كان الفـــنانون يعـــبرون عن طبيعتهم من خلال صورهم ، فإن ويتكين وحش بكل تأكيد" .وحياة ويـــتكين لا تقل وحشية أو نسبية . فحينما يجري صحافي حوارا معه فإنه عادة ما يحدثه مرتديا قـــناع زورو. وهو يعيش مع زوجته سينثيا وعشيقتها باربرا وينامون في نفس الفراش، وله ابن من سينثيا يسمى كيرسون (ولنتخيل مشكلة الهوية التي سيواجهها هذا الابن المحظوظ بالتعددية المفرطة المحيطة به ، خاصة إذا عرفنا أن الفنان يعترف أنه يمارس الجنس أحيانا مع موضوعاته ، أي جـــثث الموتـــى!) . وهـــنا يمكـــن أن نثير قضية الحياة الخاصة للشخصية العامة، هل هي أمر خاص بها وحدها؟ هل إصابة نيتشه بمرض سري أثر على عقله، ولا علاقة له بفلسفته التي خـــرجت من تحت عباءتها كثير من المذاهب الفلسفية الحديثة؟ (وقل نفس الشيء عن تيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، الذي مات هو الآخر بمرض سري) .."..

هل تقززت أيها القارئ؟.. هل جزعت؟ هل فزعت؟!!..

انـــتظر، فإنني – والله – ما رويت لك الفقرة الطويلة السابقة كلها إلا رحمة بك، لكي آخذك الهويني، فلا تروع فجأة بالجزء الباقي من حديث الدكتور المسيري، حيث يقول:

"ويصل هذا الاتجاه الفني فيما يسمى "سنف موفيز" ولا أعرف ترجمة لهذه العبارة. ولكن لعـــل وصفها يعطي فكرة عن محتواها . وهي أفلام يختلط فيها العنف والجنس بطريقة متطرفة. وكـــثيرا ما تنتهي ببطلة الفيلم في حالة نشوة جنسية ويتم قتلها في اللحظة التي تقذف فيها . ومـــثل هـــذا المـــنظر يتكرر في الأفلام الإباحية "العادية" ؛ ولكن في السنف موفيز يتم الذبح بالفعل.

نعم تقتل بطلة الفيلم.

وكان يتم الإعلان عن الفيلم بعبارة "صور في أمريكا اللاتينية ، حيث العمالة رخيصة" . وكل لبيب متوحش بالإشارة يفهم.

ومخـــرجو مـــثل هـــذه الأفلام يدافعون عنها من منظور الإبداع والحرية والثورة .. إلخ وقد قام بعض المثقفين الليبراليين المدافعين عن حرية الرأي المطلق بمظاهرة ضد دور السينما التي تعـــرض مثل هذه الأفلام. ولكن جريدة وول ستريت جورنال قامت بتعنيفهم لموقفهم هذا ، وبينت لهم أن ما يحدث إنما هو نتيجة طبيعية للموقف النسبي المتسيب من الفن والجنس وإنكار الحدود باسم الحرية المطلقة والإبداع غير المتناهي!"..

فهل تمرض أيها القارئ الآن مثلي؟ وهل تفزع؟ وهل تجزع؟ وهل تتقيأ؟..

كان من أكثر ما آلمني، فوق المرض، إحساس ذبيح بخيانة تلك الحثالة المنحطة من المثقفين الذين ينادون بالحداثة والنسبية ويعلون الحضارة الغربية وينتقدون الإسلام..

رحت وفى قلبي ألم لا يوصف أتساءل: أهذا هو الدين الذي يريدون منا أن نجفف منابع الإسلام ونتبعه.. أهذه الحداثة هي مصدر زهوهم وتعاليهم وصلفهم وكبريائهم ونظرتهم إلينا بازدراء.. ازدراء شيطان كافر مجرم.. ازدراء كلب مسعور لا يهدأ حتى يعقر الآخرين لينقل المرض المميت إليهم..

أجل.. كلب مسعور..

كلب مسعور ليس له إلا ميزة واحدة.. أنهم في إمبراطورية الشيطان لا يدعون الإيمان.. وهم يروجون للكفر ويعترفون أنهم كفرة ملحدون.

وعلى هذا فإنهم أفضل من مثقفينا الحداثيين الذين يتبعون ذات الحداثة والنسبية والكفر لكنهم يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان..

ألا إن الواحد منهم أسوأ من كلب مسعور.. إنه خنزير مأجور..

ملأني الإشفاق عليكم يا قراء.. إشفاق لحد الألم..

ملأني لأن تلك الخنازير المأجورة قد خدعتكم طويلا وغررت بكم طويلا.

والكاتب المثقف حقا، يجد أن من واجباته أن يكون عنصر توصيل جيد لقرائه. فهو ينقل لهم الفكر الأصعب بأسلوب أسهل كي يفهموه ويستوعبوه.. وهو قد يظل أعواما يكتب ويفكر كي يعطي لقرائه كتابا يقرؤونه في يوم أو بعض يوم.. وقد يظل يبحث بالأسابيع والشهور كي يلخص بحثه ذاك في مقال يقرأه القارئ في ساعة أو بعض ساعة..

الكاتب المثقف الحقيقي يفعل ذلك..

أما القارئ فهو يستأمن الكاتب على عقله.. و هذا أخطر من المريض الذي يستأمن الطبيب على جسده.. فإن خان الكاتب فإنه يصبح أشد سوءا من طبيب تأتمنه فينقل إليك المرض أو يسرق عضوا من أعضائك..

وهذا هو ما فعلته بنا النخب المثقفة المستغربة المأجورة..

الخنازير المأجورة..

أولئك الذين سوغوا لنا سب الذات الإلهية.. فكل شئ نسبي..

و أولئك الذين حالفوا أعداءنا علينا.. مقابل رشوة بالمال أو الشهرة أو اللذة..

وأولئك هم الذين راحوا يؤيدون أمريكا في حربهم ضد الإسلام والمسلمين..

أولئك الذين عجزوا عن المواجهة فمارسوا الخداع حتى كاد الناس يصدقونهم ويعتقدون أن : "الحداثة من الإيمان" و"أن النسبية من الإسلام" وأن العلمانية " مذهب يجوز التعبد عليه"!!..

أولئك الذين عجزوا عن كشف خبيئة نفوسهم فرحوا يدسون أفكارهم النجسة في صفحات الصحف والمجلات وفى أفلام السينما ومسلسلات التلفاز وفى تغيير مناهج التعليم وفى الرقابة والحظر على خطباء المساجد كي لا يفضحوهم ويكشفوا أمرهم..

وخنزير مأجور من هؤلاء هو الذي نال حظه من " الثلاثين مليون دولار" التي خصصتها أمريكا لرشوة المثقفين كي يناصروا موقف أمريكا ويشوهوا موقف الإسلام.. وطالبان.. وأسامة بن لادن.

أشفقت عليكم يا قراء كثيرا.. ذاك الإشفاق المؤلم.. أشفقت عليكم.. على الألم والعناء الذي أصبح على القارئ أن يكابده حتى يطمئن أن الكاتب الذي يقرأ له ليس خنزيرا مأجورا. أشفقت على من يكابد منكم ليصل إلى الحقيقة بينما من استأمنه على الطريق يضله..أشفقت على من يعاني حتى يطهر نفسه من دنس الخنزير المأجور.. و أشفقت أكثر على من يضلون الطريق فيخسرون الآخرة.

★ ★ ★

والحكاية طويلة ومريرة.. حاول الغرب طيلة الوقت تزويرها و إخفاءها.. لكنه يكرر نفس الأخطاء والجرائم خطأ بعد خطأ وجريمة بعد جريمة.. لذلك فإننا نستطيع رغم الكذب والتزوير والتشويه والتحريف أن نقرأ تاريخ الماضي فيما يحدث الآن..

فالغرب لم يتب عن جرائمه.. وهو يواصل عبادة الشيطان بهمة لا تعرف الكلل وبثأر لا يعرف الارتواء.. إن أمريكا التي قتلت الملايين لم تنس ثأر ١٨ أمريكيا قتلوا في الصومال.. قتلوا لأنهم اعتدوا وقتلوا مئات الصوماليين.. ونفس ما حدث مع العراق وأفغانستان يحدث مع أي بلد في العالم يجرؤ علي الاعتراض .. ونفس المنهج الشيطاني الذى فضل القتل علي الأسر يفضل أن يسحق عدوه ويدمره عن أن يقبل استسلامه أو انسحابه. لقد انسحبت العراق من الكويت منذ عشرة أعوام ومع ذلك لم يتوقف القصف والتدمير.

الخطـأ الأمـريكي القاتل أنه كشف عورة الحضارة الغربية القبيحة وبين كم هى هشة وخسيسة.. وهي لم تعاملنا بكل هذا الصلف والازدراء إلا لأننا نكصنا عن الجهاد فى سبيل الله وأن تكون مرجعيتنا هى الإسلام لا الأمم المتحدة.. وهى الحلال والحرام وليس المصلحة..

ولـو لمـس الغـرب الصـليبي من عالمنا الإسلامي استعدادا حقيقيا للمقاومة والحرب الحقيقيـة لتبـدل الصلف إلى تزلف والازدراء إلى نفاق.. ولتسترجعوا ما حدث بعد حرب أكتوبر ٧٣ .

والحقيقة أن الغرب ليس أمامه مجال للاختيار.. فنفس الحتمية التي تحتم علينا جهاده تحتم عليه أن يحاربنا.. ففي العقيدة الإسلامية.. العقيدة الإسلامية فقط .. نفي لكل مقولات الغرب الحضارية.. نفي كامل لأسس حضارة تحاول أن تحول الإنسان إلي حيوان والعالم إلي غابة..

نعم ..

العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كالعلاقة بين النور والظلام.. لايمكن لهما أن يـتواجدا معـا .. ولابـد لأحدهما من الغلبة علي الآخر.. وصراع الحضارات قائم وكل من ينكره إما ساذج و إما متواطئ. إلا أن غلبة الإسلام تحمل معها حضارته التي حافظت على الآخـر دائمـا بل ودافعت عن عقيدته. أم الغرب.. فلا يعرف إلا التبعية الكاملة أو التدمير الكامل.

نحن لا ننكر مكان الغرب ولا مكانته ولا مساهمته.. لكن عليه أن يعود لحجمه الطبيعي، وليس أكثر منه.

إن غلـبة النور علي الظلام تحكمها نواميس الله لذلك فهي لا تعني إلا كشف تزويره للحقائق وطمسه للأشياء ثم يدع الأحياء لاختيارهم.. ولجهادهم الذي يتركز لا في الاستعمار ولا في الإبادة بل في أن يخلوا ما بين العباد وما بين الله..

أمـا قضاء الظلام علي النور فلا يحكمها إلا المعايير المزدوجة للعقل النفعي البراجماتي .. لذلك فإنه لا يمكن أن يتم إلا باستئصال جذوة هذا النور وتجفيف منابعه.. فإن كانت قلوب المسـلمين المؤمنين هي مكمن الجذوة ومنبع النور فلابد إذن للغرب من القضاء عليهم.. علي الأشياء والأحياء جميعا.. وهو برغم الخلل الصارخ في ميزان القوي لصالح الغرب أمر يستحيل علي الغرب إنجازه.. وهذا العجز هو بذاته ما يحمل أكثر من أي شئ آخر بذور انهيار حضارة الغرب المزيفة.

حضارة الشيطان.. في إمبراطورية الشيطان..

الوعد الحق
انقضى الشك واقترب اليقين

الآن..

ترتفع عن العيون الغشاوة.. وينقشع الوهم.. ويقترب اليقين..

الآن .. يعترفون أنهم يشنون حملتهم الصليبية علينا..

أقول : يعترفون..

لأنهم لم يكفوا عن شنها علينا يوما واحدا منذ عشرات القرون.. منذ مؤتة..

الآن.. نخـوض حـربا نكرهها لكنها مفروضة علينا.. نخوضها وجل حكامنا وجيوشنا يقفـون في صف الأعداء ضد الأمة .. نخوضها وقد نكص ولاة أمورنا عن القيام بالحد الأدنى الذي يبيح لولى الأمر أن يكون ولي أمر: أن يحصن بلاده ضد الأعداء ويحميها منهم.. أما ولاة أمورنا فقد فتحوا بلادنا للأعداء ويحمونهم منا..

الآن نخـوض الحـرب الصليبية التي أعلنوها علينا ونحن في أقل درجات الاستعداد لها.. فالحكـام لاهـون متواطئون مع الأعداء والأمة غائبة بالجهل أو مغيبة بالقهر ونخبة مثقفة أشد سـوءا من الحكام ومن الأعداء جميعا.. نخبة مثقفة ضالة مضلة جعلت أكبر همها أن تبعد الأمة عن دين الله وأن تشوه كل نبيل و أن تدنس كل شريف و أن تقدس الخائن والعميل.. فكانت في حد ذاتها علامة من علامات الساعة الصغرى كما أنبأنا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم : "ترتفع التحوت وتوضع الوعول : (أي: يُكرم الفسقة ويُهان الكرام).. هذه الفئة التي تحتفي أيما احتفاء بنبوءات الدجال اليهودي نوستراداموس لكنها تزورّ معرضة إذا واجهناهم بنبوءات سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

★★★

نخـوض الحـروب الصـليبية بعـد أن التهم جحيم النار المستعرة إخوتنا في أفغانستان وفلسطين والشيشان وكشمير والفليبين و.. و.. فأحرقت فيما أحرقت كل دعاوى الحضارة الغـربية و أسقطت كل زيفها ورفعت كل الأقنعة مسفرة عن وجه الشيطان، وأظهرت للعالم قـبل أن تظهر لنا أننا لا نواجه "مستر" بوش ولا "الكولونيل" باول ولا " التابع " بلير" وإنما نواجـه " بـوش خان" و"باول لنك" وبلير " الأعرج" ليس في معركة حضارة بل في معركة نتصدي فيها لهجمة البرابرة التتارالهمج الجدد علي الحضارة. وأننا إن كنا ننكسر الآن، فسوف نهب ذات يوم، لننقذ العالم كما طالما أنقذناه و لنواجه هؤلاء البرابرة الهمج.. وسننتصر عليهم إن شاء الله.



إنهـم لا ينسـون أبدا ونحن لا نتعلم أبدا ، لقد أقاموا الدورة الأوليمبية في أسبانيا سنة ١٩٩٢ ميلاديـة احـتفالا بمرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من غرب أوروبا عندما سـقطت غـرناطة (٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م) ، وفى ذلك الوقت كان الصرب يقومون باقتلاع الإسـلام مـن وسـط أوروبا(وكنا نحن نشاركهم احتفالهم الدامي بتسليم بغداد وفلسطين في مدريـد).. وكـان وزير الإعلام الصربي يصرح أن ما يحدث هو "طليعة الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام"...

والتزمت نخبنا المثقفة الصمم الاختياري فلم تقل أيامها أنها : "زلة لسان"..

في يوم الخميس ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٩م قال كاردنال بوبارد أحد المقربين من البابا يوحنا بولس الثاني : "إن الإسلام يشكل تحديا مرعبا بالنسبة للغرب، ومشكلا خطيرا بالنسبة للأمل المسيحي" .

وقـال بوبارد رئيس المجلس الحبري للثقافة في حوار أجرته معه صحيفة (لوفيغارو): "أن هـذا الـتحدي يتمثل في كون الإسلام دينا وثقافة ومجتمعا ونمطا للعيش والتفكير والممارسة " مشيرا إلى أنه أمر حاصل، وإلى أن الواقع برهن على أن الإسلام لم يتغير" .

وأضـاف قـائلا : "أن العديد من المسيحيين الأوربيين وأمام تزايد ضغط المجتمع ونمط العيش وعوامل داخلية أخرى يأملون في تهميش الكنيسة وينسون الصوم الكبير وعذاب النار، ويهتمون في المقابل بل وينبهرون برمضان" .

وفي يـوم الأربعـاء ١٣ أكـتوبر ١٩٩٩م حذَّرَ أسقف أزمير الكاثوليكي المونسيتور برنارديني من مخاطر "فتح إسلامي جديد" لأوربا، وذلك في مداخلة ألقاها أمام مجمع أساقفة في الفاتيكان حول أوربا نُشرت في روما وعدَّدَ الأسقف – الإيطالي الأصل – أمام الحبر الأعظم والأساقفة الآخرين في المجمع سلسلة مراحل تؤكد برأيه العزم على إعادة فتح أوربا. وقال إن العـالم الإسـلامي سـبق أو بـدأ يبسط "سيطرته" بفضل دولارات النفط، وأضاف إن هذه الـدولارات لا تُستخدم لخلق فرص عمل في الدول الفقيرة في أفريقيا الشمالية أو في الشرق الأوسـط، بل لبناء مساجد ومراكز ثقافية للمسلمين المهاجرين إلى دول مسيحية بما في ذلك رومـا عاصـمة المسيحية" . وتساءل : "كيف يمكننا أن لا نرى في كل ذلك برنامجا واضحا للتوسع والفتح الجديد؟" وأكد الأسقف برنارديني أن "كلمات الحوار والعدل والمعاملة بالمثل، أو مفاهيم مثل حقوق الإنسان والديمقراطية تتضمن في الإسلام معاني تختلف تماما عن مفهومنا لهـا" وأضـاف إن ذلك قد يجعل من الحوار بين المسيحيين والمسلمين "حوار طرشان" وتابع إن "الجميـع يدرك أنه يجب التمييز بين الأقلية المتعصبة والأكثرية الهادئة والمعتدلة، لكن علينا ألا ننسـى بأن الأكثرية ستقف وقفة الرجل الواحد وتستجيب دون تردد لأوامر تصدر باسم الله أو القـرآن" وطـلب برنارديني من البابا السماح بتنظيم ندوة تُكلف بـ"دراسة مشكلة المهاجـرين المسـلمين في الـدول المسـيحية بعمق، وإيجاد استراتيجية مشتركة للبحث فيها وتسـويقها بطريقة مسيحية وموضوعية" ..وفي يوم الأحد ٢٦ سبتمبر ١٩٩٩م وجه رئيس الجـبهة الوطنية في فرنسا جون ماري لوبون في كلمة بمناسبة استئنافه النشاط السياسي تحذيرا مـن الإسـلام، وقـال لوبـن : "إن الغالبية العظمى من المسلمين في فرنسا تجهل الاندماج أو ترفضه، وأنها تتأثر بنفوذ بعض الدول أو الحركات الأجنبية التي تعرف أنها لا تتردد في القيام بعمل إرهابي أو سلوك وحشي". وقال رئيس الجبهة الوطنية : "الأمر لا يتعلق بمنع تحرك هؤلاء الـرجال، بـل بمراقبتهم لمنع الاستيطان الديموغرافي : كل شعب في بلده وكل دين في دائرته الجغـرافية" .. ويواجه لوبن داخل قيادة حركته نزاعا بين تيار يدعو إلى إطلاق حملة جديدة ضـد الهجـرة، وآخر توصل إلى الاستنتاج بأن فرنسا أصبحت "بلدا متعدد الأديان". وكان المختصـون أشـاروا إلى أنـه بمعدلات النمو الديموغرافي الحالية والمنتظرة في فرنسا سيشكل المسلمون أكثر من ٥٠% من السكان حوالي سنة ٢٠٥٠ .

واعتـبر لوبـن أن فرنسـا "يجب أن تعالج بشكل عاجل مشكلة حوض المتوسط الهائلة بكامـلها" وأضـاف يقول : "عندما تكون الأجراس في الشمال والمساجد في الجنوب تصبح الأمور واضحة والتوجه أفضل وتختفي التوترات ويستتب الأمن" .

كان الأمر واضحا دائما.. وكانت حربا على الإسلام..

وكـــنا نشاركهم ونتحالف معهم على أنفسنا... ونغفل النظر إلى مآسينا كحلقات من حلقات الصراع بين المشروع الاستعماري الغربي وبين الإسلام و أمته وعالمه وحضارته. فعندما حقق الغرب هذا الانتصار في تطويق العالم الإسلامي وغزو قلبه واحتلال أوطانه لم يُخف قادته أن ذلك جميعه قد تم ومنذ سقوط غرناطة في إطار حملة صليبية شنها الغرب على ديار الإسلام وواصل معاركها طوال هذه القرون، فالجنرال الفرنسى جوزو يقتحم قبر صلاح الدين الأيوبى بعـــد احـــتلاله لدمشق ويركله بقدمه ويقول : " ها قد عدنا ياصلاح الدين".. ولم تكن زلة لســـان.. والجـــنرال الإنجليزى اللنبي يقول عندما احتل القدس – بمساعدة عربية!! – : الآن انتهت الحروب الصليبية... ولا هذه أيضا كانت زلة لسان..

★ ★ ★

لست أدرى كيف يحاول بعض ولاة أمورنا وجل نخبنا أن يخدعونا عن كل ذلك، وكيف تطـــاوعهم قـــلوبهم وعقولهم وضمائرهم ودينهم كي يخدعوا أممهم بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان..

إن أعداءنـــا لا يـــبذلون جهدا في إخفاء نواياهم.. إنهم يعترفون.. لا عن نبل في النفس ولا صـــدق في القلب بل عن نفس الاستهانة التي يبديها القصاب وهو يذبح الشاة مدركا أنه قد فاتها الأوان الذي يمكن فيه أن تقاوم مهما عرفت ما سيحدث لها ...

لكم كان محزنا ومذلا ومهينا أن يعترف بوش بأن الحرب التي يشنها الآن حرب صليبية فينبري له شيخ الأزهر لينفي أنها حرب صليبية.

ولم يكن أي دارس للتاريخ بل للسياسة يغفل عن أنها حرب صليبية حتي قبل أن يصرح بوش..

يقـــول يوجين روستو مستشار جونسون ورئيس قسم التخطيط بالخارجية الأمريكية : "لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادى للإسلام،أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ، إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، و إن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط، وليس إلا استمرارا للحرب الصليبية.."

ويقـــول جارنـــر : " إن الحـــروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس .. إنها كانت لتدمير الإسلام...".

ويقول راندولف تشرشل : "لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهـــود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدى المسلمين، ولن تعود إليهم في أي مفاوضات مقبلة ..".

ولم يكن كل ذلك : " زلات لسان"..!!

★★★

ســـوف نتجاوز عن التفاصيل التي تعج بها الصحف والقنوات الفضائية.. سوف نتجاوز عـــن تصـــريح بـــوش عن الحرب الصليبية.. وسوف نتجاوز عن التهافت المخزي في الأدلة الأمريكية ضد طالبان و المجاهد أسامة بن لادن. وسوف نتجاوز عن الشبهات القوية التي تضع إسرائيل ومنظمات أمريكية في بؤرة الاقمام.. سوف نتجاوز عن كل هذا. وعن تصريح جورج بوش أن المستهدف ليس أفغانستان فقط بل ستين بلدا (عدد الدول الإسلامية).. وعن الصلف والـــتعالى والازدراء نحو المسلمين (أحد الاقتراحات كان خلط القنابل التي يضربون بها بدهن الخنازير)..

★★★

ســـوف نـــتجاوز عـــنه مدركين أن كل ما تقوله أمريكا وتردده خلفها نخبنا الخائنة من التحالف الشمالي مجرد ذرائع.. أما ضرب طالبان فهو خطة محددة سلفا (صرح بذلك وكيل الخارجيـــة الباكستانية السابق عن علم واتصالات تمت معه شخصيا بصفته الرسمية عندما كان في العمل قبل ستة شهور وليس عن استنتاجات له) والموعد الذي كان محددا للضربة منذ ذلك كـــان هـــو منتصـــف أكتوبر!!.. وقـــد صـــرح الرجل بهذه التصريحات في منتصف سبتمبر الماضـــي..[1] (أرجو ألا يفحمنا واحد من نخبنا المثقفة قائلا: ولكن الضربة بدأت في ٧ أكتوبر وليس في منتصفه..!!)..

كانت ذريعة الكويت من أجل احتلال منابع البترول في الخليج والسعودية..

وذريعـــة أفغانســـتان الـــوم استمرار لخطة الشيطان في تمزيق العالم الإسلامي والقضاء عـــلي الإســـلام والاســـتيلاء على ثروات المسلمين. فالمستهدف ليس أفغانستان ولا طالبان ولا أسامة بن لادن.. المستهدف آسيا الوسطى بكل ما فيها من مسلمين وبترول.. والمستهدف تمزيق الباكستان وحصار إيران.. وبث مزيد من الشلل والرعب في العالم العربي والإسلامي..

★★★

(١) الشعب الإليكترونية – عدد ٢١-٩-٢٠٠١.

في القرنين الأخيرين على الأقل كان الحكام يخونون الله والدين، لكن الأمة لم يكن لديها فتوى شرعية صحيحة مجمع عليها بالخروج عليهم..

الآن يختـلف الأمر.. فمع الحملة الصليبية التي بدأها بوش، بات واضحا أن تعاون أي حـاكم مسـلم معهـا يخضـع لفتوى صريحة توجب الخروج عليه وعزله.. و إزاء التضخم الأسـطوري لقوات الأمن في العالم الإسلامي.. وهو تضخم ساعدت عليه وتشجعه الولايات المتحدة.. وفى ظل الأعمال الاستشهادية في فلسطين.. التي ضربت للعالم كله وللعالم الإسلامي على وجه الخصوص أروع مثال على فاعلية العمليات الاستشهادية.. في ظل هذا كله أخشى أن تنتقل هذه العمليات الاستشهادية إلى العالم الإسلامي كله ضد الحكام المتعاونين مع أمريكا لضـرب أفغانستان، حيث لا توجد هنا شبهة مهما كان ضعفها.. كتلك الشبهة التي أحاطت بـالموقف مع العراق.. و أخشى أن تكون السياسة الأمريكية في تعاملها الفظ المهين مع ولاة أمورنا تدفعهم – مع سبق الإصرار والترصد – لهذا المصير..

★★★

نخـوض الحـرب المفروضة علينا .. وهى حرب علينا أن ندفع فيها ما كان يجب علينا أن ندفعه فلم ندفعه في كل معاركنا السابقة..

وربما.. بالمقاييس الدنيوية يبدو موقفنا بائسا..

لكننا نتحرك في اتجاه وعد الله..

وفى اتجاهات نبوءات المصطفى صلى الله عليه وسلم..

فمن هذه النبوءات حصار العراق ثم حصار الشام (سوريا – لبنان – الأردن – فلسطين) فيمنع عنها الطعام والمساعدات. وهاتان العلامتان السابقتان من أعجب ما أخبر به النبي صلى الله عـليه وسـلم أنـه سـيكون في آخر الزمان، فقد وقع هذا قريباً جداً حوصرت العراق ثم حوصـرت فلسطين وتحقق قول نبينا المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إذ قال صلى الله عليه وسلم: "يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم قلنا: من أين ذاك، قـال: مـن قـبل العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم دينار ولا مدى. قلنا من أين ذلك، قال: من قبل الروم...". (رواه مسلم وأحمد).

نعم.. نتحرك في اتجاه وعد الله..

في اتجاه المبشرات والوعد الحق أنه ستعود خلافة على منهاج النبوة، ذكر النبي صلى الله عـليه وسلم أن هناك نبوة ثم خلافة على منهاج النبوة وتبقى ما شاء الله ثم ترفع ثم يأتي ملك عاض كأن له أنياب تعض من العسف والظلم الذي يقع منه، ثم يأتي ملك جبرية - جبروت - أشـبه بـالحكم العسـكري الطاغي المستبد ثم تأتي خلافة على منهاج النبوة فهذه كلها من المبشرات، ومن المبشرات المهمة الانتصار على اليهود، النبي صلى الله عليه وسلم قال "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله" ..

★ ★ ★

المعركة قادمة لا محالة..

لأنهم لا يقصدون الإرهاب بل الإسلام..

يقصدون القرآن..

ولن يرضوا عنا أبدا إلا إذا اتبعنا ملتهم..

نعم.. ليس تسليم أسامة بن لادن ولا ضرب طالبان بل المقصود ضرب الإسلام..

بل إن القرآن نفسه بالنسبة لهم كتاب إرهابي..

لا مناص.. ولا حل وسط..

هى حرب ادعاء حمل الصليب منهم وحرب القرآن منا..

وهـو وضع سيجد كل مسلم نفسه فيه مستعدا للاستشهاد.. وهذه بالضبط هى الحمية التى ظل الغرب ألف عام يقتلها فينا .. حتى جاء الأحمق بوش ليوقظها فينا من جديد..

★ ★ ★

نعم..

الوعد الحق قادم..

وليشن بوش حملته الصليبية علينا ..

سوف نقاوم تحت راية القرآن..

وسوف ننتصر.. إن شاء الله..

بل هي حرب علي الإسلام «١»

من المؤكد أن أمريكا تخدعنا..

خداع شامل كامل ونهائي..

خـــداع مطلـــق.. خداع من لا ضمير له ولا قيم ولا مبادئ.. خداع من لم يجرب مرة واحدة طيلة تاريخه أن يقول :

إني أخاف الله!!..

ولا مرة واحدة..

ولا جيل .. و أظن حتى ولا فرد..

ومن المحتمل أننا – منذ مائة عام أو بعد مائة عام ولكن ليس الآن بالتأكيد – قد نستطيع أن نخدع أمريكا.. ولو عشر معشار ما خدعته لنا..

ولكن .. هل نستطيع خداع الله؟!..

وهل نستطيع مواصلة خداع أنفسنا وتصديق ولاة أمورنا والنخبة المثقفة المنحرفة والزعم بأن هذا الحادث الآن ليس حربا على الإسلام؟..

الأمر بالنسبة لي ولكم يا ناس.. ليس مجرد أمر فلسطين أو أفغانستان أو الشيشان..

نعم.. الأمر بالنسبة لي ولكم.. ليس أمرا خارجا عن ذواتنا..

الأمر – أيها القارئ – داخل ذاتك..

داخل أعمق أعماق ذاتك.. حتى لكأنه لا يتعلق بأحد سواك وليس ثمة من البشر ولا ثمت في التاريخ من هو مسئول عنه غيرك..

حين يسألك الله عن موقفك من الحرب على الإسلام ماذا فعلت؟..

لــن يجيب عنك أحد.. ولن يتحمل وزرك أحد .. ولن يوثق وثاقك أحد.. ولن يعذب عذابك أحد..

ففرّ إلي الله..

فإن سألتني أين الدليل و أين الخارطة و أين الحادى و أين الهادي.. سأفحمك بالرد قائلا لك: كلها لديك.. كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم..

لــن أقــول لك أنقذ القرآن والسنة .. بل أقول لك أنقذ نفسك بالرجوع إلى القرآن والسنة..

فإن واصلت سؤالك ستجدني مشغولا عنك بنفسي كيف أنجو بها من ذل الدنيا وخزى الآخــرة ومن عار الوجود إلى مجد الخلود وباحثا عن سبيل كيف أفر من خلاله إلي الله هاتفا: نفسي.. نفسي.. نفسي..

★ ★ ★

كتاب الله وسنة رسوله..

كتاب الله وسنة رسوله..

وتلك هي المشكلة..!!

★ ★ ★

فكتاب الله هو المطلوب تركه..

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المقصود هجرها..

وتراثنا الديني هو المستهدف أن نتخلى عنه..

وليــس الــترك والهجر والتخلي فقط.. بل أن ننظر إليها - أستغفر الله بصلف وتعال وازدراء.. و أن نصم من يصر عليها بالتخلف والهمجية والأصولية والتأسلم والإرهاب..

المطلوب كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيرى هو " التخلي عن كل العلاقات الأولية الكونية مثل علاقات القرابة والانتماء للقبيلة والعلاقة المباشرة بالطبيعة، و إحلال علاقات غير شخصية مجردة محلها مبنية على التعاقد والمنفعة[1] " ..

---

(١) رحــلة الفكرية في البذور والجذور والثمر - سيرة غير ذاتية غير موضوعية - عبد الوهاب المسيرى - الهيئة العامة لقصور الثقافة.

وذلك ما يريد الغرب أن يدفعنا إليه وليس أمام أي مسلم في هذا العالم إلا أن يكون ضد حداثتهم وإلا كان ممن يقصدهم القرآن الكريم في الآية : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (وبالمناسبة فإن الإعلام الرسمي وشبه الرسمي يفسر الآية بعكس معناها.. فمعنى الآية في سياقها أن التهلكة هي الانصراف إلى منافع الدنيا والتوقف عن الجهاد فى سبيل الله) ..أستغفر الله فقد أخطأت.. لأن هذه الآية قيلت في الصحابة الكرام رضى الله عنهم من الأنصار في المدينة حين قال بعضهم بعد انتصار الإسلام أنهم قد انشغلوا بالجهاد وتكوا تنمية أموالهم، أما وقد انتصر الإسلام فعليهم أن يعودوا إلى تجارتهم..

أستغفر الله..

آيـة قيلت في مثل هؤلاء أستشهد بها في شأن هؤلاء الحداثيين المستغربين الذين لا يجوز الاستشهاد عليهم إلا بآيات تتحدث عن الشياطين.

المطلوب باختصار شديد أن ندع ملتنا ونتبع ملتهم..

هو الطوفان..

وليس أمامنا إلا أن نستوعب أن نجاتنا من الطوفان تقبع في كتاب الله وسنة رسوله..

كتاب الله وسنة رسوله..

وتلك هي المشكلة..

★ ★ ★

المشكلة ليست أننا ضدهم..

بل المشكلة أنهم ضدنا[1]..

والمشكلة ليست أننا نريد فرض قيمنا المتخلفة عليهم..

بل المشكلة أنهم يريدون فرض الكفر والفجر علينا.. فإن لم نكفر كنا أعداء الحداثة التي هي أساس الحضارة الغربية ووجب عليهم أن يشنوا علينا حربا صليبية..

★ ★ ★

(١) راجع كتاب: الإسلام والآخر – من يعترف بمن ومن ينكر من – دكتور محمد عمارة – مكتبة الشروق .

حرب صليبية..

أنذرنا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بها.. وحذرنا منها..

أعترف بها قادهم قائدا بعد قائد – وآخرهم بوش وبيرلسكوني – وبابواهم بابا بعد بابا وفلاسفتهم وكتابهم ومفكريهم ..

وحذر منها علماؤنا عالما بعد عالم وكاتبا بعد كاتب ومفكرا بعد مفكر من الذين طهرهم الله من دنس السلطة..

لم يطمئنا إلا ولاة أمورنا والنخبة المستغربة من علمانيين وحداثيين وبقايا شيوعيين وانتهازيين ولصوص.. هم الذين قالوا أنها ليست حربا على الإسلام..

★ ★ ★

هي حرب على الإسلام..

نعم كانت تلك هي الحقيقة التي حرص ولاة أمورنا على التعتيم علينا و إخفائها عنا حتى بدا لنا أن الانفجارة العنصرية ضد الإسلام لم تبدأ إلا بعد ١١ سبتمبر..

وتلك فرية وحديث إفك..

فلقد بدأت الانفجارة ضد الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام إلا قليلا.. حين روع الدولة البيزنطية سرعة انتشار الإسلام في مستعمرات كانت تحت أيديهم، دخل أهلها الإسلام أفواجا وأصبحوا من أقوي حماته، وخشي البيزنطيون أن ينتشر الإسلام بين مواطنيهم فجندوا آلاف القسس والرهبان والمبشرين لتنفير البيزنطيين من الإسلام ودس القصص المشوهة عنه لتشويهه. هذه المحاولات الدءوبة للتشويه لم تتوقف قط. ظل العفن الذى تولد منذ ألف عام يتولد ويتخمر ويتخثر فيزداد مع الزمان عطنا وعفونة.

ولنطالع بعض ما يقولونه عنا قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر[1]..

(١) راجع كتاب " صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية " – الدكتورة مادلين نصر – الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية" ..

فالمسلم جبان خائف متخلف ساذج يعاني من قصور عقلي.. دنيء فقير.. متخلف أخلاقيا.. ناقص .. إما عدو وإما خائن.. وهو إما لاجئ في مخيم أو ساكن في مدن من الصفيح.. أو راعي غنم في الصحراء أو صياد..

المسلمون والعرب كفار[1] أعداء خونة غير مؤمنين فاشلون مهزومون هامشيون مذعورون فقراء يعيشون في حرمان لأن إلههم بخيل (أما إله الغربيين فكريم و أعطاهم الثروة والمياه الوفيرة) ...

والعلاقة بين المسلم وبين الآخرين علاقة عدائية خطرة عندما يفلتون من السيطرة، إذ أنهم بعدها يتحولون إلى أعداء خطرين بعد أن كانوا مخلصين أوفياء، لكنهم عند فقد السيطرة عليهم يتحولون إلى متمردين تارة وأخرى إلى نهابين وثالثة إلى مخربين بل سفاحين... إنهم قبيلة كريهة من البدو المتعطشين للدماء... الغرب أسياد والمسلمون خدم، لصوص، متطيرون، يؤمنون بالجان، أذلاء، فاشلون، لا يتكيفون مع الواقع، مرعبون، مفزعون، قطاع طرق، قتلة، يخافون الموت فيستسلمون ويلحقهم عار الموت دون قتال ... ليس لهم أي صفة إيجابية ... إنهم إما كسالى مذعورون و إما غزاة سارقون ... خائفون ويهددون غيرهم ... فُرّارٌ بعد الهزائم... إن المصير المحزن الذي ينتظرهم هو الموت الجسدي أو الخضوع أو الاستسلام أو الانسحاب...

أحيانا يقاتلون بشجاعة لكن هزيمتهم محققة... وهم يثيرون العطف أحيانا لكن القَدَرَ دائما ضدهم والحظ.. إنهم شخصيات محكومة دائما بالهزيمة والفشل والخضوع... وهم غازون ومتطفلون و أجانب حتى عندما يكونون في بلادهم الخاصة ...

إنهم دائما في علاقة تناقض مع الآخرين، تتحالف الطبيعة مع القدر ضدهم، ثم يجدون أنفسهم بعد ذلك في صف الأشرار أو ضد الأخيار دائمي التشاحن مع بعضهم..

إنهم ضعفاء.. يطلبون الحماية أو يهربون...

إن طبيعة العلاقة معهم هي الصراع والعداء وشعورهم بالنقص، إنهم أعداء أو خاضعون.



ليست هذه الصفات واردة في عصور ما قبل التاريخ ولا في العصور الوسطى، ولا حتى في بدايات القرن العشرين أو منتصفه، إنما هي صفات العرب التي يدرسها – الآن – الطلاب الفرنسيون في مراحل التعليم المختلفة وليست هذه النظرة زلة لسان إنما هي المنهج الرسمي

---

(١) فلترصد أيها القارئ كم ألف كلب تعوي عليك إن سميت غير المسلم كافرا.

الذي قررته وزارة التربية الفرنسية ، وضع في الاعتبار أنهم لا يقولون كل ما يريدون إذ يجب – طبقا لنص توجيهات صريحة من وزارة التربية – مراعاة وجود تلاميذ من أصل عربي في الفصول الدراسية..!!

★★★

لم تكن مادلين نصر وحدها هي التي اكتشفت أو كشفت ...

هناك الكثيرون أيضا، منهم "شريف الشوباشي[1] حيث يتحدث عن نظرة ومعاملة الفرنسيين للعرب أو المسلمين (حيث تستعمل الكلمتان بالتبادل كمترادفتين) .. فَهِم الفرنسيون ذلك واكتشفوه ..

نحن لم نكتشف بعد ذلك!!...

النظرة التي ينظر بها الغرب إلينا واحدة إذن عبر كل القرون ...

منذ ألف عام ومنذ مائة عام والآن وبعد مائة عام ... أما صدام الحضارة الذي ابتدعه صمويل هنتجتون فانبهر به رواد التنوير فليس جديدا إلا لهم وعليهم ...

بالنسبة لنا فإن أول اكتشاف لصدام الحضارات قد ورد في القرآن ذاته ولقد حدد شروطهم كي لا يكون صدام : "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ...".

لم تكن إذن زلة لسان ولا كانت الأحداث التي حدثت بعدها من اعتداء على المسلمين استثناء شاذا بل كانت القاعدة التي يحاول ولاة أمورنا خداعنا عنها.

★★★

بديهى يا قراء أن يكون المشاركون في مؤامرة هم أصحاب أعلى الأصوات في إنكار مثل هذه المؤامرة..

وبديهي أن نُهزم هزيمة بعد هزيمة إذا كنا ندخل حربا ضد أعدائنا بينما ولاة أمورنا وجيوشنا ونخبة مثقفينا وأجهزة إعلامنا وكتابنا ومفكرونا وصحفيونا الذين يسمح لهم بالكتابة و المسئولون عن إعلامنا كل أولئك يقفون في صف الأعداء ضد الأمة.

★★★

وهؤلاء و أولئك هم مجوس هذه الأمة .. هم التحالف الشمالي الذي لن يتورع أن يفعل بالأمة ما فعله التحالف الشمالي بأفغانستان.. إنهم على استعداد لكل شئ وأي شيء.. وليس

(١) هل فرنسا عنصرية – إشكالية الهجرة العربية والإسلامية في أوروبا وكالة الأهرام.

لديهـــم أي مشروع لإنقاذ الأمة مما صارت إليه .. المشروع الوحيد الذي لديهم هو حرب الإسلام والمسلمين ودعنا من الاستتار الخسيس خلف مصطلحات هم الذين نقلوها عن أضابير المخابـــرات في الغرب كالأصولية والتطرف والتشدد فليس هناك إلا إسلام واحد الشريعة فيه ثابتة بينما الفقه متغير.

ليـــس لديهـــم مشروع ولا تصور لمواجهة الغزوة الصليبية الشرسة .. إنهم في الحقيقة يرحبون بها بل ويزايدون عليها.

ولننظر إلى مواقفهم علي سبيل المثال من دفاع عن حرية الكلمة عندما تكون الكلمة ضد الله وضـــد الإســـلام وضد المسلمين كما حدث مع سلمان رشدى وفرج فودة ونصر حامد أبو زيد وحيدر حيدر وآخرين كثيرين ونقارن ذلك بموقفهم من إغلاق أي منبر لا أقول يدافع عن وجهة نظر بن لادن مثلا بل من أي منبر يلتزم نوعا من الحياد أو الأمانة في عرض وجهات النظر. لقد قصف مكتب قناة الجزيرة لأنه تجرأ علي عرض الصورة كما تحدث لا كما تريدها الولايـــات المـــتحدة أن تـــبدو . أما بالنسبة لعلماء الدين وخطباء المساجد، فقد كان الفصل الفوري – ناهيك عما يحدث بعد ذلك – هو جزاء كل من يؤيد وجهة نظر بن لادن.

مع الله ومع الدين كان يمكن – بل كان من الضروري – أن تكون هناك وجهتا نظر .

أما مع أمريكا فلم يكن مسموحا إلا بوجهة نظر واحدة فقط .

بل ولقد تجاوز الأمر ذلك ..

فـــبعد المجزرة التي حدثت في أفغانستان، وبعد أن خلعت إمبراطورية الشيطان براقعها، وكشرت عن أنيابها، بدأ نوع من المزايدة لبيع الأوطان إلى الشيطان.

بـــدا ذلـــك علي سبيل المثال في تقليد ما فعلته أمريكا في أفغانستان فراحت دولة عربية تقصف شعبها بالطائرات وتسحقه بالدبابات استرضاء لأمريكا .

وبدا ذلك في دعوة وجهها رئيس وزراء دولة عربية مسلمة لأمريكا.. دعوتها إلى احتلال بلاده بدلا من قصفها..

أما الانهيار الذي بدا في ساحة النخبة المثقفة فقد كان ذا دوي أعلى، ذلك أن استسلام الساسة يتم عادة وراء الكواليس، أما استسلام النخبة المثقفة الرسمية فيتم في مزاد علني .

مــزاد كذلــك الذي يتم في شوارع البغاء حين تعرض الزانيات مزاياهن على القوادين والزناة..

وكــان الدافــع وراء هذا المزاد فيما يبدو إدراك تلك النخبة أن الولايات المتحدة بعد أن كشرت عن أنيابها بسبيلها إلى تغيير أنظمة الحكم في عديد من بلاد العالم العربي، فاندفعوا، تحــركهم حمــى كتلك التي دفعت الباحثين عن مناجم الذهب في الغرب الأمريكي، لا يقف في ســبيلهم شــئ. وكانت مناجم الذهب التي تحركت في اتجاهها قوافل المثقفين هي المزايدة في إظهــار الولاء لحكومات لم توجد بعد، تلك الحكومات التي يُتوقع أن تنصبها أمريكا على بلادنا.

و إن كــان عليّ أن أضرب الأمثلة فإنني أكتفي بثلاثة أمثلة من مصر منوها بأن الموجود خارجها أفدح بكثير.

المــثال الأول يتعلق بالدكتور مأمون الفندى، مزدوج الجنسية بين أمريكا ومصر، ولقد سبق أن تحدثنا عنه في هذا الكتاب، ولقد كانت وجهة نظره تشكل خليطا منفرا لوجهات بوش ورامسيفيد وكل أعداء العرب والمسلمين.

مــأمون الفــندى هــذا .. تم تعيينه في الأهرام ككاتب دائم. الأهرام.. أكبر صحيفة في العالمين العربي والإسلامي.

المــثال الثاني يتعلق بصحيفة أخرى تحاول منافسة الأهرام – على الأقل في التوزيع. ففي نفــس اليــوم الذي عين الأهرام فيه الفندى كاتبا فيها كانت أخبار اليوم ترفع حرارة الحمى في المــزاد، وكان رئيس تحريرها يكتب أطول مقال في تاريخ الصحافة العربية: ثلاث صفحات كامــلة. ومــلخص المــزايدة، هو أن الوضع في مصر أسوأ من الوضع في أفغانستان، و أن الأصــوليين الذين تؤيدهم الشرطة ويسيطرون على الصحافة والإعلام والمساجد (!!) يفعلون بالمصريين أسوأ مما فعلته طالبان في أفغانستان، وينهى المقال بأنه يغبط بل ويحسد الأفغان الذين حررهم أمريكا من جحيم المتطرفين.

المثال الثالث يتعلق بمطبوعة حكومية لا أريد ذكر اسمها. كان عنوانها :

"بن لادن دعا لإعلان الجهاد ضد الولايات المتحدة و طالب المسلمين بمحاربة حكامهم!"

"يســتغلون وسائل تدريب الإرهابيين وسيرهم الذاتية وصور جثثهم الممزقة في دعايتهم لجذب المتطرفين الجدد!".

وبغـض الـنظر عـن افتقاد مذهل للعقل، فالذى يغوي أحدا لايغريه بأنه سيتحول إلى أشـلاء!! فـليس هناك ما أعبر به عن إحساس مروع بالاشمئزاز والدهشة، فقط أريد أن أنبه القـارئ إلى أولئك الذين حاربوا الدين باسم العقل.. كيف تركوا العقل في سبيل إمبراطورية الشيطان.

حاربوا من يقول لا إله إلا الله..

ويحاربون من أجل أن نقول : لا إله إلا أمريكا..

★ ★ ★

وفى هذا الإطار بدأ الهجوم يشتد علي أسامة بن لادن وطالبان..

وليسـت قضية أسامة بن لادن أو طالبان أو أفغانستان هي القضية.. فالقضية أكبر من ذلـك و أشمل و أخطر. ومع ذلك فعلينا أن نتوقف هنا قليلا كى نلقى بلمحات خاطفة على أسامة بن لادن وطالبان و أفغانستان.. مجرد لمحات لا تدعى لنفسها الإحاطة أو الشمول..

لمحات تؤكد أن الحرب التي بدأت ليست عليهم..

بل هي حرب على الإسلام.

★ ★ ★

ولقـد فكـرت أن أواصل هذا الكتاب بنوع من التجريد دون أن أخصص فصولا عن أفغانستان أو طالبان أو بن لادن، فذلك لن يغير من الحقيقة الكلية شيئا. وسوف يشرح الجزء الكـل، وسيظل الأمر حتى بدون ذكرهم ، بل وقبل أن يوجدوا حربا على الإسلام. وستظل القضية في جوهرها الأساسي قضية الإيمان والكفر.

وفكـرت، مـن وجهة نظر مغايرة أن أسرد آلاف بل ملايين التفاصيل عن أفغانستان وطالبان وبن لادن، لأن الإجلاء الكلى للأجزاء سيسفر عن ذات النتيجة، أي عن فهم كلى، حتى لو أهملت الجانب التجريدى منها، وسيظل السبب الرئيسى لما يحدث غامضا حتى تفرض قضية الإيمان والكفر نفسها من جديد .

وقـد ظـلت هذه القضية في منهج الكتاب تشغلنى - وتعطلنى - طول كتابته، إلى أن هـدانى الله لفكـرة أحسبها طيبة، وهذه الفكرة تقول أنه إذا كانت روح القضية كلها هي:

الإيمـــان والكفـــر، فـــإن الجسد الذي لبسته هو أفغانستان وطالبان و أسامة بن لادن، وأنني وإن ركزت على الروح لا ينبغي لى أن أهمل الجسد..

ومن ثم، فقد وجب على أن أكتب فصولا ثلاثة :

عن أفغانستان..

وعن طالبان..

وعن أسامة بن لادن..

★ ★ ★

أفغانستان

أدرك يا قراء أنه ليس مهما أن أتحدث عن أفغانستان أو طالبان أو القاعدة ..

نعم ..

ليس ذلك مهما ..

لأنـــه لو لم تكن أفغانستان لكان المحاصر والمحارب بلدا سواها.. بشرط أن يكون عربيا أو مسلما.. وسيكون..

ولو لم تكن طالبان لكان سواها.. وسيكون..

ولـــو لم يكن أسامة بن لادن لكان أي واحد من مليار وربع مليار يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله.. وسيكون..

تفاصيل التاريخ ليست مهمة.. ولا كذلك تفاصيل الجغرافيا ..

المهم هو العقيدة.. فالحرب عليها.. وليست علي شئ آخر..

نعم .. فهي حرب على الإسلام..

لكنــــنا في نفـــس الوقـــت نحـــتاج إلى المعلومات الأساسية التي فقدناها بعد مائتي عام مـــن التطوير الذي يعيد الإنسان إلى مخلوق دون الحيوان والتعليم الذي ينشر الجهل والإعلام الـــذي ينثر الكذب والحداثة التي تعني الكفر[1]!! وتقصف الإيمان.. لا بوسائل الإعلام فقط.. بل بصواريخ كروزو وتوماهوك وقاذفات البي ٥٢ الثقيلة ..

وربمـــا كـــان هذا التجهيل المنظم الذي يمارس بدأب شديد، هو الذي أوقع كاتبا كبيرا كمحمــــد حسنين هيكل في خطأ فادح، حين قرر أن المنطقة من المغرب حتى الصين لا تحتوى إلا عـــلي دولتين حقيقيتين فقط، هما مصر وإيران، أما باقي الدول فهي كيانات رخوة وهشة،

(١) مـــن الكتب التي تكشف بشاعة الفكر الأمريكي وكفر الحداثة كتاب بالغ القيمة للدكتور عبد الوهاب المسيري بعنوان رحلتي الفكرية– في البذور والجذور والثمر–الهيئة العامة لقصور الثقافة.

وبقـــدر مـــا كان هيكل مخطئا في المقدمات فقد كان مصيبا في الاستنتاج بعد ذلك حين قرر أن هذه الهشاشة ستدفع بالولايات المتحدة إلي إعادة رسم الخرائط وتكوين الدول، لكن الذي لم يفطن إليه، أن هذا الكيان الهائل المترامي الأطراف لم يكن – ولا هو – كيانا هشا بل شكل دولة إسلامية هائلة مترامية الأطراف ظلت أقوى دولة في الدنيا ألف عام، و أن ما يصفه هيكل بـــالدول الهشـــة ليـــس إلا شظايا تلك الدولة الإسلامية وبقاياها، والتي يحرص الغرب علي ألا تـــتجمع مـــرة أخري، وفي سبيل حرصه ذاك، راح ينشر بيننا – من خلال عملائه بيننا – الجهـــل بالـــتاريخ، مبتســـرا نظرية الفراغ التي تحتاج إلي من يملؤه، والذي لن يكون سوي إمبراطورية الشيطان بطبيعة الحال.

لم تكن المنطقة فراغا..

وليسمح لي القارئ باستطراد طويل. كي نثبت أن هذه المنطقة مروية بدم الشهداء..

★ ★ ★

أفغانستان في التاريخ ..

عندما ننظر في أطلس للجغرافيا نفاجأ كم أن أفغانستان قريبة.. لكن التجهيل والتغريب جعلها من منظور الوعي بعيدة جدا..

يقســـم علماء الجغرافيا السياسية آسيا إلى ست مناطق جغرافية متباينة هي جنوبي آسيا (الهند وباكستان وبنجلاديش و بوتان ونيبال وسريلانكا ومالديف) وشمال شرقي آسيا (اليابان والصـــين والكوريـــتان ومنغوليا) وجنوبي شرقي آسيا(تايلاند وكمبيروناي والفليبين) وجنوب غـــربي آســـيا(أفغانستان وإيران والعراق وتركيا وسوريا ولبنان ودول شبه الجزيرة العربية) ووســـط آســـيا والقوقـــاز(قازاخستان وطاجيكستان وأوزبكستان وقيرغيزيا وتركمنستان وأرمينيا).

أليـــس مفاجئا للقارئ أن يكتشف أن أفغانستان تنتمي لنفس المنطقة التي تشمل سوريا والسعودية والعراق ولبنان؟!.

ثم أنـــه ليـــس ثمة شئ يوجع القلب قدر أن تنظر إلي الخارطة فتري بلد الإسلام جسدا واحدا متكاملا تم تمزيقه. ومساحة واحدة متصلة تم تقطيع أوصالها.

يقول محمود المستيري[1] أن العقبة الكأداء التي لا تزال تحول دون تواصل بلدان المنطقة. والإسراع بتشكيل خريطة آسيا الوسطى الجديدة ، هو الوضع الراهن في أفغانستان . ومن ثمة

(١)محمود المستيري – أفغانستان – السياسة الغائبة السلام المسلح دار الجنوب للنشر ، تونس .

فإن السلام في هذا البلد من شأنه أن يسهم في ربط الصلة بين بلدان المنطقة الذي يؤلف بينها الانتماء للدين الإسلامي وللحضارة الإسلامية ، كما من شأنه أن يقدمها للعالم ككتلة متكاملة متـرامية الأطـراف تتمتع باستقلالها السياسي والاقتصادي والأيديولوجي . قوة جديدة ذات كيان خصوصي بإمكانها تحقيق التوازن الجبهي في صلب آسيا برمتها .

★★★

وعـندما ننظر في كتب الدين نفاجأ أن أفغانستان قد أعطت الأمة الإسلامية بعضا من أعظـم كـنوزها الفكرية. فهي بلاد أبي حنيفة والبيهقي والبلخي والهروي وابن حبان البستي وعـلى حدودهـا بـلد الترمذي والنسائي والبخاري وهي بلاد (قطز) قاهر التتار (ومحمود الغزنوي) فاتح الهند، وهي بلاد الفخر الرازي؟ وابن قتيبة؟ وإمام الحرمين (الجويني) والبيروني والبدخشي والفارابي وابن سناء والجورجاني.

نعـم .. أنجبت أفغانسـتان إمامين جليلين من أئمة الفقه هما (أبو حنيفة) (٨٠هـ - ١٥٠هـ) الذي ينتسب عن طريق جده إلى كابل، و(أحمد بن حنبل) (١٦٤- ٢٤١هـ) الذي ولد بمدينة (مرو).

كمـا برز فيها من المحدثين: أبو أيوب السجستاني صاحب السنن الذي توفي سنة ٢٧٥ هـ إلى جانب كثير غيرهم من المفسرين والمحدثين وأبو حامد الغزالي والسرخسي والبيهقي والنيسابوري..

هل تندهش أيها القارئ لأن معظم المسلمين لا يعلمون شيئا من ذلك..

حـق لك أن تدهش.. فكل دهشة هي وصمة عار في جبين التغريب في بلادنا وعمليات نشر الجهل والتفاهة لا العلم والثقافة.

★★★

وعندما نقرأ في كتاب للتاريخ نفاجأ أن تاريخنا واحد.. وأننا كنا لفترات طويلة ولايات في دولة واحدة..

تعتبر أفغانستان مهد الآريين الذين نزحوا إليها من سهول تركستان الغربية وانتشروا بعد ذلك في فارس وشمالي العراق وأوربا وشمال الهند، لذا عرفت في القديم باسم (إيريانا) وهم أول مـن أسس مدينة (بلخ) التي كانت مركزاً لتعاليم الديانة (الزرادشتية) وقد غزا سيروس ملك

الفرس مدينة بلخ عام ٥٤٠ ق.م، ثم غزاها الإسكندر المقدوني حوالي عام ٣٣٠ ق.م وأسس مينتي (هيرات وقندهار) وقد دام حكم الإغريق لأفغانستان حوالي مائتي عام، وفي القرن الأول قبل الميلاد وقعت تحت احتلال امبراطورية (كوشانية) ثم حكمها الساسانيون، فالهونيون البيض، ولما فتحها المسلمون كانت تحت حكم الإمبراطورية الفارسية، وكانت أفغانستان الحالية جزءًا من (خراسان) ومعناها (أرض الشمس)، وكان أهلها يعتنقون الديانة البوذية التي انتقلت إليها من الهند[1].. ومازالت منطقة (باميان) مزاراً للبوذيين حيث يوجد فيها تمثال لبوذا منحوت في الصخر بارتفاع ٥٥متراً[2].

الفتح الإسلامي:

في عام ١٨ هجرية (٦٣٨م) أرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده عياض بن غنم عام والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر الرسول صلى الله عليه و سلم حيث انتشر نور الإسلام، فلم يأت عام ٢٤ (٦٤٤م) إلا و قد خضع جنوب القوقاز كله للحكم الإسلامي وذلك خلال ست سنوات فقط من الجهاد.. وفي طليعة الذين قدموا إلى خراسان : قُثَم بن العبّاس، وهو ابن عمّ النبيّ المرسل صلّى الله عليه وآله ، وكان له شبه كبير بالنبيّ صلّى الله عليه وآله في الشمائل، وقد شارك في فتح أفغانستان الحالية ثم استشهد في مدينة سَمَرقَند.

ولما رأى آخر الأكاسرة انتصارات المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فر إلى خراسان، فتابعه القائد المسلم الأحنف بن قيس التميمي ففتح هراة ومرو عام (٢٢هـ / ٦٤٤م) ثم فتح (بلخ) عنوة حيث هزم يزدجرد. وبعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه امتدت الفتوحات الإسلامية إلى كابول ونيسابور وبهق، وفي العهد الأموي فتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد السند. وفي العهد العباسي ظهرت في هذه البلاد دويلات إسلامية كالصفاريين والغزنويين الذين كان من أشهر ملوكهم (محمود الغزنوي) (٣٦٥هـ - ٣٨٧هـ) والذي اشتهر بفتوحاته في الهند، وقد بلغ عدد حملاته عليها سبع عشرة حملة خلال سبعة وعشرين عاماً. وبعد أن تعاقب بعده اثنا عشر سلطاناً انهار حكم الغزنويين على أيدي الأتراك السلاجقة ثم (الغوريين).

---

(١) أفغانستان - محمود شاكر - المكتب الإسلامي-بيروت .. (وهو عالم في التاريخ، وليس العلامة والمحقق المصري الشهير محمود شاكر).

(٢) وهو التمثال الذي هاج العالم علي أفغانستان عند هد هدمه، نفس العالم الذي لم يتحرك عندما راحت الولايات المتحدة تهدم أفغانستان كلها. هاجوا من أجل الحجر، ولم يتحركوا من أجل البشر.

ثم انضمت أفغانستان للدولة المغولية عام ١٢٣٣م.

ويصدق على أفغانستان مقولة: "إنها مقبرة الغزاة"؛ فعلى مدى تاريخها الطويل لم يستقر بها فاتح غير الإسلام بعدما اعتنق أهلها الإسلام، فبريطانيا الكبرى لم تستطع أن تستقر بها إلا سنوات معدودات خاضت فيها حروبًا شرسة ضد الأفغان، وخسرت في إحداها جيشًا كاملاً قوامه (١٦) ألف مقاتل، ولم تجد سبيلاً أمامها إلا الاعتراف باستقلال أفغانستان، ويصف الأمير "شكيب أرسلان" المسلمَ الأفغاني بقوله: "لا ينام على الثأر، ولا يقبل أن يطأ الأجنبي وطنه، ولا يواطئ العدو على استقلال بلاده".

وبين الدب الروسي الجائع والمستعمر النهم ، كانت أفغانستان هي الحديقة الخلفية التي تنازع عليها "السارقان" : روسيا وبريطانيا، فاللص الروسي الطموح يرى في أفغانستان منفذه على القارة الهندية ومياه الخليج الدافئة التي تجعل من أسطوله قوة مرعبة . أما المستعمر البريطاني المتمرس فقد كان يرى في سقوط ممر خيبر في أيدي الروس بداية التسلل إلى المستعمرة الأهم في منظومة منهوباته العديدة (الهند)... وحدها أفغانستان لقنت القوتين الظالمتين درساً قاسياً لكل مستعمر زنيم.. فلا بريطانيا العظمى نجحت في تطبيق قانون الانتداب والاستعمار السائد في ذلك العصر على هذه البقعة الاستراتيجية، ولا روسيا القيصرية . بكل آمالها وطموحاتها حققت نجاحاً يذكر في مغامرتها الأفغانية[١] ! .

وقد استمر هذا الصراع مع تفتت العالم الإسلامي حتى أبرمت هدنة بين الروس الذين كانوا يواصلون استيلاءهم علي خراسان وبين الإنجليز الذين كانوا قد قضوا علي الدولة الإسلامية في الهند، وكان ذلك عام ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٣ م حيث اتفق الطرفان علي أن يكون نهر جيجون حدا فاصلا.

لم تظهر أفغانستان ككيان خاص منفصل عن الدولة الإسلامية الأم إلا في عام ١٧٣٧م، وفي عام ١٧٣٩ استطاع (محمد نادر شاه) سلطان إيران أن يفتح أفغانستان، ولكنه اغتيل على يد أحد ضباطه واسمه (أحمد شاه) الذي استلم السلطة واتخذ من قندهار عاصمة له، وتسمى (دري دوران) أي (درة العصر) وقد حكم من (١٧٤٧م - ١٧٧٣م) [٢]، وخلفه ولده (تيمور شاه) الذي نقل العاصمة إلى كابل، ولما مات عام ١٧٩٣م تعرضت البلاد لمعارك

(١) أفغانستان درس في السياسة الدولية د. عبد الله عمر سلطان - مفكرة الإسلام .

(٢) ظلت أفغانستان تحت حكم أسرة البشتون من ١٧٤٧ حتى ١٩٧٣ تاريخ الإطاحة بآخر ممثليها الملك ظاهر شاه المنفي في روما حاليا .

داخــلية انــتهت بإعلان (دوست محمد) أميراً على الأفغان عام ١٨٣٥، بعد أن فر (شجاع الملك) إلى الهند حيث طلب العون من بريطانيا لإعادته إلى عرشه فأرسلت بريطانيا جيشاً هندياً إلى قندهار وكابل استطاع إعادة شجاع الملك إلى عرشه عام ١٨٣٩م، ولكن الأفغان رفضوا الإنجليز المحتلين، وقاموا بثورات واضطرابات أدت إلى قتل المعتمد البريطاني في كابل، وازدادت المــتاعب في وجــه بريطانياً مما اضطرها إلى الانسحاب، وبينما كان جيشها منسحباً من كابل ١٨٤١ م كمن له (أكبر خان دوست خان) في أحد الممرات الجبلية وهاجمه هجوماً عنيفاً أباده عــن آخره. ولم ينج منه سوى ضابط طبيب اسمه (برايدون) استطاع الهرب إلى (جلال آباد) حاملاً معه نبأ الفجيعة إلى الحامية الإنجليزية فيها، وكان شجاع الملك قد توفي مما اضطر الإنجليز إلى الــتفاوض مــع (دوست محمد) والاعتراف به ملكاً على أفغانستان وبقي أولاده وأحفاده يتوارثون الإمارة، ولكنهم عرفوا بولائهم لبريطانيا، وكان من أبرزهم (حبيب الله) الذي كان يستشير الإنجليز في معظم أعماله، مما أثار عليه نقمة الوطنيين فاغتالوه، واعتلى العرش بعده نجله الثالث (أمان الله خان) الذي اتخذ لنفسه لقب ملك أفغانستان في ٢٨ شباط (فبراير) ١٩١٩م. وكان رجلاً مغروراً بهره زيف المدنية الغربية فحاول نقلها إلى البلاد وتطبيقها على المسلمين.، وحــدث خلاف بينه وبين الإنجليز فسلطوا عليه الهند، فحقق الأفغان انتصارات باهرة بقيادة الســردار (محمد نادر خان) مما اضطر بريطانيا أن تعقد معاهدة في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ تعترف فيها باستقلال أفغانستان التام.

وبقيــام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م، ورثت الإمبراطورية السوفيتية القياصرة في إدارة المنطقة. لكن القوى الكبرى في ذلك الوقت – مثل بريطانيا العظمى وألمانيا واليابان – رمقت المنطقة باهتمام بالغ ولعبت مشاريع السيطرة برؤوس قادتها. فقد أرسل هتلر – خلال الحرب العالميــة الــثانية – حملة كبيرة من جيشه إلى منطقة قزوين للاستيلاء على حقول النفط؛ لكن الحملة منيت بالإخفاق. ولم يلجم تلك الأطماع إلا ذلك التحالف الذي انعقد بين السوفييت والإنجــليز ضــد الألمان؛ وهو الحلف الذي وضع – في نفس الوقت – نهاية للمواجهات التي تفجرت بين الإنجليز والسوفييت صراعا على نفط قزوين. وظل الاتحاد السوفييتي محكما قبضته عــلى المنطقة؛ فقد ضم جميع دولها تحت علمه وفي قبضته خلال فترة ازدهاره؛ فلم تتمكن أي من القوى الدولية من الولوج إليها.

وكــان أمــان الله خان كان يميل إلى التفرنج وتقليد أتاتورك. ومحاربة الإسلام مما جعل الشــعب الأفغاني المسلم يحمل عليه، فحدثت مقاومة شعبية تحولت إلى ثورة قادها حبيب الله المعروف بلقب (بجه سقا) أي ابن السقاء الذي اجبر أمان الله على الفرار إلي بريطانيا ١٩٢٩

ونصــب نفســه مــلكاً عــلى العرش. إلا أن أيام ابن السقاء لم تدم اكثر من تسعة شهور. إذ ســرعان ما حرض الإنكليز ودعم الهنود محمد نادر خان (سفير أمان الله في باريس) فسيطر عــلى العــرش. وتولى السردار (محمد نادر) الحكم في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٩ ، وطيــلة فــترة حكمــه الــتي دامت أربع سنوات كان الشغل الشاغل لنادر شاه هو تصفية الإسلاميين وقــادة الحركة الإسلامية جســدياً حتى انبرى له عبد الرحمن (احمــد أبناء الحركة الإســلامية) واغتاله في عام ١٩٣٣. فتولى العرش من بعده ابنه محمد ظاهر شاه وله من العمر ١٩ سنة. فتميز حكمه الذي دام أربعين عاماً بتغلغل وازدياد النفوذ الشيوعي حتى انقلب عليه ابن عمه محمد داود عام ١٩٧٣ عندما كان (جلالته) يستمتع برحلة على الشواطئ الإيطالية!! وبذلك انتهت الحقبة الملكية الطويلة في البلاد وقام على أنقاضها النظام الجمهوري الجديد.

اشــتد الهجوم الرسمي على الإسلام في عهد الملك محمد ظاهر شاه الموجود الآن في روما مشــاركا في المؤامرة علي بلاده[1]، وقد أسفر منذ توليه الحكم عن علمانيته، في فترة لم يكن المسلمون المستضعفون يجرءون علي المجاهرة بأن العلمانية كفر، وكان شديد الإعجاب بكمال أتــاتورك، وهــو ، كوالده الذي اغتيل في النصف الأول من الثلاثينيات، سعى إلى استبدال الحــرف الأفغــاني المكتوب بالعربية، بحرف لاتيني، وقرر أن الحجاب ليس فرضا ، وأفتى بأن الخمــر لــيس حــراماً، وينقل عنه بنو قومه، انه في الخمسينيات، عمد إلى إقامة مآدب غداء في شهر رمضان عوضاً عن مآدب الإفطار، تشجيعاً منه لتجاوز أفغانستان للإسلام.

كــان عميــلا لــبريطانيا، وصديقا للولايات المتحدة ، كما كان صديقا للهند، عدوا للباكستان، مقطوع الصلة بالعالم العربي، ثقافته فرنسية، أما موقفه من الإسلام بالتعبير الأفغاني فهو: الطلاق.

★ ★ ★

ألغــى محمد داود النظام الملكي الذي حل محله النظام الجمهوري وأظهر عداءه العلني للإسلام والمسلمين، فبدأ حملة ضد الحركة الإسلامية في أفغانستان، واعتقل المئات من الشباب

(١) تعارض الباكستان عودته للحكم فى أفغانستان لأنه لم يعترف بها عند إنشائها عام ١٩٤٧ بسبب اعتراضه عــلى بــريطانيا التي اقتطعت مساحات شاسعة من أفغانستان وضمتها للباكستان، وتعارض إيران أيضا تواجــده، لإدراكها أنه عميل و أن وجوده على حدودها خطر عليها، يضاف ذلك إلى هواجس الكثيرين في إيران حول إمكانية أن تكرر واشنطن نفس اللعبة مع نجل شاه إيران المقيم في الولايات المتحدة ، ويبث من خلال قناة تليفزيونية خاصة العديد من النداءات والخطابات إلى الإيرانيين.

والشيوخ، وقتل العشرات منهم، وأغلق مركز البحوث الإسلامية في الجامعة، ومنع الصحف والمجــلات الإسلامية من الصدور، وقلل عدد الحجاج الأفغان إلى الربع، وأصدر منشوراً يمنع النهي عن المنكر، ويعتبر المساس بالشيوعية أو مهاجمتها جريمة يعاقب عليها القانون، وفي نفس الوقــت سمــح للشيوعيين أن يمارسوا نشاطهم بكل قوة، وفتح أبواب أفغانستان أمام الخبراء والمستشارين الروس الذين كانوا يضمون في صفوفهم أعدادا كبيرة من رجال المخابرات الكي. جي. بي الذين اقتصرت مهمتهم على البحث عن افضل الطرق للوصول إلى السلطة. ولكنه في نهاية المطاف أراد أن يغير سياسته تجاه موسكو ويحد من نفوذ الحزب الشيوعي، إلا أن الوقت كان متأخراً لذلك بعد أن سيطر الشيوعيون على مؤسسات البلاد ولا سيما العسكرية منها، فأوعــزت موسكو إلى عملائها بتدبير انقلاب عسكري قاده الجنرال عبد القادر في إبريل سنة (١٩٧٨م) حيــث قام تراقي – مستشار داوود – بانقلاب عليه، وقتله مع أسرته جميعا، وأبقى دمه على سجادة القصر ليراه الشعب ، وقتل في الأيام الأولى من حكمه خمسة عشر ألف مسلم، وأصدر تراقي عدة قوانين مخالفة للإسلام وصادر بعض الممتلكات، وأمر بوقف البرامج الإسلامية في الإذاعة، وحذف المواد الدينية من المدارس والجامعات واستبدلها بالآراء الشيوعية والاشتراكية، وفرض على الفلاحين والعمال والنساء دورات تربوية في الثقافة الاشتراكية.

بعــد هذه الإجراءات أصدر العلماء فتوى بتكفيره، ووجوب الجهاد لإسقاطه، ولفتوى العــلماء وزن ثقيل في ميزان الشعب الأفغاني، ولها أعمق الأثر في إثارته وتحريكه، فهبت بعض القــبائل على أثر الفتوى وهجمت على هرات واحتلتها ورفعت فوقها راية التوحيد، وتجمع أكثر من مائة ألف في مؤتمر شعبي في هرات احتفالا بالنصر، وتصميما على مواصلة الزحف على مؤسسات الدولة، وعندها وجه تراقي قواته الجوية والبرية، وسحقت بالصواريخ والمدفعية حوالي ثلاثين ألف مسلم – على أقل التقديرات – في يوم واحد، وكانت حادثة هرات مسمارا في نعش تراقي، إذ انفجرت المقاومة في أنحاء كثيرة في أفغانستان، فأخذ تراقي يتصرف بجنون، فكان يحرق القرى بكاملها، ويكفي مثالا على هذا قرية (كرهالة) التي جمع كل شبابها البالغين (١١١٦) شابا وقتلهم جميعا . وراحت المقاومة تزداد يوما بعد يوم ضد تراقي، وهبت القبائل بفطرتها الإسلامية تتصدى لنظام تراقي، وهو لا يدع وسيلة بربرية أو وحشية إلا استعملها ضد الشــعب، حــتى وصل عدد الشهداء في زمانه حوالي مائتي ألف شهيد، وكان حفيظ الله أمين أقوى رجل في حكومة تراقي، وفي مارس– آذار سنة (١٩٧٩م) أصبح أمين رئيسا للوزراء، وفي أوائل سبتمبر – أيلول سنة (١٩٧٩م) ساءت العلاقات بينه وبين موسكو لرفضه تعين من أمرته بتعيينهم في حكومته، فأوعزت بقتله، فأخبره أحد الضباط بالمؤامرة فنجا من خطة اغتيال.

وســرعان ما تبعتها خطة أخري تم فيها إطلاق الرصاص عليه في ١٥-٩-٧٩ لكنه نجا و ا.سر بإعدام تراقي.

واســتمرت الحــرب مشتعلة أيام حفيظ الله أمين الذي حكم ثلاثة أشهر فقط، فبدأت روسيا تستعد لاقتحام أفغانستان، وحشدت قواها على الحدود استعدادا للدخول، وعلم أمين بــنية روســيا للإطاحــة به وحكم أفغانستان بجنودها الحمر مباشرة، فاتصل بباكستان ليقابل رئيسها قبل دخولهم بأسبوع، وهو يرى المقصلة تنتظره على يد من نصبه حاكما على عرشه، إلا أن القــدر لم يمهله، واقتحمت أساطيل روسيا أرض أفغانستان حيث احتلتها في نصف يوم وقتلت أمين، ونصبت عميلا جديدا اسمه بابراك كارمل، جاءت به من روسيا بعد يومين على طائــرة هليكوبتر وأذاع بيانه الأول من محطة موسكو وكابل. وكارمل هو زعيم الجناح الآخر للشيوعيين اسمه (برشم) بينما كان تراقي وأمين من جناح (خلق)[١].

لقــد أراد الاتحــاد السوفيتي بالإضافة إلي أطماعه القديمة - أن تكون أفغانستان عازلا بــين الــثورة الإسلامية في إيران وبين الجمهوريات الإسلامية التابعة لها. لكن الله جعل تدميره في تدبيره.

الموقف الإسلامي والأمريكي من الغزو السوفيتي

١- الموقف الباكستاني

نظرت باكستان إلى الغزو السوفيتي لأفغانستان باعتباره تهديدا لأمنها القومي وأنها الدولة الــثانية المستهدفة بعدها، ففتحت مطاراتها لاستقبال الوافدين إليها للقتال إلى جانب المجاهدين الأفغان.

٢- الموقف السعودي

رأت الســعودية أن الاتحــاد السوفيتي يخطط لتطويق أراضيها عبر قوس يمتد من اليمن الجنوبي في جنوب الجزيرة العربية والحبشة بدعم الحكومة العسكرية اليسارية في الصراع على إقلــيم أوغــادين ومحاربة المقاتلين في إريتريا، فقامت بدور كبير في إرسال الراغبين في القتال بأفغانستان من مواطنيها وغيرهم بتوفير تذاكر سفر وخطوط الطيران الدائم إلى بيشاور وإسلام آبــاد، كمــا دفعت هيئات الإغاثة السعودية إلى العمل في بيشاور وأفغانستان لصالح العرب والأفغان.

---

(١) مجلة البيان - العدد ١٥٩.

٣- الموقف المصري

قـــام الرئيس أنور السادات بإمداد المجاهدين الأفغان بصواريخ صقر ٢٠، وكان في هذا موافقـــة للرغـــبة الأميركيـــة بعد طرد الخبراء والمستشارين السوفيت من الجيش المصري عام ١٩٧٢ والتوجه إلى الغرب والولايات المتحدة. وكانت أمريكا قد أوكلت إلى السادات شراء الجهاد الأفغاني لحسابها، فاستدعاهم فذهب بعض القادة، فوعدهم السادات بتكوين حكومة لهم في المـــنفى وأن يمدهـــم بالســـلاح والمال، واختلف المجاهدون في قبول العرض، وتمزق الاتحاد الأفغـــاني لـــلجهاد، ووصل التمزيق إلى الداخل مما أدى إلى سفك دماء بعض المجاهدين بيد الآخـــرين. وبقـــي المجاهدون ممزقين حتى عادوا وكونوا الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، وذلك بسعي بعض الصادقين من العالم الإسلامي، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ كمال السنانيري الـــذي مكث فترة متفرغا في بيشاور، يحاول أن يرأب الصدع ويلم الشعث، ولعل هذا كان سببا في قتله داخل سجون مصر[١]!!.

٤- الموقف الكويتي

لعـــبت الكويت كذلك دورا مهما إبان تلك الفترة في مساعدة الجهاد الأفغاني وبخاصة فيما يتعلق بالجوانب الإغاثية. فأسست المستشفيات والمدارس والمعاهد التي كان الأفغان العرب يستفيدون منها في تعليم أبنائهم والعمل فيها أحيانا.

وقـــد سارعت كل هذه الدول إلى تقديم مختلف أنواع الدعم للجهاد الأفغاني، فاعترفت بالحكومة المؤقتة للمجاهدين برئاسة صبغة الله مجددي الذي استقبله الرئيس السادات أكثر من مرة هـــو والوفـــد المرافق له في قريته بميت أبو الكوم وزودهم بالسلاح بالتنسيق مع المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأميركية، وأمر بتشكيل لجنة للتضامن مع الشعب الأفغاني برئاســـة هـــارون المجـــددي الأمين العام المساعد لجامعة الشعوب الإسلامية التي أعلنت مصر إنشـــاءها عوضا عن الجامعة العربية التي انتقلت إلى تونس عقب توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩.

وسارع الأزهر الشريف إلى إصدار فتوى تصف من يتعاونون مع القوات الروسية على أرض أفغانســـتان بالخيانـــة وتصف كذلك كل حكومة "تقوم لتمكين أقدام الروس في أرض أفغانستان بأنها حكومة غير شرعية".

(١) مجلة البيان- العدد ١٥٩.

٥- رابطة العالم الإسلامي

نشــطت رابطة العالم الإسلامي في السعودية ولجان وجمعيات العمل الخيري في الكويت والإمارات وقطر بافتتاح مراكز إغاثية وأخرى صحية ساعدت في مجملها الوجود العربي على الاستمرار في القتال إلى جانب الأفغان.

٦- الموقف الأمريكي

طــوال عقــد الثمانينيات تدخلت الولايات المتحدة لدعم المجاهدين الأفغان في مواجهة الاتحـــاد السوفيتي لاعتبارات استراتيجية، فقد شهدت الأعوام من (١٩٧٠-١٩٨٠) تقدماً شــيوعياً في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا، كان لا بد من وقفه من وجهة نظر الإستراتيجية الأمــريكية، ومــن ثم دفع الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان في استمرارية منطق الحرب الباردة، وفرض سباق التسلح، وأخذ يؤكد أهمية كسر التمدد السوفيتي ولو في منطقة واحدة؛ تمهيــداً لدفعـــه نحو التراجع. وكانت أفغانستان الساحة الرئيسية للنزال. وعلى ذلك اتفقت المصــالح بين المجاهدين الأفغان والولايات المتحدة لاستنزاف الاتحاد السوفيتي، ومن الصعب الــتكهن كيـــف كـــانت الولايات المتحدة تتوقع أن يتصرف المجاهدون بعد انتصارهم، وهل تستطيع احتواءهم، وربما كانت تجربتها مع حكام العالمين العربي والإسلامي ترجح هذا التصور. لكن حرصها من البداية على استمرار الفرقة بين المجاهدين يشير إلى الهواجس التي كانت تنتابها. على أي حال فقد أطلقت عليهم وسائل الإعلام الأمريكية في ذلك الوقت : "مقاتلو الحرية" "The Afghan Freedom Fighters"،. وبـــدأ جهـــاز استخباراتها (سي. أي. إيه) في تقديم الدعم المالي والتسليحي عبر الجيش والاستخبارات الباكستانية إلى المجاهدين والأفغان العرب. ويـــرى الـــبعض أن الدعـــم المادي السعودي للمجاهدين الأفغان كان أربعة أضعاف الدعم الأمــريكي لكن انتهاء الحرب الباردة أدى إلى تغيير الأولويات من الولايات المتحدة والقسم الأكبر من التيارات المسلحة التي ساهمت في الجهاد الأفغاني[1].

دور الدكتور عبد الله عزام

نتــيجة لهـــذا التشجيع السياسي على المستوى الرسمي وما صاحبه من دعايات استندت إلى منطلقات دينية انتشرت فتاوى وجوب الجهاد ضد القوات السوفيتية الغازية. ونشط بعض الدعـــاة الذين يتمتعون بالقدرة على تجييش المشاعر الدينية مثل الدكتور عبد الله عزام الذي

(١) مفكرة الإسلام – الشبكة العالمية.

كـــان لتســـجيلاته وزياراتـــه الدعويـــة وكتبه التي تتحدث عن انتصارات المجاهدين الأفغان والكـــرامات التي تحدث لهم مثل كتاب "آيات الرحمن في جهاد الأفغان".. كان لهذا كله دور مهم في إقبال المتطوعين العرب على باكستان وأفغانستان[1].

دور أسامة بن لادن

كذلـــك بـــرز المليونير السعودي أسامة بن لادن بإقامته معسكرات لاستقبال المتطوعين والإنفـــاق عـــلى إعاشـــتهم وتدريبهم خاصة الشباب القادم من دول الخليج العربي، فأسهم في إنشاء مكتب الخدمات، وبيت الأنصار الذي أصبح منطلق تنظيم القاعدة بعد ذلك.

الجهاد

ضـــحى الشعب الأفغاني بأكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء. وخمسة ملايين مهاجر، وأكثر من مليوني أرملة ويتيم ومعاق؛ أو من الأنصار الذين خرجوا بأنفسهم وأموالهم فـــلم يرجعوا من ذلك بشيء، سُفكت دماؤهم، وأنفقت أموالهم ابتغاء مرضاة الله والدفع عن إخوانهم المضطهدين في أفغانستان[2].

كـــان ثـــلث الجيـــش الســـوفيتي قد أصبح يحارب في أفغانستان : من ٣٥٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠٠ جندي وضابط وبرغم الأساليب الوحشية التي اتبعها في تدمير أفغانستان بطريقة الأرض المحروقة واستخدام آلاف الطائرات والدبابات فقد وجد أن بقاءه في أفغانستان ضرب من المحال فقد تعدي قتلاه عشرات الألوف وكان يخسر يوميا أربعين إلى ستين مليون دولارا.

وفي إطار سياسة البيروسترويكا تم إقصاء كارمل في ٤ مايو ١٩٨٦ وتنصيب نجيب الله رئيســـاً جديداً بدأ حكمه بسلسلة من التنازلات والتستر خلف الشعارات الإسلامية واللعب عـــلى التناقضـــات القبـــلية لتثبيت موقعه في السلطة. ورجحت كفة المعارك الجانب الأفغاني في مطـــلع ١٩٨٧ حـــين بدأ انتشار صواريخ ستينجر التي قدمتها وكالة المخابرات المركزية الأمـــريكية ســـي آي ايـــه إلى المقاومة وبسرعة فائقة خسر السوفييت السيطرة على الأجواء

(١) الدكتور عبد الله عزام فلسطيني يحمل الجنسية الأردنية، وكان من أول من شاركوا في العمل المسلح ضد الكيـــان الصـــهيوني، وبعـــد هـــزيمة ٦٧ وتوقف العمل المسلح من الضفة الغربية حصل على الماجستير والدكـــتوراه من جامعة الأزهر، ثم أبعد عن الأردن، فدرس في الجامعات السعودية، ومع الغزو السوفيتي لأفغانستان انتقل إلى الباكستان، ويعد الأب الروحي للجهاد الأفغاني.

(٢) البيان – العدد ١٦٥.

الأفغانيــة فيما تراجعت قبضتهم على هذا البلد الجبلي الوعر شيئا فشيئا حتى أعلنت موسكو عـــن سقوط ١٥ألف قتيل، وهذا هو الرقم المعلن، أما الحقيقة فهي أعلى بكثير. وكان الاتحاد السوفيتي نفسه كان قد بدأ يتفكك فانسحب آخر الجنود السوفييت من البلاد في ١٥ فبراير ١٩٨٩ وجاء قرار الانسحاب ليؤكد هزيمة فادحة على الأرض.

بعد أن يأست روسيا من البقاء وافقت مع أمريكا أن تبحث عن البديل بعد الانسحاب، فحــاولت أمــريكا أولا أن ترجع الملك ظاهر شاه لأن روسيا اشترطت أن لا يكون البديل (إســلاميا) ولا مـــانع عند روسيا أن يكون البديل هو (الإسلام الأمريكي) فليكن الملك هو البديل. وأرسلت أمريكا بعض رئائب الحكم الملكي ليفاوض الملك محمد ظاهر شاه الذي يقبع في إيطاليـــا، فعقـــد الملك مؤتمرا صحفيا وقال: أن المجاهدين دعوني لاستلام أفغانستان، فرد سياف وكان آنذاك رئيسا للاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان بأن أصدر منشورا : (نرحب بالملك لنقتله في المطار).

بعـــد ذلـــك حاول نجيب الله بدعم سوفييتي أن يكافح لمجرد الاستمرار إلا انه لم يستطع مواصـــلة الطريق فأعلن في ١٦ نيسان ١٩٩٢ نهاية حكمه والشيوعية معاً ولجأ إلى مقر الأمم المتحدة ، ومن ثم قُتل .

يصف عبد الله أنس[1] قصة الخروج الروسي من أفغانستان فيقول:

كان عام ١٩٨٩ عام الأحداث الضخمة في أفغانستان. ففي مطلعه، تحقق الانتصار. هُزم الجيـــش الأحمـــر وخـــرج ذليلاً يجر أذيال الخيبة من المستنقع الأفغاني. خرج مُنبئاً ببدء انهيار الإمبراطورية السوفيتية ومُحققاً ما يقوله الأفغان عن بلادهم إنها مقبرة الإمبراطوريات . وهكذا ما كادت سنوات طويلة أن تمر، حتى تغيّر الطاقم الحاكم في الكرملين وجاء زعماء جدد بدءوا بتصفية تركة أسلافهم.

ويوم ١٤شباط (فبراير) ١٩٨٩ كان يوماً للتاريخ. فيه أكمل الجيش الأحمر سحب قواته مـــن أفغانســـتان بعدما غرق في رمالها المتحركة طوال عشر سنوات. وكُنت شاهداً علي هذا الحدث. يومها كنت أقف علي مرتفع بسيط في منطقة تقع بين بانشير وباروان. حملت منظاراً أراقـــب مـــن خلالـــه آخر الدبابات والعسكريين الروس يودعون الأراضي الأفغانية عائدين إلى بلادهم. كانت فرحتي لا توصف. فهذا الجهاد الذي بدأ بالعصي والخناجر والحجارة، وصل

(١) صحيفة الحياة اللندنية : ٥-١١-٢٠٠١:

إلى الحـــد الذي هزم فيه أقوي قوي الأرض تسليحاً، وها أنت تراها بعينيك تجر أذيال الخيبة راجعة إلى الاتحاد السوفيتي. ولا أزال أذكر أن الروس ودّعوا منطقة بانشير، وهم منسحبون، بقصـــف جـــوي نفذته أسراب من طائراقم. قصفوها حقداً. تجولت في المنطقة بعد انسحاب الروس. كنت أينما تطلعت أري دبابات وشاحنات عسكرية روسية مدمرة أو محروقة. صرت أعدها. ظللت أعدها طوال يوم كامل. دبابة، إثنتان، ثلاث... حتى وصل العدد إلى ألف دبابة وشـــاحنة مدمـــرة في بانشير. وزار الشيخ عبد الله عزّام المنطقة بعدها. تجوّلت وإياه من أولها إلى آخرها.

اغتيال الدكتور عبد الله عزام

في العـــدد الأول من نشرة المرابطون التي أصدرها الجماعة الإسلامية من بيشاور تحدثت زوجـــة عزام (أم محمد) عن وقائع وملابسات حادثة اغتيال زوجها فقالت: بعد خروج زوجي وأولادي مـــن الـــبيت بخمس دقائق فقط سمعت صوت انفجار شديد فأحسست في قلبي شيئا خرجت من المطبخ ودخلت الحجرة التي كانت تجلس فيها إحدى الزائرات وزوجة ولدي محمد فسألتهن هل سمعن صوت الانفجار فأجبن بالنفي وسألنني هل تعتقدين أن الانفجار في المسجد. قـــلت: لا أظـــن لأنه أبعد من المسجد فقلن لي توكلي علي الله فخرجت من الحجرة ولكنني لم أســـتطع أن ارجـــع إلى المطبخ فتوجهت إلى الحجرة الأخرى حيث يوجد الهاتف واتصلت بمكـــتب الخدمات فأجابوا انهم لا يعلمون شيئاً فأغلقت الهاتف واتصلت بالمستشفي فقلت لهم مـــاذا حـــدث للدكـــتور عبد الله عزام فقالوا لي لقد استشهد. قلت الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعـــون. واتصـــلت مرة أخرى بمكتب الخدمات وقلتُ لهم أرجو أن تخبروني بالتفصيل ماذا حصل ولا تخفوا عن شيئاً فنحن لها وما جئنا من بلدنا إلا من أجلها فقال المتحدث: الشيخ في خطر. قلـــت له بل استشهد ولكن أريد أن أعرف هل الانفجار في المسجد أم في السيارة فقال لي في السيارة فقلت الحمد لله إذن الأولاد الثلاثة الكبار استشهدوا معه. فالحمد لله صبر جميل والله المستعان. اللهم أجرني في مصيبتي وأبدلني خيراً منها.

وعندما سمعتني البنات وأنا أحمد واسترجع قلن لي ما الخبر؟ ماذا حصل؟ أين أبانا؟ هل هو بخـــير؟ قـــلت لهـــن نعم إنه بخير عند ربه فبكين. قمت إليهن وقلت لهن: قلن الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون. وقلن اللهم أجرنا في مصيبتنا وأبدلنا خيراً منها وأخذت أهدئهن وأقول لهن: لمـــاذا جئـــنا إلى هنا لقد جئنا من اجلها، وبعد ذلك توضأت وصليت الظهر وجاء أبو الحسن أخذنا إلي بابي حيث مقبرة الشهداء حتى نودعهم.

★ ★ ★

إذن، حمـل العام ١٩٨٩ انتصاراً عظيماً للشعب الأفغاني الذي بذل تضحيات جساماً في سبيل تحقيقه. لكنه حمل أيضاً فاجعة كبيرة للأفغان والعرب علي حد سواء، بفقدانهم الأب الروحي للقضية الأفغانية في العالم الإسلامي الشيخ عبد الله عزّام.



مـن (جنين القسام) وتحديداً من قرية (سيلة الحارثية) إحدى قرى جبل النار، وهي قرية (الشـهيد يوسف أبو درة) أحد أفراد الثورة الكبرى عام ١٩٣٦م ولد عبد الله عزام في عام ١٩٤١م وقـد قيـل أن لكـل اسـم من مسماه نصيبا، وقد أقام الحجة على كل مسلم. وعـلم الجمع أن شجرة الإسلام لا ترتوي إلا بالدم الطاهر الزكي. فقد كان درس استشهاده في ١٩٩٨/١١/٢٤، وحديث دمه أبلغ ما ترك للجيل، عزام ظاهرة فريدة. فهو العالم والمربي والمجـاهد. إنه مدرسة قرآنية. لم يكن يخشي في الله لومة لائم، فاعتلى صهوة الجهاد. ترك حياة الترف، وانتقل إلى قواعد (الشيوخ) في الأردن والتي شنت هجمات عسكرية عدة على قوات الاحـتلال الغاصب، حيث كان أميراً لقاعدة بيت المقدس، وخاض عدة عمليات ومعارك ضد جيش الاحتلال. فكانت على سبيل المثال معركة الحزام الأخضر، ومعركة ٥ حزيران ١٩٧٠. وكان عبد الله عزام قائد الوحدة المنفذة، وقد استشهد فيها ثلاثة من الإخوان، ثم عملية سيد قطـب. ولمـا أغلقت أبواب الجهاد في فلسطين، وكان (د. عبد الله عزام) أستاذاً في الجامعة الأردنيـة انـتقل لـلعمل في الجامعـة في المملكة العربية السعودية ثم في الجامعة الإسلامية في باكسـتان، وهـناك عـاود رحلة الجهاد عبر جبال أفغانستان، ولم يكن ذلك يشغله عن فلسطين، بل كان يرى أن إقامة دولة إسلامية حجر الأساس لتحرير فلسطين، فكان يقول لن يهـدأ لنا بال، ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين. بل أنه أجرى اتصالات وساهم في إعـادة تشـكيل تنظيم المجاهدين، وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس، وكتب كتابه (حمـاس الجذور التاريخية والميثاق)، وربما ساهم ذلك في اتخاذ قرار اغتياله على مستوى عالمي، وفشـلت محاولـتان ونجحت الثالثة، وقد كانت الشهادة أسمى أمانيه، ويهتف (أيها المسلمون حيـاتكم بالجهـاد، وعزكم بالجهاد ووجودكم مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد. يا أيها الدعاة لا قيمة لكم تحت الشمس إلا إذا امتشقتم أسلحتكم، يا مسلمين تقدموا لقيادة الجيل الراجع إلى ربه، ولا تركنوا إلى الدنيا، وإياكم وموائد الطواغيت، فقد ضاعت بلاد المسلمين بقعة بقعة وتسلط على رقابنا الطغاة، وانتشر في أرضنا البغاة ونحن ننتظر.. فهل تتحركون لإنقاذ الأمة... يـا نسـاء المسلمين إياكن والترف فهو عدو الجهاد، وربين أبنائكن على الخشونة والرجولة والـبطولة والجهاد، ولتكن بيوتكم عريناً للأسود وليست مزرعة للدجاج الذي يسمن ليذبحه

الطواغيت ... ربين أبنائكن على نغمات القذائف ودوي المدافع وأزيز الرصاص، وهدير الطائرات والدبابات، وإياكن وأنغام الناعمين وموسيقى المترفين)[١].

رحل الشهيد عبد الله عزام بعد أن أسس مدرسة الجهاد والمقاومة، وأصبح معلماً بارزاً وركناً عتيداً في قلعة الجهاد والاستشهاد.

★ ★ ★

انتهت الحرب الأفغانية وانقلب قادة المجاهدين بعضهم علي بعضهم الآخر، ولم تكن الأصابع الأمريكية بعيدة عن هذه الخلافات.

إننا لا ننكر مسئولية الفصائل الأفغانية، بل وندينها بمنتهى القوة، لكننا في الوقت نفسه لا نغفل عن مسئولية إمبراطورية الشيطان. و إذا رجعنا إلى جارودى وتشومسكى وعبد الوهاب المسيري بل والعديدين من الفلاسفة الأمريكيين فسوف نكتشف مقولة هامة ترسخت في الفكر الفلسفي في أمريكا منذ عقد الستينيات، هذه المقولة هي أن الولايات المتحدة حين فقدت إيمانها بالله فقد فقدت معه إيمانها بالإنسان أيضا. تلك معلومة بديهية هناك، يعرفها الجميع لكن لا يتحدث عنها أحد.

يترتب على هذه المعلومة البديهية أن أمريكا، مع التطور التكنولوجي الهائل في العلوم قد طورت أيضا تقنيتها في العلوم اللاإنسانية والشر. فراحت تغوص لتقتنص أحط ما في الإنسان من صفات.. وراحت تنميها.. وتساعد عليها.. وتقمع في نفس الوقت كل صفة نبيلة بمنتهى القسوة والتوحش والعنف.

وعلى سبيل المثال فإن محمد حسنين هيكل يورد واقعة موحية إذ يقول:

" إن وكالة المخابرات المركزية الأميركية تورطت حتي الركب في أفغانستان وشطحت وشردت الي درجة أن فريق عمل من رجالها قضي ستة شهور في وضع تقرير عن الشذوذ الجنسي لدي الزعماء الأفغان، وأهمية استخدامه في تطويعهم! وكنموذج ميداني أشارت الوكالة الي معركة عنيفة طالت شهورا بين زعيمين حول غرام كليهما بصبي اكتشفه أولهما، ثم خطفه الثاني .."..

نعم.. لقد استخرجت إمبراطورية الشيطان أحط ما في البشر من غرائز وراحت تلعب بها وعليها.. إن لكل إنسان نقطة ضعف.. فإن لم توجد خلقتها بالإغراء والغواية.. فإن لم تفلح سلطت إعلامها لينشر الافتراءات والأكاذيب.

(١) رسالة من موقع هداية ٢٠٠٠ على الشبكة العالمية.

كان السادات واحدا ممن أدركوا هذه اللعبة القذرة عندما قارن بين العذاب الذي عاش فيه جمال عبد الناصر لأنه عادى أمريكا والرفاهية التي عاش فيها شاه إيران لأنه رضى أن يكون عميـــلا. لكن السادات نفسه قد عاش ليدرك أن قذارة إمبراطورية الشيطان ليس لها حدود.. فقد تخلت عن شاه إيران نفسه.

بهذه الخسة الشيطانية وبهذا الانحطاط وبآليات بالغة التعقيد نجحت أمريكا في الحفاظ على جـــذوة الخـــلاف بـــين أحـــزاب المجاهدين الأفغان منذ بداية الجهاد السوفيتي، ولنتذكر قتل السنانيري في بداية الجهاد كي يمنعوا الاتفاق ثم قتل الدكتور عزام في نهايته حتى يفجروا البذور التي زرعوها.

مشـــكلتنا أنه حتى من لديهم حسن النية لا يتاح لهم أن يقرءوا من سيناريو إمبراطورية الشيطان إلا صفحة واحدة من رواية من ألف صفحة.. يقرءون تلك الصفحة ويطلقون أحكاما مطلقة دون بحث في الدوافع في الصفحة السابقة والنتائج في الصفحة التالية..

لم تكن إمبراطورية الشيطان تهزل.. كان لصمتها قصد ولصوتها مغزى.. ولقد نجحت..

وربمـــا لهـــذه الأسباب كلها نجد أن أصدقاء الولايات المتحدة في كل مكان في العالم.. أصدقاءها من الحكام والنخب.. يتسمون بصفات بالغة البشاعة.. فلا يمنع أي واحد منهم من ارتكاب أي جريمة إلا لأن هـــذه الجـــريمة غير متاحة له أو أنه لم يكلف بهـــا.. نعم .. أمريكا منحطة.. و أصدقاؤها كذلك.

وبهـــذا الانحطاط استطاعت أن تفعل في قادة المجاهدين ما فعلت.. و أن تفعل بالمجاهدين العرب الأفاعيل.

إنـــنى هـــنا أستطيع أن أتصور أن قصة المجاهدين العرب في أفغانستان كانت مكتوبة في أضـــابير المخابـــرات الأمريكية منذ بداية الغزو الروسي وحتى نهايتهم الفاجعة في قلعة جانجي وتورا بورا.. كانت الخطوط الرئيسية موضوعة أما التفاصيل فهى متروكة للظروف.. لتفاصيل سياسة الفعل ورد الفعل.. و أتصور على سبيل المثال أن شيطانا مريدا في الـــ CIA قد جلس وفكـــر ثم تدبـــر فوضع الخطة لتفريغ العالم العربي من أفضل شبابه.. من المتحمسين للجهاد.. والذيـــن قـــد يعوقـــون مخططاته فيها ذات يوم.. إنه بداية بهذا يعرفهم ويكشف أمر أولئك المســـتعدين للموت في سبيل الله.. ثم يضعهم في أفغانستان في ظروف تؤدى إلى قتل الكثيرين مـــنهم.. أما من يبقى فإنه يستطيع عن طريق الاختراق و إغماض العينين أن يستغلهم لتأديب

بعـــض عملائـــه الذين يتمردون أحيانا عليه.. ثم يستغل هذا الوضع الأخير مرة أخري ليدفع هـــؤلاء العملاء إلى مطاردة أبناء أمتهم واتهامهم بالإرهاب.. فيقتل هؤلاء أولئك ويقتل أولئك هؤلاء.. وعندما يطمئن إلى نجاح كل هذا.. و إلى تبنى معظم الحكام لتحريضه على الإرهابيين فإنه يطهر لهم المفاجأة الكبرى: أنتم أيضا إرهابيون.. فالإرهاب أصل في دينكم.. ثم يختلق أزمة يـــبيد فيها من بقى من المجاهدين وقد أمن أي تمرد من عملائه بعد أن بلغوا من التورط المدى الذي بلغوه..

نعم .. أظن أن الحكاية كانت هكذا.. منذ البداية .

★ ★ ★

مع اشتعال القتال والتناحر بين المجاهدين الأفغان السابقين وجد الأفغان العرب أنفسهم بـــين خيـــارين كلاهمـــا مر: الأول أن يقسموا أنفسهم بين فصائل المجاهدين الأفغان فيتقاتلوا ويتصـــارعوا ويصوبوا فوهات مدافعهم وبنادقهم إلى بعضهم بعضا، أو أن يرحلوا تاركين تلك الأرض الـــتي رووها بدمائهم وزُرعوا فيها وترعرعوا في صحرائها وبين دروب جبالها. فاختار غالبيـــتهم الحل الثاني ورحل. ولكن بلادهم استقبلتهم أسوأ استقبال.. وبدلا من أن يستقبلوا كأبطال استقبلوا كخونة. واضطر بعضهم إلى العودة إلى أفغانستان مرة أخرى.

أمـــا في أفغانســـتان فقد خيب الصراع بين الأحزاب الأفغانية آمال المسلمين في العالم. وكانت كل القوى تعمق من هذا الصراع. وكانت أمريكا خلف كل هذه القوي.

★ ★ ★

خـــلال أوضاع الحرب بين الأحزاب أهملت المحافظات وأصبحت نهبا للعصابات وقطاع الطـــرق. وأصبحت الفوضى وانعدام الأمن هي السمة السائدة، وأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ولا على أعراضهم، وارتفعت أسعار المواد الأساسية لكثرة الإتاوات الـــتي تأخذهـــا العصـــابات في الطـــرق من التجار، والتي يدفعها في النهاية المواطن المسكين، وأصـــبحت الفرصـــة مـــتاحة لأصـــحاب الشـــر والفساد من الشيوعيين السابقين وغيرهم من المجرمين، فأصبحوا يسرحون ويمرحون في البلاد من غير رقيب ولا حسيب، يبتزون الناس بأخذ أموالهم والعبث في أعراضهم وإتلاف نفوسهم[١].

---

(١) مجلة البيان– العدد ١٥٩.

انقلاب الموقف الأمريكي

تجـلى الـتغير في الموقــف الأمريكي من المجاهدين الأفغان سريعا بعد خروج السوفيت من أفغانستان، ثم تدعم أثناء حرب الخليج الثانية في مواجهة العراق. فبعد الانسحاب السوفيتي في عــام ١٩٨٩ حــدث نزاع بين أجهزة صنع السياسة الخارجية الأمريكية: في حين أيدت الخارجيــة الــتعاطي مع الملف الأفغاني بالتنسيق والتشاور مع القيادة السوفيتية – قبل سقوط الاتحاد السوفيتي – دعت الأجهزة العسكرية والاستخبارات إلى دعم الفصائل الأفغانية للقيام بعمــل عســكري حاسم لإسقاط حكم نجيب الله. وبالنسبة للمعونات حدث تخفيض في قيمة الدعم المقرر للفصائل الأفغانية من ٣٠٠ مليون دولار إلى ٢٥٠ مليون دولار . ثم تقرر قطع هذه المعونات كلياً بالاتفاق مع المملكة العربية السعودية عن الأحزاب التي أيدت غزو العراق للكويت أو التي رفضت التدخل الأمريكي في الخليج، وقد صاحب هذا التغير الأمريكي وتبعا لــه تغير سعودي وباكستاني انصب في اتجاه دعم أحزاب أفغانية ضد أخرى. والمطالبة باعتقال قيادات الأفغان العرب[1] .

محنة الأفغان العرب

ولقــد اســتطاع الدكتور عبد الله عزام والشيخ أسامة بن لادن أن يكونا – بالقــدوة والمثال – مجموعة من المجاهدين يصفهم الجنرال الباكستاني المتقاعد أنور شيربعد ذلك بقوله : "إن العــرب هم أفضل المقاتلين لدي طالبان. ومن الممكن لمجموعة تضم ٣٠ مقاتلا من العرب الأفغان أن تشتبك مع كتيبة قوامها ألف فرد ، وتقتل مائة من جانبهم قبل أن يسقط من جانبها قتيل واحد ".

ولقــد طرح منتصر الزيات، محامي الجماعات الإسلامية مأساة الأفغان العرب مؤكدا أن الولايات المتحدة كانت لها مصلحة أكيدة في استئصال الوجود الروسي (السوفيتي سابقاً) مــن منطقة آسيا خصوصاً في هذه البقعة الاستراتيجية جغرافياً والغنية أيضاً بالثروات الطبيعية التي تحيط بها. هذه المصلحة دفعت الولايات المتحدة إلي إبرام تحالف مع عدد من الدول العربية والإســلامية مــن أجل السماح للحركات الإسلامية من مختلف البلدان بالوصول إلي منطقة بيشــاور الــتي كانت نقطة الانطلاق إلى داخل الأراضي الأفغانية . وشملت أوجه المعاونة كل المــراحل الــتي تقتضــيها بدءاً بتوفير فرصة السفر والوصول إلي بيشاور ومروراً بالاستقبال

(١) مفكرة الإسلام – الشبكة العالمية.

في معسكرات أقيمت خصيصاً لهذا الغرض في بيشاور وكان من أبرزها معسكر القاعدة الذي أشرف علي تجهيزه أسامة بن لادن.

وكـان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله رائداً في أداء هذا الدور وافتتاحه لمكاتب خدمات المجاهدين حتى داخل الولايات المتحدة.

يضـيف منتصر الزيات أنه قد زار شخصياً مكتب خدمات المجاهدين في نيويورك (!!) في منطقة بروكلين[١] عام ١٩٩١.

كانت هذه المعسكرات فرصة سانحة للشباب العربي الطيب الذي لبي نداء الجهاد ووفد من مختلف البلدان العربية والإسلامية في التعارف والاندماج وتلاقي الأفكار وتقليبها. وتلاقت (مصـلحة) الولايات المتحدة في طرد الروس من هذه المنطقة المهمة مع (مصلحة) الجماعات الإسـلامية في تفعيـل الفريضة الغائبة (الجهاد) والمشاركة من خلال الشعور الديني المتجذر داخـلهم في دحر العدوان الشيوعي علي بلد مسلم وما يتيحه ذلك لهم من التدرب علي كل فنون القتال.

وطوال الفترة من عام ١٩٧٩ حتى ١٩٩٢ لم تكن هناك مشكلة تعكر صفو هذه العلاقة أو تهدد تلك المصالح المشتركة، لكن وللموضوعية أيضاً كانت بدت المخاوف والشكوك تثور لـدي الحكومـات العربية من تصدير عناصر تنتمي إلي تلك الجماعات المقاتلة في أفغانستان مـن أجـل المشـاركة في شن عمليات عنف داخلها مواكبة للأزمات التي كانت برزت بين إسـلاميين وحكومات عربية مثل مصر والجزائر علي النحو الذي رددته بعض الدوائر بمناسبة اغـتيال رئيـس مجلس الشعب المصري رفعت المحجوب عام ١٩٩٠. علي كل حال لم تطرأ المشـكلات الـتي تهدد هذه المصالح المشتركة بين أميركا وحلفائها من العرب وبين الجماعات الإسلامية التي نوهنا إليها إلا بعد تحرير العاصمة أو قبيل ذلك بقليل ودخول المجاهدين كابول وتـولي أول حكومة للمجاهدين بزعامة صبغة الله مجددي حين بدأ بعض الدول العربية يمارس ضغوطاً علي حكومة المجاهدين من أجل ترحيل الأفغان العرب إليها وعدم منحهم حق الإقامة أو الجنسية .

(١) غـاب عـن الكـثيرين آنـذاك أن ذلك ليس منة أمريكية تحمد عليها، فقد كان الهدف، جمع الأموال مـن المسلمين والعرب في أمريكا، وكان لذلك أهداف متعددة، منها الرقابة على المتبرعين، ومنها الإقلال مـن قوتهم الاقتصادية، وكانت الأموال التي تجمع هناك ستحسب – لأغراض الدعاية على الأقل – على أنها أموال أمريكية.

وخشـــي آلاف الشباب العربي من العودة إلي بلدالهم في تلك الآونة مع تزايد المعلومات عن وجود تدابير أمنية مشددة تواجه كل العائدين من أفغانستان. وعززت هذه المخاوف بقوة الإعلان في مصر عن تشكيل محكمة عسكرية استثنائية لمحاكمة العائدين من أفغانستان وفي أقل من شهر صدرت أحكام بإعدام عشرة متهمين منهم وأحكام أخري مشددة بالسجن علي باقي المتهمين.

ويضـــيف منتصـــر الزيات: وناشدنا الحكومة المصرية آنذاك بضرورة إصدار قرارات تشـــريعية وتـــنفيذية تـــؤدي إلي العفو عن كل الشباب الذين شاركوا في الجهاد علي أرض أفغانستان والعمل علي عودقم إلى بلادهم لكن أحداً لم يسمع تلك النداءات المخلصة.

وكـــان طـــبيعياً أيضـــاً أن تكـــون المعسكرات المفتوحة داخل أفغانستان علي الحدود الباكســـتانية هي المكان المناسب لإيواء آلاف المضطرين إلي البقاء فيها هرباً من مصير مجهول داخـــل بـــلدالهم ثم تنقـــلوا بـــين دول البلقان نصرة للمسلمين المضطهدين فيها ومعاونتهم بمـــا اكتســـبوه مـــن خبرات قتالية أثناء فترة الجهاد الأفغاني ضد الروس فشاركوا في البوسنة وكوسوفو والشيشان.

ويختـــتم الـــزيات حديثه الفاجع عن عملية الغدر التي تعرض لها الأفغان العرب بقوله: لم نقصد مما سردناه أن نقدم تبريرات للأفغان العرب بقدر ما أردنا أن نقدم صورة تبرز تفاصيل وحقـــائق تتعـــلق بالظـــروف الـــتي أحاطت بوجودهم أولاً وأيضاً تلك التي أعاقت عودقم إلي بلدالهم بطريقة اعتيادية، وندلل علي ألهم لم يكونوا تجار حروب مرتزقة. نختلف أو نتفق مع بعـــض أفكـــارهم لكن كان مهماً أن نلقي الضوء حول تداعيات الأحداث التي جعلت منهم إرهـــابيين بفعل الظروف الدولية واصطناع أدلة وهمية ساقت بعضهم إلى أعواد المشانق حيناً ومغارات الجبال وكهوفها الوعرة حيناً آخر(١)..

وفى مقال للكاتب فهمى هويدى نشره الأهرام عام ١٩٩٢ تتبدي مأساة الأفغان العرب، الذين انتهى الأمر بهم شهداء في قلعة جانجى وتورا بورا و أماكن أخري. يقول هويدي :

تنـــتاب المرء حالة من الاكتئاب والحزن، حين يقرأ في صحف الصباح أنه ألقى القبض في أحـــد المطارات العربية على عدد من "المتطرفين" القادمين من أفغانستان، وأنه حين جرى تفتيشهم عثر مع بعضهم على كتب ومجموعة من أشرطة "الكاسيت"!

---

(١) إسلام أون لاين نت.

قبل أشهر ليست بعيدة، كان هؤلاء "مجاهدون" يحتفي بهم في كل مكان، وتتناقل وسائل الإعــلام العالمية أنباء صمودهم وانتصارهم التي أزعجت الاتحاد السوفيتي، وأسهمت في زلزلة قواعــده حتى انتهى إلى ما نعرف. و حين كنا نزور باكستان في أي مناسبة، كانت الدعوة إلى زيــارة "بيشاور" ولقاء المجاهدين العرب ورجال الإغاثة هناك تضاف تلقائيا إلى برنامج الزيارة لإتاحــة الفرصة للباحثين العرب والمسلمين لكي يطلعوا بأنفسهم على الصفحات المشرقة التي سجلها إخوانهم ممن استجابوا إلى داعي الجهاد فتركوا متاع الدنيا ومضوا يبحثون عن الشهادة في سبيل الله. اختلفت الريح واختلف الخطاب، واقترنت كلمة "الأفغان" بالتطرف والإرهاب، بل وتحول المجاهدون إلى مشبوهين ومتهمين بحيث غدت رحلتهم تلك دليلا يثبت التهمة بحقهم ويـبرر إدراج أسمائهم في السوداء بالمطارات وإلقاء القبض عليهم بمجرد وصولهم ومصادرة المضبوطات التي يحملونها حتى وإن كانت كتبا وأشرطة "كاسيت" ! . في مناسبات عديدة قلت إننا نرتكب خطأ جسيما إذا ما عممنا الاتهام على الجميع، وإن الكل ينبغي ألا يؤخذوا بجريرة الجــزء إذا مـــا ثــبت أن هؤلاء الأخيرين أتوا أفعالا مما يعاقب عليها القانون. فذلك التعميم قــد يصفي بعض الحسابات السياسية الراهنة، لكن سهامه التي تطلق الآن تباعا، تصيب قيمة الجهــاد ذاتها . ولو اعتبرنا كل مجاهد مشبوها ومتهما وشاع ذلك الاعتقاد بين الناس، فمن يمكــن أن يســتجيب لداعي الجهاد فيما بعد، إذا واجهت أمتنا ظرفا أستدعى استنفار شبابها واستنهاض هممهم للدفاع عن دين أو أرض أو عرض، وتهديد؟.. ذلك كله ليس افتراضا خياليا ولكنه احتمال قائم، والبوسنة شاهد ملك على إمكانية حدوثه. قلت أيضا إننا لا نملك ترف الــتفريط في تــلك الألــوف من الشباب الشجعان، الذين ما أن وجدوا هدفا نبيلا يستحق أن يضحي من أجله بالأرواح، حتى توافدوا من كل فج متسابقين على الشهادة . فمنهم من فـــاز بهـــا. ومنهم من لا يزال يتشوق إليها. كثيرا ما تساءلت أما من وسيلة لتوظيف طاقات هــؤلاء الإيمانية الجهادية لصالح هدف شريف من أهداف أمتنا؟ وهل يعقل أن يتوفر لنا ألوف الشــباب المســتعد للموت ثم نعجز عن أن نستفيد منهم ونفشل في العثور على قضية واحدة جديرة بأن يقدموا أرواحهم دفاعا عنها ؟!.



كانت هذه هي قصة الأفغان العرب، فتية آمنوا بربهم حرضتهم حكوماتهم على الجهاد فلبوا النداء، وكانت تلك الحكومات نفسها هي التي خانتهم بعد ذلك.

طالبـــان

مـــن المستحيل تغطية تجربة طالبان ولو في صفحات هذا الكتاب كله، لذلك فإننا نلقي بومضات خاطفة لعلها تزيل أكداس الافتراءات والكذب التي رويت عنها.

ونبدأ بشهادة لمفتي مصر د. نصر فريد واصل[1] حيث يقول:

عـــندما ذهبـــنا إلى هناك اكتشفنا أن الواقع في أفغانستان مخالف تماماً لما رسمه وأذاعـــه الإعـــلام الغـــربي عـــن طالبان وإجراءات القمع وحبس المرأة وزراعة المخدرات، نحن جميعاً كوفد كانت الصورة التي انطبعت في أذهاننا عنهم أنهم رفعوا شـــعار الإســـلام حلاً ثم يزرعون المخدرات للإنفاق على حركتهم، وأذاع الإعلام الغربي أنهم حبسوا المرأة وقيدوها ومنعوها من التعليم وقيادة السيارات وغير ذلك وأنهم .. وأنهم .. وهناك اتضحت الحقيقة الغائبة .. إنهم لا يزرعون المخدرات نهائياً بـــل كوَّنوا فرقاً لمكافحة زراعة المخدرات وأحرقوا مزارعها تماماً، وتحدوا أن توجد شجيرة واحدة من المخدرات في إمارتهم! .

أما المرأة فقد رأيناها في الشارع على طول الطريق، وقالوا: إن ما أذيع خطأ، والصـــحيح أننا بسبب نقص المدارس والأماكن بها لسوء الحالة التعليمية عندنا فقد فدرنـــا الظـــرف، وهـــو أن الولد وخاصة الأكبر سيكون العائل الأساسي والمهم لأسرته؛ ولذا فقد فضلنا أن يقوم الأخ الأكبر على إخوانه ولو كانوا ذكوراً لنجد لـــه مكاناً في المدرسة فهو الأوْلى. إذن المسألة ليست بنتاً وولداً ولا رجلاً ولا امرأة وإنما الظروف هي التي تحكم عملنا ووضعنا وعندما تتحسن الحالة التعليمية سوف يكون لكل بنت مكان مثل الولد.

الحقيقـــة أن دهشـــتنا كانت كبيرة لهذا الواقع الذي زيفه إعلام الغرب، وأنا أعـــترف أنـــني شخصياً كنت مصدقاً لكل ما أذيع عنهم، ولكن بعد الزيارة اقتنع الوفد كله بلا استثناء بظلم الإعلام الغربي وتضليله للعالم فيما يخص واقع أفغانستان وطالبان.

(١) مفتي مصر، د. نصر فريد واصل، مجلة آخر ساعة، العدد: (٣٤٦٥).

بصراحة أيضاً أنا أعتبر هذه الزيارة كلها إيجابيات؛ لأننا عرفنا عن كثب كذب المزاعم الغربية .

أقول: آن الأوان لأن تبادر الدول الإسلامية وتعترف بحكومة طالبان.. وهذا رأي وفد منظمة المؤتمر الإسلامي ورأيي شخصياً.. أقول آن الأوان لأن ندرك أن كثيراً من الدوائر السياسية العالمية تريد هذا الوضع المؤلم والمؤسف، وهي تعمل على تكريس الفرقة بين الاخوة في الدين، لذا أنا أدعو العالم العربي والإسلامي لإعادة النظر في موقفه من حكومة طالبان.

★★★

انتهت شهادة مفتي مصر، د. نصر فريد واصل. و هي شهادة حق من مسئول مصري شهد بعكس ما تريده حكومته أن يشهد به، فليس فيها شبهة مجاملة أو رياء.

وأنبه القارئ أنني إذ أكتب عن طالبان هنا، لا أقول أنها بلغت الغاية المثلي، أو أنها بلا أخطاء، لكنها كانت تجربة عظيمة رائدة في استعادة الخلافة الإسلامية. وتمتع أفرادها بنقاء إنساني قل أن يوجد له نظير. تجربة رائدة كان لها أن تجمع كل مثالب التجارب الرائدة، تجربة كان يجب أن تشجع وتؤيد لتعالج المثالب وتتطور، لا أن تحاصر وتدمر. وكان نظام حكم طالبان مهما كان فيه من قصور أطهر و أنقى و أشرف من أي نظام حكم آخر في العالم الإسلامي.

وربما نستطيع أن نفهم حنق العالم الغربي عليها، وعداء الصليبيين واليهود لها، ولكن ما لا يمكن فهمه، هو موقف العالم الإسلامي منها.

والمؤلم حقا، أن بعضا من كبار المفكرين قد اتخذ منها الموقف الخاطئ ، بعد أن تكفل القصف الإعلامي الغربي، بأن يرسخ في الأذهان، أن الكاتب لا يكون عصريا أو مستنيرا ومفكرا حقيقيا إلا إذا هاجمها.

من هؤلاء الكتاب الأستاذ فهمي هويدى الذي أكن له كثيرا من الاحترام، لكن في القلب منه جرح، فقد كتب أسوأ كتبه على الإطلاق عن طالبان[1]، وبرغم أنه في ثنايا الكتاب برأها من كثير مما اتهمت به ظلما وزورا، إلا أنه تناول الحركة كلها بازدراء وتعال غير

(١) طالبان – جند الله في المعركة الغلط – فهمي هويدى – دار الشروق.

مبرر، ازدراء وتعال انتقل إلينا من رأى الصليبيين واليهود فينا، تناولها ليس – حتى – كخطأ يمكن أن يُصوّب، بل كتخلف يجب أن يزدري. وبدا لى قلمه الرشيق، سيفا سُلّ على الحسين، ممن كان ينبغي عليه أن يستشهد دونه.

وقـــد علق المفكر المسلم المعروف الأستاذ كمال حبيب على هذا الكتاب بما فحواه أن فهمـــى هويدي أقر في مقدمة الكتاب أنه ذهب بتكليف من صحيفة الشرق الأوسط – وهي أقـــرب الصـــحف العـــربية إلى التوجه الصليبي الصهيونى – ، وبذهبها، فكان عليه أن يجاهد بسيفها، و أنه حين ذهب ذهب كصحفى، لكنه تعامل هناك كفقيه، راح يصدر فتاوي قاطعة معظمها خطأ، أو على الأقل محل خلاف بين فقهاء الأمة .

لقد فكرت أن أورد فصلا كاملا عن كتاب فهمي هويدى، لأكشف ما فيه من تجاوزات صـــارخة، و أخطـــاء فادحـــة، وتناقضات لست أدري كيف وقع فيها، ولمصلحة من. لكنني تراجعت، فعلى كل حال ليس هو العدو، ثم أنني أرجو من الله أن تمحو حسناته – و أحسبها كثير – سيئاته في هذا الكتاب . وقد يتساءل القارئ إذن لماذا تناولت الموضوع أصلا، وجوابي أنني خشيت أن يتساءل أحد لماذا لم أتناوله باعتباره حجة علينا لا لنا، وباعتبار الأستاذ فهمي هويـــدي ينطـــبق عليه : "وشهد شاهد من أهلها". لذلك أردت أن أقول، أنه في كتابه ذاك. لم يكن من أهلها.

★★★

كيف بدأت طالبان[1]؟.

بعـــد انتصـــار المجاهدين نجحت الولايات المتحدة و أتباعها في بث الفرقة بين أحزابهم ، وكمـــا نجـــح قتل كمال السنانيري عام ٨١ أدى اغتيال الدكتور عبد الله عزام في سنة ٨٩ إلى إطـــلاق عنان التناحر بين المجاهدين. فأصبح "الكل ضد الكل" مما أدى إلى إشاعة الخوف والـــرعب في مجمـــل الأراضـــي الأفغانية، وقد استغل ذلك ضعاف النفوس فراحوا يفرضون الضـــرائب والإتـــاوات عـــلى جميـــع الناس، وانتشرت الدوريات تجوب الشوارع الداخلية والخارجية تجمع المكوس بالقوة من المارين بسياراقم، وصار لكل فصيل من تلك الأحزاب جباة يمارســـون هذا النوع من "المافيا"، فشاعت الجرائم بشتى أنواعها، وخاف الناس على أرواحهم وأموالهـــم وأعراضهم وممتلكاقم؛ فبقي من بقي وهاجر من هاجر، وتفاقمت الأزمة، وتوسعت

(١) كلمة طالبان تعنى طلبة الشريعة، فهكذا تجمع كلمة "طالب" في اللغة الأفغانية.

المخـيمات، وازدادت الآلام، وتلاشت الآمال، وقد استمر هذا الحال عدة سنوات، وأصاب الـناس اليأس من الانفراج؛ إذ لم يكن ثمة بصيص ضوء في الأفق، ولا قبس أمل في الصدور، بـل ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، وليل بهيم شديد السواد يخيم على أفغانستان، ينوء بكلكله على صدور أبناء ذلك البلد المسلم الذي أنهكته الحرب وقضمته بأنيابها الحادة، فبات كمضغة تلوكها ألسن الحاقدين، أو كرة تتقاذفها أرجل المجرمين(١).

★ ★ ★

وعـلى حـين غرة، وبغير تخطيط من أحد من البشر، جاء الفرج من الله تعالى، فبرزت الطالـبان عـلى سطح الأحداث بأفراد قياديين قلائل، وأعداد عسكرية ضئيلة لتقول لجميع هـؤلاء: كُفُّـوا أيديكم وانسحبوا من الميدان، وأفسحوا المدن والميادين والطرق والساحات، سلماً أو حرباً، ففعلوا راغمين صاغرين.

بـدأت حركة طالبان عام ١٩٩٤م عندما قام فريق صغير من طلاب العلوم الشرعية والمولوية الأفغان في قندهار بمطاردة بعض اللصوص الذين كانوا قد سرقوا قافلة من المسافرين وخطفـوا بعـض النساء قرب قندهار . فاستولى الطلاب وعلى رأسهم الملا محمد عمر على أسـلحة اللصوص وعثروا على بعض النسوة المختطفات مقتولات بعد اغتصابهن. وتم القبض عـلى بعـض اللصوص و أقيم عليهم الحد الشرعي، ففرباقي اللصوص أمامهم من قندهار . وسـري الإعجـاب والحماس بين أهل قندهار فعزلوا واليها التابع لرباني لعجزه عن مواجهة اللصوص وعينوا ملا محمد عمر أميراً عليهم . فأعلن الملا(٢) عمر تطبيق الشريعة في قندهار التي استولوا عليها، انتشر خبر الأمن الذي استتب في قندهار فحضرت وفود من طلبة العلم وأهالي الولايات الجنوبية الغربية المجاورة لقندهار وطالبت الطلاب هؤلاء بتسلم إدارة تلك الولايات وتطبيق الشريعة فيها وأعانوهم على وضع تلك الولايات تحت سلطاهم وحكم الشريعة وبذلك سـيطر الطالـبان على نحو خمس أفغانستان بلا قتال وإنما رغبة من الأهالي في تطبيق الشريعة والأمان(٣) . تلك كانت البداية، ويصف الدكتور سامي محمد صالح الدلال(٤) كيف انتصرت الحركة بدون قتال في أغلب الأحيان فيقول :

(١) مفكرة الإسلام .

(٢) المـلا هـو طالب الشريعة الذي انقطع عن الدراسة قبل حصوله على الشهادة العليا، والمولوى هو الذي حصل على هذه الشهادة .

(٣) موقع الإمارة على الشبكة العالمية .

(٤) مجلة البيان- العدد ١٦٥ .

من رَحِمِ المدارس الشرعية في قندهار، وبفتوى من علماء منطقة "مايوان" خرجت طالبان يوم الجمعة ١٥ محرم ١٤١٥هـ الموافق ٢٤-٦-١٩٩٤م إلى ساحة الصراع التغييري. وكانت نواقها بضعة عشر طالباً شرعياً يقودهم الملا محمد عمر. ثم التحق بهم كثير من الطلاب الذين تخرجوا من الجامعة الحقانية في بيشاور الباكستانية. وفي جمع غفير ضم ١٥٠٠ من علماء أفغانستان تم اختيار زعيم حركة الطالبان ومؤسسها الملا محمد عمر أميرا للمؤمنين. وشرعت حركة طالبان تفتتح الولايات الأفغانية الواحدة تلو الأخرى مبتدئة بولاية روزجان بجيش قوامه ٣١٣ رجلاً، اتسع فيما بعد شيئا فشيئا، ولا زالت على ذلك حتى استولت على معظم الولايات. فانهزمت أمامها كافة الفصائل والأحزاب التي كانت قد تصارعت فيما بينها منذ اندحار الروس عام ١٩٨٩م وهزيمتهم. وفي تلك الأثناء قامت باكستان بدعم الطالبان وسهلت حركة الطلاب إلى أفغانستان لينضموا إلى الطالبان وفتحت الحدود لوصول اللوازم إلى طالبان. ونتيجة لمكانة العلماء والمولوية وطلاب العلم الشرعي في المجتمع الأفغاني تقدم الطالبان إلى الولايات الأخرى شمالا وشرقا ولم يعلن رباني الحاكم في كابل موقفا منها دهاءا منه لعلمه بأن قوات غريمه حكمتيار هي التي تفصل بين مناطقهم وكابل بل عرض مساعدته لهم كحركة شرعية تقوم بالاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولكن حكمتيار أصدر أمرا لقواته بعدم التسليم للطالبان. وبدأ القتال معهم في منطقة غزني ثم شمالاً وصولا إلى كابل حيث سقطت مواقعه الواحدة تلو الأخرى بدون قتال، أو بقتال خفيف، حيث تردد معظم القواد والأحزاب. وحتى السراق وقطاع الطرق في قتال طلبة العلم الشرعيين. وسلمت الأحزاب الأخرى مثل حزب يونس خالص وقوات حقاني مناطقهم للطالبان في بكتيا وخوست وامتنع معظم قواد سياف عن قتال الطلبة وسلموا ننكرهار وعاصمتها جلال آباد لما رأوا من سلوك الطلبة وتطبيقهم الشريعة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونشرهم الأمان وملاحقتهم قطاع الطرق وتأمينهم للسبل .. ثم وصل الطالبان إلى تخوم كابل وتقدموا إلى رباني بعدة مطالب أهمها تطبيق الشريعة، وطلب هو منهم وفداً للتفاوض معهم . ولكن مسعود وزير دفاعه بعد أن عاهدهم على تسليم السلاح ووقف القتال وبدء التباحث معهم غدر بهم صباح اليوم التالي وقتل عدداً من القراء وحفظة القرآن من وفد الطلبة. وذكر أن عدد المغدورين الذين قتلوا في المسجد كان نحو مائتين وخمسين من الطلبة . وهاجم الطالبان كابل التي سقطت بسرعة كبيرة تحت ليل ٢٦ سبتمبر ٩٦ بسبب عدم الثقة بين الحزبين المدافعين عنها: جماعة مسعود وجماعة حكمتيار، وقبل الفجر دخل الطالبان كابل بعد قتال ضعيف مع بعض حاميتها من قوات مسعود ورباني وسياف، وهربت الأحزاب شمالاً ليتوقف القتال عند خط جبل

السراج وبوابة ممر سالنج وولايات الشمال، وكان قد مر على انطلاق الطالبان نحو سنتين، وتحددت سيطرة الطالبان على ولايات الشرق والجنوب والغرب والشمال الغربي إلى هرات وبقي معظم الشمال الذي يشكل نحو ١٥% من مساحة أفغانستان وعاصمتها مزار شريف .

في منتصف عام ٩٧ تحرك الطالبان شمالاً واستولوا في حركة خاطفة على معظم ولايات الشمال وسقطت عاصمة المعارضة مزار شريف بأيديهم وظن العالم أنهم قد استتب لهم الأمر في أفغانستان ولكن بعض قوات الميليشيات الأوزبكية التي صالحتهم وعرضت التعامل معهم غدرت بهم، وأدى ذلك لمذبحة مروعة تعرضت لها قواتهم في الشمال ذهب ضحيتها ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشرة ألف من الطالبان حسب الأرقام التي ذُكرت، في مجازر وحشية دفن كثير منهم فيها أحياء في مقابر جماعية على يد الميليشيات الأوزبكية الشيوعية في مزار شريف وحلفائهم الشيعة فيها.

وعاود الطالبان الزحف شمالاً بحذر أكبر وسقطت بيدهم ولايات الشمال واحدة تلو الأخرى مرة أخرى فانهارت قوات دوستم الذي فر إلى أوزبكستان ، ولم يبق كقوة عسكرية أمامهم إلا مسعود في الوادي الضيق الممتد من بنجشير إلى جبل السراج إلى تشاريكار إلى بوابات كابل الشمالية حيث تقف معه قوات تابعة لسياف. وزحف الطالبان جنوباً وراء قوات مسعود عن طريق غوربند، حيث لم يبق لمسعود وسياف إلا فرصة مهاجمة كابل في محاولة لخطفها وقلب موازين القوى في أفغانستان مرة أخرى .

وحدث الهجوم وقوات طالبان مازالت منتشرة وبعيدة عن العاصمة كابل، حيث أنقذ الموقف بعد فضل الله تعالى مجموعة من المجاهدين العرب .

وقد أعلنت حركة طالبان تطبيق الشريعة الإسلامية في كافة الأراضي التي تحت سيطرتها متخذة من كابل العاصمة التي استولت عليها في ٢٧-٩-١٩٩٦م قاعدة لحركتها السياسية. ومن قندهار مقر أمير المؤمنين قاعدة لحركتها التشريعية والتنظيمية.

وفي زمن قياسي سادت الطالبان أراضي أفغانستان كلها تقريباً (ما عدا الشريط الشمالي الذي نوهنا عنه) معلنة أهدافها التي تتلخص في تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً كاملا، و نشر الأمن والطمأنينة في جميع ربوع البلاد الأفغانية وإعادة بناء وتشييد البنية التحتية في كافة المرافق في جميع أصقاع البلاد الأفغانية.

فما أن حصل ذلك حتى هاج أعداء الله تعالى في كل قطر وبلد وماجوا، فأخرجوا أضغانهم، وسددوا سهامهم، لعلهم يصيبون الطالبان في مقتل، أو يقزموهم على الأقل، فابتدؤوهم بتوجيه التهم الآتية :

١ - الخروج بأفغانستان من نور الحضارة الباهر إلى ظلام الشريعة الغامر بزعمهم.

٢ - منع المرأة من التعلم والتعليم وإغلاق أبواب البيوت عليها للحيلولة دون خروجها إلى المدارس والجامعات.

٣ - منع المرأة من العمل أو ممارسة المهن.

٤ - فرض الحجاب على المرأة.

٥ - منع تعاطي الخمور في كل أفغانستان.

٦ - منع الموسيقى والغناء على المسارح أو الأفناء.

٧ - إيواء الإرهابيين وتدريب جموع المجاهدين.

٨ - استزراع المخدرات ثم تصديرها لمختلف الجهات.

٩ - عدم الخضوع للقوانين الأممية والأعراف الدولية.

١٠ - الوقوف مع القضايا الإسلامية وخاصة انتفاضة الأقصى الفلسطينية.

وهذه التهم، قد خلطوا فيها الحق بالباطل؛ فمعظم التهم المذكورة ليس لأي منها أساس من الصحة، بل هي كذب محض وافتراء رخيص، وكثير منها إنما هو إكليل غار على جبين الطالبان يشع بالأنوار[١] !!

أما الجهات التي وقفت وراء تلك التهم فهي:

- الولايات المتحدة الأمريكية.

- الاتحاد الأوروبي. - روسيا الاتحادية.

- الجمهوريات الإسلامية التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

- الهند. - الكيان اليهودي في فلسطين.

- معظم دول المنظومة الإسلامية.

- الأمم المتحدة.

- العلمانيون في جميع البلدان، وذلك من خلال الصحافة والمجلات والكتاب والإذاعة والتلفزيون والإنترنت والفضائيات وغيرها من وسائل الإعلام والتأثير.

(١) مجلة البيان- مرجع سابق.

لقد اجتمعت توجهات تلك الجهات التي ذكرناها على إسقاط حكم الطالبان مهما بلغ الثمن، ومهما تفاقمت بين شعب أفغانستان المحن ونزلت به الإحن.

فأبـــرزوا أحقادهم، واستتروا بمظلة الأمم المتحدة، فأعلنوا الحصار الشامل الكامل على أفغانستان الطالبان، وضربوا عليها أسوار التكبيل والتنكيل براً وجواً، ليقتلوا الشعب الأفغاني جوعاً وقهراً، ثم يقولوا بعد ذلك: قتلته وقهرته الطالبان[1]!!

وأمـــا في الداخل فقد بثوا جماعاتهم التنصيرية تجوب مجمل الأراضي الأفغانية بحجة إنقاذ الشعب الأفغـــاني الذي أحكموا تجويعه وترويعه ثم جـــاءوا له منقـــذين. كالثعـــلب في لباس الصالحين.

وقـــد بلغت أعداد المنظمات التنصيرية العاملة حالياً في أفغانستان والتي ورثت الطالبان وجودها من العهود السابقة حوالي مائتين وأربعين منظمة.

وقـــد أوردت صـــحيفة "فرينتير بوست" الصادرة في بيشاور باللغة الإنجليزية في عددها الصادر في ١٠ ديسمبر ١٩٩٧م أن منظمة " NGO Men" قد نجحت في تنصير "مائة ألـــف" أفغاني خلال سبعة أعوام (من عام ١٩٩٠م وحتى عام ١٩٩٧م)[2].

وقـــد أعلـــنت الطالـــبان تحكـــيم الشـــريعة في جميع شؤون الحياة. وأصدروا مجموعة مـــن القرارات الشجاعة في قضية المرأة وحمايتها من الانحراف؛ فقد قال الملا عمر: "نحن لسنا ضـــد تعليم المرأة. لكننا نريد أن نضبط تعليمها بالضوابط الشرعية". وأصدر قرارات متتابعة بمنع زراعة المخدرات وإنتاجها واستعمالها في أفغانستان. التي ظلت عبر التاريخ في مقدمة البلاد المصدرة لهذه المادة الخبيثة.

عـــندما يحـــدث كل ذلك فإنه يمثل مؤشرات واضحة الدلالة على حقيقة حركة طالبان وحقيقـــة أهدافهـــا وغاياتهـــا، وعن مدى جديتها. لقد قدمت الحركة حلا لقضية أفغانستان المستعصية. ونجحت حيث أخفق الآخرون. وثبتت حين نكصوا. ولم تفلح كل محاولات الإغراء والإغـــواء في ثـــنيها عن الطريق الذي رسمته لنفسها. حين يقول أميرها بملء فيه – رداً على

(١) قـــرر مجلس الأمن الدولي يوم الجمعة ١٥ أكتوبر ١٩٩٩م فرض حظر جوي وعقوبات مالية على حركة طالـــبان. إذا لم تسلم قبل ١٤ نوفمبر ١٩٩٩م أسامة بن لادن المتهم بتزعم شبكة مسلحة دولية. وحظي القرار رقم ١٩٦٧ الذي قدمته الولايات المتحدة على إجماع أعضاء المجلس الخمسة عشر

(٢) كـــانت مشـــكلة التنصير في أفغانستان مشكلة بالغة الخطورة، ومازالت تمثل تهديدا خطيرا للجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا .

الحصـــار والتضييق والمساومة – : "إن المبادئ الإسلامية للإمارة الإسلامية غير قابلة للتفاوض أو المساومة عليها مع أي كان".



سرد أحداث موت معلن

لقد وضع الغرب وعلى رأسه أمريكا في اعتباره ألا يسمح لهذه الحركة بجني الثمار أبدا. وكمـــا كـــان يحمـــل في عقيدتـــه وفكره أن انهيارا واحدا للاتحاد السوفيتي سيتبعه مزيد من الانهيـــارات، فقـــد كان في عقيدته أيضا. أن انتصارا واحدا لأي حكم إسلامي سيتبعه المزيد. وكانت عين أمريكا آنذاك على مسلمي آسيا الوسطي، وكان خوفها من انتشار المد الإسلامي مـــن أفغانســـتان إليهم. وقد يتساءل متسائل: ألم تكن الولايات المتحدة قادرة على إجهاض حركـــتهم منذ البداية، إلا أن من يسأل هذا السؤال لا يدرك أبعاد مكر إمبراطورية الشيطان، وهو مكر تنهد منه الجبال. ولست أ دعي أنني كشفت أبعاد هذا المكر. ولكنني فقط، أحاول أن أفهـــم وأن أتصـــور، بعد أن أزال الله عن عيني غشاوة، فأصبحت أتناول منظومة الدولة في الولايـــات المتحدة. ليس كدولة عظمي. وإنما كعصابة عظمي. ولما كانت أي عصابة ذكية. تـــدرس قبل قيامها بعملياتها شخصية الضحية. فتعرف كل شئ عنها. وتدرس نقاط الضعف. والاقـــتراب، والخـــداع. كمـــا تدرس البدائل للانقضاض، وماذا تفعل في الخطوة الثانية إذا ما فشلت الأولي، وفي الثالثة إذا ما فشلت الثانية، وربما تتصرف أيضا كالوحش. الذي يتلذذ بإنهاك فريسته قبل الانقضاض عليها. إلا أن التلذذ ليس هو العنصر الوحيد. فهم. بباع طويل في معايشـــة الفكـــر الشـــيطاني. قد أصبحوا يدركون أن القضاء على الحركات المناوئة لهم في بداياتهـــا قد يكون ضارا بهم. لأن القضاء عليها قد يجعلها رمزا يشحذ الباقين على النهوض مـــن جديـــد بحركات تستفيد من أخطاء الحركة التي اغتيلت في بدايتها. حركات أكثر حنكة ودرايـــة. لذلـــك فالأفضـــل أن يـــتركوا الحركة التي تنشأ لمناوأتهم تحاول عشرات الأعوام. ثم ينقضوا عليها في النهاية، لتصبح عبرة للباقين. لا عامل شحذ لهم.

من هذا المنطلق فقد كانت طالبان تلبي للولايات المتحدة مطلبين رئيسيين. المطلب الأول أنهـــا مـــن وجهة نظرها نظام سُنّي متشدد، وأن وجودها بجوار إيران فرصة لمزيد من الحصار لإيران، بل إن الفرصة قد تسنح لإذكاء مزيد من الخلاف بينهما، وهو ما تحقق فعلا، ووصلت الأمـــور إلى حافة الحرب. المطلب الثاني، الذي لم يتحقق، هو محاربة الأفغان العرب بنظام أكثر

تطرفا منهم[1]، حيث يمكن القضاء عليهم باسم الدين، دون شبهة إدانة على الولايات المتحدة، خاصة و أن الرموز التي يمكنها منع ذلك قد غيبت: عزام بالاغتيال، وبن لادن بالحصار، وسحب الجنسية، بل إنني أتصور أن جزءا من التخطيط كان إمكانية أن تقوم طالبان نفسها بالقضاء على بن لادن. لكن الأمور سارت على عكس ما تشتهى الولايات المتحدة، فكان عليها أن تلجأ إلى البدائل الأخرى.



صليبية أم اقتصادية

بعض العلمانيين الأشرار، يفضلون إبعاد عنصر الدين عن الصراع، فيعزونه إلى أسباب اقتصادية. ورغم أن المحصلة النهائية تسفر عن وجود الصراع بغض النظر عن مسبباته، وحتى من وجهة نظر قومية أو وطنية – مع تحفظى الشديد على المصطلحين وموقف الإسلام منهما – فإن الدين يستعمل كعنصر حشد، تماما كما فعل رؤساء إسرائيل الملحدين، لكن علمانيينا الأشرار يرفضون الدين رفضا مطلقا، حتى لو كان من أهم العوامل في تحقيق انتصار، بل على الأحرى لأنهم يدركون أنه من أهم العوامل في تحقيق الانتصار. وبهذا يكشفون عن خبئة نفوسهم، فهم أصلا ضد انتصارنا، فقد غزاهم الغرب والشيطان، و أصبحوا مجرد طابور خامس. وجند للشيطان بيننا، يتحدثون بألسنتنا، ويستمتعون بالحصانة التي يمنحها لهم الإسلام، كي يسلموه ويهزموه . ويستشهد أولئك العلمانيون الأشرار على وجهة نظرهم في أن الحرب هي حرب اقتصادية لا عقدية بواحد مثل هنري كيسنجر والذي قال في كتابه الأخير : (هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية) : أن الأزمة الاقتصادية العالمية هي اكبر تهديد للديمقراطية المعاصرة، وان وقوع أزمة مالية مهمة أخرى في آسيا أو في الديمقراطيات الصناعية سيعجل بالتأكيد من جهود الدول الآسيوية للحصول علي سيطرة اكبر علي مصائرها السياسية والاقتصادية، عن طريق خلق بديل آسيوي للنظام الإقليمي الحالي. وبروز تكتل آسيوي معاد يضم مزيجا من اكثر دول العالم كثافة بالسكان، وأكثرها وفرة في الموارد الطبيعية، وأكثرها تقدما من الناحية الصناعية، لن يكون في المصلحة القومية لأمريكا.

(١) كلما ورد كلمات مثل التطرف، أو الأصولية، أو التشدد، أو المعتدل، في هذا الكتاب فإننى أستخدمها مضطرا بمفهومها الأمريكي، لأننى في الواقع لا أومن بأى مصطلح منها، على العكس، في أحيان كثيرا أومن بالعكس، فلاعتدال يعنى القابلية للخيانة، والتشدد يعنى التمسك بثوابت العقيدة.

كما يستشهد أولئك العلمانيون باهتمام أمريكا الفائق ببترول بحر قزوين، فيزعمون أنه هـو السـبب الرئيسي لرغبة واشنطن الشديدة للتواجد في منطقة آسيا الوسطى عبر عملية ابـن لادن، فقد ظهرت مؤخراً في هذه المنطقة العديد من الاتفاقيات، والتحالفات الاقتصادية التي اعتبرها المحللون الغربيون تحدياً استراتيجياً كبيراً لنظام القطب الواحد السائد في العالم.

ولا يتطرق هؤلاء العلمانيون أبدا لتساؤل جوهري وبسيط، إذا كان الصراع الحالي من أجل البترول، فما هو السبب في صراعات بدأت واستمرت قبل اكتشاف البترول بألف عام.

إننـا لا نـنكر العـامل الاقتصادي بطبيعة الحال، لكننا نضيف إليه، أن فحوى الفكر البروستانتى اليهودى، أنهم يتقربون إلى الله بسرقة المسلمين، بل بقتلهم.

وكـان صـراع البترول قد اشتعل في وسط آسيا منذ توقيع ما يسمى بـ"عقد القرن" بـين الشركات الغربية وأذربيجان حول استغلال نفط أذربيجان، وهذا العقد الموقع في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٤ تقدر مبالغه بـ٨ مليارات من الدولارات وقد وقعه كونسورتيوم نفطي غربي تقـوده شـركتا بريـتيش بـتروليوم البريطانية وأموكو الأمريكية. وقد تبعه عقدان آخران الأول حـول كاراباخ ٤ نوفمبر ١٩٩٥م بمبلغ ملياري دولار والثاني حول شاه دنيز ٤ يونيو ١٩٩٦ م بمبلغ ٦ مليارات دولار.

وكـل هذا قد يكون صحيحا، لكنه لا ينفى العامل الأول، وهو الدين. لأن الأمة بغير الديـن ستسـقط لا محالة في محيط التبعية الأمريكية. إن بقايا الشيوعية في روسيا، والشيوعية في الصين، والبوذية في الهند، كذلك مجمل العقيدة في اليابان، كل ذلك لا يشكل تحديا خطيرا للحداثة الأمريكية ويمكن أن يتعاون معها، أو حتى يتنافس في إطار الحضارة الغربية. ومعطياتها الحداثية التي تلغى الدين من بداية الأمر. المشكلة الرئيسية تأتى من الإسلام. فهو الوحيد القادر عـلى سحب البساط من تحت أقدامهم. لأنه يقدم بديلا شاملا لحضارتهم، بديلا إنسانيا يعلى قيمة الروح والمعنى. والإسلام في أفغانستان بالذات كان يبدأ فتيا بعد أن شاخت دول العرب، و أصبحت عاجزة عن أن توفيه حقه.

مـن أجل ذلك أغدقت أمريكا على دول آسيا الوسطى لتمنع انتشار الإسلام بمفهومه الصحيح إليها، وقد أنفقت بين ١٩٩٢م و١٩٩٧م حوالي ٢,٢ مليار دولار من المساعدات لـدول آسيا الوسطى. وشجعت حركات التبشير ومطاردة الحركات الإسلامية المحلية، ولقد كان من تأثير الإعلام الغربى – وروسيا جزء من الغرب – متحالفا مع الصين والهند أن أصبح

هــناك اعتقاد سائد بأن كل من يتردد علي المسجد يشكل قنبلة موقوته. وينص القانون هناك علي فرض عقوبة ال

سجن علي كل من يصلي في غير المساجد التابعة للدولة[1].

وتحت الرعاية والدعم الأمريكيين بدأت كل من أوزبكستان وطاجكستان وكازخستان وقرغيزســتان حــربا مفتوحة على الإسلاميين. وتم اعتقال المئات. وحكم على العديد منهم بالســجن واعتــبر وزراء خارجية ودفاع كازخستان وأوزبكستان وطاجكستان وقرغيزستان الذين اتفقوا في بيشكيل عاصمة قرغيزستان أن هذه المجموعات المسلحة باتت تشكل "تهديدا لجميع دول المنطقة".

كــانت امــريكا قد اكتسبت الخبرة من أنضمة حكم عربية عميلة قصيرة النظر وافقت أمريكا على هواها فسمت الإسلام إرهابا وراحت تحاربه. وطبقت أمريكا نفس الفكرة في آسيا الوســطى. نفــس الفكرة ونفس المنهج. تبيدنا جزءا فجزء ومع ذلك تتوالى الشعارات: إنها لا تحارب العرب بل العراق. يحدث ذلك وهي تحارب العرب جميعا.. ثم: إنها لا تحارب الإسلام بــل الإرهاب.. بينما هي تحارب الإسلام كله.. وحتى في أفغانستان كان الشعار أنها لا تحارب أفغانســتان بــل طالبان. وكانت في الواقع تدمر أفغانستان كله.[2] وتشدد قبضتها في نفس الوقت على وسط آسيا

تتصــرف أمريكا، إمبراطورية الشيطان كأخطبوط له ألف ذراع حتى لا تدرك الضحية أي ذراع سوف يمتد لاهتصارها. فكل الأذرع تتحرك في نفس الوقت.

نعم .. لم تكن الحرب على طالبان و أفغانستان فقط.. بل كانت وستظل على الإسلام.. حرب جندت فيها أمريكا العالم ضده. فقد ذكرت صحيفة (فريميا) الروسية يوم الخميس ١٩ أغســطس أن جهــاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد سيساعد روسيا في محاربة الإسلاميين في شمــال القوقــاز. وقــد أكدت السلطات الروسية عدة مرات أن الإسلاميين المتمركزين

(١) قــارن هــذا بإصرار السلطات في عدد كبير من دول العالم العربي على اتباع نفس المنهج. فالمنبع واحد. المخابرات الأمريكية.

(٢) بلغ الأمر حد الهزل في أحايين كثيرة. فعندما منح الملا عمر بعض الأفغان العرب الجنسية الأفغانية، لم يهن على صحيفة الشرق الأوسط- وهي لسان عربي للمنهج الأمريكي- أن تنقل الخبر صحيحا. فنشرت أنهم مــنحوا: "الجنسية الطالبانية"!! وبالطبع لا يوجد جنسية طالبانية إلا كما توجد جنسية ناصرية أو ساداتية أو مباركية أو قذافية!!.

في القوقـــاز، وخصوصا في الشيشان وداغستان يضمون في صفوفهم عددا كبيرا من المتطوعين من الدول الإسلامية وآسيا الوسطى. ولما كانت حركة طالبان تملك تأثير المثل والقدوة بالنسبة لآســـيا الوســـطى، المتحدة معها في الدين وفى الحدود وفى العرق. بل إنها كانت كلها ولايات في دولـــة واحدة. فإن الخطر الذي لا يمكن أن يسمح به هو أن تتحد هذه الدول مرة أخري. والعامل الأخطر لتوحيدها كانت طالبان. خاصة بعد أن تم كبح انتصارات الشيشان السابقة.

يقـــول محـــلل اقتصادي في باريس أن الاقتصاد الروسي المريض لا يمكنه أن يموّل حرب الشيشـــان الـــتي تكلف يوميا ما يزيد على خمسة ملايين دولار. وبما أنه من الواضح أن قيادة الكرملين ليست في عجلة من أمرها لحسم الحرب. كما أنه في غيبة إلى تأثير سلبي ظاهر لتكلفة الحـــرب المرتفعة على الوضع المالي الهش في روسيا. لا بد من الإقرار بأن هناك مصادر تمويل أخـــرى . وقـــد اعتبرت يافوليتا ستشيرينا الخبيرة الاقتصادية في شركة احركاي رنيسالست للسمسرة أن حرب الشيشان الأولى التي وقعت بين ديسمبر ١٩٩٤م إلى أغسطس ١٩٩٦م مســـفرة عن ٨٠٠ ألف قتيل "مُولت بفضل صندوق النقد الدولي. وتروا حت تقديرات كلفة الحرب في تلك الفترة ما بين ٦ و ٨ مليارات دولار. وقال فيكتور بوريسوك المحلل في المعهد الاقتصـــادي العـــالمي والعلاقات الدولية "لا أعتقد أن العمليات الحالية أقل كلفة من الحرب السابقة".

كـــانت أمريكا إذن وهي تضرب طالبان إنما تضرب الطموحات والأحلام التي راودت أذهـــان المسرفين في التفاؤل بعد استقرار حكم طالبان واستقلال دول آسيا الوسطى المسلمة عمـــا كـــان يعرف بالاتحاد السوفييتي وإقامة تكتل اقتصادي وكيان متحد في المنطقة مدعوما بـــروابط العقيـــدة والمصـــالح المشتركة، وبعد الحرب الأمريكية على أفغانستان تحولت هذه الطموحات إلى سراب.

لم تكن الحرب على طالبان بل كانت جزءا من منظومة هائلة تشكل حربا على الإسلام.

★★★

كـــانت أفغانســـتان تحـــت حكم طالبان دولة محورية في المنطقة لها بين جمهوريات آسيا الوسطي من المزايا ما لمصر والسعودية معا في العالم العربي.. لذلك لم يكن غريبا أن أمريكا وهي تقصف طالبان تشدد الضغط على مصر والسعودية حتى الخنق.

وكـــان الفرق بين طالبان من ناحية ومصر والسعودية من ناحية أخري أن طالبان كانت حرة.. بينما الأخيرتين كانتا في الأسر.

لذلـــك كله كان منطقيا بالنسبة لإمبراطورية الشيطان أن تنكل ذلك التنكيل بالشعب الأفغـــاني الذي تبنّى الجهاد وتحمَّل في سبيل الله ما تحمل ليكون عبرة للشعوب المسلمة. فالأمر ليـــس حربا على أفغانستان، بل هي حرب على الإسلام. حرب على الإسلام أنى كان وكيف كان لم تكن أفغانستان إلا الجزء الذي تركزت عليه الأعين.

يعترف خبير في معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن أن الجزء الأكبر من الحروب التي يخوضـــها الغـــرب بشكل مباشر أو غير مباشر الآن موجهة ضد المعسكر الإسلامي. ويضيف أن الحرب المستمرة في جنوب السودان لا تستهدف سوى تقسيمه وإقامة دولة مسيحية وثنية في جـــنوبه تكـــون حاجـــزا أمـــام المد الإسلامي الذي يخيف الغرب نحو وسط أفريقيا، كما أن النجاح في فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا يشكل خطوة أولى لإضعاف أكبر بلد إسلامي مـــن حيث تعداد السكان، وكذلك لتشجيع الحركات الانفصالية الأخرى، خاصة وأن القوى الغربية الرئيسية ترقب بتحفظ تحول بين الثلاثة آلاف جزيرة إلى قوة اقتصادية وعسكرية هامة في جنوب آسيا.

نعم .. لم تكن أفغانستان إلا جزءا من الحرب على الإسلام.

مـــع نهايـــة الحرب الباردة ، بدأ العالم الغربي بالبحث عن التهديدات الأخرى، والعدو المحتمل الجديد، وفي هذا السياق عقدت قمة روما (نوفمبر١٩٩١) والتي حضرها رؤساء دول حلف الناتو، وناقشوا خلالها الأخطار المحتملة القادمة، وقد عبر قادة عسكريون في الحلف عن مخاوفهم مما أسموه " الإسلام السياسي" وترجيحه كعدو محتمل بدلا من الشيوعية .

هـــذه النظرة للإسلام الذين سموه أحيانا " الإسلام السياسي" وأحيانا أخرى "الحركات الإسلامية" أو " الإسلام الأصولي" ؛ بأنها تشكل تهديدا للغرب والمصالح الحيوية له في المنطقة، ســـادت لـــدى أوساط عديدة سياسية وأكاديمية وإعلامية، وعززتها السيطرة الصهيونية على العديد من وسائل الإعلام الغربية، وحملت تهويلا وتضخيما للخطر الإسلامي القادم، ووصفته بعـــدة صفات مثل : الخطر الأخضر، قوس الأزمات، العدو الجديد . فقد رأى thadan leon في مقـــالة له في مجلة (affairs foreign) المعـــروفة (ربيع ١٩٩٣) أنّ الأصولية الإســـلامية قـــد تقـــود الولايـــات المتحدة الأمريكية إلى حرب باردة ثانية على غرار الأولى مع الاتحاد الســـوفيتي ، وهذا التحليل ليس بعيدا عن رؤية عدد من الاستراتيجيين الأمريكيين المعروفين مثل : بريجنسكي (في كتابه الفوضى) نيكسون (في كتابه الفرصة السانحة) مارتن إنديك ؛ الـــذي رأى في مقالته watershed in the middle east في دورية الفورين أفيّرز (١٩٩٢) : أنّ أمام العرب خيارين أيدلوجيين هما الأصولية الإسلامية والديمقراطية الليبرالية .

وبـلغ الـتخوف مـن العدو الأصولي إلى تصور سيطرته على الثروات النفطية في أسيا الوسـطى، وفقا لنظرية الدومينو(التي تعود جذورها إلى استراتيجية الاحتواء ومبدأ ترومان) إذ رأى أحـد الاسـتراتيجيين الغربيين أن وقوع بعض الدول في أسيا الوسطى بيد الحركات الأصـولية سـيؤدي إلى وقوع دول أخرى، وقد ينتهي الأمر إلى سقوط المناطق الثرية هناك (خاصـة كازخستان) في يد الأصوليين الإسلاميين، وتهديد المصالح الأمريكية هناك، ولذلك عـلى الولايـات المـتحدة الأمـريكية التعاون مع روسيا ضد الأصولية في أسيا الوسطى .
ومـن الهواجـس الـتي سيطرت على المحللين الغربيين الذين يتبنون هذه الرؤية. الانتصارات الانـتخابية للحركات الإسلامية، والقوة الشعبية التي ظهرت فيها هذه الحركات. ففي مقالة للكاتب "judith miller " بعنوان " the challenge of radical Islam " في دورية (الفورين أفيـرز) (ربيع ١٩٩٣) : رأى أن "الأصولية الإسلامية" استطاعت أن تصل من خلال القوة الانتخابية إلى قمة القـوة الشعبية في الدول الإسلامية، بينما الذين يؤمنون بحقوق الإنسـان – خاصة حقوق المرأة – وبالديمقراطية الليبرالية، وبالسلام العربي – الإسرائيلي لا يستطيعون مقارعة هذه القوة. وحاول الكثير منهم – مارتن إنديك مثلا – تبرير الشعبية الكبيرة للصحوة الإسـلامية بفشل الحكومات العربية بتأمين الحاجات الرئيسية لشعوبها، وبرغم أن هذا صواب في جزء منه إلا أنه ترك الأصل وركز على الفرع، لأن الشعوب المسلمة لو خيرت بين حكومة عـلمانية ديموقـراطية تـلبي لها احتياجاتها الأساسية وحكومة مسلمة تطبق الشريعة وتطالبها بالتضـحية حـتى الاستشـهاد لفضلت الثانية على الفور. لكن.. كيف يفهم القوة الدافعة في الإيمـان مـن ليس في قلبه إيمان؟!. بل إنني أقول أكثر من ذلك، أن تشجيع الغرب للنظم الفاسـدة والدكـتاتورية في العـالم الإسلامي ينبع في جزئه الأعظم من إدراكه أن الشعوب الإسـلامية لـو خيرت لاختارت الموت مع الإسلام ولرفضت جنة الغرب، التي تعتبرها وهما وسرابا، كجنة المسيخ الدجال.

إن هناك إصرارا من العديد من الدوائر والأوساط السياسية الأمريكية على افتعال معركة مـع كل حركات "الإسلام السياسي"، وتصويرها على أنها التهديد الخطير القادم من الشرق، وتجـلّى هذا الإصرار من خلال مقالة صموئيل هانتنجتون " صدام الحضارات "، والتي نشرها في مجـلة الفورين أفيرز، ثمّ أصدرها في كتاب مستقل، وهانتنجتون منظّر استراتيجي أمريكي صـهيوني معـروف، ومرتـبط بمراكز دراسات لها علاقة وطيدة في صناعة القرار السياسي الأمريكي . تقوم فرضية هذه المقالة – والتي انتشرت بشكل واسع وترجمت إلى عدة لغات – أنّ الحرب العالمية القادمة ستكون بين الحضارات العالمية، وحصرا بين الحضارة العربية الإسلامية

والحضارة المسيحية الغربية، وأنّ أسس الصراع القادم ستكون ثقافية ومرتبطة بالموضوع الثابت عبر القرون وهو موضوع الهوية الحضارية للأمم، والتي تتأسس في بعدها البنيوي الثابت على الدين، إذن فالحرب القادمة – وفقا لهنتنجتون هي حرب دينية .

ولم يغفل هانتنجتون في مقالته السابقة من التلويح بخطر الحركات الإسلامية، والدعوة إلى مواجهتها قبل أن تمتلك أدوات القوة العسكرية، والمشكلة الحقيقية أنّ مقالة هانتنجتون السابقة قـــد لقيت تأييدا وتنفيذا من أصحاب القرار في الولايات المتحدة، وبدأت تسيطر بشكل كبير على تفكيرهم – خاصة اتجاه قضايا الشرق الأوسط – ، وانتقلت هذه التصورات إلى وسائل الإعلام الأمريكية التي بدأت بتعزيز صورة نمطية عن الحركات الإسلامية في المخيلة الاجتماعية الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين .

★ ★ ★

لم تكن الحرب العالمية التي شنتها أمريكا على الشيخ أسامة بن لادن ولا على طالبان..

كانت على خراسان .. الجزء الإسلامي الذي يمكن أن يعيد الوحدة إلى العالم الإسلامي.

وكانت استمرارا للحرب على الدولة العثمانية والعالم العربي..

كانت حربا هائلة.. أكبر من أي حرب عالمية خاضها العالم.. وواجهنا الغرب فيها بأقوى مفكريه وقواده.. قواد على مستوى مونتجمرى و أيزنهاور.. أما قوادنا فقد كانوا على مستوى عمدة قرية أو شيخ قبيلة..

واجهـــنا بفلاســـفة من وزن هننجتون وفوكوياما وميلر و إنديك وواجهناهم بموظفين من نوع إبراهيم سعدة وجلال دويدار وصلاح عيسى وجمال الغيطاني..

واجهنا بالفورين أفيرز وواجهناه بروز اليوسف..

كانت حربا عالمية انضم إليها جل ولاة أمورنا. أو على الأحرى أنهم كانوا منضمين إليها منذ زمان طويل. فهؤلاء الحكام. بدلا من أن يعملوا على مد جسور التواصل مع أبناء آسيا الوسطي. عبر أفغانستان وطالبان و إيران، وبدلا من أن يسارعوا بافتتاح سفارات لها هناك ، بـــدلا مـــن ذلك. تبنوا مفهوم الإرهاب الذي رضعوه من المخابرات الأمريكية، فإذا بكل من يحـــاول ترســـيخ هويـــته الإسلامية إرهابي. فعل حكامنا بالغيبة والخيبة ذلك. بينما سارعت (إســـرائيل) بفتح سفارات لها في معظم الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وشمال القوقاز

وإقامــة علاقــات دبلوماســية معها. وبدلا من أن يقوم حكامنا بمحاربة التبشير بين المسلمين هناك.. إذا بهم يحاربون الإسلام هنا وهناك ، وقد كان رمزه هناك طالبان.

كــانت حــربا عالمية خاننا فيها حكامنا، لأنه يمكن التصور، أنه لو لم يتبن أولئك الحكام المفهوم الأمريكي للإرهاب، لأمكن بناء تكتل ضد غطرسة إمبراطورية الشيطان.

تحت ظلال الغيبة والخيبة، حاصر حكامنا حركة طالبان..

ولم نكــن نستطيع والوضع ذاك أن نلوم أو أن نؤثر على غيرنا كي لا يشارك في الحرب على الإسلام.

فــتحت ظلال الغيبة والخيبة ظهرت في عام ١٩٩٦ – أثناء حصارنا لطالبان – مجموعة شــنغهاي الــتي تضــم عضويتها خمس دول هي: الصين وروسيا وطاجكستان وكازخستان وغيرغســتان، وكــان الهدف الأساس لتوحد هذه الدول الآسيوية الثلاث مع روسيا يتمثل في مساعدة الصين في جهودها للقضاء على الحركة الإسلامية في إقليم إكسينيانغ. لقد لقيت فكــرة اســتخدام أمــن الحدود والتعاون الإقليمي "كتكتيك" و كغطاء دبلوماسي لما يجري مــن حرب على الإسلام، لقيت ترحيبا حارا من قبل الحكومات الشيوعية السابقة لدول آسيا الوسطى والتي أقلقها انبعاث حركة الإحياء الإسلامي من جديد إثر سقوط مبدأ الإلحاد الذي كانت تدعمه وتفرضه الإدارة السوفيتية البائدة .

لقــد دخلت جمهورية طاجكستان في دوامة حرب أهلية بين الإسلاميين والحكومة التي ورثــت الحكــم في طاجكستان بعد زوال الاتحاد السوفيتي. كما شهدت أوزبيكستان ظهور الحــركة الإســلامية ، بالإضافة إلى ظهور حزب التحرير. وقد دعت الحركتان إلى الإطاحة بالحكومــة العلمانية في أوزبكستان وإقامة جمهورية إسلامية تضم كافة الأراضي الواقعة ضمن وادي فيرغانا. وهي ذات الدعوة التي نادى بها المسلمون الأويغير في إقليم إكسينيانغ الصيني. والمتمثلة في قيام جمهورية شرق تركستان الإسلامية.

كانت شظايا العالم الإسلامي الذي مزقته إمبراطورية الشيطان تحاول أن تتوحد. وكانت طالبان هي النواة التي يمكن لهذه الحركات أن تتجمع حولها وكنا نمالئ الأعداء عليها.

وكمــا هو متوقع، فقد أدى احتدام الأزمة إلى البحث عن تهديد خارجي. ولأنه ليس واردا أن تعترف دول مجموعة شنغهاي الخمس بأنها تعاني حقا من انقسام داخلي، فقد سارعت إلى اتهام أفغانستان وحكومة طالبان برعاية وإيواء وتحريض حركات المعارضة فيها.

وكانت دولنا معهم ضد الإسلام والمسلمين.

لقد نادى رئيس أوزبكستان، إسلام كريموف والذي كان مسؤولا كبيرا في الحكومة السوفيتية السابقة، ذات مرة بالقضاء على حركة "الإسلام السياسي" باستخدام سياسة القبضة الحديدية، و يجمع كثير من المراقبين أن عددا من دول آسيا الوسطى – ذات الأغلبية الإسلامية الفائقة – تشهد صراعا ضاريا بين حركة الإحياء الإسلامي الرامية إلى بعث الهوية الإسلامية وبسط النهج الإسلامي على شتى مناحي الحياة وبين النهج العلماني الذي ترعاه النخب الحاكمة. وقد دخل الصراع مراحل الحدة المرتفعة في كل من طاجيكستان التي شهدت نزالا مسلحا بين حزب النهضة الإسلامي والسلطة العلمانية وأوزبكستان التي بلغت فيها قوة التيار الإسلامي حدا أفزع السلطة فطفقت تمارس شتى أصناف القمع والتنكيل. كما أن الجمهوريات الثلاث الأخرى – كازاخستان وتركمانستان وقيرغزستان حبلى بصراعات مشابهة .

لقد كانت هذه الأرض – خراسان – شاهد صدق على مسيرة الإسلام الزاهرة هناك.. وهي في الوقت نفسه شاهد صدق على محنة الإسلام والمسلمين في إطار ما تعرضوا له من حصار ومطاردة وكبت وتذويب للهوية على امتداد تاريخ الحكم الشيوعي ومن قبله الحكم القيصري.. ومازالت فصول هذه المحنة الدامية تدور أحداثها حتى اليوم.. فنظام الحكم الأوزبكي جرَّد حملة واسعة للقضاء على كل ما هو إسلامي.. حتى الأذان والحجاب والمدرسة..

ولكن كيف نلومهم ونحن في بلادنا نسبقهم.

كيف نلومهم وقد كنا أشد على إخوتنا المسلمين في طالبان منهم.

بغباء منقطع النظير ساعد ولاة أمورنا أمريكا – بكل ما فعلوه – لإقامة قاعدة عسكرية أمريكية في أفغانستان تحقق أهدافاً كلها تمثل حصارا للإسلام..

★ ★ ★

إن ما فعلته تفجيرات نيويورك وواشنطن الأخيرة أنها عجلت بالخطة الأمريكية التي تسعى لبسط النفوذ على كل آسيا بعد أن كانت قد أجلتها تعقيدات العلاقات الآسيوية وتعقيدات القضية الفلسطينية، واليوم تبدو في حرب أفغانستان أو لنقل حرب ابن لادن مصلحة كبيرة لأمريكا التي اتخذت الكرامة المجروحة ذريعة للتعجيل بتنفيذ استراتيجية مرسومة منذ عقود، إنها حرب العقيدة والمصالح لا حرب الثأر الأمريكي.

إنها ليست حربا على بن لادن وطالبان..

إنها حرب على الإسلام.

أسامة بن لادن(١)

رضى الله عنه

دعوا التاريخ يشهد أنني مجرم ...

إذا كان التحريض علي الجهاد جريمة..

أسامة بن لادن

الأسرة

ولد أسامة بن لادن سنة ١٣٧٧ هجرية ١٩٥٧ ميلادية لأم سورية دمشقية وكان ترتيبه بـين إخوته وأخواته الثالث والأربعين وترتيبه بين الذكور الحادي والعشرين من أبناء المقاول المشـهور محمد عوض بن لادن. والذي بدأ عاملا بسيطا لكنه بذكاء حاد وجلد طويل كون إمبراطورية مالية هائلة، مما أعطى له تأثيرا نافذا في دوائر الحكم، وعندما حصل الخلاف المشهور بين فيصل وسعود كان من ضمن من أقنع الملك سعود بالتنحي لصالح فيصل. وكانت الخزانة خاوية – قيل أن الملك سعود حين غادر أخذ ما فيها – فأمن رواتب كل موظفي الدولة تقريبا لمـدة تقـترب مـن ستة أشهر. ولرد الجميل أصدر الملك فيصل مرسوما بتحويل كل عقود الإنشاءات إلى محمد بن لادن وكلفه عمليا بوزارة الإنشاءات. وفي سنة ١٩٦٩ ميلادية تكفل محمـد بن لادن بإعـادة بناء المسجد الأقصى بعد الحريق الذي تعـرض له و كان قد ساهم في التوسـعة السعودية الأولى للحرمين و لذلك يقول آل بن لادن أنهم تشرفوا ببناء المساجد الثلاثة. توفي محمد بن لادن عندما كان عمر أسامة تسع سنين ونصف.

ويتحدث هو عن نفسه فيقول :

" أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، مَنَّ الله – سبحانه وتعالى – عليه أن وُلد من أبوين مسلمين في جزيرة العرب، في الرياض، في حي الملز، عام ١٣٧٧ هجرية، ثم مَنَّ الله – سبحانه

(١) المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة من مصادر عديدة، بعضها شخصي، ومن صحف القدس العربي والحيـاة، والسبيل وكل العرب ومما نشر في صحيفة الشعب الإلكترونية، ومن قناة الجزيرة ومن الشبكة العالمية.

وتعالى - علينا أن ذهبنا إلى المدينة المنورة بعد الولادة بستة أشهر، ومكثت باقي عمري في الحجاز ما بين مكة وجدة والمدينة، أبي الشيخ محمد بن عوض بن لادن هو من مواليد حضرموت، كما هو معلوم، وذهب للعمل في الحجاز منذ وقت مبكر جداً، منذ أكثر من ٧٠ سنة . ثم فتح الله - سبحانه وتعالى - عليه بأن شرف بما لم يشرف به أحداً من البنائين ببناء المسجد الحرام حيث الكعبة المشرفة. وفي نفس الوقت بفضل الله - سبحانه وتعالى - عليه قام ببناء المسجد النبوي، على نبينا أفضل الصلاة والسلام، ثم لما علم أن حكومة الأردن قد أنزلت مناقصة لترميم مسجد قبة الصخرة، فجمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة فقط، بدون أرباح. فقالوا له يعني نحن - إن شاء الله - نضمن المشروع مع ربح، قالوا إنتوا ضعوا فقط سعر التكلفة. فلما وضعوا سعر التكلفة تفاجئوا أنه -رحمه الله- خفض السعر عن سعر التكلفة حتى يضمن خدمة البناء لمساجد الله ولهذا المسجد، فأرسي عليه المشروع. ومن فضل الله عليه كان يصلي أحياناً في اليوم الواحد في المساجد الثلاثة - عليه رحمة الله- ولا يخفى أنه كان أحد المؤسسين للبنية التحتية في المملكة العربية السعودية. وبعد ذلك درست في الحجاز ودرست الاقتصاد في جامعة جدة، أو ما يسمى بجامعة الملك عبد العزيز، وعملت مبكرا في الطرق. في شركة الوالد - عليه رحمة الله - مع العلم أن الوالد - عليه رحمة الله - توفي وكان عمري عشر سنوات. هذا باختصار عن أسامة بن لادن [1] ".

النشأة

نشأ أسامة نشأة صالحة و كان متدينا منذ صغره و تزوج عندما كان سنه سبعة عشر عاما زواجه الأول من أخواله من الشام. كانت دراسته الابتدائية والثانوية و الجامعية في جدة. وكانت دراسته في الجامعة في علم الإدارة العامة. وخلال دراسته اطلع على أنشطة التيارات الإسلامية المشهورة وتعرف على كثير من الشخصيات الإسلامية الذين كان والده يستضيفهم في فترات الحج والعمرة. وخلافا لما تزعم بعض الصحف العربية والغربية فلم يسافر أسامة لأي بلد غير دول الجزيرة العربية و باكستان وأفغانستان وسوريا والسودان. وكل ما يقال عن رحلات إلى سويسرا ولندن والفلبين ليس لها أساس من الصحة. و لا تصح كذلك المزاعم بأن أسامة لم يتدين إلا بعد مرحلة من الانحراف فهذه المزاعم ليس لها أصل[2].

(١) حديث مسجل مع قناة الزيرة في عام ١٩٩٨ و أعيد بثه بعد أحداث ١١ يبتمبر أيلول.

(٢) صحف التسنويريين ومجلاتهم لم تجد إلا المعلومات الكاذبة التي تبثها وكالات المخابرات الغربية، مؤكدة الصلة بين هذه الوكالات وبين الثقافة!!

كيف تشكلت عقلية بن لادن؟.

بالإضافة إلى الجو المحافظ الذي نشأ فيه أسامة كان محمد بن لادن والد أسامة يستضيف أعدادا كبيرة من الحجاج كل عام بعضهم من الشخصيات الإسلامية المعروفة، و قد استمرت هـــذه العـــادة عـــلى يـــد إخـــوان أسامة بعد وفاة والده مما ساعد في استمرار توفر الفرصة لـــه للاستفادة من بعض الشخصيات المتميزة بين أولئك الضيوف. لكن في الجامعة كان هناك شخصيتين كان لهما أثر متميز في حياته هما الأستاذ محمد قطب و الشيخ عبد الله عزام، حيث كانت مادة الثقافة الإسلامية إجبارية لطلاب الجامعة.

بن لادن يبدأ الجهاد

بدأت علاقة أسامة مع أفغانستان منذ الأسابيع الأولى للغزو الروسي لذلك البلد، فلقد صدمه خبر احتلال بلد مسلم وتشريد أهله بهذه الطريقة من قبل الملحدين الشيوعيين. وكان الدكـــتور الشـــيخ عبد الله عزام ممن التقاهم أسامة في تلك الفترة، فحبب إليه الجهاد. وأراد أســـامة في وقـــت مـــبكر أن يطـــلع على الوضع بنفسه فرتب مع الجماعة الإسلامية رحلة إلى باكســـتان حيث اصطحب من كراتشي إلى بيشاور من قبل الجماعة و هناك قابل مجموعة مـــن قيادات المجاهدين أمثال سياف و رباني ممن لم تكن أسماؤهم غريبة عليه حيث أن بعضهم كـــان ممن يحضر إلى مضافة والده في الحج و المواسم . حرص أسامة أن يبقي أمر تلك الرحلة في الـــبداية طي الكتمان لأنه لم يكن يعلم توجه الدولة كما حرص أن يعطيها طابعا استكشافيا قـــبل أن يـــتخذ قـــرارا بخصوص ذلك الموضوع. استغرقت الرحلة شهرا، واقتنع من خلالها أن القضية تستحق أن تعطى جل اهتمامه(١).

بعـــد عودته إلى المملكة واطمئنانه إلى إمكانية البوح بخبر الرحلة بدأ يتحدث مع إخوانه وأقاربـــه وزملائـــه في الدراســـة حول مشاهداته و تمكن من تنفيذ حملة علاقات عامة لصالح المجـــاهدين. كـــانت نتيجة تلك الحملة كمية هائلة من التبرعات المالية والعينية للمجاهدين. حمـــل أســـامة تـــلك التبرعات وذهب في رحلة أخرى إلى باكستان مصطحبا معه عددا كبيرا مـــن الباكســـتانيين و الأفغان الذين يعملون في مؤسسة بن لادن. بقي أسامة هناك لمدة شهر مـــرة أخـــرى. وكـــرر هـــذه الـــرحلات حاملا معه التبرعات و مصطحبا عددا من الناس

(١) مجلة روز اليوسف وصحيفة القاهرة نشرتا – دون الإشارة إلي أي مصدر – أن أسامة بن لادن إنما ذهب لشراء خيول عربية أصيلة، ولم يكن يفكر في الجهاد !.

من جنسيات مختلفة مكتفيا بمناطق المعسكرات والمخيمات دون الدخول إلى أفغانستان. وفي عام ١٩٨٢ قرر اجتياز الحدود والدخول إلى أفغانستان والمشاركة في الجهاد. ورأى الطبيعة الجبلية الصعبة فقرر الاستفادة من تجربته في المقاولات و جلب عددا هائلا من المعدات والجرارات والحفارات لمساعدة المجاهدين على تمهيد الجبال وشق الطرق وإنشاء المعسكرات. وتكررت زيارة أسامة إلى أفغانستان و إشرافه على نقل الأموال والسلاح والمعدات ومساهمته بعض الأحيان في بعض المعارك لكن بشكل غير منتظم. و كان بعض أهل الجزيرة قد تأثروا بزيارات أسامة وبدءوا يتقاطرون على أفغانستان لكن بأعداد قليلة حيث لم تتحول القضية بعد إلى حملة شعبية وتنتظم في مؤسسات و مكاتب و معسكرات.

في عام ١٩٨٤ ظهر أول نموذج لعمل مؤسسي لجهاد العرب في أفغانستان و هو بيت الأنصار في بيشاور. أسس بيت الأنصار كمحطة نزل أولي أو استقبال مؤقت للقادمين للجهاد قبل توجههم للتدريب و من ثم للمساهمة في الجهاد. ورغم تأسيس بيت الأنصار فلم يكن عند أسامة جهازه الخاص أو بنية تحتية من معسكرات ومخازن وإمداد واتصال. ولم تكن له جبهة خاصة به. بل كان يرسل الشباب القادمين إلى أحد الأحزاب المقاتلة مثل حكمتيار وسياف أورباني.

تزامن تأسيس بيت الأنصار مع تأسيس مكتب الخدمات في بيشاور من قبل الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. وقد أدى تأسيس المكتب إلى نوع من التكامل مع بيت الأنصار حيث يؤدي المكتب المهمة الإعلامية وجمع التبرعات وحث المسلمين وخاصة العرب على الجهاد بالنفس والمال ويؤدي البيت المهمة العملية في استقبال وتوجيه الراغبين في الجهاد أو الاطلاع على أوضاع الأفغان. وخلال تلك الفترة توثقت علاقة الشيخ عبد الله بأسامة لكن رأى الاثنان أنه ليس من المصلحة دمج عملهما ومن الأفضل تعدد الواجهات مع التنسيق الجيد.

في سنة ١٩٨٦ قررأن يتوسع في تنظيم العملية الجهادية و يكون له معسكراته وخطوط إمداده. وفعلا تمكن أسامة من تشييد ستة معسكرات وتمكن من خلال خبرته في الإنشاءات من تحريكها و نقلها أكثر من مرة تبعا لظروف الحرب. وبعد تجربة المعسكرات و بعد تمكنه من تبني المجاهدين العرب منذ وصولهم إلى تدريبهم إلى إشراكهم في المعارك. أصبحت فكرة المشاركة في الجهاد ذات جاذبية شديدة لأن الشباب أصبحوا يتناقلون أخبار بساطة الفكرة وتقليل هيبة المشاركة في الجهاد كون الذي يستقبل ويدرب ويقود كلهم من العرب .

شارك المجاهدون العرب في مناوشات عديدة و قتال محدود في البداية ثم دخلوا في معارك طاحنة كان أشهرها معركة جاجي في نهاية ذلك العام والتي هُزم على يد المجاهدين العرب فيها وحــدات مــن أفضــل الــروس تدريــبا وأفضلهم تسليحا وقتل فيها عدد من ذروة رجال الكوماندوز الروس.

ومــنذ عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٩ دخل المجاهدون العرب في خمسة معارك كبرى مع الــروس ومــئات من المواجهات والمناوشات الصغيرة. وكانت تلك الفترة من أجمل الفترات لــلمجاهدين بســبب توفر الفرصة للقيام بالجهاد دون مضايقات. وخلال تلك الفترة لم يكن أسامة يعود للملكة إلا قليلا ويقضي معظم أيام السنة في أفغانستان جهادا وتدريبا وإشرافاً على المجاهدين، ومع ذلك فقد بارك الله في الشركة رغم بعده وانشغاله عنها .

القاعدة

في نهايــة الثمانينات وبالتحديد في سنة ١٩٨٨ لاحظ أسامة إن حركة المجاهدين العرب قدومــا وذهابــا والتحاقا بالجبهات بل وحتى كثرة الإصابات والاستشهاد قد ازدادت دون أن يكــون لديــه سجل عن هذه الحركة رغم أهميتها وكونها من ألف باء الترتيب العسكري. وكان نقص هذه المعلومات سببا لإحراج أسامة في أحايين كثيرة مع بعض العائلات التي تسأل عــن أبــنائها بالهاتف أو حتى من خلال إرسال مندوب عنها للتعرف على مصير عضو العائلة الذي التحق بأسامة. حيث أحس أسامة أن نقص هذه المعلومات أمر محجل فضلا عن إنه خطأ إداري مبدئي. من هنا قرر أسامة ترتيب سجلات للمجاهدين العرب[١] .

ووســعت فكرة السجلات لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان. ورتبت الســجلات بحيث تتضمن تاريخ وصول الشخص والتحاقه ببيت الأنصار ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب ومن ثم التحاقه بالجبهة. وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة وكان لا بــد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخليا، وهنا اتفق أسامة مع معاونيه أن يسموها سجل القــاعدة. على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب و الجبهات.

(١) مــن هنا يتضح أن أصل اسم القاعدة هو قاعدة البيانات (DATA BASE) والتي توجد في أي شركة أو مؤســـة تســتعمل الكمبيوتر. ومن هذا الاسم المتداول، خلقت المخابرات الأمريكية أسطورة تنظيم القاعدة.

هــذه هي القاعدة إذن، فالقاعدة ليست ذلك " الشبح المرعب" الذي صوره الأمريكان بطــريقة أقرب إلى أفلام هوليود. بالطبع استمر استعمال كلمة القاعدة من قبل المجموعة التي اســتمر ارتباطها بأسامة وهنا خرج الأمريكان – وغيرهم من الجهلة بطريقة عمل الجماعات الجهادية – بانطباع أنها اسم للتنظيم "الإرهابي"[١].

العودة إلى السعودية

في عــام ١٩٨٩ ميلادية وبالتحديد بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان تلقى تحذيــرا من المخابرات الباكستانية والسعودية أنه هو والشيخ عبد الله عزام مستهدفان لعملية اغتيال تدبرها المخابرات الأمريكية، وعاد أسامة إلى المملكة . وبعدها بأسبوعين اغتيل الشيخ عبد الله عزام. الأب الروحي للجهاد الأفغاني .

وفى هــذه الفــترة كانت صور أسامة بن لادن تتصدر جميع المجلات والصحف ومحطات التلفزة الخليجية على وجه التحديد باعتباره بطلاً ضحى بالثروة وضحى بالجاه والحياة الرغدة وتوجــه إلى أفغانستان للقتال من أجل نصرة شعب إسلامي يتعرض لغزو مثلما كان يوصف في ذلك الوقت.

إنذار بغزو الكويت

كانت تصرفات أسامة في تلك الفترة تدل على إن الرجل بدأ يتصرف تصرف المسؤول الذي يحمل هم قضية، وتضايق الحكام بشكل كبير حين تكلم علنا عن خطورة النظام العراقي وتنــبأ بأنه سيغزو الخليج في محاضرات معلنة ومسجلة في وقت كان النظام العراقي من أقوى أصدقاء.

نصيحة سرية للدولة

عندها لم تكتف وزارة الداخلية بمنعه من السفر بل وجه إليه تحذير بعدم ممارسة أي نشاط عــلني وإنــه ربما يعتقل أو يوضع تحت الإقامة الجبرية إن لم ينصع للتوجيهات. ورغم التوجه

(١) يــترك هــؤلاء المصادر الصادقة ويلجئون في نشر أكاذيبهم إلي مصادر مشبوهة، وعلي سبيل المثال فإن التفسير السائد لتنظيم القاعدة يعتمد علي شهادة جمال أحمد الفضل، السوداني الذي كان عضواً في تنظيم القــاعدة قــبل أن ينشق عنه في ١٩٩٦ إثر سرقته أموالاً منه. إذ يقول، في شهادته أمام محكمة مانهاتن الفيدــرالية في نيويــورك في قضية تفجير السفارتين في شرق افريقيا، ومثل هذه الشهادة غير موثوق بها، وقد تكون من إملاء المخابرات الأمريكية .

العدائي من قبل الدولة تجاهه فقد بادر أسامة بكتابة نصيحة للدولة سلمت عن طريق أحد إخوانه للأمير أحمد بن عبد العزيز. تضمنت الرسالة نصائح عامة وخاصة. العامة عن المطالبة بإصلاح شامل والخاصة كانت تكرارا لتوقعاته بأطماع صدام حسين في المنطقة وضرورة الاستعداد لها. وكان الأمير نايف قد حرص على مقابلة أسامة حين بلغه تقرير عن محاضرته حول أطماع صدام.

بعد غزو الكويت

ما أن سمع أسامة بغزو الكويت في الأخبار حتى بادر بكتابة رسالة أخرى إلى الدولة يعرض فيها وجهة نظره حول الطريقة المثلى لحماية البلد من الخطر العراقي بمجموعة اقتراحات حول السبيل الأمثل لتعبئة الأمة ضد هذا الخطر ومن ثم السبيل الأمثل عمليا لمواجهته. وأضاف لهذه الاقتراحات عرضا بجلب كل المجاهدين العرب الذين يستمعون له للمساهمة في عملية الدفاع هذه. سلمت الرسالة بنفس الطريقة التي سلمت بها الرسالة الأولى وكان رد فعل الدولة هو وعد بالنظر بالأمر.

ورغم توجسه من موقف النظام من القضايا الدينية والوطنية فقد كان يتوقع نوعا من الاستعانة به للدفاع عن الوطن، لكن الدولة بادرت بقرار كان السبب في أكبر تحول في حياة أسامة وهو إعلان استدعاء القوات الأمريكية.

ويصف لحظة سماعه خبر قرار استدعاء القوات الأمريكية بأنها أكبر صدمة في حياته، لأنها بتقديره المرة الأولى منذ البعثة النبوية التي يهيمن فيها الكفار على جزيرة العرب بقواتهم العسكرية. وصدم كذلك لأن القوات الأمريكية لم تدخل باحتلال أو رغم أنف الحكام بل دخلت بطلب منهم بعد أن هرعوا مستنجدين بالأمريكان. كان شعوره بعد ذلك شعور الإحباط والقلق على مستقبل الجزيرة بعد هذا التطور الخطير. بعدها أيقن أسامة أن مخاطبة المسؤولين بالخطابات والمذكرات أسلوب عديم الجدوى ولا بد أن يفكر بأسلوب بديل.

يقول بن لادن عن هذه الفترة : "فعندما دخل الأمريكان إلى أرض الحرمين الشريفين رفض العلماء و طلبة العلم الشرعي بقوة ما حصل. لقد ارتكب النظام السعودي أكبر خطأ عندما دعا القوات الأمريكية ليظهر بذلك سذاجته".

وكان يرى أن خيانة حصلت، فهو يقول بأن " الشعب السعودي سيتذكر ما قاله العلماء، و يلاحظ اليوم أن أمريكا هي السبب الرئيسي لمشاكله". تحرك أسامة باتجاهين، الأول

تجـاه اسـتخراج فتوى بوجوب الاستعداد للقتال على كل مسلم وخاصة أهل الجزيرة وأفتى الشـيخ بـن عثـيمين فعـلا بتلك الفتوى فاستخدمها أسامة في تشجيع الشباب من جديد في الذهـاب لأفغانسـتان والتدرب هناك، واستجاب لدعواه تلك عدد من كبير من الشباب توجهوا فعلا لأفغانستان. الاتجاه الثاني كان محاولة جمع أكبر عدد من العلماء في مؤسسة شرعية مستقلة غير مؤسسة هيئة كبار العلماء حتى تكون مرجعا للناس بعد أن تحولت الهيئة في نظره لمجرد أداة بيد الدولة بعد فتيا استدعاء القوات.

وعـندما لم يسـتجب أسامة للتحذيرات المتوالية الموجهة من الدولة إليه بدأ التحرش به فهوجمـت إحدى مزارعه وفتشت. وازداد الحصار عليه . وكان ثقيلا عليه أن ينجح في طرد الـروس مـن أفغانستان، ليجد الأمريكان يقيمون في وطنه. ولم تكن قيمة الوطن هنا أو تميزه لسبب ولاء وطني، بل لأنه مهبط الرسالة وبلد الحرمين وله حرمة مضافة إلى حرمة باقي بلاد الأرض.

تحمـل أسـامة بمـرارة فترة الحرب "عاصفة الصحراء" ثم وصل إلى قناعة أنه لا يمكن أن يكـون صادقا مع نفسه إذا استمر في المملكة. ولم يستطع الاحتمال فغادر المملكة بطريقة أقرب للهروب.

إلى باكستان وأفغانستان

عـاد أسامة بن لادن إلى باكستان. لكن نبل الجهاد كان قد افتقد في الصراع بين حلفاء الأمس.

كـان اغـتيال الشيخ عبد الله عزام بابا دخلت منه الفتن إلى أفغانستان. كانت هناك قـوة باطشـة مهيمنة حريصة طول الوقت على بقاء التناحر بين المجاهدين. أول إجراء اتخذه أسامة بن لادن للتعامل مع القضية هو إصدار توجيه للشباب العرب بعدم التورط في الصراع الدائر وكف أيديهم عن الدماء ورفض الميل لأي جهة من الجهات.وخلال بقائه في أفغانستان تعـرض لمحاولات اغتيال عديدة لكن كل المحاولات فشلت لأن المتعاطفين معه من جهاز الأمن الباكسـتاني كانوا يعجلون بتسـريب المعلومة له فيأخذ حذره. بقي في أفغانستان عدة أشهر مستمرا في محاولاته حل الخلاف ووصل بعد فشل متكرر إلى أنه وصل إلى طريق مسدود. شعر أسـامة أن وجـوده في أفغانستان عديم الفائدة خاصة وأن المتربصين به كثيرون وسيستمرون بمحاولات خطفه أو اغتياله. وبعد تدارس الوضع مع عدد من المقربين له قرر البحث عن مكان آخر يقدم فيه نفعا للإسلام بدلا من أفغانستان.

إلى السودان

كـــان الــتوجه إلى السودان أحد الخيارات المطروحة لأسامة ليس لأنها ستكون قاعدة جديــدة لمشروع جهادى عسكري جديد ولكن لأنه سمع الكثير عن هذه الدولة الجديدة التي بــدأ الإســلاميون يــتحدثون عن حماسها للإسلام والمسلمين وحرصها على تطبيق مشروع إســلامي. وظـــن أســـامة أنـــه يستطيع أن يقدم شيئا لهذه الدولة من خلال قدراته التجارية والإنشائية وعلاقاته في المملكة والخليج فضلا عن إنه يؤمن ملاذا له بديلا عن أفغانستان.

توجـــه أسامه فعلا إلى السودان بطائرة خاصة وبرحلة سرية وذلك في نهاية سنة ١٩٩١ ميلادية. وفي تلك الرحلة اصطحب معه عددا من رفاقه والتحق به آخرون بطرق أخرى.

في السودان أحسنت الحكومة السودانية وفادته و لكنه في تلك المرحلة لم يكن بحاجة لأي دعـــم مادي لأن أمواله لا تزال تحت سيطرته وتمكن بشكل طبيعي من نقل جزء من أرصدته ومعداته من المملكة إلى السودان.

لم يســـاهم أســـامة في الســـودان بأي عمل عسكري لكنه ساهم بقوة في مشاريع طرق وإنشاءات ومزارع وغيرها وكان أشهرها طريق التحدي من الخرطوم إلى بور سودان.

وظلت العلاقات بينه وبين المملكة العربية السعودية بالغة الفتور لكن بلا قطيعة.

منعطف هام

يرى الكثيرون أن هذه الفترة كانت منعطفا هاما في تاريخ أسامة بن لادن. وأنه في هذه المرحلة أرغمت الضغوط أسامة بن لادن على الاتجاه إلى طريق الجهاد المعارض للسلطة. ويرى هـــؤلاء أن بـــن لادن كـــان يخطط أساسا لجهاد سياسي، وأنه - والعهدة على المحللين، فهو لم يصـــرح بذلك - كان يرى في نفسه الخميني وليس كارلوس. وأن هذا يظهر من ممارساته، فقـــد كـــان يصدر البيانات ويظهر في أجهزة الإعلام، ويوجه النداءات. وكل هذه ممارسات سياسي يدعو لفكرته ويحرض على الوعي ، وحتى على الثورة، ويستغل لذلك أجهزة الإعلام وليست ممارسات عسكري يقوم بعمل سري ويجب عليه أن يتخفي[1].

ويـــري هـــؤلاء أن خطة أسامة بن لادن كانت المساهمة بشكل فعال في تدعيم اقتصاد الســـودان و إنشـــاء المشـــاريع الضـــخمة به، و أنه من غير المعقول أن من يقوم ببناء هذه المشروعات الضخمة ينوى بعدها جهادا عسكريا من السودان، وإلا فإن كل ما يبنيه سيدمر.

(١) من هذا الرأي الصحفيان : عبد الباري عطوان وعبد الوهاب الأفندى بصحيفة القدس العربي.

ولقـد بدأ – علي سبيل المثال – بتشييد مطار بناء مطار بور سودان، وكان هذا المطار ممولا من قبل الحكومة السعودية عبر الصندوق السعودي، مما يعنى استمرار العلاقات معها.

استثمر أيضا في الحبوب، في عباد الشمس، و في الزيوت و شق طريق التحدي للحكومة السودانية بطول ٤٠٠ كيلو متر.

وفجـأة جمـدت المـملكة العـربية تمويلها للمشروعات التي يقوم بها أسامة بن لادن في السودان، كانت الحجة الظاهرة أن هذا القرار كان عقابا للسودان بحجة موقفها مع العراق. لكـنن الأغلب أن ما حدث كان جزءا من مخطط الحصار الذي تفرضه الولايات المتحدة على كل الدول الإسلامية بلا استثناء، ويأتي على قائمة الأولويات بالطبع، تلك الدول التي تنتهج المنهج الإسلامي.

كان شرخ حرب الخليج الثانية قد شق العالم الإسلامي كله، و كانت أمريكا قد ضربت العالم العربي ضربتها الكبري، وامتد الشرخ إلى كل فج، فطال بين ما طال علماء الدين. إذ أنه لم يحـدث قـط، ولو ذرا للرماد في العيون، أن اختلف عالم دين رسمي مع حاكم بلاده، كان الشرخ عميقا، وانقسم العلماء إلى علماء سلاطين وعلماء دين.

وكان موقع أسامة بن لادن في السودان نقطة جذب لعلماء الدين، وكانت المؤتمرات التي يحضرها تشكل إحراجا عميقا لعلماء السلاطين.

وبدأت السعودية تتوجس خطرا مما يثيره أسامة بن لادن من أسانيد فقهية ومن أحاديث صـحيحة بصدد وجود قوات عسكرية غير مسلمة في المملكة العربية السعودية، خاصة بعد أن استكملت الحجة التي جاءت بسببها، وهى ادعاء تحرير الكويت.

بعد إيقاف التمويل السعودي للمشروعات في السودان اضطر أسامة بن لادن إلى إنفاق مائتي مليون دولار – أي معظم ثروته في ذلك الوقت – والتي قدرت بـ ٣٠٠ مليون دولار على هذه المشروعات. ومرة أخرى يقول بعض المحللين أنه لو كان ينوى إنشاء تنظيم عسكري لما استثمر معظم ثروته بهذه الطريقة.

وتـزايد الضـغط عـلى أسامة بن لادن بصدور قرار بتجميد ثروته في المملكة العربية السـعودية ومنعه من التصرف فيها، وصاحب ذلك محاولة.السلطة إحراجه من خلال الضغط على أسرته. ثم ذهب إليه من وعده بفك تجميد أمواله في المملكة. بل ووُعد بأنه يمكن مضاعفة أموالـه المجمـدة بشـرط واحد . أن يخفف الحرج الواقع على المملكة بسبب وجود القوات

الأمـريكية عـلى أرضها، وبسبب الاحتجاجات العنيفة التي أبداها علماء الدين على ذلك، ممـا أدى إلى سجنهم، وهو الأمر الذي ضاعف الحرج وفاقم المشكلة، وكان كل هؤلاء على علاقـة وثيقة بأسامة بن لادن، وكان مطلوبا منه أن يخذلهم ويعلن بأن المملكة تطبق الشريعة الإسلامية بشكل كامل. ورفض أسامة بن لادن ذلك.

بعدهـا تحولـت قضية أسامة إلى قضية ساخنة على جدول أعمال المخابرات الأمريكية وأصبحت تثار بشكل منتظم بين الأمريكان والسلطات السعودية.

ومـع الضغط الاقتصادي والعائلي والوطني على أسامة بن لادن جاءه الضغط السياسي مـن ناحيـة أخـري. فقـد كانت الدول العربية والإسلامية التي حرضت بنيها على الجهاد في أفغانسـتان قـد تنكرت لهؤلاء الأبناء، ولو كانوا في بلد تحترم نفسها لمنحوا أعلى الأوسمة والنياشـين، ولاسـتغلت خبراقم فيما يفيد الأمة، لكن ما حدث كان العكس، كان الحصار والتضييق والاقمام، فاضطر عدد كبير منهم إلى اللجوء إلى أسامة بن لادن في السودان. وكان من هؤلاء من وجد الصد من بلاده، كما كان منهم من قاموا ببعض العمليات العسكرية.

وكـان عـلى أسامة بن لادن ألا يرد من لجأ إليه، أولئك الذين ضحوا بأرواحهم معه في أفغانستان في سبيل الله. وكان عليه أن يدبر لهم موردا للرزق بعد أن ضاقت بهم السبل.

وكـان هـؤلاء هـم الذين سيستشهدون بعد ذلك بتسعة أعوام في قلعة جانجي. حين استهدوا وهم أسرى وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم، حينما قصفت قاذفات البى ٥٢ الثقيلة، ولأول مرة في التاريخ، أسري تضمن سلامتهم المواثيق الدولية.

القراءة بأثر رجعيّ

إنـنا نستطيع أن نقرأ الأحداث الآن بأثر رجعى، من الأمام للخلف، لنكتشف ما كان غامضا، ولتتضح لنا الصورة والمغزى ونفهم السيناريو الأمريكي الذي بدأ مع هؤلاء الشهداء ومع أسامة بن لادن منذ عام ٧٩، حين شجعت أمريكا الدول العربية والإسلامية علي تحريض أبـنائها عـلى الجهاد في أفغانستان، وعلى إصدار الفتاوى التي تحبب لهم الاستشهاد، كانت واشنطن ماتزال تعاني مرارة التجربة الفيتنامية التي دعم فيها الاتحاد السوفيتي الثوار الفيتناميين، فكانت الحرب الأفغانية فرصة للانتقام.

سمحت الحكومات العربية الصديقة للولايات المتحدة والتي تخشى من المد الشيوعي لكثير مـن المتطوعين من مواطنيها بالسفر للاشتراك في تلك الحرب. وكانت أهم الدول التي قدمت

دعمـــا سياســـيا واقتصـــاديا وعسكريا للمجاهدين الأفغان هي السعودية وباكستان ومصر والكويت.

وبعـــد انـــتهاء المعـــركة بهزيمة الاتحاد السوفيتي، كانت أمريكا تخطط ألا تسمح دولهم باستيعابهم مرة أخري، وكانت تدرك أن مثل هؤلاء، إن لم تُبذل جهود كبيرة لإعادة استيعابهم في المجـــتمع المدني أو العسكري لدولهم فإنهم لم يعودوا يجيدون إلا حمل السلاح. فإن لم يوظف حملهم له في الاتجاه الصحيح الذي يرتضونه مع دولهم، فإنهم سيبحثون عنه بأنفسهم. رفضت معظم الدول الإسلامية الاستجابة للنداءات التي وجهت إليها باستيعابهم. و أغلب ظني أن هذا كـــان بـــتدبير من الولايات المتحدة. التي كانت تدرك بالطبع، أن هذا الوضع سيسبب قلاقل شديدة التعقيد في البلاد الإسلامية عموما وفى العربية منها على وجه الخصوص. وفى وسط هذه القلاقل. تستطيع إمبراطورية الشيطان أن تدفع الدول العربية لمحاربة هؤلاء باسم الحرب على الإرهـــاب. ولا ريب عندي، أن أمريكا كانت تدرك منذ البداية ما ستفعله بهؤلاء المجاهدين في النهاية. وكيف ستخلع الأقنعة كلها ذات يوم لتقول - كما تقول الآن - أن الإرهاب مكون أساسي في الدين الإسلامي، في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

إنني لا أدعى الحكمة بأثر رجعي. فرغم أن الصورة كانت متوشة جدا في البداية. فقد ذكرت هذه التوقعات في كتاب كتبته سنتي ٨٥ و ٨٦ ونشر سنة ١٩٨٧ (١).

محاولة اغتيال

نعـــود الآن إلى الســـودان. حيث استمر الحصار على أسامة بن لادن وقد ثقلت أعباؤه وازدادت مهامـــه وقـــلت أمواله. ومع ذلك. كان حتى ذلك الوقت يريد أن يواصل العمل السياسي. وانقضى عام ٩٣ وبدايات ٩٤ وسط الحصار والضغوط والمطاردة ومحاولة اغتيال(٢) قام بها ثلاثة أشخاص. زعيمهم ليبي الجنسية أعدم فيما بعد بينما قتل الثلاثة في العملية. ومثلت هـــذه العملية أولى محاولات التخلص من بن لادن. منذ انطلاق نشاطه في مرحلته السودانية. وكـــان الـــرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون قد كشف بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) الأخيرة أنه أمر بمحاولة اغتيال زعيم القاعدة. لقد ذهب فريق الاغتيال إلى المسجد الذي يصلى فيه بن لادن، و أطلقوا النار على المصلين. فاستشهد ٦١ مصليا، و شاع وقت وقوع الحادث أن مـــنفذيه مهووســـون اســـتهدفوا جماعة أنصار السنة المحمدية التي يصلي عدد من ناشطيها

(١) اغتيال أمة – مكتبة مدبولي.

(٢) الحياة ١٨-١١-٢٠٠١.

في المسجد. وكان الهدف الأساسي للعملية كان بن لادن الذي أصر المنفذون علي البحث عنه، إذ انهم نفذوا ثلاثة عمليات متتالية استهدفته، فقد هاجموا المسجد ثم توجهوا بعد ساعات إلي مقر شركة كان يملكها في وسط الخرطوم ثم بعد ذلك إلي منزله. حيث هاجمه ثلاثة من المسلحين في منزله، في حي الرياض بشرق الخرطوم وأطلقوا عليه وابلاً من الرصاص قبل أن يفروا. وأصابوا عدداً من المقيمين معه لكنه نجا علي رغم وجوده في منزله وقت الحادث.

سحب الجنسية

في بداية عام ١٩٩٤ ميلادية أصدر الملك فهد قرارا بسحب جنسية أسامة بن لادن.. وقد تزامنت هذه الأحداث مع تطورات داخل المملكة كان يتابعها أسامة بعناية. وهي تتابع عدد من المذكرات مطالب الإصلاح من قبل التيار الإسلامي والتي كان آخرها قضية لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية وحملة الاعتقالات على مؤسسيها والمتعاطفين معها وذلك قبل أن تبدأ اللجنة العمل من لندن. هذه التطورات دفعت أسامة لأن يأخذ أول مبادرة معلنة ضد الحكومة السعودية وذلك في أوائل سنة ١٩٩٤ حين أصدر بيان شخصيا يرد فيه على قرار سحب الجنسية .

قضية فلسطين والرسالة إلى ابن باز

يردد المنافقون أبواق الدعاية الأمريكية والصهيونية أن أسامة بن لادن لم يهتم بقضية فلسطين قبل أحداث ١١ سبتمبر. ومثل هذه الأكاذيب لا يمكن أن يطلقها إلا من هم علي جهل فادح بالإسلام. فالإسلام لا يعترف بالحدود التي وضعها الاستعمار لبلادنا. والإسلام نفسه هو الوطن. وجهد الدفع[١] يلزم المسلم في أقصي الشرق بالدفاع عن المسلم في أقصي الغرب. وبالرغم من هذا كله إلا أن الأمر لا يقتصر علي الجهل. بل هو الكذب الرخيص، لأن من أطلقوا هذه الفرية لابد أنهم قرءوا رسالة المجاهد أسامة بن لادن إلي الشيخ إبن باز وعنوانها: "رسالة مفتوحة للشيخ ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود " .

ويتناول أسامة بن لادن في رسالته قضايا الفتاوى المتعلقة بالمسلمين في كل مكان في العالم الإسلامي حتى يصل إلي الفتوى بإباحة الصلح مع إسرائيل فيقول :

"هذه بعض الأمثلة التي لم نقصد منها الحصر ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يسمى بهتانًا بالسلام مع اليهود والتي كانت

(١) جهاد الدفع هو ما يجب أن يفعله المسلم لدفع العدو حين تُغزى بلد إسلامية.

فاجعــة للمسلمين ، حيث استجبتم للرغبة السياسية للنظام لما قرر إظهار ما كان يضـــمره من قبل ، من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليهود ، فأصدرتم فـــتوى تـــبيح الســـلام مطلقًا مقيدًا مع اليهود ، فما كان من رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها ، كما أعلن النظام السعودي عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع اليهود .

وكـــأنكم لم تكـــتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين لقوات الاحتلال اليهودية والصليبية ، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستســـلام الـــتي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب مع اليهود إن هذا الكـــلام خطـــير كبير ، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس والتلبيس على الأمة من عدة جوانب "..

ويستطرد المجاهد أسامة بن لادن في بيان أوجه فساد الفتوى..

بقي أن نعلم أن تاريخ هذه الرسالة هو:

٢٧/٠٧/١٤١٥هجرية الموافق ٢٩/١٢/١٩٩٤م !!.

★ ★ ★

بعد هذا البيان قرر أسامة أن يتحرك علنا بالتعاون مع آخرين فأدى ذلك إلى ظهور هيئة النصيحة و الإصلاح.

وحـــين رأى أســـامة وعدد من المتعاونين معه الحملة التي شنتها الدولة ضد لجنة الدفاع واعـــتقال عدد من مؤسسيها وآخرين من دائرتهم أشار عليه بعضهم بتكوين هيئة بديلة سماها "هيـــئة النصيحة والدفاع عن الحقوق الشرعية" كتعويض عن اللجنة بعد أن قمعت. وأصدر العديد من المذكرات.

متى بدأ التفكير في العمل العسكري ؟

ليـــس هـــناك إجابـــة جاهزة لهذا السؤال، لكن على الأرجح أن ذلك تم في خلال عام ١٩٩٤، و الأرجـــح أن أسامة بن لادن قد اكتشف في ذلك الوقت اكتشافا خطيرا لم تدركه الأمة. فقـــد اكتشف أنه ممنوع من العـــمل، وأنه كمجاهد وبطل غير مسموح له إلا بحـــال مـــن أحـــوال ثلاثـــة – إضافة إلى الموت – : الاستسلام الكامل والخنوع والعمالة للولايات

المتحدة، أو العودة إلى بلده كي يقضي باقي عمره في السجن أو دفعه إلى العمل العسكري حيث يمكن أسره أو قتله.

الخيارات الأمريكية الثلاثة

كما ذكرنا من قبل، في عام ١٩٨٩ كان أسامة بن لادن قد عاد إلى المملكة العربية السعودية بطلا تتجاوز بطولته وطنه ليصبح رمزا في العالم الإسلامي كله تكلله هالات فخار ومجد وانتصار هائل حققه في أفغانستان ضد القوة الجبارة للاتحاد السوفيتي.. وفي ذلك العام.. وقبل الغزو العراقي للكويت بأكثر من عام . ووضع خطة لتلافيه قبل أن يحدث ثم لمواجهته بعد أن حدث.

وقيل أن السؤال الذي طرح أيامها في دول الجزيرة العربية ثم عبر إلى إمبراطورية الشيطان لم يكن : وماذا لو لم تنجح خطة أسامة بن لادن؟ كيف يكون التصرف.. لم يكن هذا هو التساؤل الذي طرح ولم يكن المشكلة.. فقد كان السؤال الذي طرح.. وكانت المشكلة: وماذا لو انتصر.. ؟!.. كيف سنستطيع بعدها أن نحول بينه وبين الوصول إلى الحكم بل كيف نحول بينه وبين زعامة العالم الإسلامي كله.؟!!

يبدو أن أسامة بن لادن أدرك في ذلك الوقت مرامي السيناريو الأمريكي الكامل. و أن بنود الحصار الثلاثة التي تفرضها الولايات المتحدة عليه ليست مقصورة عليه وحده، إنما هي منهج، وهذا المنهج هو الذي يطبق أيضا على البلاد الإسلامية. و أن مثل هذا المنهج يطبق على سبيل المثال على السودان، فلا التنمية مسموح بها.. ولا الاستثمار ولا الإفلات من براثن الفقر.. ولا زراعة قمح قد يغني العالم العربي عن القمح الأمريكي. وأنه غير مسموح للسودان إلا باختيار من ثلاثة – تماما كأي بلد مسلم.. فما يختلف فقط هو الأولويات وانتظار من يحين دوره – : إما التبعية الكاملة والعمالة الشاملة، و إما الحصار حتى التفكك، و إما شن الحرب عليها. وخلال تلك الفترة حدث تطوران هامان ربطا بأسامة . الأول : أحداث الصومال واليمن . والثاني : انفجار الرياض . في أحداث الصومال كان هناك فصيل صغير يقوده مجموعة ممن سبق أن تدربوا في أفغانستان وكان لهم دور في العمليات النوعية ضد الأمريكان. أما في اليمن فقد تكتمت اليمن وأمريكا على الأحداث التي قتل فيها عدة أمريكان في أحد الفنادق في عدن. واتخذ أسامة بن لادن موقفا لن يغيره بعد ذلك أبدا. إنه يؤيد هذه الأعمال ويشيد بها لكنه لا يعترف بارتكابها.

في عام ١٩٩٢، وفجأة، انفطر قلب العالم جزعا، وامتلأت صفحات الصحف وشاشات الفضاء بصور تمزق نياط القلب للجوعي والموتى في الصومال. وهى مناظر وأخبار انقطعت بعدها فلم يعد أحد يذكرها قط. فكل الحديث الآن عن معسكرات القاعدة هناك، تمهيدا لاحتلال جديد.

وكان ذلك هو التمهيد الإعلامي – الذي طالما خدع الناس في الحضارة الغربية – لاحتلال الصومال، وتقسيم السودان وتهديد مصر بالاقتراب من منابع النيل ، والتواجد في القرن الأفريقى للتحكم في البحر الأحمر وتهديد اليمن وشبه الجزيرة العربية، و ما لبث هذا الاحتلال أن تم فعلا تحت راية الأمم المتحدة في عملية سموها: "إعادة الأمل"(١).. كما تقول تسمية العملية الدولية التي جاءت بخليط متنافر من قوّات متعددة الجنسيات (شرقية وغربية) تابعة للأمم المتحدة، وقوّات أخري من مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) إلي الصومال في ديسمبر عام ١٩٩٢.

وكان تحليل أسامة بن لادن للتدخل الأمريكي أن أمريكا غير معنية بمجاعة الشعب الصومالي، و أن تواجدها هناك حلقة في سلسلة حربها على الإسلام. وكان يري أنها تخشى من النتائج الاستراتيجية بالغة الحساسية لنجاح السودان في دعم الحركات الإسلامية في مصر وأريتريا و أثيوبيا وكينيا بل والجزيرة العربية أيضا. كان السودان هو المستهدف الرئيسي بعملية : " إعادة الأمل" . وفى السودان كان هو ومن معه من الأفغان العرب على رأس المستهدفين .

ممارسات الجنود الصليبيين في الصومال هتكت في وقت قصير ما ادعاه الإعلام الغربي من مروءة و إنسانية تستهدف إنقاذ الجياع .

فالجنود البلجيكيون الذين جاءوا لإعادة الأمل انخرطوا سريعا في مباذل تقشعر لها الأبدان، كأن يقيدوا صومالياً ويتبوّلوا عليه مثلاً. ثم جاء بعدها دور الجنود الكنديين وضباطهم الكبار، الذين تستروا علي مقتل صومالي مدني شاب برصاص القادمين لإحياء الأمل. ثمّ جاء دور إيطاليا، بلد برلسكوني الذي يطالب اليوم بغزو العالم الإسلامي المتخلف وفرض قيَم

(١) نفس الخطط والأهداف لا تتغير أبدا. فما فشلت فيه الولايات المتحدة عام ١٩٩٢، هو بعينه ما تفعله الآن : ٢٠٠٢م.

الغرب عليه. وكانت مجلة بانوراما الإيطالية قد نشرت عدداً من الصور لا تقوم بإحياء أي أمل بقدر ما تقوم بإحياء أسوأ ما في الماضي الاستعماري من مباذل لا أخلاقية، وعربدة صارخة ضد حقوق الإنسان، واحتقار عنصري لأبناء البلد.

ففي المجلة، ثمة صورة أولي لمواطن صومالي عارٍ ملقي علي الأرض. يجري تعذيبه بأسلاك كهربائية من قبل جنود إيطاليين غارقين في ضحك هستيري وبهجة سادية. صورة ثانية تمثّل فتاة صومالية مربوطة إلي شاحنة عسكرية، يغتصبها الفرسان أنفسهم بطريقة بالغة البشاعة. وسط مناخات البهجة ذاتها، وتحت رايتين متحدتين: علم إيطاليا وعلم الأمم المتحدة. الصور الأخرى لفظيـــة، ولكنها لا تقلّ دلالة. المظلّي ستيفانو اعترف للمجلة بأن الجميع كانوا يمارسون هذه الأعمـــال، وقال: لقد انفصلنا عن ذواتنا في تلك الفترة، لأننا انتقلنا من عالم متمدّن إلي عالم بربـــري.. مظلّي آخر هو بنديتو برتيني أماط اللثام عن موقف الضباط الكبار في القشرة العليا مـــن القيـــادة: كانوا يقولون إننا لا ينبغي أن نعامل الصوماليين معاملة بني البشر، والنصيحة الذهبية في حال الارتياب هي: أطلقوا النار! حتى إذا كان الأمر يتعلق بامرأة أو بطفل.

ويجـــب علينـــا أن نلاحـــظ جيداً هذا الامتزاج الرهيب بين فكرة الانتقال من المدنية إلي البربرية وفكرة تصنيف الصوماليين في فئات السائمة أو الوحوش أو الجماد أو أية فئة أخري مـــا خـــلا النوع الإنساني. ولاحظوا أيضاً أن هذه الممارسات كانت تتمّ وسط شعور عامٍ بأن تقديم العون إلي هؤلاء البرابرة يبرراقتطاع لذّة عابرة هنا أو طقس وحشي هناك.

الانتقام والمقاومة

لم يعـــترف أســـامة بن لادن بمسئوليته عن عملية فدائية في فندق مور هوتيل في عدن تم فيها قتل ثلاثة من العسكريين الأمريكيين وجرح خمسة آخرين. ولكن ضباط الأمن المصريين الذين استدعتهم اليمن للتحقيق في ملابسات الحادث اتهمت به أسامة بن لادن.

وبـــدأت القـــوات الأمريكية في الصومال تشن غارات مكثفة على الصومال سقط فيها مـــئات الضـــحايا بحجـــة ضـــرب معسكرات الأصوليين. وفى هذه الغارات تم هدم العديد من المساجد و الآثار الإسلامية. وكان الوضع في الصومال هو نفس ما سوف تقوم به أمريكا في أفغانستان بعد تسع سنوات، لكن بوحشية أشد، وبربرية مضاعفة.

وقـــد رد المجـــاهدون الصـــوماليون على الوحشية الأمريكية، ونجحوا في إسقاط طائرة أمـــريكية وقـــتل ١٨ أمريكيا. وشاهد المواطن الأمريكي قتلاه على شاشة التلفاز، وحاولت

الولايات المتحدة مواصلة خطتها العسكرية، وكثفت من قصفها، واندلعت مظاهرات حاشدة في كافـــة أنحاء الصومال ضد تواجد الأمم المتحدة، وانكشف الغطاء الذي استتر خلفه الغزو العسكري، واضطرت أمريكا إلي سحب قواتها على عجل، وبعدها انسحبت باقي القوات.

و اتهمت أمريكا بن لادن بأنه وراء ذلك.

الهجرة مرة أخري

بعـــد أحداث الصومال وانفجار الرياض بدأت إقامة بن لادن في السودان تسبب حرجا شديدا للحكومة السودانية وتعرضت الحكومة السودانية لضغط شديد من أمريكا ودول عربية لإخراجه أو لتسليمه. وتحمل السودانيون الضغوط لأمد ثم بدءوا يضغطون على الأفغان العرب للخـــروج من الســـودان. وكان أسامة على علم بالضغط الذي تعرضت له الســـودان لأن الســـودانيين كانوا يحيطونه علما بذلك بل ربما صارحوه في مرة من المرات أنه يجب أن يفكر بالخروج.

عندما أحس أسامه أن السودانيين لم يعودوا يحتملون بادر من تلقاء نفسه بترتيب عملية الخـــروج من السودان. وللإعداد لعملية الخروج اتصل أسامة بأصحابه القدامى من المجاهدين الأفغـــان واختار منهم الشيخ يونس خالص والشيخ جلال الدين حقاني الذين كان لهما نفوذ قـــوي في مـــنطقة جلال آباد وكان ذلك قبل أن يمتد نفوذ طالبان خارج قندهار حين كانت مناطق أفغانستان موزعة بين الفصائل الأفغانية.

ثلاث صدمات

حتى ذلك الوقت كان أسامة بن لادن قد تعرض من الناحية المالية لثلاث صدمات أثرت عـــلى نشـــاطه المالي بشكل كبير. الصدمة الأولى هي قرار الحكومة السعودية بتجميد أمواله المعـــروفة المنقولة منها والثابتة وذلك بعد أن علمت أن لا أمل في رجوعه بعد الخروج الأخير. وقيمة هذه الأموال تتراوح بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار عند التجميد حيث وضعت تحت سيطرة جهات رسمية . هذه القيمة هي التي ترددها كثير من وسائل الأعلام حين تتحدث عن بـــن لادن وتذكـــر قيمة أملاكه أما الأموال التي تحت تصرفه حاليا فقضية أخرى.. فقد قدر الرئيس السابق لجهاز المخابرات السعودي الأمير تركي الفيصل ثروة أسامة بن لادن بما يصل إلى خمسين مليون دولار، وهو ما يقل كثيرا عن الثلاثمائة مليون دولار التي ذكرت تقارير كثيرة أنه ورثها عن والده، مشيرا إلى أن هذه الأموال قد تكون مودعة في حسابات مصرفية سرية.

وقال الأمير تركي في مقابلة خاصة مع تلفزيون "mbc" إن الأرقام في الغرب عن أن ثروة بن لادن تتراوح بين مليار إلى مليارين وربما ثلاثة مليارات دولار، غير أن تقديراته عندما كان رئيسا للمخابرات العامة لم تزد عن أربعين إلى خمسين مليون دولار كحد أقصى حسب تقديره.

الصدمة الثانية جاءت من عجز الحكومة السودانية من دفع تكاليف المشاريع التي نفذها أسامة والتي كان أشهرها طريق التحدي الذي يربط بورسودان بالخرطوم. ويعتقد أن بن لادن لم يستطع استخلاص أكثر من ١٠% من الأموال التي يطالب بها الحكومة السودانية والتي ربما تجاوزت ٢٠٠ مليون دولار.

الصدمة الثالثة جاءت من اضطراره للتخلص من عدد من الشركات التي تسرب خبرها للحكومة السعودية وإقفالها.

وتحدث أسامة بن لادن بعد ذلك بمرارة فذكر كيف أبلغه الرئيس عمر البشير عن إنه عليه أن يرحل في غضون أيام، وإلا سيضطر إلى تسليمه للمملكة العربية السعودية، وقيل أن الملك فهد رفض عرضاً سودانياً باستلام بن لادن، لقد طعنوه في الظهر، وبعد أن استثمر أمواله عندهم طلبوا منه الرحيل، طلب منهم نقوده التي أقرضها للحكومة، قالوا له أنهم لا يملكون أي سيولة، وأنه يستطيع أن يأخذ مقابلها أذرة أو صمغا أو أغناما أو أي شئ يمكن له أن يحمله معه إلى الخارج.. كان الوضع هزليا تماما.. إذ كيف يستطيع إنسان مطارد من قبل أمريكا وأوروبا ومن بلده ومن عالمه العربي، وبلا جواز سفر، كيف يستطيع وهو يطرد فيفر تحت جنح الليل أن يصطحب هذه الأشياء معه، أشياء قيمتها ٢٠٠ مليون دولار.

ولقد عبر أسامة بن لادن لعبد البارى عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي عن مدى مرارته مما حدث. لقد أبعدوه من السودان دون أن يقبضوا الثمن، لا من المملكة العربية السعودية ولا من مصر ولا من الولايات المتحدة الأميركية. فلا علاقاتهم مع مصر تحسنت، ولا هم حصلوا على مساعدات من السعودية، ولا رفعتهم الولايات المتحدة الأمريكية من قائمة الإرهاب ، ولقد صرح بأنه لم يكن لديه مانع من أن يفتدى السودان وأن يضحي في سبيل مصلحة تحصل عليها. لكن المشكلة أنهم أبعدوه دون أن يقبضوا الثمن، بل بالعكس بدل أن يكافئوا، عوقبوا بقصف مصنع "الشفاء" في الخرطوم، وباستمرار الحصار، وبتآكل التضامن بين أجنحة النظام بفعل الضغط والمؤامرات، ومازالت السودان حتى هذه اللحظة على قائمة الإرهاب في الخارجية الأميركية.

وقـد تبين بعد ذلك أن الحكومة الفرنسية سعت لإقناع السودانيين بتسليمهم إياه لأنه سـبق و أن سـلموا لهم كارلوس. و ضغط الأمريكيون على الفرنسيين لكي يخطفوا بن لادن بأنفسهم من السودان[1] .

وبعـد أن أمن أسامة موقعا له في جلال آباد أعد العدة لمغادرة السودان في عملية غاية في السـرية . ومن أجل ذلك أعد طائرة خاصة حملته مع عدد من أنصاره إلى أفغانستان حيث اسـتقبل هـناك مـن قبل الشيخين يونس خالص وحقاني. وبعد وصوله هناك أرسل رسالة إلى الفصـائل الأفغانية يخبرهم أنه لا يزال على التزامه بعدم الدخول في خلافاتهم وصراعاتهم. وكان ذلك قبل أن يستولي الطالبان على جلال آباد ومن ثم على كابل.

ومـنذ أن وصل هناك بدأت الأحداث تتتابع مرة أخرى بشكل دراماتيكي من انفجار الخـبر إلى اسـتيلاء الطالـبان على جلال آباد إلى محاولة خطف لأسامة إلى بيان الجهاد ضد الأمريكان الذي أصدره في نوفمبر ١٩٩٦.

في يونيو من عام ١٩٩٦ هز مدينة الخبر انفجار كبير أودى بحياة عشرين من العسكريين الأمريكان وجرح مئات آخرين.

لم يعلن أسامة أي مسؤولية له عن انفجار الخبر لكنه استخدم أسلوبا شبيها بتعليقه على انفجار الرياض فهو يؤيد الانفجار دون أن يتبناه.

إعلان الجهاد

بعـد انفجار الخبر بفترة بسيطة أصدر أسامة بيانه الأول بعنوان "اعلان الجهاد لإخراج الكفـار من جزيرة العرب". ولم يصدر البيان هذه المرة من هيئة النصيحة والاصلاح بل صدر مـنه بشـكل شخصي وباسمه . جاء البيان في اثني عشر صفحة معتبرا وضع الجزيرة بوجود القوات الكافرة فيه أنه وضع لم يمر على الجزيرة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

في تلك المرحلة حاول السفير السعودي في إسلام آباد الضغط على يونس خالص وحقاني لتسـليم أسامة وحاول اغراءهما بعروض معينة لكن رد يونس خالص كان حاسما. قال يونس خـالص لو لجأ إلينا عنز أو حيوان لحميناه فكيف برجل باع نفسه وماله في سبيل الله والجهاد في أفغانستان.

---

(١) فيما بعد. انفجرت الفضيحة. فالحكومة السودانية عرضت تسليمه. لكن السعودية و أمريكا رفضتا تجنبا للآثار السياسية لمحاكمته.

بعد ذلك اجتاحت طالبان المنطقة التي كان أسامة مقيما فيها وكان قد عرف شيئا عنهم لأن يونس خالص وحقاني كانا قد انضما إلى طالبان لكن لم يكن أسامة على علم بما سيئول إليه وضعه. لم يدم انتظار أسامة طويلا حتى أرسل ملا عمر زعيم طالبان وفدا لمقابلة أسامة وطمأنته واعتباره ضيفا موروثا من الذين قبله وتعهد له بالحماية . لكنه طلب منه على شكل رجاء التوقف عن أي نشاط إعلامي لان أسامة كان قد قابل محطة سي إن إن ومحطة القناة الرابعة البريطانية في تلك الفترة.

محاولة اختطاف

التطور الآخر الذي حدث بعد ذلك والذي اضطر أسامة للانتقال إلى قندهار هو محاولة الاختطاف التي تسرب خبرها لأسامة وأجهضت قبل أن تنفذ. حيث تم تمويل مرتزقة من القبائل على الحدود الباكستانية الأفغانية لتنفيذ هجوم سريع على المنطقة التي يقيم فيها أسامة وخطفه أو قتله وساهمت باكستان ودول أخرى معروفة بترتيب العملية. تسرب خبر العملية بسرعة لأسامة فرتب أمره على وجه السرعة للانتقال إلى قندهار الأكثر أمنا حيث معقل الطالبان.

وجها لوجه مع ملا عمر

بينما كان أسامة في جلال آباد حدث تطور هام في مسيرة الطالبان وهي دخولهم كابل بلا معارك تقريبا. وقد حول دخول كابل في سلطة طالبان الأوضاع لصالح طالبان . حيث أصبحت طالبان هي القوة الأكبر في أفغانستان رغم الاعتراف المحدود بها. و بعد أن توجه أسامة إلى قندهار حرص على أن يقابل أمير الطالبان ملا عمر شخصيا لأنه حتى تلك اللحظة لم يقابل ملا عمر رغم المراسلات الكثيرة بينهما . تمت المقابلة فعلا وكان جوها وديا جدا. رحب ملا عمر بأسامة وعبر له عن سروره باستضافته وتشرفه تشرف طالبان بالدفاع عنه أولا كضيف عربي كريم وثانيا كمجاهد قاتل معهم في حرب أفغانستان. في نفس اللقاء تحدث ملا عمر عن التحديات الخطيرة التي تواجه الطالبان بعد دخول كابل وخاصة مواجهة قوات دوستم وقال لأسامة إنه قد يكون من الأولى تخفيف الحملة الإعلامية وأن ذلك مجرد طلب وليس أمرا ولا إلزاما. رد عليه أسامة بأنه قرر التخفيف أو التجميد الكامل للنشاط الإعلامي لفترة حتى قبل أن يطلب منه فارتاح ملا عمر لذلك. هذه هي حقيقة العلاقة، أما تتناقله الصحف عن زواج الملا من إحدى بنات بن لادن فهو أمر ينفيه الطرفان.

اعتراف سعودي بحكومة طالبان

في تلك الأثناء كانت الحكومة السعودية قد اعترفت بطالبان فيما يعتقد أنه محاولة إحراج لطالبان للتعاون معها في قضية أسامة. ذهبت الحكومة السعودية شوطا أبعد حين أرسلت تدعو كل أعضاء حكومة طالبان والملا عمر شخصيا للحج و العمرة وتستضيفهم كضيوف رسميين. بل إن أحد الشخصيات الرئيسية في حكومة طالبان وهو محمد رباني رئيس الوزراء زار المملكة فعلا لأداء الحج لكن يبدوا أن "حسن الضيافة" لم تغير من مواقفه ولا مواقف حكومته. لم يتغير موقف طالبان من أسامة وردت بأدب عدة وفود أرسلتها الحكومة السعودية تفاوتت بين دبلوماسيين ورجال أعمال وأقارب أسامة وشخصيات استخباراتية.

أسامة طرف في الحرب الأفغانية

تطور آخر حصل في تلك الأيام أدى إلى رفع أسهم أسامة عند الطالبان وهو تغييره موقف الحياد الذي التزم به في خلافات الفصائل الأفغانية واتخاذه قرارا بالدخول بقوة مع الطالبان ضد دوستم ووجه أوامر لرجاله بالقتال مع طالبان. وبعد أن أصر شاه مسعود أن يدخل طرفا في الحرب أصدر طلبة العلم المرافقين له فتوى بأن قتال مسعود جهاد شرعي. كان لهذا القرار دور مهم في مساعدة الطالبان الذين لم يكونوا رتبوا أنفسهم بعد ، وكل انتصاراهم الأولى حصلت تقريبا دون قتال بسبب حرص الناس عليهم وتنازل القواد الميدانيين لهم. أما دوستم ومسعود فقواهم أكثر تماسكا لأنهم أقنعوا أتباعهم أن الحرب عرقية وليست دينية. وساعد على تماسكهم اعتماد دوستم على الأوزبك ومسعود على الطاجيك وسعى مسعود ودوستم إلى إقناع أتباعهما أن طالبان ليسوا إلا بشتون يريدون السيطرة عليهم. أضف إلى ذلك أن العالم الغربي لم يشعر بخطورة طالبان إلا بعد سقوط كابل وحمايتهم لأسامة ودعا ذلك إلى أن يحظى مسعود ودوستم بدعم سخي من روسيا وأمريكا وتركيا وإيران وجهات أخرى. كاد الطالبان أن ينهاروا بعد أن واجهوا هذه القوات المنظمة المدعومة والمتماسكة وفي مرتين على الأقل كانت الكتائب التابعة لأسامة هي التي ردت تلك القوات عن كابل فحفظها له الطالبان وارتفعت أسهمه عندهم.

محاولة اختطاف أخرى

لم ييأس الأمريكان وحلفائهم من محاولة الإمساك بأسامة. وبعد أن تبين أن إقناع الطالبان مستحيل فكر الأمريكان مع الباكستانيين والدولة الثالثة بإعداد خطة لخطف أسامة عن طريق عملية كوماندوز منطلقة من الأراضي الباكستانية.

بدأ التدريب على العملية في نهاية ربيع عام ١٩٩٧ على أن يتم التنفيذ في بداية الصيف وتم التكتم على العملية بشكل شديد لكن بسبب دخول باكستان طرفا فقد كان حفظ السر مســتحيلا لأن بالمخابرات العسكرية الباكستانية تعاطف كبير مع أسامة. تسرب الخبر لأسامة وجهات عربية أخرى فبادرت بتسريبه للصحافة فانفضحت الخطة الأمريكية وألغيت. لم يعترف الأمــريكان بما نشر – كالعادة – ولكنهم اعترفوا بعد ذلك وأعزوا إلغاء الفكرة إلى الخوف من وفيات في صفوف الأمريكان[1] .

علماء طالبان مع بن لادن

في نهايــة عام ١٩٩٧ وبداية ١٩٩٨ قرر أسامة أن يستعيد نشاطه فبدأ أولا مع علماء طالــبان وباكستان. نجح أسامة في استصدار فتوى من حوالي أربعين عالما من علماء أفغانستان وباكســتان تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب. وزعت الفتوى على نطاق واســع في باكســتان وأفغانستان وسربت للصحافة حيث نشرت مقاطع منها صحيفة القدس العربي.

كان أسامة يهدف من هذا البيان أن يكون بداية مشروع إسلامي شامل لتجييش علماء المســلمين ضــد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب على أساس أن هذه التوقيعات ستجمع من جهات وبلاد أخرى .

الجبهة الإسلامية العالمية

صــادف هــذا التطور – أو ربما كان من أسبابه أو من نتائجه و الله أعلم – تجمع عدد من قيادات الجماعات الإسلامية وخاصة جماعة الجهاد المصرية في أفغانستان وتقاطر عدد كبير من الوفود من باكستان وكشمير على أسامة. أحد هذه القيادات تمكن من إقناع أسامة بتوسيع مفهــوم الحرب مع أمريكا إلى قتال لها في كل مكان. وتوسعت القناعة لتشمل بدلا من مقاتلة أمــريكا قــتل كل أمريكي في سن القتال في كل زمان ومكان ومعهم اليهود. وكان التكييف الشرعي هو أن الأمريكان يحتلون بلاد الحرمين ولذلك فإن كل أمريكي يعتبر داعما لاحتلال الجزيرة العربية، وبما أن الأمريكان واليهود يقاتلون المسلمين في كل مكان وزمان ويستبيحون دم المدنيين من المسلمين فإن قتل الأمريكان واليهود مشروع أيا كان الزمان والمكان.

---

(١) ســوف تثور نفس الشكوك في المخابرات الباكستانية بعد ذلك، بعد فشل هجوم للكوماندوز الأمريكيين علي منزل للملا عمر.

المبرر السياسي هو أن أمريكا أصبحت العدو الأول للإسلام وصارت تتربص بالمسلمين والجماعـات الإسـلامية الدوائر ولم يعد هناك قوة تنافسها ولذا فإن من الضروري أن يشعر المسلمون أنهم أعداء لأمريكا وأن تتحول هذه القضية لقضية إسلامية أولى في كافة أنحاء العالم الإسلامي

تحولـت القناعة إلى عمل وذلك من خلال إصدار بيان الجبهة الإسلامية العالمية في فبراير عـام ١٩٩٨ الـذي يدعو إلى قتل الأمريكان واليهود في كل مكان وزمان. وقع البيان مع بـن لادن عن جماعة الجهاد المصرية الدكتور أيمن الظواهري ورفاعي طه أحد مسئولي الجماعة الإسـلامية المصـرية كمـا وقعه رئيس أحد الفصائل الكشميرية وأحد القيادات الباكستانية المشهورة. وزع البيان و نشرته الصحافة وكان علامة تحول كبيرة من عدة أوجه :

أولاً : مـثل هذا البيان القفز إلى مشروع عالمي بدلا من التركيز على قضية القوات الأمريكية في جزيرة العرب.

ثانياً : مثل هذا البيان ما اعتبره البعض تخليا عن الحذر الذي كان يحرص عليه أسامة في الموقف الشرعي والإصرار على توسيع دائرة إباحة الدم.

ثالـثاً : دخول أسامة لأول مرة كطرف فيما يشبه تحالفا إسلامي من الجماعات الجهادية بعد أن كان يعمل مع مجموعته ويرفض التحالفات المعلنة مع إقراره لفكرة التعاون والتنسيق دون حلف معلن.

السفارات الأمريكية تتفجر

بعـد تصـريحات بـن لادن بأنه سيضرب خلال أسابيع بقي الأمريكان في حالة ترقب وقد استعدوا في حالة تأهب قصوى ضد أي هجمات ولكن كل استعداداتهم كانت في المنطقة العربية والخليج و إلى حد ما القرن الأفريقي. وبينما الأمريكان في كامل التأهب أتتهم الضربة في الموقـع الذي لم يتحسـبوا له. سفاراتهم في كينيا وتنزانيا، وذلك حين نسفت السـفارتين شاحنتين ممتلئتين بالمتفجرات يوم السابع من أغسطس ١٩٩٨ .

لوحظ في التعليقات الصحفية والدراسية أن الحادثين ربطا بالوجود الأمريكي في المنطقة عمومـا وفي المملكة خصوصا، وربطا بسياستها مع إسرائيل[١] والعراق ودعمها للحكومات

(١) سـوف يدعي الحداثيون والتنويريون بعد ذلك أن أسامة بن لادن لم يذكر فلسطين قط قبل أحداث ١١ سـبتمبر. وقد تصاعدت حملتهم مع إعلان المخابرات الأمريكية عن تخصيص ثلاثين مليون دولار لإنفاقها علي عملائها الذين كلفوا بتشويه صورة أسامة بن لادن.

في المـنطقة وتعاونها في القبض على مطلوبين من الإسلاميين وتشجيع اعتقال آخرين. من جهة ثانيـة بدا لهذه القضية أهمية من خلال إحراج الأنظمة العربية المتعاونة مع أمريكا في سياستها ضد الإسلام، حيث ساد شعور لدى تلك الأنظمة أن هؤلاء الجهاديين تجاوزوهم إلى أسيادهم الأمريكان، بمعنى أن لديهم من القدرات اللوجستية أكبر من مجرد مواجهة تلك الأنظمة، وهذا فيه درجة عالية من الإحراج.

الأمريكان يردون

لم يـتحدث بـن لادن علـنا بـل نقل عنه نفي مسئوليته عن الانفجارين. لكن يبدو أن الأمـريكان كان لديهم استنتاج آخر توصلوا إليه منذ الأسبوع الأول بعد الانفجار وهو أن بـن لادن مسـؤول مائة بالمائة عن الانفجارين سواء اعترف أم لم يعترف. وبناء على تلك المعـلومات المزعومة قام الأمريكان بعمليتهم المشهورة في ضرب السودان وأفغانستان. حيث انهـالت عـلى السودان وأفغانستان عشرات صواريخ كروز موجهة لضرب هدفين محددين في السودان وأفغانستان.

السعودية لم تيأس

لم تتوقف محاولات الحكومة السعودية في الضغط على طالبان بتسليم بن لادن ومن اجل ذلـك لجأت الحكومة السعودية إلى آخر سهم في كنانتها وهو إرسال أكثر الأمراء السعوديين خـبرة بأفغانستان تركي الفيصل. توجه تركي الفيصل بصحبة عبد الله التركي وزير الشؤون الإسلامية وسلمان العمري القائم بالأعمال السعودي في كابل

في قـندهار قـابل الوفـد الملا عمر وطلب تسليم بن لادن لأمريكا ودارت بين الوفد السـعودي وبين طالبان ملاسنة حادة قال فيها الملا عمر أنهم إذ كانوا يتحدثون باسم أمريكا فلا يلومونه إذا قال أنه يتحدث باسم بن لادن. وكانت عبارة ملا عمر هذه من باب الإحراج للوفد الذي طلب منه تسليم بن لادن لأمريكا وإلا فإنه سيعتبر موافقا مع بن لادن في توجهاته الأخيرة. وفي اللقاء ادعى تركي الفيصل أنه قدم بناء على طلب من الملا عمر من أجل استلام بـن لادن. فأنكر ملا عمر وجود هذا الوعد، بل انتقد شرعية مثل هذا الطلب أصلا. فاشتد الـنقاش بين الطرفين إلى درجة أن الملا عمر وجه كلاما خشنا للوفد السعودي تردد المترجم في ترجمته فنهره الملا عمر وأصر على ترجمته حرفيا. وقبل أن ينصرف تركي الفيصل طلب منه المـلا عمـر أن يصـطحب معه القائم بالأعمال السعودي . وقررت السعودية قطع العلاقة مع طالبان .

الصحافة السعودية تنقلب مع الحكومة

ما إن صدر القرار السعودي بقطع العلاقة الدبلوماسية مع طالبان حتى انقلبت الصحافة السعودية على طالبان. و تحول من كانوا يوصفون من قبل نفس الصحافة في فترة الرضا بأنهم طلبة علم يطبقون الشريعة ، إلى مرتزقة وقطاع طرق وتجار مخدرات ومراكز للإرهاب الدولي والتخلف الحضاري. صحف أخرى لم تهتم بهذا الجانب بقدر ما اهتمت بقضية بن لادن وأبرزت طالبان كجماعة نفعية تحمي بن لادن اليوم لمصالح مؤقتة وتبيعه غدا، وزعمت جريدة " الشرق الأوسط " [1] حينها أن ملا عمر قد حنث بيمينه وسوف يسلم بن لادن والقضية قضية وقت.

والدة بن لادن تُحشر في اللعبة

رغم فشل زيارة تركي الفيصل لم ييأس السعوديون وقرروا استخدام وسيلة أخرى ليس لها علاقة بالطالبان وهي الضغط مباشرة على بن لادن. كانت والدة بن لادن ممنوعة من السفر وحرمت من زيارته عندما كان في السودان، وكانت الحكومة السعودية تعلم انه في أشد الشوق إليها، فعمدت إلى ترتيب زيارة خاصة لوالدته بطائرة خاصة تقلها إلى قندهار من أجل الضغط عليه. وفعلا وصلت الأم وقابل أسامة والدته فعلا بعد غياب سنين، ولا غرابة أن كان اللقاء عاطفيا رقيقا لكن بن لادن كان واضحا تماما أن قضاياه ليست مطروحة للنقاش. وعادت الوالدة المكلومة بعد أن كحلت عينها برؤية ابنها أسامة (ربما للمرة الأخيرة) لكن الزيارة لم تحقق أي مطلب.

إعلان الحصار على الطالبان

في ٢٣ يوليو ١٩٩٩م صدر قرار من مجلس الأمن للأمم المتحدة يفرض الحظر على حكومة طالبان لإيوائها أسامة بن لادن. كانت إجازة مجلس الأمن للقرار دليلا على إن كيان المجلس مستعد لتنفيذ أوامر أمريكية بطريقة مخجلة ولا نريد أن نعلق كثيرا لأن مجرد انصياع العالم لأمريكا في قضية مثل هذه هو تجسيد لوضع العالم في الوقت الحاضر.

من صفات بن لادن

من الصفات الواضحة التي يتحلى بها والتي يجمع عليها أنصاره وأعداؤه صفة الشجاعة، ويقول القريبون منه أنه بالإمكان أن تنفجر قنبلة ضخمة على مسافة قريبة ولا تتحرك منه

---

(١) كان موقف صحيفة الشرق الأوسط بالغ الخطورة في الأحداث التي أعقبت ١١ سبتمبر، لقد تجاوزت كل تقديراتنا عن حجم الاختراق للإعلام العربي، وبدا أحيانا أنها تساهم في صنع الحدث لا في مجرد نقله .

شـعرة. ولقــد تعرض خلال أحداث أفغانستان إلى أكثر من أربعين مرة لحوادث قصف ثقيل وفي ثلاث حالات منها كان اللحم يتطاير عن يمينه وشماله ولم يظهر عليه ما يدل على تأثر يذكر سوى الحزن على فقد بعض أحبائه.

من الحوادث الخطيرة والتي أنجاه الله منها بما يشبه المعجزة ما حصل حين انفجر صاروخ ســكود على بعد سبعة عشر مترا فقط، وفي أكثر من مرة ينقل إلى المستشفى أو إلى المسعف المحــلي بسبب جروح يصاب بها ، وفي مرة من المرات شارف على الموت لأن سحابة السلاح الكيماوي وصلت إليه. وكان بن لادن ولا يزال يتمنى الشهادة وهو يعتبر نفسه يعيش بما يشبه العمر الإضافي لأنه أشرف على الموت كثيرا وكتبت له الحياة، وقــد أعطاه هذا الشعور دفعة إيمانية وشعورا بضرورة الاجتهاد في الحرص على رضا الله.

ومن العواطف المؤثرة في بن لادن حبه للحجاز حبا جما وكان يقول إن خيمة تحت جبال الحجاز أحب إليه من قصر على النيل، و هو يعتبر حبه لذلك الموطن مضاعفا لأنه أولا موطن شــرفه الله بالرســالة ، وثانيا موطن ولد فيه وترعرع وله فيه ذكريات جميلة. لكن مع ذلك لا يعدل بن لادن بأرض الجهاد موطنا.

مفخرة العائلة

كــان تــرتيب أسامة الحادي والعشرين تقريبا بين الأبناء ولكن مع ذلك كان يُنظر إليه مــن قــبل بقية أفراد العائلة كما لو كان حكيم العائلة وخاصة حينما بزغ نجمه في أفغانستان وبعد وفاة أخيه سالم. كان أسامة مثلا هو المرجع والحكم في خلافات العائلة الداخلية. وخلال أيــام الجهــاد في الثمانينات كان إخوانه وأخواته والأقارب الآخرون يتسابقون في استضافته في منزلهم إذا عاد للمملكة.

بقيت العلاقة كذلك إلى أن غادر إلى السودان ثم إلى أفغانستان. وبالطبع لم يتغير افتخار عائلته به وحرصهم على الصلة قدر الإمكان، وأما ما نسب لإخوانه من إعلان للبراءة منه فغير صــحيح، بــل كان بيانا مكذوبا عليهم، ويعلم القريبون من العائلة أنهم تعرضوا للتهديد إذا أعطوا أي إشارة أن هذا البيان مكذوب عليهم.

بن لادن وآل سعود

خلافــا لما يعتقد أو يزعمه الكثيرون فإن بن لادن لا يرتبط ولم يرتبط بأي علاقة خاصة على المستوى الشخصي مع آل سعود. لربما قابل أسامة بعض الأمراء في لقاء عارض أو في أحد

بيوت إخوانه لكن بالتأكيد لم تكن هناك علاقة خاصة. و في الحقيقة كان موقف أسامة موقف المـرتاب من كل الحكومة السعودية منذ الثمانينات لكنه فضل السكوت مصلحة لأجل عدم التأثير على دعم الجهاد فلم يرغب بتهييج الدولة.

العلاقة مع أمريكا

خلافـا لما يتردد في بعض الكتابات لم يكن لابن لادن أي علاقات مع أمريكا لا مباشرة ولا غـير مباشرة، وكل مزاعم من هذا القبيل افتراءات ليس لها أساس. بل الحقيقة أن موقف بـن لادن مـن أمـريكا كان عدائيا منذ أن عرف أفغانستان. ومن ضمن ما ثبت من أقواله في بداية الثمانينات حينما كانت أمريكا تظهر أمام العالم وكأنها تدعم الجهاد الأفغاني إن المعركة القادمة ستكون مع أمريكا. ولم تكن هذه القضية بالنسبة له مجرد نبوءة بل كانت موقفا وقفه على أساس وأصل، والدليل أنه التزم منذ تلك الفترة وألزم أهله ومن له أمر عليه بعدم شراء أي بضاعة أمريكية إلا ما لا يمكن الاستغناء عنه.

وقـد اسـتبعد الأمـير تركي الفيصل الرئيس السابق للاستخبارات العامة السعودية، في حـديث له مع قناة الـmbc أن تكون لابن لادن علاقة بالاستخبارات المركزية الأميركية كمـا أشـيع اكـثر من مرة أو أي أجهزة أميركية رسمية أخرى. وقال «ولم تتوفر عندنا أي معلومات أن كانت له اتصالات بأي أجهزة حكومية أجنبية غير الأجهزة الباكستانية».

كيف يستثمر ؟

تميـز عن إخوانه في نشاطاته بالمحافظة على سياسة محددة في نشاطه المالي. كان هدفه من هـذا الالتزام هو ضمان الصبغة الإسلامية لهذا النشاط وصفة الحلال للمال. من ضمن هذه السياسات أنه كان يرفض مطلقا الاستثمار في بلد غير إسلامي إلا إذا كان ذلك مما لا مفر منه. ومـن ضـمن هـذه السياسات بالطبع تحاشي أي نشاط فيه شبهة ربا ولذلك كان يتجنب الاسـتثمار في البورصة والأسهم الغربية لأنه يعتقد أن المستثمر لا يمكن أن يضمن أن تلوثها بالربا بسبب وضع الأموال في بنوك ربوية واختلاط الأرباح بالفائدة[1].

شعبيته

قال محللون إن أسامة بن لادن كان وما يزال يحظى بشعبية متزايدة في منطقة الخليج حتى قـبيل الهجمات التي استهدفت الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر/ أيلول الجاري، إلا أن النصر

(١) لـو نفذت الدول الإسلامية هذه السياسة لتم تكوين سوق إسلامي شامل وتكامل اقتصادي على الفور، دون حاجة لعشرات المشروعات ومئات الخطط لم تنجح جميعا.

الإعلامـــي الذي منحه له الرئيس الأميركي جورج بوش باستخدام تعبير الحملة الصليبية ضد ما أسماه بالإرهاب عزز من هذه الشعبية الآخذة بالتزايد أصلا.

إن ظاهـــرة أسامة بن لادن قوية جدا في السعودية، والشباب هناك يعتزون بأسامة لأنهم يعتقدون أنه الوحيد الذي يتحدى الهيمنة الأميركية. كما أنه يحظى بتأييد الجماعات الإسلامية في أنحـــاء مـــن السعودية.ولقد ساعد تركيز واشنطن على بن لادن باعتباره مصدرا للإرهاب المـــزعوم عـــلى إعطائه مكانة البطل الشعبي بين كثيرين في وطنه وفي أماكن أخرى في العالمين العربي والإسلامي.

بل إنه يحظى بين الغالبية العظمى من العرب العلمانيين، الذين يدينون هجمات من النوع الـــذي اســـتهدف أميركا. بصورة شبيهة بالصورة التي حظي بها الثائر الأميركي الجنوبي تشي جيفارا في الستينيات.

كما يروق نمط حياة بن لادن المتقشف لبعض المسلمين الذين يسترجعون تاريخ السلف الذين تخلوا عن ثرواتهم وحياتهم المترفة للدفاع عن الإسلام في عصر الصحابة.

وفي برنامج حواري بثته شبكة تلفزيون خليجية كان جميع من اتصلوا بالبرنامج يقولون إن بداخل كل منهم بن لادن. و أن الأحداث جعلت منه صلاح الدين جديدا. كما أثار اسم (العدالة المطلقة) الذي أطلقه بوش على الحملة بعض المسلمين الذين يرون أن العدالة المطلقة لله وحـــده. وأشار دبلوماسي غربي إلى تقارير شاهد عيان لمظاهرات الفرح في عدة دول خليجية في اليوم التالي للهجمات.

ولقد تعدت شعبية بن لادن العالم العربي والإسلامي لتنتشر في الصين ودول جنوب شرق آسيا.. حيث أخذ الشباب يرتدون أردية تحمل صورته، ويتبادلون صورته علي الهاتف المحمول. ممـــا اضـــطر السلطات في تلك البلاد إلي إصدار قوانين تجرم تأييد بن لادن. أما في باكستان وأفغانســـتان فقد انتشرت ظاهرة ارتداء (التي شيرتات) التي تحمل عبارات وشعارات مؤيدة لأسامة بن لادن واصبح آخر صيحة للمعجبين بالرجل الذي تتهمه الولايات المتحدة بأنه ممول الإرهاب الدولي.

وقـــد وصـــل الإعجاب ببن لادن إلى درجة أن ٧٠% من المواليد في شمال نيجيريا بعد أحداث ١١ سبتمبر سماهم ذووهم باسم: " أسامة".

رأيه في الأمم المتحدة

يـــري أســـامة بـــن لادن أن الأمم المتحدة كانت وراء كل المآسي التي حلت بالعرب والمسلمين.

كمـــا يـــري أنـــه لا يوجد دليل حتى الآن على صلة أفغانستان بالهجمات التي وقعت في الولايـــات المـــتحدة. وقـــال إن الحملة التي تقودها أميركا على أفغانستان "تبيد القرويين والمدنيين والأطفال والأبرياء بدون حق".

ويضيف: "واليوم بدون أن يثبت أي دليل تسوق الأمم المتحدة القرارات المؤيدة لأميركا الظالمة الجائرة المتجبرة على هؤلاء المستضعفين الذين خرجوا من حرب ضروس على يد الاتحاد السوفيتي".

و يضيف في إشارة إلي الحكام العرب :

"الذين يريدون أن يحلوا مآسينا في الأمم المتحدة إنما هم منافقون يخادعون الله ورسوله ويخادعون الذين آمنوا". ويتساءل "هل مآسينا إلا من الأمم المتحدة؟ من الذي أصدر قرار التقسيم وأباح بلاد الإسلام لليهود؟".

وأضـــاف "هذه هي الأمم المتحدة التي عانينا منها ما عانينا"، مؤكدا أنه "لا يذهب إليها مسلم بحال من الأحوال ولا يذهب إليها عاقل وإنما هي أداة من أدوات الجريمة".

تواضعه

قـــال طباخ[١] خدم أسامة بن لادن خلال فترة إقامته في السودان إنه يتمني رؤية زعيم تنظيم القـــاعدة مرة أخـــري، وامتدح معاملته له. وقال الطباخ محمد الفكي في مقابلة نشرها صحيفة الوطن السودانية: أنا مشتاق لأي نوع من الاتصال بأسامة.

وأضاف أنه لم يكن يأكل كثيراً. وأشار إلى أن ضيوف بن لادن كانوا دائماً كثيري العدد. وقال إن أسامة كان يعاملنا باحترام دائماً، وضرب ابنه مرة لأنه لم يخاطبني بلقب سيد أو عم . وأضـــاف أن بـــن لادن كان كثيراً ما يطلب من مرافق صومالي إمامة الصلاة. لقد ترك حياة الترف والجاه حيث كان ينام في دار الضيافة ببيشاور، فوق وسادة على الأرض[٢].

(١) الحياة ٣٠-١٠-٢٠٠١.

(٢) الشرق الأوسط ١٥ يناير ٢٠٠١.

لقاؤه مع روبرت فيسك[1]

يقول فيسك: لقد فشلت كل المحاولات الأمريكية لاغتيال بن لادن لأن أتباع بن لادن لا يمكن شراء ذمتهم. لا أحد يريد خيانته. ويضيف أن بن لادن ذكر له أنه لم يأخذ ولو رصاصة واحدة من الغرب و أنه لم يلتق أبدا بأي عميل أمريكي أو بريطاني.[2]

رد بن لادن على واشنطن التي تعتبره أكبر "إرهابي" في العالم بأن قال :

" إذا كان تحرير بلدي يعتبر إرهابا فذلك شرف كبير لي."

"ليس هناك فرق بين الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية أو بين الجيشين الأمريكي والإسرائيلي".

ويضيف فيسك أن بن لادن قال له: إنه يسعى بعزم لإخراج الأمريكيين من العربية السعودية. وما حدث في الرياض و الخبر (مقتل ٢٤ أمريكيا في تفجيرين) يعكس الغضب الشديد للشعب السعودي تجاه أمريكا. إذ يعتقد السعوديون اليوم أن عدوهم الحقيقي هي أمريكا."

ويستطرد فيسك قائلا:

" يقول المحققون الأمريكيون أن العديد من خاطفي الطائرات الأسبوع الماضي سعوديون. وقد قال لي بن لادن شيئا أضحى يدندن في أذني بصفة مأساوية:" إذا انفجر كيلو غرام واحد من مادة (تي إن تي) في بلد لم يشهد أبدا تفجيرات من قبل - يقصد السعودية - فهو يشكل حدثا بالتأكيد، فإن انفجار ٢٥٠٠ كيلو غرام من (تي إن تي) في الخبر لهو دليل قاطع على مقاومة الشعب للاستعمار الأمريكي.. إننا كمسلمين لدينا شعور قوي بالتناسق.. إننا نشاطر آلام إخواننا في فلسطين و لبنان. إن انفجار الخبر ليس نتيجة مباشرة للاستعمار الأمريكي، بل هو نتيجة لسلوك الأمريكان تجاه المسلمين".

---

(١) نشر هذا المقال للصحفي البريطاني الشهير روبرت فيسك بعد أحداث ١١ سبتمبر. والمحزن أنه يبدو أكثر فهما للإسلام والمسلمين من كل نخبنا الحاكمة ، ومن فقهاء السلاطين.

(٢) من الواضح أن الصحافة المصرية والعربية (خاصة الشرق الأوسط وروز اليوسف والقاهرة والأهالي) تعرف عن علاقات بن لادن مع المخابرات الأمريكية أكثر مما يعلمه روبرت فيسك!، ولما كان من الطبيعي أن لا يكون أسامة بن لادن هو مصدر المعلومات التي نشرتها تلك الصحف، فإن علاقتها بالمصدر الآخر تصبح غنية عن الإيضاح.

ويواصل فيسك:

لقد تحدث لي بن لادن عن الأطفال الذين يموتون في العراق بسبب عقوبات الأمم المتحدة : "إن قتل هؤلاء الأطفال يعتبر حملة ضد الإسلام. إننا كمسلمين لا نحب النظام العراقي. لكن نعتقد أن الشعب العراقي و أطفاله إخوان لنا هتم بمستقبلهم."

لقد بدا لي بن لادن مقتنعا أن الأمريكان سيخرجون من العربية السعودية "عاجلا أو آجلا".فهو يؤكد أن "الحرب المعلنة من قبل الأمريكيين ضد الشعب السعودي تعني أن الحرب ضد جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم. و ستمتد المقاومة ضد الأمريكان إلى مختلف البلدان الإسلامية. إن القادة الذين نثق فيهم و العلماء أعطونا فتوى لطرد كل الأمريكيين. إن الحل لهذه الأزمة يمر عبر انسحاب القوات الأمريكية. إن وجودهم العسكري إهانة للشعب السعودي."

في العام ١٩٩٦ سألت بن لادن عن رأيه في مقتل ١٩ أمريكيا في العربية السعودية فرد قائلا أنها "بداية الحرب بين المسلمين و الولايات المتحدة." أما فيما يخص العملية التالية التي خلفت مقتل ٢٤ جندي أمريكي فقال أنه "عمل رائع لم يحصل له شرف المساهمة فيه".

ثم يصل روبرت فيسك إلى أحداث ١١ سبتمبر وتوقعه أن أسامة بن لادن قد فوجئ بها. فيقول:

لكن هل يمكنه حقيقة قيادة جيش من انطلاقا من جبال أفغانستان المعزولة؟. انه كان يريد إرساء "الشريعة الحقيقية" في بلدان الشرق الأوسط و إنهاء الدكتاتوريات التي وضعتها الولايات المتحدة . والتي تدعم سياسة الولايات المتحدة و تقمع شعوبها. كنت أشعر أن هذا الخطاب رسالة قوية تجاه ملايين العرب. و عليه ليس مطلوبا أن يكون هناك أمر من بن لادن تجاه مجموعة من الأتباع لاتخاذ قرار القيام بعمليات فردية. ولا يحتاج بن لادن إلى تحضير تفجيرات أو قلب أنظمة الحكم . إنني أتساءل إذن – مع الافتراض دائما أن بن لادن وراء الجرائم ضد الإنسانية التي حصلت الأسبوع الماضي– ما إذا كان بالضرورة قيادة تنظيم شبه عسكري حتى يحدث ما حدث. إن العرب هم في حالة من الغضب ضد المظالم الأمريكية تجعلهم لا ينتظرون أوامر من أفغانستان. إن مجرد الإيحاء قد يكون كافيا. لقد تساءلت. وأنا أشاهد صورا عن نيويورك الأسبوع الماضي، ما إذا لم يكن بن لادن قد تفاجأ مثلي و هو يشاهد الصور نفسها. هذا مع افتراض أن عنده تلفزيون..!!

★★★

يجيب هو بنفسه عن السؤال في لقاء تلفازى مع قناة الجزيرة فيقول:

" الــذي نــريده ونطــالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء، أن تحرر أرضنا من الأميركان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله - سبحانه وتعالى - بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل، فهذه - أعزكم الله - الدواجن.. لو أن الدجاجة دخــل عــليها مسلح.. عسكري يريد أن يعتدي على بيتها، فهي تقاتله وهي دجاجة، فنحن نطــالب بحــق هــو لجميع الكائنات الحية فضلاً عن الكائنات الإنسانية البشرية. فضلاً عن المسلمين، فالذي حصل على بلاد الإسلام من اعتداء - وخاصة للمقدسات - ابتداءً بالمسجد الأقصــى حيث قبلة النبي - عليه الصلاة والسلام - الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف الصــليبي اليهــودي تتزعمه أميركا وإسرائيل حتى أخذوا بلاد الحرمين - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم لتحرير أرضها والجهاد في سبيل الله - سبحانه وتعالى - لتحكم الشرع ولتكون كلمة الله هي العليا ."..

★ ★ ★

من أقوال أسامة بن لادن رضى الله عنه

.."... آن الأوان للشعوب المسلمة أن تدرك أن دول المنطقة هي دول ليست ذات سيادة، فأعداؤنا يسرحون ويمرحون في بحارنا وفي أراضينا وفي أجوائنا، يضربون دون أن يستأذنوا أحداً، (..) الأنظمة الموجودة إما هي متواطئة أو فقدت القدرة على القيام بأي عمل ضد هذا الاحتلال السافر، فينبغي على المسلمين، وبخاصة أهل الحل والعقد وأهل الرأي من العلماء الصادقين والتجار المخلصين وشيوخ القبائل أن يهاجروا في سبيل الله ويجدوا لهم مكاناً يرفعوا فيه رايه الجهاد ويعبئوا الأمة للمحافظة على دينها وعلى دنياها وإلا سيذهب عليهم كل شيء، فإذا لم يعتبروا مما أصاب إخواننا في فلسطين، بعد أن كان الشعب الفلسطيني مشهور بنشاطه (..) أصبح ذلك الشعب – وهم إخواننا – مشردين، مطرودين في كل أرض. وأصبحوا في الأخير أُجراء عند اليهودي هذا المستعمر، متى شاؤوا أدخلوهم، ومتى شاؤوا منعوهم بأزهد الأسعار. فالأمر خطير، وإذا لم نتحرك وقد أعتدي على البيت العتيق، على قبلة ١٢٠٠ مليون مسلم، فمتى يتحرك الناس؟! هذا أمرٌ عظيم ينبغي السعي فيه، وأما من يظن أن هذا الضرب يرهب الحركات الإسلامية فهو واهم، فنحن كمسلمين نعتقد أن الآجال معلومة، محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر، منذ أن كنا في بطون أمهاتنا، وأن الأرزاق هي بيد الله – سبحانه وتعالى – وهذه الأنفس الله – سبحانه وتعالى – هو خلقها، والأموال هو رزقها، ثم اشتراها بالجنة، فعلام يتأخر الناس عن نصرة الدين ؟! .." ..

★★★

.."..نحن – كما ذكرت – نطالب بحقوقنا، بإخراجهم من بلاد العالم الإسلامي وعدم سيطرهم علينا، ونعتقد أن حق الدفاع عن النفس هو حق لكل البشر، ففي وقت تختزن إسرائيل فيه مئات الرؤوس النووية والقنابل النووية ويسيطر فيه الغرب الصليبي على هذا السلاح بنسبة كبيرة، فلا نعتبر هذا تهمة، بل هو حق ولا نقبل من أحد أن يوجه تهمة علينا بذلك، يعني كما تتهم رجل، كيف أن يكون فارساً شجاعاً مقاتلاً، تقول أنت لماذا ذلك؟! لا يتهمه بذلك إلا رجل مختل، غير عاقل، وإنما هذا حق نحن أيدنا وهنأنا الشعب الباكستاني عندما فتح الله عليهم وامتلكوا هذا السلاح النووي، ونعتبر أنه حق من حقوقنا ومن حقوق المسلمين، ما نلتفت لهذه التهم المهترئة من أميركا.."..

.. "... أقول هناك طرفان في الصراع: الصليبية العالمية بالتحالف مع اليهودية الصهيونية تتزعمهم أميركا وبريطانيا وإسرائيل، والطرف الآخر العالم الإسلامي، فمن غير المقبول في مثل هذا الصراع هو يعتدي ويدخل على أرضي ومقدساتي وينهب بترول المسلمين ثم عندما يجد أي مقاومــة مــن المسلمين يقول هؤلاء هم إرهابيون!! هذا يعني حماقة أو أنه يستحمق الآخرين، فــنحن نعــتقد من واجبنا شرعاً أن نقاوم هذا الاحتلال بكل ما أوتينا من قوة ونعاقبه بنفس الطرق التي هو يستخدمها ضدنا.." ..

★★★

.."..ادعاءات أميركا كثيرة، ولكنها – على افتراض صحتها – لا تعنينا في شيء، هؤلاء يقاومون الكفر العالمي الذي احتل بلادنا، فما الذي يغضب.. يغضب أميركا عندما تعتدي على الــناس والــناس يقاومونها! لكن ادعاءاتها أيضاً مع ذلك باطلة، إلا إذا قصدت أنني لي صلة بتحريضــهم فهــذا واضح وأعترف به في كل وقت وحين أنني كنت أحد الذين وقعوا على الفــتوى لتحريض الأمة للجهاد، وحرضنا منذ بضع سنين (..) ما الخطأ في أن تقاوم المعتدي عــليك؟ جميع الملل هذا جزء من كيانها، هؤلاء البوذيون، هؤلاء الكوريون الشماليون، هؤلاء الفيتــناميون قاتلوا الأميركان، هذا حق مشروع، فبأي حق الإعلام العربي والإسلامي يطارد المجاهدين .."..

★★★

.."... بعــض الدول العربية مارست علينا ضغوطا اقتصادية منعتنا من حقوقنا. وضيّقت علينا. ومنعت حتى أهلنا أن يدفعوا إلينا أموالنا، وهم في ذلك يقتدون بعبد الله بن أُبَيّ بن سلول زعيم المنافقين. ويقتدون بالمنافقين. الذين قال الله – سبحانه وتعالى – فيهم: (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السموات والأرض. ولكن المنافقين لا يفقهون). فعاقبهم الله سبحانه وتعالى. والآن هم يعيشون في تضييق أشد من تضييقهم علينا، وأمــا نحن. فكما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: "من بات آمناً في سربه. معافاً في بدنه. حائزا قــوت يومه. فقد جمعت له الدنيا بحذافيرها"، فوالله الذي لا إله إلا هــو نشعر أن الدنيا بحذافيرهــا معــنا. والمــال ظلّ زائل. لكننا نخاطب المسلمين أن يبذلوا أموالهم في الجهاد مع الحركات الجهادية. التي خاصة تفرغت لقتال اليهود والصليبيين .."..

★★★

.."... أنـــنا نعـــتقد اعتقاداً جازماً وأقول ذلك لشدة ما يمارسه الأنظمة والإعلام علينا، يـــريدوا أن يسلخونا من رجولتنا، نحن نعتقد أننا رجال، ورجال مسلمون ينبغي أن نذود عن أعظـــم بيـــتٍ في الوجـــود، الكعـــبة المشرفة، أن نتشرف بالذود عنها، لا أن تأتي المجندات الأميركيات من اليهوديات والنصرانيات يذودون عن أحفاد سعد والمثنى وأبي بكرٍ وعمر، والله لو لم يكن أكرمنا الله بالإسلام لأبى أجدادنا في الجاهلية أن تأتي هؤلاء، وأن يأتي هؤلاء العلوج الحُمـــر بحجـــة هذه الدعوة، وهي دعوة لم تعد تنطلي على الأطفال، فقد قال الحكام في تلك المنطقة: "إن مجيء الأميركان لبضعة أشهر" وهم كذبوا في البداية والنهاية "وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة – كما ذكر رسولنا عليه الصلاة والسلام – فذكر منهم ملكٌ كذابٍ" فمرت الأشهر، ومرت السنة الأولى والثانية ونحن الآن في السنة التاسعة والأميركيون يكذبون الجميع، يقولـــوا نحـــن لنا مصالح في هذه المنطقة، ولن نتحرك قبل أن نطمئن عليها، فيعني عدو يدخل يسرق مالك، أنت تقـــول له أنت تســـرق؟ يقول لك لاً.. أنا هذه مصلحتي. هذه مصلحتي، فيغالطونـــنا بالألفـــاظ، فالحكام في تلك المنطقة.. لعل رجولتهم سُلبت..(..).. فهدفنا العمل بشـــرع الله –سبحانه وتعالى – والذود عن الكعبة المشرفة، هذه الكعبة العظيمة وهذا البيت العتيق. الله – سبحانه وتعالى – جعل وجود البشر في هذه الأرض على توحيده بالعبادة ومن أعظـــم العبادة، بل أعظم العبادات بعد الإيمان الصلاة، كما في الصحيح "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد" فالله – سبحانه وتعالى – لا يقبل منا صلاةً مكتوبة إذا لم نتجه إلى هذا البيت العتيق، فهذا هدفنا أن نحرر بلاد الإسلام من الكفر وأن نطبق فيها شرع الله – سبحانه وتعالى – حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.."..

★★★

.."... بعـــد انـــتهاء الحرب الباردة أصبح الأمريكان أكثر عدوانية، وتجرؤوا على العالم الإســـلامي ... ، يجـــب علينا أن نستخدم القوة لتحرير المسلمين نساء وأطفالا من الشيطان، التاريخ الأمريكي لم يفرّق بين المدنيين والعسكريين ، ولا حتى بين الرجل والمرأة ، وهم أول من استخدم القنبلة النووية ضد نجازاكي ، .. ، فهل فرّقت تلك القنبلة بين المدنييّن والعسكريّن، أمريكا ليس لها دين يمنعها من تدمير كل العالم .."..

★★★

.." أوجــه نصــيحة إلى جميع المسلمين بأن يتدبَّروا كتاب الله – سبحانه وتعالى – فهو المخرج وهو الذي انتشلنا من قاع الجاهلية المنتنة في تلك العصور المظلمة، فدواؤنا في الكتاب والســنة، وعندما يقرأ الإنسان القرآن يتعجب من قعود كثير من الناس، هل هم لا يقرؤون القرآن، أم أنهم يقرؤون ولا يتدبرون؟! يقول الله سبحانه وتعالى: (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظــالمين)، قال أهل العلم: منهم، أي منهم في الكفر، يصبح مثلهم كافرا، ثم الآية التي تليها يقــول سبحانه: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ويصبحوا على ما أصروا في أنفسهم نادمين)..."..

★★★

بيان أسامة بن لادن يوم ٢٠٠١/١٠/٧

ها هي أميركا قد أصابها الله سبحانه وتعالى في مقتل من مقاتلها فدمر أعظم مبانيها فلله الحمـــد والمنة. وها هي أميركا قد امتلأت رعبا من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها فلله الحمـــد والمنة. وما تذوقه أميركا اليوم هو شيء يسير مما ذقناه منذ عشرات السنين. فإن أمتنا مـــنذ بضـــعة وثمانين عاما تذوق هذا الذل وتذوق هذه المهانة ويقتل أبناؤها وتسفك دماؤها ويُعتدى على مقدساها وتُحكم بغير ما أنزل الله ولا سامع ولا مجيب. فلما أن وفق الله سبحانه وتعالى كوكبة من كواكب الإسلام، طليعة من طلائع الإسلام، فتح الله عليهم فدمروا أميركا تدميرا. أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرفع قدرهم وأن يرزقهم الفردوس الأعلى فإنه ولي ذلك والقـــادر عـــليه. فلما رد هؤلاء عن أبنائهم المستضعفين وعن إخوانهم وأخواتهم في فلسطين وفي كـــثير مـــن بلاد الإسلام صاح العالم بأسره. صاح الكفر وتبعه النفاق. مليون طفل من الأطفـــال الأبرياء يقتلون إلى هذه اللحظة التي أتحدث فيها، يقتلون في العراق بلا ذنب جنوه ولا نســـمع مـــنكرا ولا نسمع فتوى من الحكام والسلاطين. وفي هذه الأيام تدخل الدبابات والمجنزرات الإسرائيلية لتعيث في أرض فلسطين فسادا في جنين وفي رام الله وفي رفح وفي بيت جالا وغيرها من أرض الإسلام ولا نسمع من يرفع صوتا أو يحرك ساكنا. فإذا جاء السيف بعد ثمـــانين عاما على أميركا ظهر واشرأب النفاق برأسه يتحسر ويتأسف على هؤلاء القتلة الذين عبثوا بدماء وأعراض ومقدسات المسلمين. فهؤلاء أقل ما يقال فيهم إنهم فسقة اتبعوا الباطل، نصـــروا الجزار على الضحية، نصروا الظالم على الطفل البريء، فحسبي الله عليهم وأرانا الله سبحانه وتعالى فيهم ما يستحقون. أقول إن الأمر واضح وجلي فينبغي على كل مسلم بعد هذا الحدث وبعد أن تحدث كبار المسؤولين في الولايات المتحدة الأميركية ابتداءً برأس الكفر العالمي بـــوش ومـــن معـــه وقد خرجوا ... برجالهم وبخيلهم وقد ألّبوا علينا حتى الدول التي تنتمي إلى الإسلام على هذه الفئة التي خرجت تفر بدينها إلى الله نسبحانه وتعالى تأبى أن تعطي الدنيّة في ديـــنها. خـــرجوا يـــريدون أن يحاربوا الإسلام ويلقوا على الناس باسم الإرهاب. شعب

في أقصى الأرض في اليابان قتل منهم مئات الألوف صغارا وكبارا فهذه ليست جريمة حرب، هذه مسألة فيها نظر. مليون طفل في العراق مسألة فيها نظر، أما عندما قتل منهم بضعة عشر في نـيروبي ودار السـلام قصفت أفغانستان وقصف العراق ووقف النفاق بأسره خلف رأس الكفـر العـالمي خـلف أميركـا ومن معها. أقول أن هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط الإيمان لا نفاق فيه وفسطاط الكفر أعاذنا الله وإياكم منه. فينبغي على كـل مسـلم أن يهب لنصرة دينه وقد هبت رياح الإيمان وهبت رياح التغيير لإزالة الباطل من جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم. وأما أميركا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة:

أقسم بالله العظيم، الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أميركا ولا من يعيش في أميركـا بـالأمن قـبل أن نعيشه واقعا في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافـرة من أرض محمد صلى الله عليه وسلم. والله أكبر والعزة للإسلام والسلام عليكم.

★ ★ ★

بل هي حرب على الإسلام « ٢ »

والآن يا قراء بعد أن قرأتم..

من هو المجرم؟!..

ومن هم الإرهابيون؟؟..

بوش أم أسامة بن لادن..؟؟..

أمة الولايات المتحدة أم أمة طالبان؟؟..

ولست أوجه هذه الأسئلة إلى أي مسلم.. فكل مسلم يعرف الإجابة دون سؤال ولا جواب.. ولت أوجهها أيضا إلى أناس تقمصهم الشيطان في الغرب شعوبا وحكومات.. إنما أوجهه إلى علمانيينا ومستغربينا و أعضاء التحالف الشمالي في بلادنا..

لأنهم حتى لو كانوا قد خرجوا من الملة فإن معطيات الحضارة الغربية التي يدعونها لا تبيح لأمريكا أن تكون الخصم والحكم، أن تطلق الاتهام وتعجز عن إثباته، وتكون كل القرائن التي تقدمها لا تعبر عن الغباء وحده، ولا على الاستهانة بعقول الأمة الإسلامية فقط.. بل على الإهانة أيضا. وتماما.. كما اعتبروا عبارة " توكلت على الله " في حادثة الطائرة المصرية التي أسقطوها قرينة على الانتحار راحوا يجمعون أدلة لا تقنع حتى طفلا.. وطلبوا من العالم أن يؤمن بهم بالغيب..

★★★

المشكلة بالنسبة لأمريكا أن حضارتها الفجة المسطحة اللا إنسانية قد بدأت بحل الخلاف مع الآخر بإبادته.. وكان هذا الآخر هو الهنود الحمر.. أصحاب البلاد الأصليين.. وكان الأمريكيون لصوصا من طراز جديد.. لصوص يسرقون قارة ويبيدون أمة..

تلك هي الخبرة المترسبة في قرارة الوعي الأمريكي.. التجربة التي تطفو من الوعي أو اللاوعي كلما صادفتها أزمة.. وهكذا فعلت مع اليابان .. وهكذا تفعل مع العالم..

المشـــكلة الأخرى، أن أمريكا قد استفاقت من إحساس مطلق بالأمن والقوة علي درجة مهيـــنة من العجز والتخبط.. والدولة التي ظنت أنها أصبحت قادرة على الأرض وما فيها بل وعلى الفضاء حول الأرض.. الدولة التي تتعامل بالفيتموثانية.. هذه الدولة أبدت خللا جديرا بدولة متخلفة في التعامل مع حدث طارئ..

★ ★ ★

وصدرت الأوامر لولاة أمورنا.. فصدعوا..

أمـــا الصحافة والمجلات والتلفاز فقد انفجر فيها طوفان من العفن المعتق منذ ألف عام.. العفن الذي ابتدعه المستشرقون والمبشرون والقسس والرهبان..

★ ★ ★

وبدأ الهجوم على أسامة بن لادن..

وراحـــوا يـــروجون فـــرية لم يقل بها أحد سواهم.. وخرجت صحيفة مصرية في مصر بمانشـــيت رئيسي عن عمالة بن لادن للمخابرات الأمريكية..!! ثم مقال يحتوى من الأكاذيب ما لا يتصور.. وراحت الصحف تنقل والكذب يكبر..

وتذكروا يا قراء أن نفس الصحيفة – والصحف – اتخذت نفس الموقف منا حين انفجار أزمة الوليمة.

وفى المرتين كانوا مع الحداثة ..

وفوجئنا بمجلة أخري تنشر لكاتبة يسارية هجوما علي أسامة بن لادن تقول فيه : "لعل أخطر ردود الأفعال هذه و أكثرها دلالة علي حالة من تشوه الوعي وتزييفه، أن يكون تحويل قاتل وتاجر مخدرات مثل أسامة بن لادن إلي بطل ومحرر، والوقوع في أحابيل دعايته الفظة ضد الكفـــار، و أمـــريكا النصرانية، واليهود، حتي وصل الأمر ببعض الكتاب لمقارنته دون خجل بتشي غيفارا [١].." وتواصل الكاتبة: " المشبوه ربيب المخابرات الأمريكية ودميتها.."..

لا إله إلا الله.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

لكـــني ألفت نظركم يا قراء، أن النخبة المستغربة لم تصل إلي ما وصلت إليه إلا بخيانة الأمة وخيانة الله..

(١) أعتذر للقراء الذين يعتبرون المقارنة إهانة كبيرة لأسامة بن لادن.. و أنا منهم.

إذ كــلما تعددت مهارات الواحد منهم في الكذب كلما كان كاتبا أكبر.. وكلما كان ضــد أمته أكثر كان أشهر.. ويكفي أن تفرط فتاة في شرفها كي تكون كاتبة كبيرة.. أما من يصبح شاذا.. فإن كرسي الوزارة ينتظره.

و ألفــت نظــركم أيضا يا قراء إلي أن ذلك يتم بعمليات الشراء المباشر.. شراء الذمة والدين.

وربمــا يجــدر هــنا، أن أستشــهد بمن يعرف أعمق أعماقهم، للدرجة التي دخل معها في زمرتهم، لولا أن تغمده الله برحمته، فآب إلى ربه واحدا أحسبه من أفضل المفكرين المسلمين، وهو الدكتور عبد الوهاب المسيري[1] الذي يقول :

.."... كنت قد بدأت ألاحظ أن السلوك الشخصي للرفاق كان متناقضا مع أي نوع من أنــواع المثاليات الدينية أو الإنسانية، وأن كمية النرجسية عند بعضهم كانت ضخمة للغاية . وأنا لا أمانع في وجود قدر من النرجسية عند البشر، فهذا أمر أساسي بالنسبة لهم، وخصوصا بالنسبة للثائر، فالنرجسية آلية نفسية يدافع من خلالها عن نفسه ضد مجتمع يود ابتلاعه. ولكن النرجسية التي لاحظتها في كثير من الرفاق كانت بالفعل متطرفة، والحريات الخلقية التي كانوا يسمحون لأنفسهم بها كانت كاملة، أي أنهم في واقع الأمر كانوا شخصيات نيتشوية داروينية، لا علاقة لها بالماركسية ولا بأي منظومة أخلاقية، خاصة أن بعضهم كانت ماركسيته تنبع من، حقــد طبقي أعمى وليس من إيمان بضرورة إقامة العدل في الأرض. بل كثيرا ما كنت أشعر أن بعضــهم كان ماركسيا بحكم وضعه الطبقي وأنه لو سنحت الفرصة أمامه للفرار من طبقته والانضــمام للطبقات المستغلة الظالمة لفعل دون تردد وطلق ماركسيته طلاقا بائنا. لكل هذا قدمت استقالتي.."..

★★★

ليس حسنا يا قراء.. بل هو مروع وفظيع..

إذ لابد أن نتساءل الآن:

ما هي التهم الموجهة إلي الشيخ أسامة بن لادن..

وما هي المرجعية التي سيحاسب على أساسها..

قوانين الحداثة..

أم كتاب الله وسنة رسوله..

★★★

(١) مرجع سابق.

بالنسبة لنا ولكل مسلم لا يجوز محاكمة الرجل إلا بكتاب الله وسنة رسوله..

وكتاب الله وسنة رسوله وشريعة الإسلام لا يحاكمون الناس بالشبهات..!!

وتلك مرة أخري هي المشكلة..

فالمطلوب تلفيق اتهام لا تحقيق اتهام..

من يخالف كتاب الله وسنة رسوله إذن يا قراء؟!..

أسامة بن لادن أم ولاة أمورنا وميليشيا ثقافتهم..

من المصيب ومن المخطئ ..

من الشريف ومن المجرم..

ثم..

ما هو الحلال وما هو الحرام في القضية كلها..

فكأمـــة مسلمة.. يجب أن يكون هذا السؤال عن الحلال والحرام هو المحور الذى ندور جميعا حوله..

★ ★ ★

لماذا كان أسامة بن لادن بطلا وهو يحارب الروس ومجرما حين حارب الأمريكيين؟!..

يا ولاة أمورنا: هل أمريكا هي إلهكم؟!..

تبت أيديكم وتب إلهكم وتب..!!.

★ ★ ★

يا قراء.. يا ناس .. يا أمة..

ليس تسليم أسامة بن لادن هو المطلوب..

ولو كان هو لكان الخطب أخف.. والمصيبة أهون..

المطلوب يا قراء .. يا ناس .. يا أمة هو تسليم القرآن والكفر به والكف عن حمايته..

والمطلوب هو تسليم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم..

فماذا أنتم فاعلون يا قراء.. يا ناس.. يا أمة..

وماذا أنت فاعلة يا أمة لا إله إلا الله.. محمد رسول الله..

لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق

أسامة بن لادن، رضي الله عنه، نعم رضي الله عنه، قلب الصورة التي استقرت في عالمنا الإسلامي منذ قرون، أو على الأحرى أنه عدلها بعد أن كانت مقلوبة، لكننا بفرط القهر وطول الزمن، ظننا أن الصورة المقلوبة هي الشكل الطبيعي.

نعم.. فالصورة في كل دولة من دول عالمنا الإسلامي، أن الأمة كلها يُضحّي بها من أجل فـــرد وحيـــد، هو الحاكم، مهما تغيرت أسماؤه . وظل الوضع هكذا حتى جاء البطل المجاهد فضحى من أجل الأمة، فدهشنا..!!.

★★★

كنا جمعا من الأصدقاء نشاهده على شاشة التلفاز، فهتف واحد منا:

- اللهم احشرني معه ..

وقال آخر:

- نحـــن جيـــل لم ير صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأظنه علي هيأقم ومهابتهم و إيمانهم.

وقـــلت لنفسي، أنك، أيها المجاهد ، أيها المؤمن، في أفضل حال بودها المؤمن، الحال التي وصفها لنا سيد الخلق رسولنا المصطفي أن حال المؤمن كله خير.

الآن - مهما كانت النتائج - فإنك قد انتصرت..

ولئن تمكنوا من قتلك فلقد ظفرت بالشهادة، ليظلّ دمك يحرك التاريخ بعدك ألف عام، ســتعيد دماؤك الزكية ملحمة استشهاد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين في كربلاء، حين استشهد لكي يظل استشهاده يحرك التاريخ حتى الآن..

ولئن تمكنوا من أسرك فإن ذلك سوف يكون وبالا عليهم..

وإن من الله عليك بالنصر فذلك هو فوز الدنيا والآخرة..

حالك كله خير وحالهم كله شر..

★★★

فاجأني صديقي المسيحي حين قال لي أنه يعلق صورة أسامة بن لادن في بيته.. ولاحظ دهشتي فقال:

– لم أجد بين كل البشر من يجسد لي عظمة وطهر وقداسة المسيح إلا وجه أسامة بن لادن.. لذلك علقت الصورة في بيتي.

فاجأتني الفكرة، لكنني لم ألبث حتى أدركت أنها طبيعية تماما..

لأنك أيها المجاهد، أولي بالإسلام من حكام المسلمين وفقهاء السلطان، و أولي أيضا بالمسيح وموسى عليهما السلام من بعض من يدعون الانتماء إليهما..

لقد فكرت: هل يمكن أن يوافق المسيح عليه السلام على ما يفعله بوش؟ هل تطبق أمريكا ما نادى به السيد المسيح؟. وهل يمكن أن يوافق موسى عليه السلام على ما يفعله شارون، ومن خلفه بني إسرائيل؟ وهل يمكن أن يوافقا على تدمير دولة وإشعال حرب عالمية بسبب اتهام لم يثبت.

فإن كان بوش الذي صرح أنه يقود الحرب الصليبية الجديدة لا يتبع وصايا المسيح، وإن كان الإرهابي المجرم شارون يكذب علي نبي الله موسى.. إن كان ذلك.. إن كانا لا ينفذان وصاياهما ، ولا يطبقان دينهما ، ولا يعبدان ربهما، وهو واحد أحد، فمن المؤكد إذن أنهما ينفذان وصايا الشيطان .. ويعبدانه .

تبلورت الفكرة أكثر، إن أسامة بن لادن، لا يمثل المسلمين فقط.. بل يمثل كل من يؤمن بالله..على أي دين كان.. والمعركة بهذا الشكل ليست بين الإسلام من جهة والمسيحية واليهودية من جهة أخرى.. بل هي معركة بين من يقولون : لا إله إلا الله وبين من يقولون : لا إله إلا أمريكا..!!..

★★★

نستطيع أن نفهم لا أن نقبل، سر حنق الغرب على أسامة بن لادن. فالغرب، الذي نجح منذ قرنين على الأقل، في أن يصوغ حكام بلاد العالم الإسلامي علي عينه، وكأنما يخلقهم تخليقا في مختبراته. و كأنهم حكام أنابيب يحملون من الصفات ما شاء لهم الغرب أن يحملوا، الغرب الذي صنع هؤلاء، يفاجأ برجل واحد، هو أمة في رجل، ينقض جهود الغرب طيلة قرنين، إذ يوشك أن يجعل من خططهم هباء منثورا. للغرب إذن أن يكره الرجل، لكن .. لماذا نكرهه نحن؟! ولماذا هذا الموقف الشاذ من صحف وصفها أحد وزراء الثقافة العرب بأنها دعارة

بالكـــلمات، لم تتوقف هذه الصحف عن نشر الأكاذيب عنه . كانت صوت سيدها القابع في أوكار المخابرات المخترقة.. يا إلهي.. لقدْ اكتشفت.. ليس اكتشاف استنتاج بل اكتشاف معـــلومات قيلت لي عندما سألت.. أن معظم الصحف في عالمنا العربي مخترق بالكامل.. وأنها تعبر بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن أجهزة المخابرات.. و أن الصحف الدولية منها تصدر بالتعاون الوثيق مع أجهزة المخابرات العالمية.. تلك الصحف التي اعتمدت عليها يا أمة لا إله إلا الله محمـــد رســـول الله في صـــياغة وجدانك ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل..

هـــذه الصـــحف، دأبت على متابعة الغرب في هجومه علي أسامة بن لادن، واختلاق الأكـــاذيب عـــنه. مع أنه في التاريخ كله، لم يوجد – باستثناء الأنبياء – شخص مثله، يواجه أقوي قوة في العالم، وهي قوة تحالف معها حتى أهله .

هـــذه الصحف، جعلت ذات يوم من أرنستو تشي جيفارا بطلا أسطوريا، رغم أن أي مقارنـــة تضـــع أســـامة بن لادن في السماء بينما يبقي جيفارا في الأرض، فإن كانوا يتهمون بن لادن بالإرهاب – و أنا أستعمل مصطلحهم – فقد قام جيفارا بنفس الأعمال، لكنه قام بها تحت حماية وبتأييد قوة عظمي كانت تواجه الولايات المتحدة الأمريكية، هي الاتحاد السوفيتي.

هذه الصحف، التي تنقم على أسامة بن لادن قتله للمدنيين، وهي تهمة لم تثبت، تتجاهل تمامـــا مـــا قامت به أمريكا و إسرائيل من قتل للمدنيين، وتتجاهل أن الولايات المتحدة قتلت مـــئات المدنيـــين حـــتى الآن في أفغانستان، وقتلت مليونا في العراق، وتسببت في قتل مليون في إيـــران، والمجموع خمسة ملايين مدني عربي خلال نصف قرن، فإذا أضفنا إندونيسيا وباقي العالم الإسلامي فإن الرقم يتجاوز ثمانية ملايين. فإن كان من حق أمريكا أن تنتقم لقتل المدنيين في بلادهـــا بقـــتل المدنيين في بلادنا. فلماذا لا يكون من حق أسامة بن لادن أن يقتل المدنيين في بلادهم ثأرا لقتل المدنيين في بلادنا.

كان يجب أن يكون لنا حكام يحمون بلادهم وشعوبهم، لكن حكام الأنابيب لا يصلحون، في المختبرات، نزعوا منهم العقل والشجاعة والكرامة والعزة، والدين أيضا، ضربوا بكل بطش وقوة جميع محاولات الإصلاح، حاصروا بمساندة الغرب كل تطلع يحاول ، ليس حتى بمقاييس الشـــريعة، بـــل بمقـــاييس الغرب نفسه، بالوسائل الديموقراطية أن يواجه الفساد و أن يوقف الانهيار. أصابوا شعوبهم بالشلل الكامل ، وهنا تقدم أسامة بن لادن، ومرة أخري: على فرض أنه قام فعلا بما يتهمونه به وهو ما لم يقدموا عليه دليلا، فإن العمل الذي جبنوا جميعا عن القيام به حاول هو أن يقوم به، هو، الأمة وقد اختزلت في رجل .

ثم نأتي إلى الفرضية الثالثة، فالفرضية الأولي أنه لم يقم بهذه الأعمال، والفرضية الثانية أنه قام بهذه الأعمال قصاصا من جرائم الغرب، ثم الفرضية الثالثة: فلنفترض أن الغرب لم يقتل منا ثمانيـــة ملايـــين، و أنه لم يصغ حكامنا في مختبرات أنابيبه، و أنه لم يتعامل مع شعوبنا بكل هذا الصـــلف والتعالي والازدراء و الإهانة والإذلال، لنتخيل أن الغرب لم يحطم أحلامنا ولم يقتل أبناءنا و لم يسرق ثرواتنا، ولنفترض بعد ذلك كله أن أسامة بن لادن فعل ما يتهمونه به، دون ســـبب ودون مبرر، ففي هذه الحالة تخضع المسألة لقانونين: قانون الشريعة والقانون الدولي، وكلاهمـــا يمـــنع تسليم أسامة بن لادن إلي أمريكا، وكلاهما يقضي بمحاكمته في أفغانستان.. محاكمته إن كان قد ارتكب جرائم غير مبررة لا تخضع لمقتضيات الدفاع عن الأمة.

الصـــحف و أنظمـــة الأنابيب لم تطرح علينا القضية بهذا الطرح. وبعد أن راحت طيلة قرنين تسفه إيماننا بالغيب الإلهي.. راحت تطلب منا أن نؤمن بالغيب الأمريكي دون نقاش.

وهـــذه الصحف والأنظمة ، التي راحت ترمي أسامة بن لادن بكل نقيصة، راحت تقدم شخصـــا آخـــر، فترســـم حوله هالة القديس المخلّص ، هذا الشخص هو ظاهر شاه، ملك أفغانستان السابق، فهو القادر على أن يعيد إلي أفغانستان الأمان الذي افتقدته بوجود أسامة بن لادن. ولم يذكروا لنا أن ظاهر شاه هذا علماني (اقرأها: كافر) أشبه ما يكون بكمال أتاتورك، وهو، كوالده الذي اغتيل في النصف الأول من الثلاثينيات، سعى إلى استبدال الحرف الافغاني المكتوب بالعربية، بحرف لاتيني، وقرر أن الحجاب لا لزومية شرعية له، و"أفتى" قائلاً أن الخمر ليـــس حـــراماً، وينقل عنه بنو قومه، انه في الخمسينيات، عمد إلى إقامة مآدب غداء في شهر رمضان عوضاً عن مآدب الإفطار، تشجيعاً منه لتجاوز أفغانستان للإسلام.

كـــان عميـــلا لـــبريطانيا، وصديقا للولايات المتحدة(والصداقة هنا ليست سوي ستار للعمالة) ، وكان صديقا للهند، عدوا للباكستان، مقطوع الصلة بالعالم العربي، ثقافته فرنسية، أما موقفه من الإسلام بالتعبير الأفغاني فهو: الطلاق.

هذا هو الذي يريدون المجيء به بديلا عن الملا عمر و أسامة بن لادن..

كان هذا هو ممثل الإسلام المعتدل.. الإسلام العيسوي.. الأمريكي..

نسخة من حكام الأنابيب..

★★★

ثمة سؤال يلح عليّ :

إن أسامة بن لادن يطلب أمرين – وهما الجريمة الحقيقية التي تحاربه أمريكا بسببهما – : الأمر الأول هو انسحاب جيوش الصليبيين من بلاد العرب، وهذا المطلب ليس مطلب أسامة بن لادن، بل هو أمر نبويّ وفرض دينيّ : المطلب الثاني ، هو الأمان لفلسطين.

فـإن كـان من حق مجرم أو ظالم أو مشرك أن يعاديه بسبب مطلبيه، تماما كما يعادى السارق المسروق منه، والقاتل المقتول، أقول إن كان من حقهم أن يعادوه، فلماذا نعاديه نحن، هـم يطاردونـه فـلماذا نطارده، يحاربونه فلماذا نحاربه، بينما هو – والله – يا أمة : لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

سألت نفسي، لو أن الله سبحانه وتعالى بعث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حيا يسعى بيننا.. هل كان عداء ولاة أمورنا له سيكون أقل من عدائهم لأسامة بن لادن؟..

ووجدت نفسي لا أجيب.. بل أقسم:

– والله لـو عاد بيننا عمر بن الخطاب، لوجهوا إليه نفس التهم و أكثر، ولحاربوه ذات الحرب و أشد، ولسلموه إلى أمريكا..!!

– ثم وجدتني أكاد أصرخ:

– والله لو بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم لما اختلف موقف حكامنا معه قيد أنملة..

ووجدت نفسي أدعو والدموع تملأ عينيّ:

يا رب.. هؤلاء مجاهدون هاجروا إليك بدينهم.. فلا تخذلهم.. وانصرهم يا رب العالمين.. فما النصر إلا من عندك..

يا رب .. إنك تتقرب إلي من يؤذيك.. فنسألك الرحمة فيمن يؤذى فيك..

★★★

ما هو الحل؟

لا أخدع القارئ الذي لم يتعود مني أبدا خداعا.. وليس لدى أي حل سحري.. ولا حتى أي حل جديد..

إن الأمة الإسلامية تواجه أشرس عدو في تاريخها.. وليس أمامها من سبيل إلا أن تواجهه و أن تخـــوض معـــه حربا متعددة المستويات كي تمنع شره .. ليس عنها فقط.. بل عن الدنيا بأسرها. فذلك العدو ليس ضد الإيمان فقط.. بل هو ضد كل قيمة نبيلة في هذا العالم.. وليس ضد الله فقط.. بل هو ضد الإنسان بكل ما يحمل هذا الاسم من معنى.. وهو فضلا عن ذلك ليس ضد الوجدان والروح فقط .. بل ضد العقل أيضا..

عـــدو يشكل ببنيانه المرحلة الأعلى من العصابات الإجرامية في التاريخ.. عصابة بحجم قارة وسيطرة علي مساحة العالم.

وليـــس أمام المسلمين أينما كانوا مجال للاختيار.. فالأديان الأخرى والفلسفات الأخرى والنظم الأخرى إذا استسلمت لعصابة الشيطان تلك فإنها ستستبدل دنيا تملكها بدنيا أخرى.. وليـــس المهم هنا إن كانت الدنيا الجديدة أفضل أم أسوأ.. فالمحصلة النهائية بالنسبة لهم يمكن اختزالها في جملة واحدة: استبدال سيد بسيد.

بالنسبة للمسلمين لن يكون الوضع هكذا.. سوف يكون استبدال نعم.. لكنه استبدال الشيطان بالله.. والكفر بالإيمان[1] ..وسوف يكون خسارة الدارين..

وليس أمامنا من سبيل لمواجهة هذا الطاغوت إلا بالوحدة الإسلامية ..

وليس أمامنا من طريق إلا إعادة الخلافة.. فهي كما اتفق الفقهاء فرض كفاية إن لم يقم به أحد أثم المسلمون جميعا.. إنه فرض كفاية يتحول الآن وقد نكص عنه الجميع إلى فرض عين.. إن كـــتب الفقـــه ممتلـــئة بمـــئات الأدلة الشرعية على وجوب الخلافة ، حتى لقد بلغ الأمر أن الصـــحابة قد قدموها على دفن جسد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى..

(١) فائدة لغوية: حرف الباء يدخل علي المتروك .

إنها آتية لا ريب فيها فعسانا أن نكون قوما يحبهم الله ويحبونه فننال شرف البداية..

نعم..إنها آتية لا ريب فيها.. فالحديث النبوي الشريف يقول :

تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضــا فيكــون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت.. (رواه أحمد)

★ ★ ★

نعم.. عائدة هي الخلافة.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب العلمانيون والمستغربون بمراكزهم الاستراتيجية.. وكذب فوكوياما وهننجتون وماركس والفندي وفؤاد زكريا ووزارات الثقافة في العالم العربي وصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم.

إنــني واثق أن القارئ قد يندهش من ندائي ذاك.. فهو ضحية أبشع عملية غسيل مخ في التاريخ مورست لتشويه فكرة الخلافة.. بينما هي في الدراسات النظرية أعلى أنواع الحكم وأرقاها.

فأنواع الحكم – عبر التاريخ كله – تنحصر في أربعة أنواع ..

الـــنوع الأول هـــو حكـــم الهوى المطلق، حكم قرصان استولى على سفينة لا يهمه إلا ما يحصل عليه حتى لو غرقت السفينة ومات كل من فيها.. إنه يدرك أن كل يوم يستمر فيه في الحكـــم ضـــد التوقع والمكسب.. ولذلك فإن شعاره : انهب اليوم ما لن تستطيع أن تنهبه غدا.. ووسائله إلى ذلك ارتكاب كل الجرائم والموبقات. وليس عند الناس – في هذا النوع – أي أمل.. لذلك فهم يتحينون الفرص للانقضاض عليه .

الـــنوع الثاني أذكى.. وهو كحكم الإقطاعي الذي يملك الأرض ومن عليها.. وهو يدرك أنه لكي يستمر فلابد من قليل من الرعاية للأرض وللعبيد.. ولابد أن يرفع حوله مجموعة من هؤلاء العبيد كي يكون حاشية تقوم بدور النخاسين ومروضي العبيد.. هذه الحاشية تتكون من وزراء و قواد وكتابا ومفكرين وبعض شيوخ.. وهي تمكنه من الأمة من ناحية.. ومن ناحية أخـــرى فإنها تقدم للأمة نوعا من المخدر.. إذ بنفس طريقة أوراق اليانصيب.. يمكن أن يكون عـــند أي واحد من الأمة الأمل في أن يرتقى ذات يوم فيرتفع من عذابات فئته إلى تنعيم طبقة

الحاشـية. وبـرغم أن هـذا الأمـل لا يكاد يتحقق فإنه يمثل صمام أمان قد ينفس عن جزء من الغضب المكتوم عند الناس.

وفى هذيـن النوعين يكاد ينحصر الحكم في عالمنا الإسلامي.. وفيهما ينحصر كل أنواع الحكام مهما تغيرت ألقابهم.. ملك أو رئيس أو سلطان أو أمير أو إمبراطور.

النـوع الـثالث من الحكم هو الحكم من أجل مصلحة الناس والوطن لا من أجل مصـلحة الحاكم. و هو أرقى بلا شك من النوعين السابقين.. وهو يراعى كل مصالح الناس في الدنيا.. ويحاول دائما أن يقيد الحاكم لمصلحة الناس.. إلا أن درجات إحكام القيد تتفاوت كما تتفـاوت أيضـا درجات إخلاص الحاكم لشعبه أو خـداعه له. إلا أنه في كل الأحوال يبدو في الظاهر مخلصا للقانون الذي ارتضاه الناس.. أو على الأقل حريصا على إخفاء جرائمه عـن عين القانون.. وفى هذا النوع من الحكم يمثل نضج الشعوب وقوة الأجهزة المختلفة فيها قوة رادعة تمنع الحاكم من التغول.

وهـنا أريد أن أنبه القارئ إلى تطبيق خطير لا يشكل نوعا رابعا.. بل يشكل مزيجا من الأنـواع الثلاثة.. نظام عابر للقارات.. مزيج شيطاني لأنه تخلص من عوامل الفناء الكامنة في النظامين الأول والثاني مهما طال الزمن.. وقد استفاد من عوامل الثبات في النظام الثالث كي يكـرس كـل المظالم والشرور ويستثمرها.. فكلما زادت هذه المظالم والشرور كلما ازدادت فوائده. هذا النموذج تمثله الآن : الولايات المتحدة الأمريكية.. والتي تحكم شعبها بمواصفات الـنظام الـثالث لتضمن الاستقرار لنفسها.. وتحكم حلفاءها بمواصفات معدلة للنظام الثاني.. وهى تطوير من مواصفات الإقطاعي الذي يستثمر أرضه إلى صاحب المصنع وكيف يتصرف مع الموظفين أو حتى الشركاء الأصغر الذين يريد أن يضمن ولاءهم بالإغداق عليهم كي يحتفظ بهم كحلفاء و أعوان.. وهؤلاء يمثلون معظم أوروبا (إسرائيل جزء من النظام الثالث.. جزء من أمـريكا) أمـا روسيا والصين فتمثل حالة انتقالية قد تصعد إلي أن تحكمها الولايات المتحدة بمواصـفات الـنوع الثاني أو هبط لتعاملها بمواصفات النوع الأول... ثم يأتي بعد ذلك العالم الـذي تحكمه الولايات المتحدة بمواصفات النوع الأول.. حكم الهوى المطلق. حكم السيد والعبد مع غير المسلمين.. وحكم الشيطان للإنسان مع المسلمين.

النوع الرابع من الحكم هو حكم الخلافة..

وهـو يعـلو هذه الأنماط جميعا، إنه لا يسعى إلى مصلحة الدنيا فقط بل مصلحة الدنيا والآخـرة جميعا، إنه نظام آخر، مناف للأنظمة السابقة جميعا، وفيه – كما يصفه ابن خلدون

باقتدار - يكون وازع كل واحد من الأمة نابعا من داخل نفسه، ألا وهو الدين، وكان أسلافنا الصالحون يؤثرونه على أمور دنياهم و إن أفضت إلى هلاكهم.. ويضع ابن خلدون كل أنواع الحكم في القاع والخلافة في القمة ، ويوافقه في ذلك عبد الله العروى ويضيف أن العصبية والعقل لازمان لبناء الدولة، وقد يزيد التمسك بالشريعة من تماسك هذه الدولة واستقرارها، لكنه لا يحولها أبدا إلى خلافة، ففي مثل هذه الدول، يخدم الحاكم الشريعة ظاهرا لأنها تخدمه باطنا، فالهدف من إقامة الشرع هو دوام الملك وتوطيد النفوذ، أما الخلافة فهي شئ آخر، فالعقل فيها ضروري لسياسة الدنيا، لكن ما يميزها عما سواها هو هدفها الأخلاقي، إن العقل قد يجسد العدل أو الحرية أو الأمانة أو الوفاء أو الإخلاص أو النقاء والطهارة - على سبيل المثال - في معان نسبية محدودة (أكرر أن الولايات المتحدة كرائد للحضارة الغربية تشكل نقيض هذه الصفات جميعا فلا عدل ولا حرية ولا أمانة ولا وفاء ولا إخلاص ولا نقاء ولا طهارة. وهذا ما عنيته بإلحاحي في أكثر من مكان من هذا الكتاب بأن الولايات المتحدة ضد العقل).

أما في الخلافة فإن هذه المعاني تتحول إلى مطلق، فالشريعة كما يقول ابن قيم الجوزية هي عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه. لا تطبيق الشريعة إذن ولا حتى الجهاد ما يجعل نظام الحكم خلافة - كما يدعى المستشرقون - فنظام الحكم لا يكون خلافة إلا إذا نظر إلى ذاته كأداة في خدمة هدف أعلى. نعم، لا تكون الخلافة خلافة إلا إذا تجاوزت أهدافها الذاتية، وتجاوزت خطوط خرائط الأوطان وأعداد الناس المحصورين فيها.. فمهمة الخلافة ليست الوطن فقط وليست تحقيق الرخاء الاقتصادي فقط ولا اكتساب المهارات العلمية فقط فكل ذلك مرتبط بالقيم الأخلاقية.. بالغذاء الروحي الذي توفره للناس كي يكونوا أكثر عدلا وأكثر صدقا وأكثر وفاء وأكثر أمانة وأكثر نقاء وأكثر طهارة.. وأكثر إنسانية.. إنها تعلمهم أن الله أكبر فلا كبير سواه.. وأنه هو الخالق فلا معبود سواه.. وأن عرض الدنيا زائل وبذلك تحارب الجشع والطمع والشذوذ والإجرام وتحول الإنسان إلى وحش مفترس أو إلي شيطان مريد.. تعلم الإنسان كيف يكون حرا فلا يخاف إلا الله.. وتعلم الحاكم أن الحكم بينه وبين الناس ليس هواه أو نصوصا دفع حاشيته لوضعها كي يتحكم بها في الناس حين تتحول القوانين إلى أسلحة الأقوياء ضد الضعفاء..بل الحكم هو الله والحكم لله والمرجعية كلام الله الذي لا يستطيع الحاكم تغييره بهواه وإلا حق للأمة عزله.. إنها رسالة في الأرض كلها وللبشر جميعا.. نعم.. هي ذاك.. وهذا هو سر رعب إمبراطورية الشيطان - أمريكا وحلفائها ووكلائها ورعاياها - منها.. إنهم يعتبرونها أخطر من أي سلاح دمار شامل يمكن أن نقتنيه.. لهذا يتعاملون معها بفزع من يدرك خطورتها على حضارتهم إذا عادت .

★ ★ ★

مـــع الأنواع الثلاثة الأولى للحكم يمكن أن تكون للتاريخ نهاية بانتصار النموذج الثالث على النموذج الأول والثاني.. وهـــذا ما روج له فوكوياما ونظّر له صمويل هنتجتون وبرنارد لويـــس.. وليس هؤلاء أول من روج فرية نهاية التاريخ.. فقبل قرنين أعلن الفيلسوف الألماني "هـيجل" أن الـتاريخ انـتهي عام ١٨٠٦ عندما انتصرت فرنسا علي بروسيا، ثم أتي كارل مـاركس ليـنقض هيجل ويضع تصورا مخالفا لنهاية التاريخ بالشيوعية ليأتي بعده ماكس فيبر منتصرا لمواطنه هيجل وواضعا نهاية معدلة للتاريخ بالرأسمالية!..

في تصـور إمـبراطورية الشـيطان لانتهاء التاريخ يأتي القضاء علي الإسلام على رأس الأولويات.. غير مسموح له أن يتألق بقيمه الباهرة.. وبعـد ألف عـام أو يزيد من الكذب والتشويه وقلب الحقائق فقد آن الأوان لحصاره والقضاء على كل قيمه النبيلة. ومن المؤكد أن أحد الحركات القوية لموقف إمبراطورية الشيطان هو دراساتهم عن المستقبل.. تماما كما فعلوا مـع الاتحاد السوفيتي حين دلت دراساتهم المستقبلية في منتصف القرن الماضي أنه لن يأتي عام ٢٠٥٠ إلا والاتحاد السوفيتي بلد إسلامي يشكل المسلمون ٦٠% من سكانه ومن هنا كانت ضرورة تفكيكه. ومن المؤكد أيضا أن تلك الدراسات المستقبلية قد وضعت خططا لاستيعاب الجمهوريـات الإسـلامية الـتي انفصلت عن الاتحاد بعد طول احتلال ومنعها من الانضمام إلي أمتها الإسلامية – وفى هذا الإطار يأتي غزو أفغانستان – . ثم أن هذه الخطط لابد أن تكون قـد تعدت لما هو أبعد من ذلك فالإحصائيات الحالية حول نسبة نمو أتباع اليهودية والمسيحية والإسلام تفيد أن نمو اليهودية بالسالب.. أي أنهم يتناقصون.. وأن نمو المسيحية يشكل ٥٠% بيـنما نمـو المسلمين ٢٥٠%.. وذلك خطر بالنسبة لهم .. وهذا سر حرصهم المسعور علي برامج تحديد النسل بين المسلمين.. هذا خطر.. لكن هناك خطرا آخر أكثر بما لا يقاس.. خطر رصدته علوم المستقبل.. ذلك أن عدد الوثنيين في العالم أكبر من عدد أتباع اليهودية والمسيحية والإسـلام.. هؤلاء الوثنيون متمركزون في ثلاث دول هامة: الصين والهند واليابان.. والتقدم التكـنولوجي في هذه الدول مضطرد.. ومع التقدم العلمي والإنساني سوف يكون مستحيلا على رعاياها أن تواصل أحدث علوم التكنولوجيا والفضاء من ناحية وعبادة الأوثان من ناحية أخـرى. ومن المرجح أن تمر هذه الأمم بفترة من الإلحاد. لكن رعايا هذه الأمم يملكون ثراء وجدانيا وسيكونون بحاجة لما يشبع أشواق أرواحهم. ومن الصعب أن يجدوا تلبية لهذه الأشواق في الديانة اليهودية، فهي من ناحية ديانة طاردة ومن ناحية أخرى فإن كتبها الموجودة لا تغرى أبـدا بالانضـمام إليهـا. بـل ربما تكون صفات أوثانهم أسمى بكثير من صفات إله اليهود المعاصرين. يبقى التنافس بين المسيحية والإسلام. ما ينطبق على اليهودية ينطبق إلى حد ما على

المسـيحية على النظام الأمريكي، خاصة بعد التلاحم العضوي بين اليهودية والمسيحية هناك، عـلى أن هـناك مشكلة أخرى من المؤكد أن تؤرقهم، فتحت رايات الصليب قادت بريطانيا حرب الأفيون ضد الصين، وتحت رايات صليب آخر ضربت الولايات المتحدة اليابان بالقنابل الذريـة.وبالإضافة لهذا كله فإن من الصعب على هؤلاء الباحثين عما يروى أشواق أرواحهم، أن يجدوها في ديانة يهجرها أصحابها. الخطر إذن على إمبراطورية الشيطان أن يدخل كل هؤلاء إلى الإسلام. ولما كان هذا التحول قد يحتاج إلي قرن من الزمان فإن المهمة العاجلة أمامها هي أن تحطم الإسلام خلال هذا القرن. و إلا فإنه سيحقق انتصارا كاسحا علي الحضارة الغربية، المسيحية اليهودية.

على أن ما يمكن ملاحظته بوضوح هو أن ما تفعله أمريكا الآن يكاد يكون هو بعينه ما حـاولت بريطانيا فعله في القرن الماضي. يتساوى ذلك في إيران والهند وآسيا الوسطى وتركيا والبـلقان والعالم العربي. ومجهودات اللورد كرومر لتشويه الإسلام وتقديمه في صورة مزرية هي ذات ما يحاول الأمريكيون الآن فعله، مع فارق القوة لصالح الأخيرة وفارق الدهاء والخبث – ولا أقول الحكمة – لصالح الأولى. بل إن المنافسة بين الإسلام والمسيحية علي إسلام الوثنيين إنما هو تكرار لما حدث مع إمارة موسكوفيا منذ ألف عام[1].

إنـه استمرار للصراع لم يتوقف من جهة الغرب أبدا، وهو صراع لا يمكن أن يصل إلى حل. لأنه صراع بين مواقف نهائية، إن الغرب يرى في الإسلام خطرا عليه. ثم أنه لا يعترف بأنه ديـن سمـاوي، دعـنا مما يقال في المناسبات للمجاملة. إنه يرانا متخلفين ومكامن للإرهاب قـد تنفجر فيه في أي وقت، العناصر الأكثر حكمة ترى رؤية أخري لكن النتيجة لا تختلف. إذ أنهـا تري أن الإسلام هو النظام الوحيد القادر على تقديم منظومة فكرية منافسة للغرب، وذلك يجعلهم يصلون إلى ذات النتيجة، وهى أن الإسلام دين خطر. ويجب مواجهته وتحجيمه. عليهم إذن أن يضغطوا على المسلمين، ولو أن الإسلام منظومة بشرية – ومتخلفة وبدوية أيضا كما يرى الغرب – لأمكن التفاوض حول بنوده، لأمكن التنازل عن نقطة هنا أو نقطة هناك. وربمـا أمكن التنازل عن المنظومة كلها، المشكلة أننا نرى أن الإسلام دين سماوي، بل الدين السماوي، وهو إما أن يقبل كله و إما أن يترك كله، فالتنازل عن آية واحدة من القرآن كفر. ممـا يجعـل المشكلة تصل إلى نقطة الاستحالة. فالغرب غير قادر مهما بلغت قوته على إقناع المسـلمين بالتـنازل عن بند واحد من منظومتهم الفكرية، والمسلمون غير قادرين مهما بلغ

(١) تاريخ القوقاز– محمود عبد الرحمن– دار النفائس– بيروت.

ضعفهم على التنازل عن آية واحدة من القرآن أو حديث نبوي شريف. ويبدو أن الغرب الآن يسـقط في مسـتنقع صنعه هو، فالتنازلات التي قدمها العالم الإسلامي منذ الشيخ محمد عبده إلى الشـيخ سـيد طنطاوى قد فتحت شهيته للمزيد، ورغم أن هذه التنازلات كانت موجعة إلا أنهـا لم تمس جوهر الدين ولا شكله، و أقصى ما وصلت إليه هو تغليب رأى ضعيف على رأي قوى في الفقه، ولكن الاستجابة أوهمت الغرب أنه يمكن أن يتقدم أكثر، و أن المساومة على الفقه يمكن أن تمتد للشريعة، وهذا محال مهما كانت قوته ومهما كان ضعفنا، وربما يحتج أحـد بـأن الغـرب نجح في تركيا، لكنه لم ينجح، ولم يلمس التغيير إلا فئة عفنة، كالتحالف الشـمالي، وكالفـئة العفنة في كل بلد من بلاد عالمنا الإسلامي، فئة النخبة المسطرة، لم ينجح الغرب أيضا في البوسنة والهرسك ولا في كوسوفا فبقى الإسلام في قلوب الناس رغم تعرضهم للمذابح والتنكيل، بل لم تنجح روسيا القيصرية رغم كل وحشيتها في التأثير على المسلمين.. ورغم الفارق الهائل في القوة بين الطرفين.

ولما كان تداول الأيام بين الناس أمرا يؤمن به الطرفان فلا قوة تستمر ولا ثروة تستقر، ولمـا كان الحق مع الإسلام والقوة مع الغرب، فإن الغرب يدرك أنه بمجرد أن يفقد القوة فقد انـتهت منظومـته الفكرية. ومن هنا سعاره، لا لوضع نهاية للتاريخ ، بل لتجميده، وهو أول من يعلم أن هذا مستحيل، لذلك، لا يستعمل المنطق بل، يزيف المنطق.

لقـد نجـح الإسلام في الانتشار دائما رغم أنه يفرض على الناس واجبات وتضحيات قـد تصـل إلى الاستشهاد، ولم ينجح الغرب في الانتصار إلا بالقوة العمياء أو غوايات المال واللذة، نعم، ينتشر الإسلام ولو مع افتقاد القوة، وينحسر الغرب إذا فقد القوة. وليس ثمة مناص من استمرار الصراع .

الصـراع إذن مستمر، وهو مستمر في بلادنا وليس في بلادهم، هم الذين جاءوا إلينا، ليس لأننا إرهابيون أو أننا نريد فرض ديننا عليهم، بل لأنهم هم الإرهابيون وهم الذين يريدون إخراجـنا من ديننا. لسنا نحن الذين نريد فرض عقيدتنا الصحيحة في الوجود عنهم .. بل هم الذين يريدون فرض عقيدتهم الشيطانية علينا.

إننا واثقون من أننا على حق ومن أن ديننا حق وواثقون في وعد الله لنا بالنصر إن لم يكن في حياتنا ففي حياة بعدنا ولنا الجنة إن شاء الله.

أمـا هـم فغـير واثقين من حداثتهم، وهم يعوضون نقص الثقة هذا بمزيد من العنف والإجرام والمبالغة في استخدام القوة وادعاء التعالي والكبرياء .

الصـــراع مســـتمر.. والهجمة شرسة عاتية.. فالشيطان الأمريكي الجديد قد ورث عن أســـلافه كل شرورهم وضاعفها أضعافا مضاعفة وفقد في الوقت نفسه كل دهائهم وخبثهم.. ليواصل المعركة بطريقة فجة وحشية مستفزة.

الصراع مستمر، وعلينا أن نقوى من قدراتنا على مواجهته باستعادة الخلافة..

★ ★ ★

مـــع حكم الخلافة لا يمكن أن تكون للتاريخ نهاية لأن سعي الإنسان فيها هو سعي نحو مكارم الأخلاق.. نحو الأفضل دائما .. نحو المطلق، نحو الله، وليس من أجل الوصول إلى هدف بشرى هو نسبي بالضرورة، ولأنه نسبي فلابد أن تكون له نهاية.

ليـــس أمـــام العـــالم الإسلامي من سبيل آخر.. فالأمر ليس أمر أفغانستان ولا طالبان ولا أســـامة بن لادن ولا العراق ولا مصر.. الأمر أجل و أكبر.. الأمر أمر لا إله إلا الله محمد رســـول الله.. الأمر أمر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. الأمر أمر المحافظة علي المعنى الأسمـــى للوجود وعلي الغاية من الحياة ... والمسألة هي إباء الإنسان أن يكون حيوانا لا تهمه إلا الوسائل.. أو عبدا للشيطان.

ليـــس أمامـــنا من سبيل آخر سوى الخلافة فبدونها تبقى البلاد الإسلامية ممزقة، وتبقى الشعوب مفرقة. ويظل كل مجهود نبذله هباء تذروه الرياح أو كمن يحرث في البحر.. وبدونها تبقى إمبراطورية الشيطان تتحكم في رقابنا، وتنهب خيراتنا، وتوقع بيننا الشقاق، وتنصب علينا وكلاءها حكاما علينا.. وبدونها ستبقى الشعوب الإسلامية في كل أرجاء الأرض تقتل وتشرد وتهـــدم معابدها وتدنس أعراضها، وليس من منقذ. فللمسيحية دولها المحورية التي تقلب الدنيا مـــن أجـــل مسيحي، ولليهود دولتهم المحورية التي غزت لبنان من أجل جرح يهودي، حتى البوذيين لهم دولتهم المحورية.. إلا الإسلام..

وبدونها ينحرف التاريخ عندما نتوقف عن الكينونة أمة وسطا شهداء على الناس..

وبدونهـــا يبقى المسلمون غير العاملين بجد لإقامتها في الإثم وفي غضب الله، وإن صاموا وصـــلّوْا وحجّـــوا وزكّوْا. فالعمل لإقامة الخلافة هو الآن فرض عين، في أقصى طاقة وأقصى سرعة .

ليـــس لنا من سبيل آخر وقد أحيط بنا.. لأننا حتى لو ازورّ بنا الهوى عن الآخرة فطلبنا الدنيـــا وحدها فلن تتاح لنا ولن تباح .. لأن التطور الذي مر به الغرب كان تطور القرصان

القاتل الذكي العالم الذي استخدم مختلف أنواع العلوم والتكنولوجيا فوصل إلي منصب الملك فلن يسمح للص آخر أن ينافسه.. وقد يسمح للخونة منا أن يكونوا عبيدا وخدما برسم رؤساء و أمراء وملوك.. أما نحن.. الأمة فلن نكون إلا محل النهب والسرقة والقتل والتنكيل.. لن يرضي عنا القرصان الشيطان أبدا إلا حين نتبع ملته.. وحتى لو فعلنا ذلك فسوف تظل لديه عوامل تجعله يضعنا في الدرك الأسفل من الدنيا مثل اللون والجنس والثقافة والتقدم بالمعني الغربي .. ثم أنه لا بد للص من ضحايا يسرقهم فإذا ضم كل الناس إلي العصابة فممن يسرق؟!

ولو أننا رضينا بالدرك الأسفل من الدنيا فسوف نبوء بالدرك الأسفل من النار..

ليس أمامنا من سبيل سوى أن نبدد غربة الإسلام فينا..وأن يعود مرجعنا وغايتنا ..

من يريد الدنيا فعليه بالإسلام..

ومن يريد الآخرة فعليه بالإسلام..

ومن يريد الآخرة والدنيا فعليه بالإسلام..

الإسلام الذي لا يستطيع الآن أن يصمد لأعدائه إلا بإعلان الخلافة كي ينفذ المعادلة المعجزة في القرآن الكريم والتي تطالب المسلمين أن يقاتلوا الكافرين كافة.. لسبب بسيط.. هو أن الكافرين يقاتلونهم كافة.

★ ★ ★

يعرف الدكتور ضياء الدين الريس الخلافة (أو الإمامة) بقوله . هي : الحكومة الإسلامية الشرعية، أو كما نقول اليوم : "الدستورية"، أو بعبارة تعين المعنى وتحدده : الحكومة التي تكون الشريعة الإسلامية قانونها الأكبر أو الأم ، وهو ما نسميه اليوم بالدستور، وقانونها الفرعي وهو مجموعة الأحكام التشريعية التي تنظم بها حياة الأمة، سواء أكانت تلك الأحكام تتعلق بالمعاملات المالية، أو الأحوال الشخصية، أو المسئوليات الجنائية أو غير ذلك . وهدف هذا القانون هو تحقيق مصالح الناس في حياتهم الدنيوية والأخروية " .

ويقول الأستاذ الدكتور توفيق يوسف الواعى الأستاذ في قسم العقيدة بكلية الشريعة في جامعة الكويت[1] : " إذا أريد بالحكم تحكيم شرع الله وإقامة تعاليمه ، فهو الإسلام كله بأصوله وفروعه . وقد أمرنا الله بذلك في كتابه وما جاء الرسول – صلى الله عليه وسلم –

(١) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – السنة ١٥–الكويت– العدد ٤١ يونيو ٢٠٠٠

إلا لإقرار ذلك في الأرض وإبلاغه إلى الإنسانية "ليكون الدين كله لله ". أما إذا أريد بالحكم: الـنظام السياسـي الذي يقيم الإسلام ويحكم به ويدير دفة المسلمين ويرعى شؤونهم الدينية والدنيوية – فهذا النظام ليس إلهيا، إنما هو بشري الصورة شرعي الأصل لأنه من الفروض ، ومـن أوجب الواجبات في الإسلام ، كما نص على ذلك العلماء.. وأما أنه بشري الصورة: فلأن للأمة اختيار النظام الأمثل في حدود الشورى المؤدية إلى اختيار أفضل الأمة لرعاية دينها ودنياها، كما حددت ذلك الأحاديث الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ."..

★★★

أعضـاء التحالف الشمالي في كل بلد من بلاد عالمنا الإسلامي .. حثالة الأشرار.. بقايا حملة نابليون وولاة اللورد كرومر من حكام وولاة أمر ومثقفين ضللوا الأمة فحولوا الأمر من نقـاش مشروع حول الاجتهاد البشرى في كيفية نظام الخلافة من مباحث في كيفية الاختيار والـبيعة والشـروط الواجب توافرها فيمن يختار لها ومدة الحكم للخليفة و أسباب عزله.. حولوا النقاش المشروع في كل ذلك إلى شئ آخر.. شئ آخر مروع ورهيب.. وهو ليس حتى إلغـاء شكل الخلافة من حيث هي نظام بشرى.. بل إلى نفى لأصل الحكم الإسلامي وتحكيم كتاب الله في الأرض . وذلك هو الإسلام كله بأصوله وفروعه .

إن الوضـع الذي نعيشه الآن دون حكومة جامعة للأمة تطبق شرع الله – سموها كما شئتم – هو وضع شاذ لا ينبغي أن يبقى يوما فضلا عن أن يبقى أعواما. وضع شاذ فرض علينا في أوضاع شاذة وليس له أن يستمر..

وضع يخالف الشرع: وذلك يكفي.. فلو حسنت النوايا وصفت القلوب يكفي أن نعلم أن شيئا يخالف الشريعة كي نهجره على الفور دونما تساؤل إذا ما كان يتوافق مع النظام العالمي الجديد أو مع مواثيق الأمم المتحدة..!!..

ثم أن هـذا الوضـع – إضـافة إلى المخالفة الشرعية – أيضا يخالف المصلحة ويودى بـنا إلى الخراب والبوار والدمار.. وضع شاذ علينا أن ننهه على الفور.. أو نموت ميتة جاهلية حين نموت وليست في أعناقنا بيعة.. وبها كرمز للإسلام نواجه الدنيا ونشذب انحراف التاريخ وشذوذ الحكام.. وننتصر علي مؤامرات عاتية تحاك ضدنا..

إن الكثيرين – خاصة من طغمة المثقفين – لا يحبذون فكرة المؤامرة وهم في هذا الوضع بين مغفل غبي وبين خائن متورط فتحت نظام حكم العصابة الذي يحكم العالم الآن : من يعترف علي أفراد العصابة يقتل.. ثم أنني لا أقصد المؤامرة بمعناها الساذج البسيط.. وإنما أقصد ذلك

المكـــر الداهية القادر على إلباس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل.. المكر الداهية الذي لا يجعـــل بيتك ينقض فوق رأسك بل يحقن في أساساته موادا كيماوية تجعله مع الزمن ينقض عليك كي يلقي الحمقى باللائمة علي المقادير.. المكر الداهية في مؤامرة عمرها أكثر من ألف عـــام تنـــتقل من جيل إلي جيل ومن حكم إلي حكم ومن عصر إلي عصر دون لحظة نكوص أو تراجع.. و أنكي ما فيها أنها ليست خافية كلها.. لكن من ينكرها أمامنا وينكرها علينا هم أعضاء في العصابة أو خدم لها كالحكام والمثقفين.

نعم .. ثمة سلطة ما لم أستطع بعد أن أضع يدي عليها تحيك هذه المؤامرة.. سلطة حاول هربـــرت أ.شـــيللر[1]: أن يضع يده عليها إذ يقول: "إن التآمر والمتآمرين هم وجودهم المؤثر في الحقـــل الاجتماعي ومع ذلك فإن هذه الأنشطة سواء كانت كبيرة أم صغيرة، تم الكشف عـــنها أم ما تزال سرية، يمكن تفسيرها في إطار الحقائق الأعمق للواقع الاجتماعي" ثم يواصل هربرت أ.شيللر "إن العملية أكثر التباسا وأبعد تأثيرا نظرا لأنها تجرى دون توجيه مركزي، إنها متأصلة في تدابير اجتماعية اقتصادية أساسية وغير مطروحة للنقاش، تحدد في البداية، ثم تتعزز، وتنطوى هذه الترتيبات التي أُسست وأُضفى عليها طابع الشرعية خلال فترة طويلة من الزمن، على ديناميتها الخاصة كما تنتج أيضا حتمياتها الخاصة".

ينفي أعضاء التحالف الشمالي في بلادنا فكرة المؤامرة ونحن نعيشها واقعا أشد ترويعا من أبشـــع الكوابيـــس ومـــا وجود إسرائيل كلها إلا حلقة من حلقات تلك المؤامرة الكبرى.. وما تولية أمثال حكامنا علينا – أيضا – إلا حلقة من تلك الحلقات الكبرى..

ورغم يقيني ذاك من فكرة المؤامرة إلا أن الخلاف حولها الآن هو خلاف نظري لا يغير مـــن الواقـــع شـــيئا.. فمـــا نعيشه الآن أسوأ من المؤامرة و أخطر.. لأن المؤامرة مهما بلغ استخفاؤها وخطرها يمكن أن تكتشف كلها ذات يوم..ويمكن اكتشاف كل المشاركين فيها.. بـــل ويمكن أن تقاوَم.. لكن الأخطر من حالة المؤامرة هي حالة فقدان الرغبة – ولا أقول القـــدرة – عـــلى مقاومـــة المؤامرة.. والأخطر من هذا وذاك هو حالة التدهور العام في كل شـــئوننا.. تدهور قد تكون فكرة المؤامرة قد لعبت دورا فيه.. لكن الأخطر أنه اكتسب قوة الدفع الذاتية التي تمكنه من تدمير الأمة والوطن والدولة والشعب والحكومة والمعارضة بقواه الكامنة دون أي حاجة لمؤامرات جديدة ..

(١) فخ العولمة – عالم المعرفة .

إطار مخيف..

إطار فقدان العلاقة بين القول والفعل..

إطار استحلال الحرام وتـ ريم الحلال..

إطار الخجل مما ينبغي علينا أن نفخر به والفخر مما ينبغي علينا أن نخجل منه ..

إطار تجاوز الجهر بالفحشاء والمنكر إلى الفخر بالفحشاء والمنكر وإدانة من لا يرتكبهما..

إطار تحولت فيه صلاة الجماعة في بعض بلادنا الإسلامية إلى مسوغ للفصل من العمل.. وفي بلاد أخرى إلى الاعتقال المفتوح والتعذيب حتى الموت..

إطـــار يحاول الناس فيه - بعض الناس - أن يعضوا بالنواجذ على دينهم و أن يقبضوا عليه قبض القابض على الجمر، فيقتلهم ولاة أمورهم أو ينكلون بهم.. لأنهم يقولون ربنا الله..

إطار جعلنا نرى أنماطا من الخيانات والآثام لم يعرفها التاريخ قبلنا ..

فـــلقد حفل التاريخ - علي سبيل المثال - بآلاف وملايين يخونون دولهم وأممهم.. لكنها المرة الأولي في التاريخ التي تخون الدول فيها أبطالها ومجاهديها كما حدث من دولنا العربية مع مـــن أطلق عليهم: الأفغان العرب.. فحتى برويز مشرف[1] - ولا أصفه بما يستحق لأسباب لابد أن القارئ يدركها - غضب من أجل ما يحدث للمجاهدين الباكستانيين و أرسل طائراته لإجلائهـــم.. أما الأفغان العرب فهم يذبحون بدون - حتى - صوت احتجاج.. سوي صوت الـــنعيّ الـــذي انطلق ينوح : إن ذلك يحدث .. لأنه يوجد أفغان عرب.. وشيشان عرب .. وبلقان عرب.. لكنه لم يعد يوجد: عرب عرب!!

هذا هو المآل وذاك هو الإطار الذي صرنا إليه ..

إطار فقدان المرجعية.. ثم فقدان المنطق.. إطار تنحى مفهوم الدولة وتغوّل مفهوم الحكومة التي راحت تدوس القانون بدلا من أن تطبقه معلية قيم البلطجة والاستهتار.. إطار انهيار مفهوم ســـيادة القـــانون.. حـــتى القانون الوضعي الذي أتوا به لم يعد هناك من يلتزم به أو يحترمه.. ولا حـــتى القانون الدوليّ ولا الأمم المتحدة .. وإزاء تلاشيَ مفهوم الدولة.. وتغول حكومات إســـلامية فاســـدة عاجزة.. وانهيار سيادة القانون.. وسيادة مفهوم أن لا أحد يحاسب أحدا.. والإحباط العام .. فإننا نتدهور بسرعة إلى شرائع الغاب.. حيث يأكل القوى الضعيف..

---

(١) الرئيس الباكستاني، رئيس أول دولة في التاريخ لا تبتز الآخرين بسلاحها النووي . بل يبتزها الآخرون به !.

لقد قلت أن اللص لن يسمح للجميع أن يكونوا أعوانا ينضمون إلي عصابته.. علي أعلي المســتويات وفى أدناهــا.. و أقصد أنه من بين الأسباب التي يمكن أن تقوم صواريخ الكروزو والــتوماهوك وطائرات الــ B52 بقصف أي بلد إسلامي منفرد هو أن يحاول هذا البلد اتباع الــنمط الغربي في الديموقراطية بإجراء انتخابات غير مزورة. لأهم يعلمون أننا لو طبقنا معايير الديموقراطية الغربية لانتصر الإسلام ..

ولننظر ما حدث في الجزائر.. وما حدث في الجزائر كان ينبغي أن ينبهنا إلى أشياء غفلنا عنها ما كان ينبغي لنا أن نغفل عنها أبدا.. لكننا غفلنا..

الإسلام هو رابطنا وحامينا والجهاد رأسه والخلافة أداته..

الإسلام هو رابط هذه الأمة ومنبع عزها فإذا تخلت عنه انفرطت وذلت.. انفرطت كما انفرطــنا من مسلمين لا فرق بين أحدنا وبين أخيه إلا بالتقوى: إلى مسلمين عرب ومسلمين عجــم.. ومــن مســلمين كــل أرض الإسلام لنا هي الوطن إلى مصريين وشوام وعراقيين وحجازيين ..و ..و ..بعد انفراط الأمة أخذ الوطن الواحد ينفرط.. مسلمون جزائريون عرب ومسلمون جزائريون بربر.. بجنسية وبدون.. أفريقي وعربي و..و.. أما تلك الطغمة الفاسدة التي تسعى لاستمرار هذا الوضع المثالي لأعدائنا فتذكى النار وكأنها نذرت ألا تدع على وجه البســيطة مــن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يهمها شئ.. تضعف الأمة بسياساهم الخــرقاء لا يهــم.. يضــعف الوطن.. لا يهم.. يتفتت الوطن.. لا يهم.. لكن هدفهم الذي يعيشــون في ســبيله ويموتــون دونه هو القضاء على الإسلام حتى لو أدى ذلك إلى تلاشي أوطانهم..

وفى ظــل هــذا كله تحول ولى الأمر إلى قرصان محلي تحالف مع القرصان الأكبر والأمة لا تدرك أنه قرصان فراحت تلتمس له المعاذير وتسدى له النصح آملة أن ينصلح حاله.. غير مدركة أنه باعها وباع السفينة.. و أن مهرجانات المبايعة التي يعقدها لنفسه ليست بيعة الدين بل هي بيع للدين..

نعم.. بيع للدين وللوطن وللشعب..

ثم يأتي عبدة الشيطان ليهاجموا نظام الخلافة صارخين : سوف يمكث الخليفة حاكما طول عمره .. هذا ضد الديموقراطية وهذا لا يمكن أن يكون لذلك لا يمكن أن نوافق..

الله يعلم إنهم لكاذبون.. و أنهم فجار أيضـا.. كاذبون لأنهم يعلمون أن شكل الخـلافة – ومنه مدة الخلافة – هو بشري.. وهو عقد ما بين الأمة والحاكم يجوز للأمة فيه أن تشترط ما شاءت ما دام في حدود شرع الله.. يعلمون ذلك من تجربة الإمام الحسن بن علي مع معاوية رضـي الله عـنهما.. ويعـلمونه من تجربة معاوية الثاني رضي الله عنه.. ويعلمونه من خلال عشرات الخلفاء عزلوا لسبب أو لآخر رغم أن الخلافة بعد الراشدين لم تكن خلافة كاملة.. هم كاذبون لأنهم يعلمون وينكرون.. أما كونهم فجارا لأنهم هم بأنفسهم من يبايعون حكامهم كي يحكموا مدى الحياة بل إن منهم من يناشد الحكام أن يورثوا الأبناء.

نظـام الخلافـة هـو ما ينقذنا مما نحن فيه.. وقد يرى البعض أن الوقت غير مناسب رأن الصـحوة الإسـلامية في نموها ستفرض الأمر بعد عقود أو قرون.. ولست أتفق مع هذا الرأي.. نعم.. هناك صحوة إسلامية.. لكنها حين تتقدم بسرعة السيارة يتقدم أعداؤها بسرعة طائرة.. هناك صحوة إسلامية وهناك أيضا إمبراطورية الشيطان..

وعندما تكون أكبر و أعقد أسلحة الصحوة زجاجة مولوتوف وبندقية بدائية وصاروخ كاتيوشـا فإن سلاح أعدائها طائرة إف ١٦ وصاروخ كروزو، وطائرة بي ٥٢ وشعاع ليزر وقنبلة نووية..

وعندما يتبعثر شهداء الصحوة الإسلامية الأحياء في فجاج الأرض محاصرين جائعين عراة مطاردين ليس بينهم وبين بعضهم أي اتصال فإن أعداءها ينتشرون في بقاع الدنيا ويسيطرون عليها تحكمهم رئاسة مركزية واحدة قد يكون مقرها في واشنطن أو تل أبيب.. رئاسة مركزية واحدة يعمل الملوك فيها خدما والأمراء عبيدا والرؤساء عملاء..

نعم .. يتجمع أعداء الصحوة الإسلامية تحت قيادة إمبراطورية الشيطان كما لم يتجمعوا عبر التاريخ قط.. اليهود والصليبيون والعلمانيون ونخبنا المثقفة وجل ولاة أمورنا.. نعم.. هناك صحوة إسلامية.. وهناك تقدم إسلامي.. لكن تقدم إمبراطورية الشيطان أكبر والمسافة بينهما تزداد ولا تنقص..

في العـالم غير الإسلامي لم تكن مشكلة الغرب في فرض حضارته صعبة.. لأن هذا العالم لم يكـن يمتـلك حضـارة كامـلة راسخة كحضارتنا.. لم يكن يمتلك شريعة كاملة وخاتمة كشـريعتنا.. أمـا بالنسبة لنا.. ليس الأمر مجرد غزو فكرى.. بل هو فكر استيطاني يستأصل حضارتنا وفكرنا ليحل محله.. فكر استيطاني لا يستطيع مواجهته شراذم حكام وشراذم كتاب دوّخونا و أضلونا السبيل ودفعوا بنا إلى التيه.. فكر استيطاني عبر عنه الدكتور محمد عمارة[١] في مرارة توجع القلب قائلا أن المشكلة بيننا وبينهم ليست قبولنا لهم بل قبولهم لنا..

(١) عالمنا – الدكتور محمد عمارة – دار الوفاء.

إنهم يرفضوننا رفضا كليا لا يمكن أن يتزحزح إلا إذا أعلنا التوبة من الإسلام والتبرؤ من جوهر ما يدعو إليه ولا مانع من أن نبقي علي شكل أجوف خاوي المضمون .. محققين بموقفهم ذلك الإعجاز المذهل للآية القرآنية: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ . [سورة البقرة . الآية : ١٢٠] .

نعـــم : موقـــف إمـــبراطورية الشيطان منا هو ذات موقف حكامنا ونخبنا منا.. موقف لا يعتمد الدين مرجعية .. ولا يعتمد أيضا المنطق.. يرفضون النقل .. ويرفضون العقل أيضا..

وموقف إمبراطورية الشيطان منا أن تضعنا في أفضل المواقع بالنسبة لها و أسوئها بالنسبة لـــنا ..إنهم ينتقون على سبيل المثال أقل الأشخاص كفاءة لتولى أخطر المناصب.. يختارهم لنا الغرب أو يصل بهم – في إطار مؤامرة لا أشك فيها – إلى سدة الحكم ليكونوا رؤساء ونواب رؤساء وملوكا و أمراء وقادة.. يختارون أولئك الذين لا يمكن أن تصل بهم كفاءتهم ومواهبهم إلى مثل مناصبهم.. يتحول الحاكم من هذا النوع إلى خادم.. وعبد ذليل لمن وضعه في منصبه ولمن يضمن له الاستمرار فيه..

هـــؤلاء و أولـــئك هـــم الذين أوصلونا إلى ما نحن فيه.. إلى التيه.. نعم.. فالتيه لم يكن مقصورا على بنى إسرائيل..

وكان مما نسيناه الولاء والبراء.. الولاء لله.. والبراءة من كل ما يغضب الله..

ذلك أساس لا يمكن بدونه تحقيق وحدة أو قوة أو خلافة أو انتصار..

الولاء والبراء اللذان لا ينعقدان إلا على أساس القرآن والسنة فقط..

ليس للنظام العالمي الجديد دخل في ذلك ولا لقرارات الأمم المتحدة!!..

بالولاء والبراء نتخلص من أصنام الفكر.. والتحزب والتشيع والتفرق.. فمن كان مؤمنا وجـــبت موالاته من أي أرض أو جنس أو لغة كان.. ومن كان كافرا وجبت معاداته من أي صـــنف كـــان.. وليس لمؤمن أن يعلق الولاء والبراء على أسماء مبتدعة سموها ما أنزل الله بها من سلطان.. لا الأحزاب ولا المذاهب ولا النظم ولا الأفكار ولا الفلسفات بل فقط.. الولاء لما يحبه الله ورسوله والبراء مما يبغضه الله ورسوله..

قال تعالى:

﴿ لاَ يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّه فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران ٢٨] .

وقال عز من قائل :

﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ باللَّه وَالْيَوْمِ الأَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ..﴾ [المجادلة ٢٢] .

ولقد حرص أعداء الإسلام على إضعاف مفهوم الولاء والبراء في حياة الأمة الإسلامية . وبعث قيم جديدة يعقد على أساسها الولاء والبراء لتكون بديلا عن الإسلام فظهرت دعوات القومية والوطنية والإنسانية والاشتراكية والشيوعية والرأسمالية و .. و.. و.. حتى يتذبذب المسلم بين ولائه لدينه وبين ولائه لهذه المفاهيم الجديدة ويذهب تميزه بإسلامه واستعلائه بعقيدته ليسقط فريسة الغزو الفكري والحضاري والعسكري فلا يبقى منه إلا مسخ مشوه لا يصلح في حراسة الدين ولا في سياسة الدنيا.

ولم يكن غريبا أن تؤتي هذه الدعوات الخبيثة أكلها في تمزيق دولة الخلافة. فتنشأ حركة التتريك في تركيا والقومية العربية والبلقانية والفرعونية والبربر و .. و .. وهي حركات تنقل الولاء والبراء من مستواها الإلهي إلى مستوى بشرى أو شيطاني.

نعم .. في بحور التيه هُزمت أرواحنا قبل أن تهزم جيوشنا..

لم يكن لأرواحنا أن تهزم أبدا لو كنا نفعل كما فعل أسلافنا الصالحون..

لو لم نتخل عن الولاء لله..

يورد الدكتور صلاح الصاوى نماذج رائعة من أسلافنا الذين زخرت حياقم بالصحائف المشرفة والمواقف الخالدة التي علمت البشرية كيف ينتصر الولاء للإسلام على كل ما حفلت به الدنيا من الجواذب والمغريات .

فهذا هو الصحابي الجليل كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا يهجره النبي صلى الله عليه وسلم، ويأمر بهجره ، ويعيش بين المسلمين على الحال التي وصفها الله في القرآن (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه). ثم يأتيه في غمرة هذه المحنة كتاب من ملك غسان يدعو فيه إلى أن يلحق به ليواسيه

ويرفع عنه ما يكابده من هوان وضيعة، فما كان من الصحابي الجليل إلا أن أحرق هذه الرسالة في التنور، وقال : وهذه أيضا من البلاء! !..

وهذا الصحابي الجليل أبو عبيدة – رضي الله عنه – يقتل أباه يوم بدر لما استحب الكفر على الإيمان ، ولم تمنعه صلة الأبوة من أن ينتصر منه لله ولرسوله وللمؤمنين ..

وهـــذا هو الصحابي الجليل مصعب بن عمير يمر يوم بدر على نفر من الصحابة يأسرون أخاه عزيز بن عمير فيقول لهم شدوا وثاقه جيدا فإن أمه غنية، ويبادره أخوه متعجبا : "أهذه وصاتك بي " فيقول : إنهم إخوتي دونك !!..

وهـــذا هـــو الصحابي الجليل زيد بن الدثنة بعد أسره في حادثة الرجيع يشتريه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، ويقدم هذا الصحابي الجليل إلى القتل صابرا محتسبا. فيبادره أبـــو سفيان بن حرب بهذا السؤال : أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك . قان زيد : (والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي).

وهـــذا هو الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول يأتي إذ يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال أبوه قولته الفاجرة : "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز الأذل " . ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يأمره فيأتيه برأس أبيه إن كان مزمعا قتله ! ويقف عـــلى بـــاب المدينة شاهرا سيفه ليمنع أباه من دخول المدينة حتى يعلم من هو الأعز ومن هو الأذل. ولم يمكنه من الدخول حتى جاء إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

★ ★ ★

يواجهنا العلمانيون في بلادنا – وهم مجوس هذه الأمة – بعقل تالف وصبر نافد وذاكرة تـــترف وضمير زُيِّف.. فإذا ما تحدثنا عن الولاء والبراء وعن الحل الإسلامي أو عن ضرورة عودة الخلافة أو عن قداسة اسم الله سبحانه وتعالى وجلال قرآنه وتتره رسوله صلى الله عليه وسلم عن عبثهم، تعالت أصواقم بالاستنكار وكسرت لنا الأقلام وأغلقت لنا الصحف ..

نعـــم .. صك المستغربون لنا مصطلحات وأعطوها قيمة مطلقة، فمن حقك مثلا تناول الديـــن والمقدسات بموضوعية، والموضوعية هنا تعنى نزع أي رؤى سابقة، ولكنك إذا حاولت أن تتـــناول مصـــطلح "الموضـــوعية" نفسه بموضوعية تجابه على الفور بأقسى وأقصى هجوم، فالمصـــطلح في منظورهم كتلة صواب مطلق لا تقبل التجزئة، لقد رفضوا أن يحتل الدين هذه

المرتبة التي منحوها لمصطلحهم.. رغم أن المصطلح ككل ما هو دنيوي يحتاج إلى مواجهة. فهو إن كـــان يصلح في العلوم الطبيعية والفيزياء لا يصلح على الإطلاق في النظرة الشاملة الكلية للخـــلق والغاية من الحياة والهدف الذي نسعى إليه، لكن المستغربين والعلمانيين يريدون أن تكـــون الموضوعية صنما مقدسا لا يمس، وهو يعني بالضرورة استبعاد كل ما لا يمكن تجربته، وبهـــذا يكون الغيب كله مقصيا ومستبعدا من أي حساب. الجزء الأكبر والأهم من الوجود يستبعد فهل في ذلك أي موضوعية؟!.

تســـتلزم الموضـــوعية أيضا الحياد، والحياد أسطورة لا يمكن تحققها إلا بقد ما يمكن أن تتشـــابه بصمات إصبعين!!.. الإنسان موقف.. والموقف انحياز.. والحياد - مثلا - بين الخير والشـــر وبين الخطأ والصواب وبين الإيمان والكفر وبين الله والشيطان.. وتمييع موقف الولاء والبراء حتى التلاشي .. كل ذلك ليس موقفا موضوعيا ولا صحيحا.. ليس بمصطلحاتنا سوى نفاق..!!..

وبالـــرغم مـــن ذلـــك كله فلنرقب مدى موضوعية إلههم أو على الأحرى شيطانهم في واشنطن والتي فضح في العام الأخير كما لم يفضح الشيطان منذ عشرات القرون..

★★★

مصـــطلح آخر.. كالديموقراطية.. مصطلح مصمت.. مطلق.. على الناس أن يؤمنوا به إيمانـــا مطـــلقا و إلا سلبت منهم كينونتهم كبشر وحرموا حقوق البشر دون أي تسامح مع من يحاول تفكيك المصطلح لتحليله وفهمه..

في مواد القانون الجنائي يوجد من أنواع الجرائم نوع يسمى بالجريمة المستحيلة.. كجريمة إطلاق الرصاص على جثة ميت.. فجريمة القتل هنا جريمة مستحيلة..

بعض الأسئلة أيضا كذلك..

ولـــنطرح على سبيل الجدل فقط سؤالا مستحيلا من هذه الأسئلة.. سؤالا غير حقيقي وغير صحيح.. سؤال غير صحيح من البداية لأننا لو أجرينا استفتاء غير مزور بين كل شعوب العالم الإسلامي لاختارت الإسلام والوحدة وتطبيق الشريعة..

لكن .. فلنطرح هذا السؤال المستحيل:

إذا رفضـــت الديموقـــراطية النظام الإسلامي .. ورفض الإسلام الديموقراطية.. فأيهما نتبع ؟؟!!..

والسؤال كما قلت غير صحيح..

فالإســـلام واحـــد له مرجعية إلهية واحـــدة ويحتوى داخله على ثراء مذهل من تعـــدد الـــرؤى.. أمـــا الديموقـــراطية فهي مرتبطة بمن ابتكرها..فإذا كانت الحضارة الغربية هي التي ابـــتكرها فإنها تستطيع تغيير مواصفاتها في أي وقت .. ولن نتناول الأمر هنا بصورة أكاديمية فالمجـــال لا يتســـع.. لكننا نقرر أننا.. وعلى مستوى العالم كله نرى نماذج بالغة التشوه تطعن النظام الديموقراطي في أقوى قلاعه.. لن أتحدث عن الديموقراطية السائدة في عالمنا العربي والتي تفضـــلها حـــثالة كرومر وبقايا نابليون على الإسلام.. ديموقراطية المخالب والأنياب والمحاكم العســـكرية و إفساد القضاء والنيابة التي تحولت إلى شرطة والشرطة التي تحولت إلى عصابات والـــتزوير والفســـاد ومـــنع الناخـــبين مـــن الوصول إلى صناديق الانتخاب – اللبنة الأولى للديموقراطية – .. لن نتحدث عن ذلك.. بل نتحدث عن الديموقراطية في قلاعها وحصونها.. عـــن الديموقراطية التي تعنى حكم الأغلبية.. ونتساءل كيف يتوصلون إلى هذه الأغلبية.. نظم حاكمـــة جـــبارة القـــوى.. وأجهـــزة تكـــنولوجية مذهلة.. ومؤسسات عابرة للقارات.. وأجهـــزة إعلام قادرة على إلباس الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق.. ليست قادرة فقط. بـــل إن هذه هي مهمتها الرئيسية.. مؤسسات هائلة تواجه الأفراد العاديين فتقنعهم بما تشاء وتخدعهـــم بما تشاء وتزيف وعيهم كما تشاء وتخفى ما تشاء وتظهر ما تشاء .. ثم تذهب بعد ذلك بهذا الفرد المحشو بالأكاذيب كي يختار في صندوق الانتخاب..

فهـــل يمكـــن لفـــرد أن يواجـــه تلك القوى الجبارة أن يحافظ على توازن فكره خاصة وقد جردناه من أي مرجعية مطلقة..؟!..

دعونا نضرب مثالا آخر.. إن أمريكا رائدة الحضارة الغربية ووارثة ما كان عند الآخرين تفـــترض لنفســـها – ومعهـــا الحـــق ما دامت لم تجد من يردعها – أن أي خلاف في تفسير الديموقـــراطية لابـــد أن تكون هي مرجعيته.. تماما كما يرجع في أمور الدين إلى الفقهاء وفى مشـــاكل القـــانون إلى المحكمـــة الدستورية العليا.. أمريكا هذه ترى في المجرم شارون رئيسا ديموقراطيا وتري في أطفال الشعب الفلسطينيين إرهابا يهدد الديموقراطية والحداثة والحضارة..

يغمض التحالف الشمالي في بلدنا أعينه عن كل ذلك ويواصل الانبهار بالغرب والانهيار أمامه .

كل شئ عندهم مزيف مهما حاولوا خداعنا بلمع بريقه ومع ذلك فإن حكم الخلافة هو الذي يتلقى الاتهام والإدانة.

إن أمــريكا – راعية الديموقراطية – هي أكبر دولة في العالم في تصنيع أجهزة التعذيب، والمســتورد الأول لها هو عالمنا العربي العلماني، ومع ذلك فإن همّ الإرهاب لا تسقط إلا على رؤوس المسلمين – لا أسميهم الإسلاميين فالإسلام واحد – .

★★★

ليست سيئات الخلافة إذن ما يعترضون عليه بل إسلام الخلافة !!..

ولقد لجئوا في ذلك إلى كل أنواع الكذب والتشهير والتشويه والادعاء والاختلاق..

لقد جندهم الغرب أو غزاهم، والأمة في غيبوبة أو تيه..

مـــنذ مائتي عام على الأقل وأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تخوض بحار التيه.. يتحرك الزمان .. لكننا ندور وندور لنعود إلى نفس النقطة في المكان.. بعد كل مرة .. نخسر فيها كل شئ .. لنبدأ من جديد.. لنخسر كل شئ من جديد.. فقد نسينا الله فأنسانا أنفسنا وحاقت بنا الفتنة التي لا تصيب الذين ظلموا خاصة..

وفي ظـــلمات التيه لا ينقذنا من نخبة أبي لهب سوى نخبة أبي جهل ولا ننتقل من نخبة أبي جهل إلا لنخبة أبي لهب..

يحدثـــنا عن هذا التيه العلامة محمد قطب في كتابه القيم[1] فيقول : " كان حجم التيه هائلا جدا .. أكبر بكثير مما يتصور أكثر الناس.. ويكاد لا يوجد جانب واحد من حياة الأمة لم يــتأثر بالــتيه .. كأنما انقلبت في نصف قرن أو يزيد أمة أخرى غير التي كانت من قبل ! انقلــبت في كـــل شـــئ .. في تصوراتها وأفكارها ومشاعرها وأنماط سلوكها .. في السياسة والاقتصـــاد والاجتماع والأخـــلاق والفكر والأدب والفن " .. في كل شئ ! وكانت الأمة – ولاشك – تشعر بالانقلاب .. فقد كانت المفارقة حادة بين ما كانت عليه وما صارت إليه في تـــلك الفـــترة القصيرة من الزمن .. ولكن الكارثة أنها – وهي في التيه – كانت تظن أنها تنقلب إلى الأفضل ! وتنظر إلى نفسها وهي تنسلخ من دينها وتقاليدها وموروثاتها وتصوراتها ، على أنها قد بدأت – الآن – تخطو أولى خطواتها على الطريق المستقيم ! " .

يعـــود بـــنا العلامـــة محمد قطب إلى بداية الانهيار.. فهي بذاتها بداية الانبهار بالغرب.. ثم يلاحظ ملاحظة هامة.. وهي أن سبب انبهارنا بالغرب لم يكن الفارق الحضاري بيننا وبينه..

(١) هلمّ نخرج من هذا التيه! – دار الشروق – القاهرة – ١٩٩٤.

فقد كان الفارق هائلا جدا لصالح الأعداء حين التقى المسلمون مع الفرس ومع الرومان ، وهم صفر اليدين من أسباب الحضارة المادية أو يكادون .. ولكن ذلك الفارق الهائل لم يستوقفهم لحظة واحدة ليفكروا فيه ، ولا كان له في حسهم وزن .. أي وزن !..

لأول مرة في تاريخ المسلمين ينظرون إلى أعدائهم على أهم أعلى منهم .. لا في مجالات العمل و " التكنولوجيا " وآلات الحرب ، فذلك ظاهر .. ولكن في الأفكار .. والعقائد.. وأنماط السلوك ... لم يكن السبب هو الهزيمة العسكرية ، ولا فارق الحضارة المادية .. إنما كان الخلل في الإيمان .. في موطن العزة والاستعلاء ..

كان السبب هو الخواء العقدي الذي وقعت فيه الأمة عدة قرون .

لذلك أدت الهزيمة العسكرية إلى الانبهار .. وحين بدأ الانبهار .. دخلت الأمة في التيه ..

أريد أن أضيف هنا أن الإصابة أول ما ألمت فقد ألمت بالنخبة.. النخبة السياسية والاقتصادية والثقافية والصناعية.. النخبة التي تمثل الحادي بالنسبة لأي مجتمع فهو يسير خلفها بأعين نصف مغمضة .. لا يتخيل أن تأتيه من قبلها الخيانة ولا أن تورده موارد الهلاك.. ثم أن ما يشين هذه النخبة ويدينها.. أن خطأها لم يكن خطأ من اجتهد فأخطأ.. بل من تآمر وأصر على الوصول للخطأ فنجح في الوصول إليه.. عن طريق الخسة لا عن طريق الجهل.. فقد كان لهذا الإصرار ثمن.. نعم.. كان هذا الإصرار هو ثمن الوصول إلى مستوى النخبة الحاكمة المستحكمة أو الاستمرار فيها.. نعم.. أعترف أن المرض قد تسرب بعد ذلك إلى الأمة.. لكنه ليس أبدا بنفس درجة إصابة النخبة به.. وكانت إصابة الأمة إصابة جهل لا إصابة خسة.. نعم.. الأمة على عينها غشاوة.. وليس مستحيلا أن تنزع هذه الغشاوة .. وذلك مكمن رعب النخبة ومن خلفها إلهها الأمريكي.. وذلك سر تكريسها لكل وسائل الإعلام والإعلان والتعليم وتسليطها لكل قوى البطش لكي تحارب الإسلام ولكي تجفف منابعه.. ولنأخذ من فكرة الخلافة مجرد مثل على ذلك.. لقد حاربوا وسفهوا وسخروا من فكرة الخلافة رغم أنها فكرة رئيسية وجوهرية ومحورية في الإسلام.. وانظروا إلى المنهج الشيطاني الذي يتبعونه : بداية فإن كتب التاريخ في المدارس تقوم بالدور الأول في تشويه الفكرة في وجدان النشء ، ثم تتكفل وسائل الإعلام بعد ذلك لترسيخ التشويه والتنويع عليه.. ثم تتوالى الإصدارات الثقافية لتؤكد هذا التشويه .. إصدارات ثقافية يقوم بها مستغربون تلقوا تعليمهم في الغرب – خاصة أمريكا – وتم غسيل أمخاخهم هناك .. فإذا ما أفلت أحد من هذا التيه الذي تدفعنا النخب إليه تكفلت به أجهزة الأمن.. ليعذبه ضباط بوليس تلقوا تدريباتهم على التعذيب

في الغـــرب – وخاصة أمريكا! – مستخدمين في التعذيب آلات تعذيب مستوردة من الغرب – خاصـــة مـــن أمريكا!! – فإذا أضفنا إلى هذا كله أن معظم الحكام تلقوا تدريبهم بصورة أو بأخرى في الغرب – خاصة في أمريكا !!! – اكتملت الدائرة واكتمل الانهيار ووضح سبب الانبهار.. إنه انبهار مصنوع.. انبهار مزيف ..

هزمت روح الأمة قبل أن تهزم جيوشها.. ثم اشتدت الهزيمة بعد أن هزمت الجيوش..

وعندما جلا الاستعمار عن بلادنا فقد جلا بثمن فادح.. سلم الحكم إلى نخب اصطنعها هـــو.. خمســـة أو ستة آلاف في كل دولة.. خمسة أو ستة آلاف يحملون مواصفات التحالف الشمالي في أفغانستان.. وكان يدرك أنهم سيقاتلون في معارك حياة أو موت للاحتفاظ بتركيبة النخبة كما هي.. يتغير حاكم .. لا يهم.. تتغير وزارة.. لا يهم.. يقوم انقلاب.. أيضا لا يهم.. فاللعـــبة كلعـــبة الكراســـي الموســـيقية محصورة في نفس الأشخاص والأمة مهمشة تتفرج.. وما ينطبق على الحكم ينطبق على الاقتصاد والثقافة والعسكر.. وربما بعض الشيوخ الرسميين.

هزمت أرواحنا ..

انكسرنا..

وما لم ينجح فيه الاستعمار ولا جحافل الصليبيين نجحت فيه أجهزة حكمنا الوطنية..

هزمنا من داخلنا.. وتضافرت هزائم الداخل مع هزائم الخارج فابتعدنا كثيرا عن منابعنا – التي لم ولن تجف أبدا وإن شبّه لهم – فنسينا الولاء والبراء.. نسينا أن ولاءنا يجب أن يكون لله لا لوطن ولا لقوم ولا لملك ولا لرئيس .. ونسينا أن براءتنا يجب أن تكون من أعداء الله..

واليـــنا أعـــداء الله.. ولم نكن ممن وصفهم الله بأنهم أعزة على الكافرين رحماء بينهم.. بل كنا أذلة عند الكافرين أما بيننا فجبابرة..

انقسمنا شيعا وأحزابا ودولا .. وتقسم ولاؤنا بين الشرق والغرب وبين هذا وذاك..

وبرئنا من بعضنا ومن إخوتنا..

مصر أولا.. العراق أولا.. الكويت أولا.. الشام أولا..

وفى نفـــق الـــتيه المظـــلم لم نتنـــبه أننا جميعنا نحتل الصف الأخير .. بينما كانت أمريكا أولا وإسرائيل أولا والغرب أولا..

ولم نتنبه.. إلى أن تلك النخبة المثقفة المنحرفة التي دستها السلطة بين صفوف الأمة متظاهرة أحيانا بالمعارضة تزلزل ديننا وعقيدتنا وهى تتظاهر بالمطالبة بحرية الفكر وما كانت تقصد سوى حرية الكفر.. وبحرية الاعتقاد وما كانت تقصد إلا حرية الإلحاد.. وراحوا يكفرون وبالله ويؤمنون بالغرب كما شاء لهم الشيطان.. إلا أنهم أدركوا أنهم رغم كل محاولاتهم لم يغيروا في الأمة سوى قشرة لن تصمد لأي محاولة للكشف.. لذلك سنوا قانونا صارما ما أنزل الله به من سلطان.. إذ أنهم وهم يطالبون بحرية الاعتقاد.. الذي لا يقصدون به في أمة مسلمة إلا حرية الخروج على الإسلام.. سنوا ذلك القانون الذي يحرم على المسلمين اتهام الخارجين على الإسلام بالكفر.. وفى نفس الوقت تكفلوا بالعطاء الجزيل لأولئك الخارجين..

تماما كما تحرم أمريكا علينا اتهام عملائها بأنهم عملاء.. وتماما كما تجزل لهم العطاء..

أصبح الخروج على الإسلام مباحا..

وأصبح التكفير ممنوعا بإطلاق..

رغم أن كتاب الله.. القرآن الكريم.. هو أكثر كتاب في الدنيا يتحدث عن التكفير..!!

ومن هنا كنا ندلف إلى بحور التيه..

★★★

في كتاب بالغ الأهمية والخطورة للدكتور محمد محمد حسين عنوانه " حصوننا مهددة من داخلها " يقول المؤلف : " أصبح كثير منهم في مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم وخططهم على المسئولين من رؤسائهم وينفذوها في صمت، ودون أن يثيروا ضجة تلفت إليهم المعارضين، وهؤلاء المفسدين عصابة تشد أزرهم وتشيد بهم وتنوه بذكرهم وتحميهم من خصومهم، وتمنع كل ما ينبه الناس إلى شرهم من كل وسائل النشر، فلا يصل إلى آذان الناس وعيونهم شئ منه ، و أنا حين أزعم أن هؤلاء الناس ينتمون إلى عصابة ذات خطر إنما أعنى بالعصابة كل مدلولها وكل حرف من حروفها وكل مفهوم من مفاهيمها."..

★★★

أروح مثقلا بالمأساة مروعا بالفجيعة أبحث عن سر انهيارنا في أخطائنا كمسلمين أولا.. وفى المؤامرة ثانيا .. ثم في تلك الثلة من الأشرار التي تركها الاستعمار الصليبي تسيطر على حياتنا فتلوثها .. أولئك الذين ركعوا أمام حضارة الغرب .. استسلموا لها وكفروا بأنفسهم

وبأمتهم وبالله .. لكنهم لم يكونوا بالشجاعة الكافية ليكشفوا طويتهم فأضمروا الكفر وأظهروا الإيمـان .. ظـنوا أنهم قد سبقوا عصورهم وبزوا أقرانهم فاكتشفوا كما اكتشف الغرب أن الأديـان أساطير ينبغي – كي نتقدم – التخلص منها فألقوا بديننا مع الخرافات والأساطير.. كفـروا بالله الواحد القهار وآمنوا بالشيطان و أصبحوا رعايا في إمبراطوريته.. قالوا لأنفسهم أنـنا – نحن الذين نشكل مجتمعهم المتخلف – ما زلنا متخلفين جدا .. لأننا لم نتثقف بثقافتهم ولم نتعلم بعلمهم.. وأننا عندما نصل إلى ما وصلوا إليه من عقل وعلم وتحضر فلابد أننا سنقتنع مثـلهم أن الدين ليس إلا أساطير الأولين .. هذه الأبقار تنظر إلينا بالضبط كما ننظر نحن إلى عـبدة الـبقر.. لذلـك قرروا أن يأخذونا الهوينى.. أدركوا من تجاربهم ومن تجارب أسلافهم وسادقم أن الدين عزيز جدا في قلوب الناس حتى لو جهل هؤلاء الناس أسرار عظمته وأهملوا فرائضه فالدين قد انتقل عندهم من مجال العقل إلى مجال الروح فسما إلى مستوى العقيدة التي انعقـدت القلوب عليها فما لها أن تنفك .. تحول الإيمان – في دفاعه عن نفسه – إزاء هجمة الشـيطان إلى كيـنونة كـلية لا تكشف تفاصيلها كي تنجو من سهامهم .. كينونة لا يمكن مهاجمـتها أو تدميرهـا إلا بتدمير الكائن البشرى ذاته .. ولقد فعلها إلههم مع الهنود الحمر والأسـتراليين الأصليين وكادوا أن يفعلوها معنا لولا أن قيض الله لنا الدولة العثمانية فحمت نسـلنا وأبقـت على حرثنا .. اكتشف هؤلاء إذن أن موتنا أقرب إلينا و إليهم من كفرنا .. وأدركـوا أن المواجهة فوق أنها مستحيلة فقد تطلق في الناس فورة النخوة الأخيرة ليجاهدوا في سـبيل الله .. لذلك أضمروا الكفر و أظهروا الإيمان .. لا يعترفون بحقيقة كفرهم إلا فيما بيـنهم .. أما معنا .. مع الأمة .. فقد قرروا ألا يواجهوا الإسلام مباشرة بل أن يخربوه جزءا فجزء.. لقد عجزوا عن سحقه في قلوبنا .. فليسرقوه إذن منها .. يسرقونه بالتسلل إلى بنوده وأركانـه وتدميرهـا فلا يبقى في قلوبنا إلا هيكل بلا محتوى وشكل بلا مضمون .. وعندما يصـلون إلى ذلك سيكون من اليسير عليهم اقتلاع بقاياه..إنهم يسوقوننا سوقا إلى إسلام آخر غـير الذي نزل الأمين به على محمد صلى الله عليه وسلم .. إسلام لا نسلم أمرنا فيه إلى الله بـل إليهـم .. إسلام يتجرد من عقيدة الإسلام.. إسلام يعترف بأن الجهاد إرهاب ويسقطه كفريضـة.. ولأنهـم يدركون أن هذه الأمة لا تستطيع الحياة بلا دين فقد قرروا تقديم إسلام مزور إليهم .. إسلام كشف محمد جلال كشك عن تفاصيله حين أطلقوا عليه في أضابيرهم في مؤتمـر انعقد في عاصمة إمبراطورية الشيطان اسم : "الإسلام العيسوى".. إسلام بلا جهاد.. إسـلام يتراجع فيه المسلمون عن عقد بيعهم لأنفسهم مع الله بأن لهم الجنة .. إسلام لا يأمر بمعـروف ولا ينهى عن منكر ولا يقوم اعوجاج السلاطين بالسيف ولا حتى باللسان .. إسلام

لا يتدخل في السياسة ولا في نظام الحكم ولا في الاقتصاد ولا في مكافحة الظلم.. إسلام يعتبر المـباح المشـروط كـتعدد الزوجات جريمة كبرى في نفس الوقت الذي يعتبر فيه الزنا حرية شخصـية تنعقد مؤتمرات السكان من أجل الدفاع عنه.. أما الاعتراض على الشذوذ الجنسي فهـو جريمة كبرى تدل على التخلف والهمجية وتستحق أن تهدد إمبراطورية الشيطان الدول التي تمارسها بشـتى صنوف العقاب. إسلام لا رأى له في تزوير الانتخابات ولا في التعذيب.. إسلام لا دخل له بالكفر ولا دخل له بالإسلام أيضا .. ولقد سموا هذا الإسلام الذي يخططون لنشره بالإسلام العيسوى .. إسلام يعطى الدنيا بما فيها لقيصر وبوش ولا مانع لديهم من تركنا نـتخيل آخرة – لا يؤمنون بها – كما نشاء ما دمنا لا نحول بينهم وبين الدنيا.. إسلام منكفئ عـلى نفسـه .. كانوا يمنون علينا قبل ذلك بأنهم لا يفعلون بنا ما فعله أجدادهم بأجدادنا في محـاكم التفـتيش لكنهم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد عقدوها لنا مرة أخري ..برغم أن جل نخب أمتنا قد سلمت لهم بما يريدون فحاربت الإسلام الحقيقي وتبنت إسلاما كأساطير الأولين لا دور له إلا في إلهاء الأمة.. لم تشـأ إمبراطورية الشيطان أن تكرر تجربة كما أتاتورك في باقي العالم الإسلامي.. لقد فعلها أتاتورك بالثورة والدم .. وبرغم نجاحه فقد كانت المحاولة فجة ومكشوفة .. وكان المرعب فيها أن تستثير رد فعل معاكس ينبه أمة غافلة مخدرة .. أمة تساق إلى المجزرة وهى فرحة بها نشوانة.. نجحت طريقة كمال أتاتورك إذن .. لكن مخاطرها أكبر.. فلماذا لا يحاولون معنا .. مع باقي الأمة الإسلامية .. أن يكرروا طريقة كمال أتاتورك لكن دون ثورة.. أن يستفيدوا من تجربة كمال أتاتورك نفسه.. أن يخمدوا الأصوات التي يحتمل أن تعـارض حـتى قـبل أن تعارض.. أن يجندوا ولاة الأمر والكتاب والمفكرين والصحفيين والجيش والشرطة وأن يجردوا الأمة من كل سلاح . أن يجندوا الرؤساء والملوك..

يا إلهي..

في العالم العربي كله لا يسمح بحرية تكوين حزب إسلامي..

في العالم العربي جله فإن الإسلام إما محاصر وإما سجين ..

في العالم العربي جله وقف الجيش والشرطة مع العدو ضد الأمة.. مع الشيطان ضد الله.. مع الصليبيين واليهود ضد محمد صلى الله عليه وسلم ..

لماذا لم يدركوا قط أن الشيطان هو الذي يحركهم و أنهم يحاربون الله..

لماذا لم يقولوا لا .. حتى لو قالوها فاستشهدوا ..

ثم ماذا استفادوا .. ماذا كسبوا ..

معظمهم خسر الدنيا والآخرة ..

كيف لم يعتبر الجميع ..

كيف لم يدركوا أننا نسير في طريق الشيطان وأن الله لن يبارك في عمل يخط الشيطان حدوده ..

وحتى هؤلاء الأغنياء الجدد لن يدركوا إلا بعد الخراب أنهم إذ كانوا يكترون الذهب لم يكتروه لأنفسهم .. ففي البورصة والجات والنظام العالمي الجديد سيرثهم الصليبيون واليهود في إمبراطورية الشيطان.. ولن يبقى لهم من الذهب إلا ما يُصب مصهوره على أجسادهم يوم القيامة نارا ..

كيف لم يدركوا أننا وقد تركنا سبيل الله لم يبق لنا سوى سبيل الشيطان..

كيف لم يذكروا أن الله قد عهد إلينا ألا نعبد الشيطان .. فعبدناه..

كيف ..

كيف لم نتنبه ولم ندرك أنهم يستنسخون في كل بلد من بلاد المسلمين كمال أتاتورك وقرضاي ودستم وبرويز وكرازي ..

و كيف لم تثر فينا هذه النماذج الخوف والرعب ولم يشعل فينا التحدي..

كيف استنمنا فتركناهم في نشوة انتصارهم بنجاح مؤامرتهم يستنسخون الآلاف والآلاف من الخونة والمنافقين .. منهم الملوك ومنهم الرؤساء ومنهم الأمراء ومنهم قواد الجيش والشرطة ومنهم رؤساء التحرير وكبار الكتاب والمسئولين عن الإعلام.. وحتى بعض الشيوخ.

هذه النخبة المنافقة الخائنة مسئولة عن تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي وقد تعهدوا لسادتهم في إمبراطورية الشيطان أن تخرج لهم مدارس المسلمين جيلا من الخريجين يدين بالإسلام العيسوى .. جيل من الخريجين لا يعرف الفرق بين الإسلام والمسيحية واليهودية ويتبنى آراءهم في الإسلام .. جيل يسخر من دينه .. جيل مخدوع مستنزف الوعي مخترق الذاكرة لا يدرك أن معظم الغرب لم يكن يتبع المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام بل مسخا مشوها ادعوا زورا أنه دين .. ولم يكن لهم أن يتقدموا إلا بالتخلص من مسخهم المشوه .. أما نحن .. نحن خير أمة أخرجت للناس فلم نتخلف إلا بعد أن تركنا ديننا الصحيح ..

نخبة نتنة عفنة لم يتورع أحد أفرادها عن اتهام البطل المجاهد أسامة بن لادن رضى الله عنه بأنه تاجر مخدرات!! وهو اتهام لم يقل به أحد في إمبراطورية الشيطان ذاتها ..

نخـــبة جعلت همها الأكبر ترويج الكذب وتشويه الصدق وتمجيد الخونة وتخوين الأبطال والانبطاح انبهارا أمام الغرب والازدراء بكل ما يمت إلي الإسلام.

نخـــبة لا عداوة بينها وبين إطلاق اللحى عندما يكون صاحب اللحية مسيحيا أو يهوديا أو ملحدا أو لصا وقاطع طريق أو عضوا في التحالف الشمالي أو عندما يطلقها علي " الموضة" لكـــن هـــذه اللحية ذاتها تصبح علامة التخلف ومبعث الازدراء ومستقر الإهانة إذا ما كان الملتحي قد أطلقها استجابة لسنة مؤكدة.

نخبة انفجرت في بلادنا منذ أعوام بإدانة مفعمة بالاشمئزاز منا (أولئك المتخلفين الإرهابيين الذي بلغ من تخلفهم أنهم يرفضون جلوس المرأة عارية – تماما – أمام الرسام ليرسمها..!!) .. نخـــبة تضم رئيس تحرير لم يتورع عن تحريض الدولة على إرهابيي شركة مصر للطيران الذين رفضـــوا المشـــاركة في بيع الخمور فيها..!!.. و آخر هاجم الدكتور زغلول النجار لمجرد أن مـــا يكتبه ويقوله يعمق الإيمان في القلوب.. وفى صحف رسمية تصدر في بلادنا الإسلامية راح أولئك الأشرار يحذرون من تكرار ظاهرة الشيخ شعراوى حيث يكرر التليفزيون خطيئته بخلق نجم يروج للخرافات والأساطير!!.. رغم أن ما يقوله الدكتور زغلول النجار يغوص في أعماق العلم التجريبي .. ونفس النخبة كانت مستعدة لأن تغفر للدكتور أحمد زويل أي خطأ يرتكبه حـــتى زيارته لإسرائيل وعلاقاته بها و أن تعـــتبر أي عتاب له على ذلك جريمة وضيعة تستحق الازدراء ولا يمكـــن أن يرتكـــبها إلا مســـلم ولكنها لم ترحمه أبدا عندما زار مسجد "سيدي إبراهيم الدسوقي" عند زيارته لمصر.. ولم يكن هجومهم بالطبع على زيارة ضريح بل علي زيارة مسجد.

نخـــبة تتمثل في تلك الثلة العفنة التي نشرت كتابا يتحدث عن فترة التكوين لرسول الله صـــلى الله عـــليه وســـلم .. ويقول الكتاب الفاسق أن السيدة خديجة رضى الله عنها كانت نصـــرانية وقد تآمرت مع عمها ورقة بن نوفل النصراني أيضا في مؤامرة كبرى كان موجزها: كيف يمكن أن يصنعا نبيا؟ .. ويقول الكتاب أنهما قد نجحا!!.. هذا الكتاب نشر في القاهرة.. وعـــندما أصدرت جبهة علماء الأزهر بيانا تحكم فيه على الكتاب ومروجيه بالكفر انبرت لها الذئاب والخنازير والأفاعي..

وعـــندما نشـــرت الجـــبهة في بيانهـــا بيانات دار النشر المكتوبة على الكتاب انبرت الأقلام الفاسقة تتهمها بالإرهاب والتحريض ومحاكم التفتيش.. وانبرى بعد ذلك شيخ الأزهر - الشيخ سيد طنطاوى - بفصل رئيس جبهة العلماء.. فصله في ذات الأسبوع الذي أصدر فيه فتواه باعتبار العمليات الاستشهادية انتحارا.. والانتحار كما هو معلوم كفر !.

وكـــانت الجـــبهة قد تشكلت لمقاومة أعضاء التحالف الشمالي الذين زرعوا في الأزهر فأصـــبحوا يفتون باسم أمريكا لا باسم الله.. وازدادت خلافاتهم مع شيخه عندما قابل الحاخام الإســـرائيلي ودعاه إلى مقر المشيخة كي يدنسها ولكي يثبت أنه يقابله باسم الأزهر لا باسمه الشخصي.

هذا الفكر العفن الذي يدعى الإسلام ليس من الإسلام في شيء..

هـــــذا الفكر بل الكفر العفن الذي تروج له هـــذه النخبة هو تماما الفكر الذي تروج له إمبراطورية الشيطان.. فكر - بل كفر - أن ديننا أكذوبة و أن نبينا صلوات الله عليه وسلم - أستغفر الله العظيم - دعيّ و أن إلهنا وهم و سراب و أساطير الأولين.

هـــذه النخـــبة النجسة التي تحمل للدين كل هذا الازدراء لا تجرؤ على البوح بمشاعرها إلا إذا كان الحديث عن الإسلام.. فإذا كان الحديث عن اليهودية أو المسيحية أو حتى البوذية توقف ازدراؤهم على الفور بل وانقلب إلى العكس فمن التحضر أن تحترم معتقدات الآخرين.

هـــذه النخـــبة النجســـة التي نشرت في أكبر صحيفة عربية مقالا يتحدث عن تخاريف البخاري والنسائي والترمذي وابن ماجة و أحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعي ن.

هذه النخبة النجسة التي لم تركع لله ركعة ولم تقرأ من القرآن آية إلا هزوا هي التي تنفذ سياســـة إمبراطورية الشيطان فينا وتنشر ثقافتها بيننا ولا تكتفي بذلك فهي تريد أن تملك حق تحديـــد مواصفات الإسلام الذي ينبغي لنا أن نسير عليها حتى لا نوصم بالتخلف أو أن نتهم بالإرهاب.

★ ★ ★

أقول ذلك و أنا أعلم محاذير التكفير.. لكن ما حدث في أفغانستان لابد أن يدفعنا لتغيير نمـــط تفكيرنـــا فنحن هنا لا نتحدث عن اشتباه في الكفر لا يحق لنا توجيهه إلا بضوابط معينة بـــل نـــتحدث عـــن نخـــبة تقوم بخيانة الأمة وتسليمها إلى عدوها.. كان التحالف الشمالي في أفغانســـتان هو الذي ربته ورعته إمبراطورية الشيطان.. وكان هو الذي تواطأ معها لهزيمة

شعبه وبلده وأمته وأبناء دينه. كان هؤلاء الذين يدعون انتماءهم إلى الإسلام هم الذين هزموا المسلمين. وكان برويز مشرف الذي يدعي حماية الإسلام هو الذي ظاهر أعداء الله على المسلمين. نحن لا نتحدث عن أمر عقديّ يحكم الله سبحانه وتعالي فيه يوم القيامة.. ولا نتحدث عن إنسان يمارس الكفر والولاء للشيطان في بيته .. بل نتحدث عن جاسوس خائن يورد أمته موارد الهلاك.. لا عن طريق المواجهة والحوار بل عن طريق ادعاء الإسلام كي يخدع الأمة ويدلس عليها. فهل يكون تحذير الأمة من مثل هؤلاء حراما أو جريمة ؟!.

لقد كان سلاح التكفير – مصحوبا بضوابطه – من أمضى الأسلحة في كشف هؤلاء الجواسيس والعملاء لأمة.. لا لكي نمنعهم من الكفر ولا حتى لكي نعاقبهم عليه بل لكي نحذر الأمة منهم.

ولقد فرضت علينا هذه النخبة الفاسدة المفسدة.. زرع الشيطان بين الأمة الإسلامية وعميلة إمبراطوريته أن نمتنع عن تكفير حتى من يجحد الصلاة ويسخر منها ومن يستهزئ بكتاب الله ومن يرفض تطبيق شرعه لأنه شرع بدوي متخلف كان يصلح للرعاة الحفاة في القرن السابع لكنه لا يصلح لنا الآن . بل وفرضت علينا أن نستمع لفتاواها التي تطلقها عن الإسلام من بين شفاه نجسة مخمورة.

منعونا من التكفير مطلقا..

و أنا أحترم تماما كل ضوابط التكفير التي وضعها لنا سيد الخلق وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لكن كيف أحترم الضوابط التي وضعوها هم. و إنني أخشى أن أخذ الأمور بصورة مطلقة قد يوقعنا في مخالفة شرعية من ناحية.. ومن ناحية أخرى يفقدنا سلاحا من أمضى أسلحتنا.. نعم التكفير بغير سند مجرّم ومحرّم.. وكذلك القتل مجرّم ومحرّم.. لكن هل يمنعنا هذا التجريم والتحريم من القتل للقصاص..؟.. لا .. ففي قتل القصاص حياتنا.. وفى تكفير الكفرة بحق ودليل فقهي ليس حراسة ديننا و إيماننا بل حراسة أوطاننا..

نعم فرق بين الخطأ والانحراف وبين الخيانة ..وفرق حتى بين الفسوق والكفر.. فهل يكفى أن يجحد أحدهم كل أركان الإسلام ويسخر منها ويخرج علينا بقراءة مضحكة لحديث نبوي شريف يقول أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ويعتبر أن هذا كاف دون شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و دون إقامة صلاة أو إتيان زكاة أو صوم لرمضان أو حج للبيت لمن استطاع إليه سبيلا .. هذا هو تعريف هذه النخبة المنحرفة للإسلام.. وبعد أن يقوموا بهدم كل أركان الدين يأتون إلينا كي يفتونا فيه وكي يحددوا لنا

ضوابط التكفير.. يكفي أن يقول الواحد منهم أنه مسلم لكي يطلب لنفسه كل الحصانات والضـــمانات التي يكفلها الإسلام لكل مسلم.. يتمتع بهذه الحصانات والضمانات كي يقضى عـــلى الإسلام والمسلمين. يقولون أنهم علي الإسلام ويدعون أن الناس قد سلموا من أيديهم وألســنتهم – والواقــع غير ذلك فهم حتى بمقاييسهم التي وضعوها غير مسلمين – ويدعون حمايــته وتطويـــره لكنهم يخربون كل أهدافه.. الشيء الوحيد الذي لا يمانعون فيه أن يدخل المسلمون إلى المساجد ليفعلوا ما شاءوا بشرط ألا تصل أصواتهم للخارج .. وبشرط أن يكون المســجد ســجنا لكل أفكار دينهم مادامت سجون الدولة لا تتسع لهم.. أما فكرتهم هم عن الإسلام فموجزها : خرافات و أساطير وصناعة نبي..

★ ★ ★

المشـــكلة الـــتي طرحتها حرب إمبراطورية الشيطان على الإرهاب وبدأتها في أفغانستان وأعلنت أنها تشمل ستين بلدا آخر مشكلة خطيرة على الأمة الإسلامية أن تعيها جيدا.

فهذه الحرب تعتبر تطويرا شيطانيا لحرب الخليج التي قاتلنا أنفسنا فيها بأموالنا وجيوشنا.. ولقد وصلوا فيها إلى تخطيط جهنمي يكفل لهم إعادة احتلال كل بلد المسلمين بجيوش المسلمين و أمـــوال المسلمين. جيوش مسلمين من نفس أنماط النخب القائدة والمتحكمة في بلادنا. نخب التحالف الشمالي المبثوثة الآن في كل بلد إسلامي.

أثناء الحرب في أفغانستان كنت أراقب جيوش التحالف الشمالي هناك وقواده فيستبد بي العجـــب إذ كيـــف تبلغ الأمور بالناس هذا الحد من الغدر والخسة والضعة والمهانة والتدني والخيانـــة. فيشـــاركون في هـــدم أوطـــانهم وحـــرق أبنائهم و إخوتهم. لقد تحالفوا مع كل عـــدو لبلادهم ودينهم وأمتهم من أمريكا إلي روسيا إلي بريطانيا إلي إسرائيل. تحالفوا مع كل أعداء الله.

وكنت أتساءل لماذا لم يجتمع علماء المسلمين ليصدروا فتوى بكفرهم.. فتوي كان يمكن لهـــا أن تمـــنع ولو جزئيا ما حدث بعد ذلك.. فتوى كانت ستدفع – بالتأكيد – العديد من أنصـــارهم و أتباعهم للتخلي عنهم فعندما يوضع الدين في كفة والمكاسب في كفة فمن المؤكد أن بعض الناس سيختارون الدين وبعضهم الآخر سيختارون المكاسب.. وكنا سنكسب أولئك الذين اختاروا الدين فلماذا إذن لم تصدر الفتوى؟!..

وهنا .. دهمتني – فوق كل ما دهمني – حقيقة مروعة رهيبة، فالتحالف الشمالي لا يقوده القواد السبعة في شمال أفغانستان، بل يقوده ويشارك فيه جل حكامنا وجل دولنا وجل جيوشنا

وكــل شــرطتنا.. ويشــارك فيــه أيضا النخبة المثقفة الرسمية في بلادنا من كتاب ومفكرين وصحافيين ورؤساء تحرير ومسئولين عن الإعلام.

نعم .. ويا للألم..

جــل حكامــنا وجــل دولنا وجل جيوشنا وكل شرطتنا ومعظم مثقفينا الذين يسمح لهم بالكتابة أو الحديث..

وعــبقرية الشيطان التي تجلت في الحملة الأمريكية تجعلها تستطيع بسهولة تدمير أي بلد في العالم بأيدي أبنائه .

ففــي أفغانســتان لم يكن يمكن لأمريكا أن تحقق ما حققته لولا خيانة التحالف الشمالي بتحالفه معها..

والــتحالف الشــمالي رغم أنه زرع شيطاني إلا أنه لم يظهر فجأة فقد دأبت إمبراطورية الشيطان عن رعايته منذ زمان طويل حتى تأزف الآزفة لتدفعه إلى الخروج عن أمته وذبحها ذبح الخراف .

الــتحالف الشمالي هو الذي ذبح أمته هناك.. وهو الذي ينتظر الأمر لكي يفعل في كل بلد من بلاد عالمنا الإسلامي ما فعله في أفغانستان .

كل بلد من بلاد عالمنا الإسلامي..

ولــنأخذ مصــر مثالا.. تعالوا إلي أضعف الأحزاب فيها و أكثرها فسادا، بل تعالوا إلي المسجونين بتهم جنائية من القتلة والجواسيس ومهربيالمخدرات والخونة .. تعالوا إليهم وكونوا منهم فرقة من عشرة آلاف أو خمسة عشر ألفا. واجعلوا أمريكا تتحالف معهم فيقوم أسطولها بحصارنا وتسلط علينا جيراننا فيقاطعوننا ويحكمون الحصار ثم تبدأ طائرات الــ B52 في قصفنا وتدمــير منشــآتنا وسحق جيشنا .. ألن يستطيع أضعف الأحزاب هذا – والظروف تلك – أن يستولي علي الحكم ؟!..

هذا مثال يمكن أن يتكرر في أي بلد عربي ما لم نتحد ونواجه..

نتحد لنواجه حملة كبرى بدأت في الهجوم الدائم المتكرر علينا منذ أكثر من ألف عام..

نــتحد تحــت رايــة الخلافة. فهي الجهاز العصبي الذي تتحول كل حركة للأمة بدونه إلى تشنجات أطراف تؤذى ولا تفيد .

نتحد تحت راية أسمي صورة من صور أنظمة الحكم..

ومـــرة أخـــرى فإن الخلافة جوهر وشكل.. الجوهر إلهي وهو الإسلام كله .. و هو أن يكون المسلمون أمة واحدة تطبق شرع الله..

أمـــا الشكل فبشرى ومتروك لنا.. لذلك ليست هناك صيغة واحدة نقترحها.. هذا كله اجتهاد علينا أن نسعى للحصول على أجر فيه إن لم نفلح في الحصول على الأجرين.. فيمكن أن يكـــون الخـــليفة فردا.. ويمكن أن يكون حتى مؤسسة.. ويمكن أن يكون مؤسسة يرأسها فرد..ويمكن أن تطول أو تقصر مدة تولى الخليفة طبقا لعقده مع الأمة.

خلافة تحمينا من الذبح والذل والهلاك والدمار والفساد والخراب والهزائم.. خلافة تعلى مفهـــوم الغايـــة العليا .. خلافة تتمم مكارم الأخلاق فتنشر النور وتقيم العدل وتقاوم سيادة إمبراطورية الشيطان.

هذه المؤسسة لا بد لها أن تبدأ على الفور.. كي تنقذ الأمة من الوضع المأساوى الذي تجد نفسها فيه في مواجهة أعدائها – ومنهم حكامها – دون زعامة ولا قيادة..

في كل بلاد الدنيا تتسق مصالح الحكام مع مصالح بلادهم، حتى ولو كان هؤلاء الحكام مجرمين (إجرام شارون مثلا يصب في مصلحة إسرائيل، و إجرام هتلر كان يصب في مصلحة ألمانيا.. كذلك ستالين ونابليون.. و .. و..)..

في العالم الإسلامي ليس الوضع كذلك..

فـــثمة عدو قاهر باطش قوى هو إمبراطورية الشيطان.. وهو الذي يضمن لجل حكامنا اســـتمرارهم في مناصـــبهم .. وثمـــة أمة ترفض أن تستسلم كما استسلمت الأمم الأخرى.. والحكام يقبعون بين سندان قوة غربية غاصبة وبين مطرقة أمة عاجزة غاضبة.. ولقد اكتشفوا أنهـــم لا يســـتطيعون خداع الغرب فقرروا خداع أممهم.. فمن لم يقبل بالخديعة غيبته المشانق والسجون..

يـــتحدث عـــبد الحليم عويس[١] عن أسباب انهيار ثلاثين دولة إسلامية بداية بالأندلس في أوروبا، وانتهاءً بالدولة العثمانية في تركيا. يتحدث وهو يصفها فكأنما يصف أحوال حكامنا الحاليين :

---

(١) دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية– عبد الحليم عويس، الناشر دار الشروق، جدة.

(كان الترامي في أحضان العدو ممكناً... وكان التنازل له عن الأرض ممكناً، وكان الصلح المهين ودفع الجزية للعدو ممكناً... أجل، وكان كل هذا ممكناً إلا شيئاً واحداً ... إلا العودة إلى الإسلام الصحيح الخالي من حب السلطة واستعباد الدنيا... والأمر بالاعتصام بحبل الله وحده وعدم التفرقة ... كل شيء كان ممكناً – في عرفهم – إلا هذا).

... ثم يصل الكاتب في النهاية إلى عبرة التاريخ : إلى القانون العام الذي يحكم سقوطنا: "حين يبحث كل عضو منا عن نفسه تسقط سائر الأعضاء "...

لقد بلغ الحكام شأوا بعيدا في إخصاء الأمة من تكوين أي قيادة يمكن أن تحركها..

انظروا إلى دول العالم الإسلامي كله وقد تم تشويه ووأد أي قيادة محتملة ولو على المدى البعيد..

انظـــروا إلى دول العالم الإسلامي كله وسوف تجد الرجل الأول فقط.. ولا يوجد رجل ثان..!!..

والأمة دون قيادة – كجسد بلا رأس – عاجزة عن الحركة والفعل..

وقـــد نجحت إمبراطورية الشيطان أن تمسك بكل الخيوط في يدها.. وفضلا عن التقدم التقني الهائل الذي وصلت إليه فإنها منذ زمان طويل تربي قطعان التحالف الشمالي في بلادنا .. وكـــانت خطتها خطة شيطانية .. استقطبت الحكام وجعلتهم وكلاء لها علينا أفسدت الجيوش وقـــوات الأمن ونشرت الفساد بين رجال الأعمال.. ثم تسللت إلي المجتمع لتسيطر على فئات ثـــلاث فيه مكنتها من إحكام الزمام علينا: الفئة الأولي هي فئة المثقفين. فمنذ أكثر من خمسين عامـــا قررت المخابرات الأمريكية أن تكون وزارة ثقافة العالم[1]..الفئة الثانية هي فئة الشباب الذيـــن تم الـــتركيز عـــلى إبهـــارهم بســـراب الحـــلم الأمريكي في القوة والنشوة والثروة والاســـتعراض.. أما الفئة الثالثة وهى الأخطر فهي فئة المرأة التي تمت غوايتها لتترل من عرش يمـــثل الإنسانية والطهر والعفاف والإنسانية والمساواة الحقيقية مع الرجل كشريك في تكوين اللبنة الأولى للمجتمع وهي الأسرة.. تم عزلها من عرشها ذلك لكي تحتل مكان جارية بعد أن خدعوهـــا وغرروا بها و غسلوا مخها فأفهموها أنهم يخرجونها من أقفاص الحريم إلى جنة الحرية. ولم يكـــن ثمة حرية حقيقية تتميز بها المرأة في الغرب ، فالحقوق التي يضمنها الإسلام – أتحدث

(١) راجع للمؤلف : الوعي يترف من ثقوب الذاكرة – إني أرى الملك عاريا – من مواطن مصري إلي الرئيس مبارك– اغتيال أمة (الناشر مكتبة مدبولي) وبغداد عروس عروبتكم (الناشر مكتبة مدبولى الصغير).

عن الإسلام وليس عن الدول أو الشعوب - للمرأة أعلى من الحقوق الممنوحة في بلاد غربية كثيرة حتى الآن. وقد أثبت هذه الحقيقة المنصفون من الكتاب الغربيين أنفسهم ومنهم زيجريد هونيكة في مؤلفها الهام: شمس العرب تسطع على الغرب. الحرية الوحيدة التي لا يستطيع فيها الإسلام منافسة الغرب هي حرية الابتذال والتهتك، حرية تعرية الجسد وإثارة الشهوات، حرية الزنا والسحاق، ولو حسنت النوايا.. وبالمقياس العقلي وليس الديني.. وبالمفهوم الغربي نفسه فقد كان يمكن فهم الأمر علي نحو مغاير كما يقول جيفرى لانغ[1]. حين يشير إلى وجهة النظر الإسلامية في نمط حياة المرأة الغربية التي تستغل بتعرية جسدها وترغم على العمل كي تستطيع أن تعيش بدلا من أن تحظى بمسئولية الزوج عن الإنفاق على الأسرة، وهكذا فإن ما يراه الغرب عبودية للمرأة يراه الإسلام بعكس ذلك، وقد يرى أن المرأة الغربية هي المستغلة والمستعبدة .

دين الذرائع الشيطاني لإمبراطورية الشيطان لم يكن يهمه في الواقع حرية المرأة المسلمة وإلا لاهتم بحرية الرجل المسلم أيضا. ولاهتم أيضا بحرية المرأة الفلسطينية والأفغانية والصومالية، بل كان عليه أن يهتم بما هو دون الحرية وما هو قبلها. بحقها في أن تجد طعاما لأطفالها، وحقها في ألا تسحق الدبابات أجساد أطفالها وزوجها وإخوتها وألا تثقب الطائرات أجسادهم بالرصاص.

كذاب هو الغرب.. كذاب ذلك الكذب العفن المستتر الذي يغلف السم بغلاف براق شهي.. وما كان تركيزه على المرأة إلا لاختراق المجتمع.. وثمة ثلاثة وقائع في الشهور الأخيرة لها دلالتها.. فإن زوجة الرئيس الأمريكي بوش تتواصل مع رئيس وزراء أفغانستان المزروع بالخيانة كي تتباحث معها في تحرير المرأة الأفغانية - تحرير المرأة فقط.. أما لو تحدثنا عن تحرير الوطن أو حتى الرجل فنحن إرهابيون. الواقعة الثانية حدثت في عمان. عندما اتصلت زوجة بوش أيضا بزوجة السلطان قابوس لتهنئها برئاستها للمجلس الأعلى للمرآة. والواقعة الثالثة في مصر حين تدخل المجلس الأعلى للمرأة لتعديل نهاية مسلسل تليفزيوني اعتبره المجلس يسئ لقيم الحداثة التي يؤمن بها ويتبناها.

لقد أطلت في الحديث عن مكان المرأة في الاختراق الشيطاني لبلادنا لكي أبرز أهميته فعن طريقه يتم اختراق كل بيت مسلم .. حتى بيت الملك والرئيس.. ومن خلاله تساق البلاد ضد الإسلام لصالح أعداء الإسلام.

(١) الصراع من أجل الإيمان - جيفري لانغ - دار الفكر المعاصر - بيروت - دمشق.

اخـــتراق شـــيطاني للشـــباب وللثقافة وللمرأة ..وهو اختراق يأتي بمردوده على المدى المتوسط والبعيد.. أما على المدى العاجل فإن اختراق النظم الحاكمة يتكفل بالمهمة.. ويتكفل أيضا بإرساء التوازن الشيطاني الذي يكبل الأمة ويجهض محاولاتها للخلاص. فثمة توازن مدمر بـــين ثلاثـــة أطراف لمعادلة جهنمية.. هذه الأطراف هي طرف الحضارة الغربية بكل جبروتها وميراثهـــا كأكـــثر الحضـــارات إجراما في التاريخ.. أما الطرف الثاني فهو حكام طغاة وكلاء للأعـــداء في حكم شعوبنا.. والطرف الثالث هو الأمة العاجزة الرافضة التي تم اختراق شبابها ونســـائها وثقافتها لكنها مازالت تقاوم .. ولقد صاغ أعداؤنا التوازن بين أطراف هذه المعادلة كي يضمن لهم استمرار الوضع الراهن إلى أبد الآبدين.. إلى نهاية التاريخ.. وهذه المعادلة قابلة للاستمرار ما لم يدخل على أحد طرفيها عامل جديد يخل بتوازنها فتسقط..

إن الأمـــة المقهورة المقموعة المغيبة المعتقلة المعذبة المنهكة المستنزفة أصبحت عاجزة عن أن تقدم الكثير..

والحكـــام لا أقـــول لا يقـــدرون بـــل أقول لا يرغبون في أي تغيير في أطراف المعادلة فاستمرارها هو الذي يضمن استمرارهم واستقرارها هو الذي يضمن استقرارهم..

أما أعداؤنا فهم الذين صاغوا المعادلة فهم الذين يحرصون على استمرارها..

إن اســـتمرار المعادلـــة عـــلى هذا التوازن كارثة للأمة.. لأنها تضمن للأعداء استمرار انتصارهم واستمرارا انكسارنا وللحكام الطواغيت استمرار حكمهم..

لكن الأمر أكثر من كارثة..

نعم أكثر من كارثة..

ذلـــك أن أعداءنـــا لا يقنعون بذلك التوازن الجهنمي.. وهم لا يكفون عن المحاولة تلو المحاولة في زلزلة الشق الثالث من المعادلة.. شق الأمة.. فمن أدوات الاختراق التي تحدثنا عنها إلى سياســـة تجفيف المنابع و إهمال الدين والمعتقلات والتعذيب ونشر الفساد عن طريق أجهزة الدولـــة الرسمية وتشويه مناهج الدراسة خاصة في المعاهد الدينية أو إغلاق هذه المعاهد الذي أصـــبح طلـــبا أمريكيا رسميا من لا يستجب له يقصف بالطائرات والصواريخ .. ثم سد جميع القـــنوات (الديموقـــراطية !!) بتزوير الانتخابات تحت تعضيد وصمت الغرب.. نعم .. إنهم يحاولون القضاء على الطرف الثالث للمعادلة..

الطرف الأول في مأمن..

والطرف الثاني في حماية الطرف الأول..

أمـــا الطرف الثالث فهو المحاصر الأعزل العاري.. وهو المهدد بالتلاشي .. ليس ككيان عضوي.. وإنما ككيان روحي.. وبعد تلاشيه تنتهي المعادلة وتحل نهاية التاريخ..

في الاستمرار إذن خطر علينا..

ولابد من دخول عنصر جديد يزلزل ثبات المعادلة الشيطانية لكي يقلبه بعد ذلك..

ولســت أرى أمامي في الأفق ما يكسر هذه المعادلة سوى إعلان الخلافة.. خلافة تواجه تشبث الحكام بتقسيم الأمة إلي أوطان كتشبث طفل بدمية .. تشبث طفل أخرق يفضل تحطيم الدميــة عن تسليمها لسواه ممن يستطيع الحفاظ عليها.. ثم أنه طفل تعود أن يلعب دائما دور المــأمور فلــتكن الخلافة هي الآمرة لا البيت الأبيض.. فإنها حين تبدأ ستكون المرجع النهائي في تحــريك المســلمين.. وفى الحكم على الحكام.. وحتى لو كانت في البداية خلافة بلا سلطة فســوف تأتيها السلطة ولو بعد عشرات الأعوام.. فليس سوى مؤسسة الخلافة من يمكن لها أن تشــكل رابطا يجمع عشرات الأوطان ومئات الهيئات والمؤسسات الإسلامية المحاصرة يكاد لا يســمع عنها أحد.. خلافة تجتمع تحت رايتها جيوشنا لترهب أعداءنا فلا يرهبونا.. خلافة تصــنع الســلاح النووي لا لتبتز به الآخرين بل لتمنع ابتزازهم لنا ولتردعهم من استخدامه ضدنا.. وتصنع من الصواريخ ما يسقط طائرات البى ٥٢ حين تأتي لقصفنا..ولو استطعنا هذا فســوف تعــود إمبراطورية الشيطان إلى ارتداء أقنعتها القديمة وسوف تكف عن إيذائنا ونهبنا وقتلــنا .. على الأقل بالصورة المباشرة الوحشية التي تفعلها الآن.. نحن لا نريد إلا أن نقيم دينــنا في بلادنا وأن نقوم بأداء واجبنا كأمة وسط شهيدة على الناس تحمل رسالة هي هداية ورحمة للعالمين.. خلافة تردع أولئك المجرمين من أعضاء التحالف الشمالي المبثوثين بيننا .. وإن وقعــت الواقعة فلن يختلف ما يفعلونه مع الأمة عما فعله أقرانهم في أفغانستان.. خلافة توقف انهيارنا المتسارع .. لأن هذا الانهيار لو استمر فسوف نترحم علي أيام الحروب الصليبية القديمة وعلى أيام الاحتلال فكل أولئك كانوا يلبسون الأقنعة أما إمبراطورية الشيطان فقد خلعت كل الأقنعة .

إن لم تحركنا المجزرة في فلسطين فماذا سوف يحركنا بعد؟!..

وإن لم تحركنا المجزرة في أفغانستان فماذا سوف يحركنا بعد..؟!

وإن لم تحركنا المجزرة التي حدثت - وتلك التي توشك أن تحدث - في العراق فماذا سوف يحركنا بعد؟!..

إن الحضارة الإسلامية هي الأسمى وهي الأرقي بما لا يقاس عن تلك الحضارة الشيطانية التي تسوم العالم سوء العذاب وتنهبه وتنثر فيه شرورها وتنشر فسادها. ومن كان في ريب من ذلك قبل الآن فقد تكفلت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بممارساتها في القضاء علي هذا الريب .

نعم ..

أقولها وقد كنت دائما مؤمنا بها لكنني الآن مؤمن بها أكثر من أي وقت آخر :

نحن خير أمة أخرجت للناس.. لا أقول نحن العرب.. ولا أقول نحن الشرق أوسطين بل أقول نحن المسلمين الذين يؤمنون بالغيب وبالله.

نحن خير أمة أخرجت للناس..

وعلينا أن نتبوأ مكاننا في التاريخ كي نمنع نهايته وانحرافه ..

وليس أمامنا من سبيل إلا وحدة الأمة الإسلامية تحت راية الخلافة.. التي يشكل جوهرها : الدين كله .

الخاتمة

المشـــهد الأســـطوري لانهيـــار برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك، وسحق البنتاجون في واشنطن، كان مشهدا عبقريا لخطة لم يعرف لها التاريخ مثيلا.. فقد كان التخطيط عبقريا كما أن النجاح في التنفيذ كان مذهلا.. وكان الإعداد طويلا ومضنيا.. وحجم الاختراق للمؤسسات الأمـــريكية كان هائلا.. أما التداعيات فيكفي أنها قسمت العالم إلي فسطاطين: ففسطاط مع الله، وفسطاط مع الشيطان.

كل العملية كان عبقريا.. وكنت وما زلت أرى أن المسلمين هم آخر المشتبه فيهم.. ليس لأنهم يفتقدون العبقرية والذكاء.. ولكن لأن أمريكا – راعية العالم الحر – تحاصرهم وتقف دونهم فلا تسمح لهم – ولا حتى لحلفانها – بتجاوز نقاط معينة في العلم والتكنولوجيا.. ولنتذكر الطائرة المصرية التي أسقطوها.. لأنهم اكتشفوا أن بعض العسكريين المصريين من ركابها قد تجاوزا معرفة المسموح لهم به.

ومع المشهد الذي رآه العالم كان ثمة مشهد ثان لم تسجله كاميرات التصوير المتأهبة والمتلمظة والجائعـــة الـــنهمة لكـــل جديد.. ذلك المشهد الثاني تبدو علاقته بالمشهد الأول للانهيار أوثق ما تكون..

في المشـــهد الأول شاهدنا في ومضة انفجار مروع انهيار جسد العملاق. وفي المشهد الثاني رأيـــنا في ضـــوء الومضـــة انهيار منظومته الفكرية كلها، ولئن كان الانهيار جزئيا أو حتى رمزيا في المشهد الأول، فقد كان في المشهد الثاني كاملا وشاملا ونهائيا.

في المشـــهد الأول لم يكن برجا مركز التجارة ومبني البنتاجون هي التي تتهاوي.. بل كان جسد أكبر وآخر و أقوي إمبراطورية في التاريخ هو الذي يتهاوى . وفي المشهد الثاني كانت روح هذا الجسد تطلع، تنسل من الجسد خارجة في إشهار معجز لموت قد حدث بالفعل مهما صحبه من نشنجات وتقلصات ومهما تأخر صدور شهادة الوفاة الرسمية.

المشكلة، أن التقنية الحديثة، تستطيع أن تحصر وترصد وتصور بأعلى درجة من الدقة، كل جـــرح أصاب الجسد، لكن هذه التقنيات، لم تستطع أبدا، ولن تستطيع أبدا رصد انسلال الروح من هذا الجسد.

ومــن الممكـــن بالوسائل الصناعية أن يظل مثل هذا الجسد الذي انسلت منه الروح كما لــو كـــان حيا، فيخفق نبضه، وتجري الدماء في عروقه، لكنه بالرغم من ذلك ليس سوي جسد ميت، وليس ثمة مناص من أن تسحب منه الوسائل الصناعية ذات يوم مهما ابتعد، فلا يبقي له إلا الدفن .

لا نســتطيع أن نعرض صورا، ولا أن نقدم تقارير للكمبيوتر عن انسلال روح أمريكا من جســدها، أوعـــن انهيار منظومتها الفكرية، وهي أيضا منظومة الغرب كله، وهي منظومة تغوص جذورها في التاريخ أكثر من ثلاثين قرنا، وتسري في أغصانها فلسفات الرومان والإغريق، والتي وصمت جل الفلسفات التي جاءت بعدها – حتى اليوم – بدرجة أو بأخرى من الشرك والوثنية والــتحريف ، حــتى قيل أن المسيحية عندما دخلت إلي بلاد الرومان: لم تتنصر روما بل تروّمت الكنيسة، وظل هذا البناء الفكري المشوه، هو المسيطر علي الغرب دائما، وعلي العالم أحيانا، حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام واحد و ألفين، حين تواكب في شكل معجز، انهيار ناطحتي السحاب طابقا علي طابق، مع انهيار المنظومة الفكرية للغرب، قرنا بعد قرن.

المشهد الأول سجلناه كاملا، ولكننا لا نملك الأدوات التي تمكننا من تسجيل المشهد الثاني ، ولكننا مع ذلك نستطيع أن نرصد دلائله..

نســتطيع أن نرصدها علي سبيل المثال في رد فعل الرئيس بوش، والذي سقطت عن وجهه كــل الأقــنعة المــزيفة وادعــاءات الحضارة، ولم يبق منه سوي ذلك القرصان الانتهازي القادم مـــن أوروبـــا ليسرق البلاد من أصحابها الأصليين، ولا يكتفي بذلك بل يبيدهم عن بكرة أبيهم، ثم يسرق شعوبا أخري يستعبدها كي تقيم له أركان إمبراطوريته ، ثم يواصل سرقة العالم كله كي يرفل في النعــيم، ويستغل الإمكانيات التي توفرها له سرقاته تلك كي يضع علي وجهه المزيد من الأقــنعة. فيقنع العالم أنه الأكثر رقيا وحضارة، حتى تأزف الآزفة فتسقط الأقنعة، ولا يبقي سوي قرصان يصرخ : أريده حيا أو ميتا. قرصان يتجاوز في دمويته نابليون، وفي عنصريته هتلر، لكنه لا يحظى بعبقرية الأول ولا بعزم الأخير.

ونســتطيع أيضــا أن نرقب مشهد انسلال الروح في موقف فادح وفاضح لوزير الدفاع الأمــريكي، عندما ووجه بالنتائج المأساوية للقصف الأمريكي، وصور مئات بل آلاف من ضحايا المجــزرة، وقــد مزقت أجسادهم، وتناثرت أشلاؤهم، وبترت أطرافهم، ودفنت أجسادهم وهم أحيــاء، فالوزير الخطير، وزير دفاع آخر وأقوي إمبراطورية في التاريخ، لم يجد ما يقول سوي أن طالبان تصطنع هذه المشاهد.

كـــان انســـلال الروح من الجسد جليا – أيضا – في مشهدين: مشهد الغرب محتفيا بنساء كـــابول مدعيـــا بهجتهن برجوع مصفف الشعر و أدوات الزينة.. والمشهد الآخر لهن في جحيم

المحــرقة الأمــريكية .. فالنساء فى الحروب هن وعاء المحرقة اما اغتصابا أو قتلا أو ثكلا أو فقدانا لــلأزواج.. وعندها يكون السؤال - كما تقول الكاتبة القديرة الدكتورة نورة السعد - من هى اذن المرأة التى تدافع (المنظمات العالمية) عن حقوقها ؟.

تبدي انســلال الروح أيضــا في ذلك الهجوم الضــاري علي طالبان التي أرغمت الرجال - يــا للقســوة - عــلي إطــلاق لحاهم.. ودون أي إحساس بفداحة الكذب كانت كاميرات التــليفزيون تنقل من الجانب الآخر صور وجوه الحلفاء والأصدقاء من خونة التحالف الشمالي.. وكانت للوجوه ذات اللحي.. دون أي اعتراض ولا استهجان .

★★★

كان الكذب قبل أحداث ١١ سبتمبر مقنعا أو علي الأقل كانوا يجتهدون أن يكون كذلك. وكــان يخدع ضعاف العقول وضعاف الضمائر وضعاف الإيمان. الآن سقطت الأقنعة. وقد كانت مذابح مزار شريف وقلعة جانجي وذبح الأسري وحرقهم أحياء أمام العالم كله. وأمام الأمم المتحدة هــي آخر قناع للكذب يسقط . كان كذبا مشينا.. وكان الأخطر فيه.. أنه يعري بصورة نهائية وكامــلة عــورة غــليظة من عورات الحضارة الأمريكية.. وهي العورة التي تعددت أسماؤها من ازدواجية المعايير إلي نسبية القيم إلي ضلالات أن الرأي العام الأمريكي سيغير موقفه عندما يعرف الحقيقــة. لم يكــن رامسيفيلد يكذّب الأفغان.. بل كان يرسل رسالة واضحة إلي العالم: الحقيقة لا تهــم.. والصدق لا يهم.. وحتى نجاحنا في خداعكم لم يعد مهما.. المهم أننا نستطيع إرغامكم علي الادعاء أنكم تصدقوننا و إلا سقطت عليكم صواريخنا. وهو ما أكده فعلا بقصف مكتب قناة الجزيرة في كابل، ولم يكن المكتب هو الذي دمر، بل انهارت ادعاءات الغرب عن الحرية والشفافية والديموقراطية .

وكــان أحظــر ما في هذا الكذب أنه تعدي حدود الواقعة ليكشف الأكاذيب كلها دفعة واحــدة، و أنــه قدم الدليل الدامغ الذي لا يدحض، عن منظومة هائلة من الأكاذيب، أكاذيب تشمل العالم كله.. والتاريخ المكتوب كله.وكما بدت انهيارات الجسد في القصور المذهل لمؤسسات عجزت عن توقي الكارثة وهي التي طالما تباهت بقدرتها الأسطورية كالــCIA والــ FBI فقد تــبدت صورة المرآة لانسلال الروح من الجسد في أداء هذه المؤسسات بعد الكارثة. فمن قدرة علي الكذب المكشوف.. إلي جرأة علي تلفيق الأدلة.. إلي افتضاح ادعاءات العولمة والديموقراطية والحداثــة وحقــوق الإنســان.. إلي انكشاف دعاوى حرية الكلمة التي لم تحتمل رأيا ولا كلمة ولا صــورة تــناقض ما يقوله الأمريكيون.. إلي قرارات هائلة بمحو شعب من الوجود لأن هذا الشعب لم يسلم شخصا مشتبها فيه.. مجرد مشتبه فيه عجزت الأجهزة الأمريكية بقوتها الأسطورية عــن أن تقدم للعالم كله دليلا مقنعا باتهامه. لم تقدم دليلا ومع ذلك طالبت العالم أن يؤمن بالغيب

الـــذي تقوله هي، كي ينساق معها في تحالف شيطاني، ليحاربوا جميعا من يؤمنون بغيب أخبر عنه الله ..!!. وفي ومضة باهرة، تعرت دعاوى الحداثة، فإذا بها دعوى للانفصال عن جذورنا الإيمانية، دعـــوة لـــلكفر بـــالله، وليست حتى كما يقول بعض فلاسفتهم : الكفر بالله والإيمان بالإنسان، بـــل كانت الكفر بالله للإيمان بـ مريكا كرائد وممثل للحضارة الغربية. وفي تلك الومضة الباهرة، بدت القضية في صورتها الحقيقية بأجلي ما يكون : إنها معركة بين الإيمان والكفر.

هـــذه المعـــركة ليســـت مرتبطة بأحداث ١١ سبتمبر.. و إنما هي استمرار للحرب علي العقيدة.. حرب لم تنقطع قط.. استمرت عبر القرون.. منذ مؤتة وحتى أفغانستان .. حرب شاملة علي كافة المستويات.. وكان أخطر مستوياتها الكذب والخداع وتسمية الأشياء بعكس معانيها.. وخلط الصالح بالطالح.. كالخلط ما بين العلم والعلمانية وما بين الحداثة والتحديث و..و..و..

وكـــان اســـتمرار المعـــركة الطويلة عبر القرون يشوبه ذهول لطول صمودنا رغم قوتهم وضعفنا.. لقد عاش العالم الغربي ردحا من الزمن تخيل فيه أنه تمكن من حصار العقيدة الإسلامية بواسطة جيوشه و أمواله.. وعن طريق النخبة العلمانية المسيطرة علي العالم الإسلامي والتي لا يقل تأثيرها في فداحته عن تأثير الجيوش والاقتصاد.. تلك النخبة – من حكام وقادة وكتاب ومفكرين – الـــتي انكشـــفت وتعرت بالحرب في أفغانستان فإذا بها ليست إلا نموذجا لمجموعات التحالف الشمالي في أفغانستان.. نخبة خائنة منحرفة علي استعداد لبيع كل شئ حتى الوطن ، وقتل كل حي حتى شعبها، وخيانة كل قيمة حتى الله..

نعم.. كشفت الحرب القذرة أن جل النخبة المسيطرة في العالم الإسلامي ليست إلا تنويعات مختـــلفة للتحالف الشمالي في أفغانستان. ولقد كذب الغرب ووقع في الفخ فصدق أكاذيبه، فلقد نصب علينا حكاما من فصيلة التحالف الشمالي، واصطفي نخبا من ذات الفصيل. ثم صدق نفسه في أن هـــذه النخـــبة الشـــائهة المنحرفة هي الممثل الحقيقي للإسلام والمسلمين.. لذلك استبدت بـــه الدهشة عندما رأي الأمة ترفض أن تتنازل – رغم كل أنواع الإرهاب – عما تنازلت نخبتها عنه طواعية.

وتحـــت حكـــم تـــلك النخب الخائنة، تخيل الغرب أن المسلمين أوشكوا علي الانهيار .. بـــل وكـــتب مـــنظروه عـــلي سبيل المثال في بداية التسعينيات أنه بمرور عقد واحد من الزمن سيتم تنصير ٢٠٠ مليون إندونيسي.. وإذا بالعقد يمر وقد اشتد عود الإسلام في إندونيسيا أكثر مما قبل .

بقيـــة بـــلاد المسلمين شهدت ذات الظاهرة.. حتى تلك التي ألقي الغرب بكل ثقله كي يغيرها.. مثل مصر والمملكة العربية السعودية اللتين تمثلان دور الحادي والهادي للعرب والمسلمين

.. فقد ارتفع فيها – رغم القصف التنويري الحداثي المكثف – المد الإسلامي حتى أنه أصبح التيار الرئيسي وما عداه برك راكدة أسنت وتعفنت.

نعم أصبح التيار الإسلامي هو التيار الأساسي الجدير بالاحترام، وما عداه مسوخ شائهة، سـقطت عـن وجهها الأصباغ والمساحيق التي قدمت التزوير لا التنوير، والتعهير لا التحرير، والتغرير لا التطوير.

وثمـة استدراك هنا لابد من إثباته، وهو أننا لسنا ضد التنوير والتحرير والتطوير، إننا فقط ضد المسخ الذي حدث للمصطلحات، كما أننا نؤكد، أننا مع هذه المبادئ تحت مظلة الإسلام لا مظلة الغرب. نحن حضارة مختلفة، وفكر مختلف، وهدف مختلف من الحياة، التي هي في فكرنا أسمي من اللذة والقوة والغني، وبعد هذا كله، فنحن علي الحق، ومن داخل هذا الإطار الإسلامي فكل شئ مطروح، بشرط ألا يكون مؤامرة لهدم الإطار.

وفي تلك المعركة خرقت القوة الأعظم كل ما اصطلح عليه البشر من قوانين ومؤسسات و أجهزة ونظم.. معترفة كما قال أحد رجالها أن البحث عن ذلك " المشتبه فيه" صعب كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. و أنه قد يكون من الأسهل حرق كومة القش كلها. ولقد مارست تلك القوة المجردة من الأخلاق جرائمها، فراحت – كما فعلت دائما – تحرق بشرا وأوطانا لم تر فيها سوي كومة قش. الفارق الوحيد والجوهري، أن تلك الأحداث قبل ١١ سبتمبر كانت متسربلة بأقنعة مزيفة للحق سقطت كلها في ذلك اليوم الرهيب. سقطت لتكشف لنا كم كان هذا الغرب طيـلة الـتاريخ إرهابيا، وكيف أنه اعتبر " الآخر " دائما مجرد كومة من القش. كما كشفت لنا أن مشـكلتنا مع الغرب، ليست في أننا مارسنا الإرهاب ضده، بل في أننا لم نرهبه بالقدر الكافي. كي نمنعه من قهر بلادنا ووأد أحلامنا وتحطيم عقيدتنا.

والكارثـة الـتي لا تسـتطيع الـرادارات الأمريكية، ولا أجهزة الاستشعار، ولا أقمار الفضاء كشفها ، أن الانهيار الحادث الآن ليس انهيار الأجهزة.. ولا النظام.. ولا الإدارة.. بل إن مـا ينهار هو التجربة الأمريكية – كممثل للحضارة الغربية – كلها شاملة الشعب والتاريخ .. ولـتظهر بمـا لا يـدع مجالا لأي شك أو تردد.. أن هذه الحضارة : الإدارة والأجهزة والشعب والـتاريخ ليست ممثلة لعالم حر، ولا صادقة في دعوتها للعولمة.. ولا هي أم الديموقراطية ولا راعية حقـوق الإنسان.. ولا هي المثل الأعلي.. بل هي – كما قال رجاء جارودى في كتابه الشهير – طليعة الانحطاط .

نعم.. التجربة الأمريكية – وبصمتها علي الحضارة – تجربة منحطة شوهت الدنيا ومسخت القيم ودنست الوجود .

فالقيم تكتسب قيمتها من أنها مطلقة، فإذا اقتصرت علي شعب دون شعب، أو جنس دون جـنس، أو دولـة دون دولـة، فقدت كل جدارة للاستمرار، بل لمجرد البقاء. فحقوق الإنسان لا يمكـن أن تكـون حقيقـة إلا إذا كان الناس سواسية كأسنان المشط. والديموقراطية لا يمكن أن تكون حكم الشعب إذا حكم الشعب الأمريكي نفسه فقط، فذلك جزء من الصورة، وتكملتها أن يحكـم كـل شعب من شعوب العالم نفسه، ولكن ما بدا من تداعيات المشهدين: مشهد انهيار الجسد ومشهد انهيار الروح، أن أمريكا تري أن الديموقراطية هي أن يحكم الشعب الأمريكي نفسه .. وأن يحكـم في ذات الوقت كل شعوب العالم أيضا.. فإذا اعترض شعب أو رفض.. فإنه شعب متخلف وراع للإرهاب .



الحرب الدائرة الآن - بغض النظر عن كل التفاصيل - ليست حربا علي الإرهاب، بل هي الإرهـاب عيـنه. ذلك أن كل الجرائم المنسوبة إلي أسامة بن لادن - علي فرض صحتها - هي جرائم مبررة، أم الجرائم المنسوبة إلي الحضارة الغربية فلا يوجد جريمة منها يمكن تبريرها.

لذلك، فإن هذه الحرب ليست حربا بين أسامة بن لادن وجورج بوش، ولا هي بين أمريكا وأفغانستان. كما أنها ليست بين اليهودية المسيحية من ناحية والإسلام من ناحية أخري.

نعـم.. هـي حـرب علي الإسلام، ولكن الذين يشنونها لا يمثلون المسيح عيسي بن مريم أو موسى عليهما السلام، بل يمثلون الوثنية والكفر والشيطان .

إنها حرب بين من يعبدون الله ومن يعبدون أنفسهم .

وهـي حرب بين القيم التي يمثلها أسامة بن لادن وتلك التي يمثلها جورج بوش. بين الإيمان والوثنية، بين الأصالة والزيف. بين الحقيقة والأقنعة. بين الطهر والعهر. وبين النقاء والفجور وبين الحرية الحقيقية المسئولة - أمام الله قبل أن تكون مسئولة أمام الناس والتاريخ - وبين الزيف.

إنهـا معركة بين فريقين: أحدهما - وهو أسامة بن لادن ومن يمثلهم - يجاهد كي يجعل من المعـني قـيمة مطـلقة، ومن المادة قوة نسبية، حيث يحكم العدل، ووحدة المعيار، وعدم التمايز إلا بالـتقوى، وحيث يكون خوف الله هو الذي يمنعنا من ظلم الآخرين حتى حين نقدر عليهم.. والآخر وهو جورج بوش ومن يمثلهم، يحاول أن يجعل من المادة قوة مطلقة ومن المعني قيمة نسبية، حيـث يحكم الصاروخ، ويحسم المسألة حاملة طائرات وسلاح في الفضاء، وحيث لا يحمي أحد أي فرد أو شعب في العالم منه - بوش - إذا ما قدر عليه.

ثمـة سـؤال أتصور أن القارئ يترقب أن يجد الإجابة عليه قبل نهاية الكتاب، وهو سؤال في الحقيقـة يجـب أن يطـرح، وهذا السؤال يقول: هل هناك خطأ في حسابات أسامة بن لادن

وطالــبان ؟.. هــل تم انتصار إمبراطورية الشيطان انتصارات ساحقة وهل تعرض الإسلام لهزيمة خطيرة ؟!.

وربمــا لــو أجبت لظن البعض أن حساباتي - كفير عسكري - حسابات تعلى المعنى عن الواقع، رغم ما في الواقع من قسوة .

لذلك فإن خير إجابة عن هذا السؤال ، هي التي تأتي على لسان صديق كريم، هو المهندس الاستشاري السيد محمد حسن، الذي شارك فعلا في الجهاد في أفغانستان، بل وكان من المقربين من الشهيد عبد الله عزام، حيث رافقه طويلا في بيشاور و إسلام أباد .

يقول المهندس السيد محمد حسن(١):

- لقد حقق المسلمون الانتصار وبنسبة مائة بالمائة..

وعندما لاحظ دهشتي أردف قائلا :

- نعــم.. ولا تدهــش لقــولي.. ارجع معي إلي أزمة الوليمة وكيف كشفت لنا في مصر ثم للعالم الإسلامي كله مدي انحراف النخبة المثقفة المتحكمة.. وكيف أننا كمسلمين قد بلغت بنا الطيبة أو السذاجة أن افترضنا فيهم حسن الظن دائما.. وفسرنا الأمور دائما علي عكس ظواهرها فلم نستبعدهم من ثلة المؤمنين المسلمين .. كنا دائما ننظر إلي اختلافهم عنا علي أنه يتم من وجهة نظــرهم أيضــا تحــت مظلة الإسلام .. وكنا نلتمس المعاذير لانحرافاتهم .. كنا أحيانا نقول أن اجــتهاداتهم مــأجورة (من الأجر وليس الإيجار) وإن كانت خاطئة.. وكنا نتلمس لهم المعاذير في عمــلية غسل مخ جماعي تمت عليهم بفعل الاستشراق والتبشير والانبهار بقشرة حضارة الغرب أعقبها انهيار.. وكنا نظن - علي الرغم من هذا كله - أنهم لا يرضون بالإسلام بديلا.. فقط هم يــريدون التطوير والتحديث وليس التغيير والحداثة.. كان هذا قبل الوليمة..بعد الوليمة انبلجت الحقيقــة.. فهــؤلاء ليسوا مسلمين وأخطر ما فيهم أنهم ينكرون الكفر ويظهرون الإيمان .. أنهم يدّعون الفكر ويقصدون الكفر.. نعم .. بعد الوليمة حدثت المفاصلة: كل من وافق علي سب الــذات الإلهية (أيا كان الباعث أو المضمون أو الوعاء) فهو كافر .. ولم يعد الأمر مقتصرا علي فــتوي الفقهاء بل انتقل الحكم إلي الشارع الإسلامي كله.. إلي الوعي الإسلامي.. وذلك الإنجاز كــان أشبه بثورة أو طوفان عات دمر حصون الكفر التي ظلوا يشيدونها طيلة قرنين من الزمن.. ولم يكن مقياس الانتصار أو الهزيمة في معركة الوليمة إبقاء وزير الثقافة أو إقالته.. علي العكس.. أتصــور أن إقالــته الفورية كانت ستشكل انتكاسة لما فعلتموه.. نعم.. كانت ستشكل مواصلة خداع الناس وانخداعهم بالتضحية بكبش فداء يدل بمجرد التضحية به علي براءة - ولو ظاهرية

(١) حوار نشر في صحيفة الشعب الإليكترونية، عدد ٢١-١٢-٢٠٠١.

– للسلطة وللنخبة.. كان الناس سيواصلون الانخداع .. أما وقد حدث العكس فقد كانت المفاصلة كاملة وكان الانتصار كاملا..

وواصل الصديق القول قائلا :

– ما حدث في الوليمة وما يحدث في فلسطين والشيشان والفلبين والبلقان و أفغانستان كلها مواقع مختلفة في ذات المعركة.. معركة الإيمان والكفر.. معركة مواجهة الحرب علي الإسلام.. والآن لننتقل إلي ما حدث في أفغانستان.. أيا كانت التداعيات والنتائج.. فما من أحد منا كان يتوقع أن ينتصر المجاهدون من المسلمين هناك عسكريا علي أمريكا و أوروبا والإدارات الرسمية للدول العربية والإسلامية .. ذلك كله تشخيص خاطئ.. فالمعركة في طورها الحالي ليست معركة عسكرية يحكم علي نتائجها هزيمة أو انتصار.. المعركة الحالية تتعلق بوعي الأمة بنفسها وعقيدتها وسمو هذه العقيدة علي كل ما عداها.. وتعالي الإلهي عن البشري.. والحكم علي نتيجة المعركة لا يحدده إلا مقياس واحد هو المفاصلة .. وهو ينعكس في وعي الناس بعد ما حدث.. في اكتشافهم أنهم خُدعوا.. ينعكس في صحوة وعي الأمة ووعي العالم .. هل هم مع ممارسات أمريكا أم ضدها.. هل انكشف الزيف الفادح والفاضح لكل ما رفعه الغرب من شعارات أم لم ينكشف.. لقد كانت أمريكا تشبه بلطجيا مجرما استطاع دائما خداع الناس عن حقيقته فراح يشيد المساجد ودور الأيتام ويسارع إلي أعمال الخير بينما هو في الحقيقة يفعل كل ذلك ليستر أعماله الإجرامية الخفية.. وكاد هذا البلطجي أن يصبح نموذجا يحتذي يشد وراءه كل من يحيط به إلي عالم الجريمة والقتل والسرقة والمخدرات والشهوات دون أن يخالج الناس منه أي حذر فهو صديق.. ما حدث منذ ١١ سبتمبر – بغض النظر عن كل الملابسات أن شخصا ما استفز هذا البلطجي فكشفه فلما أدرك أن أمره قد اكتشف شهر مسدسه علي الناس ووقف علي باب المسجد " يسب الدين".. قائما هو نفسه بتمزيق كل أستار الخداع التي تسربل بها كي يخدع الناس عن حقيقته.. قام هو نفسه بتمزيقها ولن يستطيع خداع الناس أبدا بعد ذلك.. بعد هذا الموقف لا تسل عمن كشف المجرم ومصيره ومآله.. لقد كانت الغاية كشف المجرم ومنع غوايته للناس.. وهذا ما حدث.. حتى لو تمكن القرصان من قتل البطل العظيم الذي كشف للناس حقيقة المجرم.. فهذا يعلي من قيمة البطل ومن قيمة انتصاره.. والسؤال الذي جب أن يطرح هنا.. ليس هو : هل انتصر البطل.. بل السؤال: هل كان مسموحا لهذا البطل أن يصمت؟! ولو أنه صمت لكان في صمته هزيمته.. أما وقد نطق.. وبأعلى صوت و أنصع بيان فقد انتصر.. الدور بعد ذلك ليس علي من كشف المجرم.. بل علي الناس الذين اكتشفوا خداع هذا المجرم لهم .. الناس جميعا.. الأمة .. والآن قد وصلنا إلي مرحلة الوعي والكشف والمفاصلة.. ولم يعد علي وجه الأرض مسلم

حقيقـــي لا يـــدرك مدي بشاعة وحقارة الحضارة الغربية بزعامة أمريكا.. وما وقعت فيه النخبة الثقافية الرسمية (وهي الفرع) وقعت فيه أمريكا (وهي الأصل) .. أدرك المسلمون – كل المسلمين – كـــل هذا بعد أحداث ١١ سبتمبر وتداعياتها .. أما المجاهدون الأبطال فقد قدموا للعالم المنارة الـــتي كـــانت تنقصه.. المنارة التي يحتاج إليها.. قدموا نقيض ما تقول به حضارة الغرب.. قدموا الشـــجاعة والوفاء والفداء والإقدام والاستشهاد من أجل عقيدة .. قدموا للعالم تطبيقا آخر لمعنى الحيـــاة ومعني الموت.. ومعني الوجود كله.. إن من لم يسمع أو ير الإسلام قبل ذلك يراه في أبهى صوره وأزهاها.. وسوف ينعكس هذا علي دخولهم في الإسلام .. وقد بدأ هذا بالفعل..

وواصل الصديق:

– أكـــرر أن المعـــركة في الحالتين لم تكن معركة عسكرية يحكم علي النتيجة فيهما نصر أو هـــزيمة.. لا.. بـــل كانت معركة علي كشف زيف كفر وإجرام نجح طيلة قرون في أن يخفي حقيقـــته بارتداء أقنعة مزيفة.. ولقد نجح البطل المجاهد أسامة بن لادن ومعه حركة طالبان في نزع تلك الأقنعة بل في تدميرها تماما..وبهذا فازوا بالنصر فى المعركة.. مائة في المائة..

ووجدت نفسي أؤمن على حديثه..

★ ★ ★

نعـــم.. نحن لم نخسر المعركة.. لم يكن لها أن تعطينا أكثر مما أعطت .. ولقد فزنا بكل ما كنا نصبو إليه منها.. وهي تمهيد لمعارك أخري.. بوسائل أخري.. وكما في هذه المعركة سوف يختلف المقياس في كل معركة منها ليحكم من انتصر .. ومن انهزم..!!

★ ★ ★

فالمعركة معركة بين الخير والشر..

وهي معركة نتيجتها – والتاريخ يشهد – محسومة..

مهما بدت الظواهر غير ذلك..

كتب للمؤلف

اغتيال أمة – طبعة أولى	١٩٨٧	سياسي	مكتبة مدبولى
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولى
مباحث أمن الوطن – صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	مجموعة قصص قصيرة	مكتبة مدبولى
اغتيال أمة – طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسي	مكتبة مدبولى
قصر العيني	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولى
من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسي	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	مجموعة قصص ونصوص أدبية	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مدبولى الصغير
أني أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسي	مكتبة مدبولى
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسي	مدبولى الصغير
الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة	٢٠٠١	سياسي	مكتبة مدبولى

تحت الطبع

القرن الحادي والعشرون	مجموعة قصص	مدبولى الصغير
بروتوكولات حكماء العرب	رواية	



عروبية للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3251043 - 3256098

بل هى حرب على الإسلام

نعم هى حرب على الإسلام وليست على المسلمين ، لأن عدو الإسلام المتربص المتحفز استطاع بكل ما يملك من أموال وقدرة على الغواية والإغراء أن يحوّل المسلمين كأفراد بغض النظر عن مواقعهم ، أن يحولهم إلى دُمَى يبث فى عقولهم ما شاء من أفكار وأن يجردهم من قيم الشجاعة والكرامة والنخوة . .

فأمريكا ومن لف لفّها يعرفون تماماً أن الإسلام ، ذلك المنهاج الأخلاقى الذى يحرّض معتنقيه على ألا يعبدوا إلا الله ، وألا يخشوا إلا خالقهم وأن يعتصموا بحبل الله وأن يكونوا جميعاً بعضهم مع بعض كالبنيان المرصوص ، كل هذه القيم الإيجابية . فضلاً عن التأكيد على الأخذ بأسباب العلم وإجادة لغة العصر، كل عصر ، كل هذا يجعل العدو يدرك خطورة وقوة المسلم إذا ما أحسن اتباع هذا المنهاج ، وهنا يكمن الخطر ، وهنا كان لا بد للعدو أن يطوّر أسلحته لمهاجمة الإسلام والتشكيك فى ثوابته وإشاعة الفُرقة بين أتباعه وإضعافهم ووضعهم دائماً فى موضع المتهم المعتدى ، فلم يترك بلداً إسلامياً إلا وزرع فيه من أتباعه وجواسيسه خبراءَ فى الدس والوقيعة بين صفوف أبناء البلد الواحد ، بل نجح بمكره ودهائه أن يصطاد أصحاب النفوس الضعيفة من إخواننا ويجندهم لحسابه ويدفع بهم إلى صفوف الحرب ضد أهليهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فأمريكا منفردة أو مع التحالف الأوربى الذين يدركون قيمة وعظمة الإسلام من إنه دين ودنيا يجعل من أتباعه ـ لو أحسنوا العقيدة ـ يجعل منهم قوة لا تهزم ، فراحوا فى العراق وإيران وباكستان والشيشان ومنطقة الشرق الأوسط والجزيرة العربية ، مرة بالتدخل المباشر السافر فى شكل حرب وتدمير، ومرة بالوقيعة والتحريض كى يقتل المسلم أخاه ، وراحوا يلاحقون أى تيار إسلامى يشّع منه بارقة أمل للاصلاح والتقدم ، راحو يلاحقونه ويطلقون عليه كلابهم المسعورة كما فى فلسطين بواسطة عصابات اليهود أو فـ... بواسطة جيوش التحالف الشمالى . . إلخ .

إذن هى حرب على الإسلام فعلاً ، وهى امتداد لمسلسل قديم ولكن فـ... جديد ، ولقد آن الأوان ولا نقول فات الأوان لنقف نحن المسلمين فى وجوه أ... من منطلق الوعى بهذه الحقائق لعل الله يغفر لنا تقصيرنا فى حق ديننا وأهلـ... حقيقة قوتنا فى مواجهة أعداء الإسلام .

